



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - الجزائر -  
جامعة أحمد دراية - أدرار -



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية  
قسم العلوم الإنسانية

## التواصل الحضاري بين توات وشنقيط خلال القرنين (12-13هـ/18-19م)

أطروحة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في التاريخ (ألمدي)

تخصص: تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء المعاصر

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الكريم بلبالي

إعداد الطالب:

رمضان هداجي

أعضاء اللجنة المناقشة

اللقب والاسم	الرتبة	المؤسسة	الصفة
جعفري مبارك	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	رئيسا
بلبالي عبد الكريم	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	مشرفا ومقررا
بوتدارة سالم	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	مناقشا
جلاليلي أحمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	مناقشا
بابا عبد الله	أستاذ محاضر أ	جامعة أدرار	مناقشا
شعباني نور الدين	أستاذ التعليم العالي	جامعة خميس مليانة	مناقشا

السنة الجامعية: 1443-1444هـ/2022-2023م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
خَلَقَ الْمَوَدَّعَةَ  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
خَلَقَ الْمَوَدَّعَةَ  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
خَلَقَ الْمَوَدَّعَةَ

## الإهداء

- إلى الوالدين الكريمين، أطال الله عمرهما في طاعته، وأمدهما بوافر الصحة والعافية.
- إلى شموع احترقت لتضيء دربي: مشايخي وأساتذتي الفضلاء... من مرحلة الكتاب مروراً بمراحل التعليم الثلاث وصولاً إلى مدرجات الجامعة.
- إلى زوجتي الكريمة وأبنائي الأعزاء: محمد ياسين، عبد النور، عبد الكريم.
- إلى إخواني الأفاضل وأخواتي الكريمات
- إلى الأقارب والأصدقاء وزملاء العمل ورفقاء الدرب في الدراسة وخارجها.

أهدي لكم جميعاً هذا العمل المتواضع

رمضان هداجي

## شكر وعرّفان

الحمد لله أولاً وأخيراً؛ بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تقضى الحوائج وتختتم الأعمال، وله الشكر الدائم على تسهيله وتوفيقه.

أتقدم بشكري وتقديري الكبيرين للأستاذ الدكتور عبد الكريم بلبالي الذي أكرمني بقبول التأطير والإشراف على هذا البحث، ودعمه، وتوجيهاته، وارشاداته، وتذليل كامل العقبات التي اعترضت طريقي طيلة إنجاز العمل.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء اللجنة الموقرة بقبولهم مناقشة هذه الأطروحة.

وأتوجه بخالص عبارات الشناء لكل من ساهم في إتمام هذا البحث. الدكاترة والأساتذة الكرام من خارج الوطن (الجمهورية الإسلامية الموريتانية): سيدي محمد ولد جعفر، الطالب المجتبي عنكر، محمد الأغطف ولد أداه، إيزيديه سيدي إجميد، محمّدو سالم، شيخنا عالي، محمد الأمين ولد أن، ومن جمهورية العراق العربية الدكتورة الفاضلة زهراء يوسف... فلهم جميعاً جزيل الشكر وأحتسب ما قدموه في ميزان حسناتهم.

كما لا يفوتني أن أحيي القيم على شؤون خزانة مولاي العباس الرقاني، وجميع أعضاء جمعية مسجد ومدرسة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني؛ وكذلك الأخ جمال الدين الإدريسي، والأستاذ الدكتور نور الدين الكنتي، وأبناء عمومته من أحفاد الشيخين أحمد الرقاد والشيخ محمد أبو نعامة في الجزائر والسنغال على اهتمامهم وتحفيزهم، وبما أجادوني به من نفائس معلومات... لكم جميعاً جزيل الشكر والعرّفان.

وجزء الله الجميع خير الجزاء

رمضان هداجي

# المقدمة

تمثل الصحراء الإفريقية الكبرى نقطة التقاء وتواصل بين الحواضر المغربية في الشمال وحواضر بلاد السودان الغربي في الجنوب، من خلال تموقع مراكزها على طريق القوافل القادمة والمتجهة من وإلى أفريقيا جنوب الصحراء. فلم تكن بعد المسافات ولا صعوبة المسالك ومخاطرها، عن تحقيق الهدف المرغوب من التواصل، في ظل استغلال الإنسان كل وسيلة محدودة لصالحه، مما دفع شعوب الضفتين الشمالية والجنوبية -أمام وحدة العقيدة والدين- إلى التقارب في شتى المجالات والميادين.

كلما يفتش الباحث في تاريخ العلاقات بين شعوب الضفتين، إلا ويجد اسم توات أو شنقيط رديفاً بالأقطار المؤثرة في عمليات التواصل الحضاري؛ فتوات الكبرى بمناطقها الثلاث (تيگورارين، وتوات، وتدكلت)، تعتبر من نوافذ الصحراء الجزائرية نحو عالم الجنوب؛ بينما تؤدي الحواضر الشنقيطية نفس الدور باعتبارها بوابة السودان الغربي؛ ولو أن بعض الأجزاء الشنقيطية التي قد تشملها دراستنا الموسعة، كانت تدخل ضمن الحيز الأفريقي الجنوبي خلال فترة انتعاش السلطنات والممالك الأفريقية الكبرى (غانا، ومالي، وسنغاي)، وأكثر من ذلك فإن أغلب النوازل والحوليات تعتبر المدن التاريخية القديمة (ولانة، وادان، شنقيط، تيشيت) جزءاً لا يتجزأ من بلاد التكرور.

### تحديد الموضوع:

تتناول الدراسة في حدودها الجغرافية توات وبلاد شنقيط؛ وقبل الغوص في مجال الدراسة لابد من توضيح بعض المفاهيم المتعلقة بالموضوع، ومنها أن المسمى "شنقيط" خلال البحث تغطي - غالباً - جميع أجزاء البلاد من باب تسمية الجزء بالكل، لأن صفة "شنقيطي" كانت لصيقة بساكنة البلاد عامة. ومن خلاله سيكون تركيزنا على الجهة الشرقية المحاذية لإقليم أزواد مع بعض التوسعات، نتيجة المؤثرات الحضارية التي أتاحت فرص التواصل السكاني، عن طريق الأخذ والعطاء من الآخر، بشكل ساهم في التعريف بجبايا كل منطقة، وما تزخر به من موروث ثقافي، وإنتاج علمي، وطاقات بشرية لا زالت مضرب المثل في التواصل البشري؛ لذلك ارتأينا عنواناً موضوع الدراسة بـ: "التواصل الحضاري بين توات وشنقيط خلال القرنين (12-13هـ/18-19م)".

## دوافع اختيار الموضوع:

لم يأت اختيار موضوع التواصل الحضاري بين توات وشنقيط خلال القرنين (12-13هـ/18-19م) من قبيل الصدف أو الاعتباط؛ بل جاء نتيجة دوافع شخصية ذاتية، وأخرى علمية موضوعية، لتسليط الضوء على فترة حساسة من تاريخ المنطقتين، ومنها:

• تعتبر هذه الفترة من أكثر فترات الازدهار العلمي والرقى الحضاري داخل حواضر المنطقتين، بشكل عاد بالفائدة على عملية التواصل بين مجتمعاتهما.

• الرغبة الشخصية - بصفة باحث في تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء - في تناول مثل هذه الموضوعات التي من شأنها إبراز البعد الحضاري للمجتمعات الصحراوية، وارتباطاتها بمناطق الجوار الإفريقي، ومن خلالها يمكن إظهار حجم المبادلات العلمية والاقتصادية والاجتماعية لشعوب المنطقة.

• إحياء تاريخ توات وربطه بمناطق تبادل جديدة كانت الدراسات حولها محدودة جدا، فالمعروف أن الإقليم شكل في ماضيه همزة وصل بين حواضر المغرب الإسلامي والسودان الغربي، بفعل الهجرات التي قادت علماءه لقطع آلاف الأميال، مُتَحَدِّين صعوبة المسالك الصحراوية وقساوة الطبيعة، من أجل تبليغ رسالة الأنبياء أو النبوغ في علوم وثقافات المناطق والحواضر المحيطة به.

• نقص الدراسات المرجعية التي تتناول مثل هذا المواضيع، فما أحتوته المكتبات الوطنية عبارة عن شتات من المؤلفات والأبحاث العلمية، التي قلما تتحدث عن مختلف الجوانب الحضارية؛ وهذا ما جعلنا نعقد العزم على السير في هذا المضمار، من أجل أن نحصل للمكتبة الوطنية إضافة - متواضعة على قدر جهدنا - جديدة في موضوعها، مسبوقه في مجالها.

## أهمية الموضوع:

يكتسي موضوع التواصل الحضاري بين توات وشنقيط أهمية بالغة في التعريف بحياة الأفراد والقبائل، حيث جاءت الدراسة لتصحيح بعض المفاهيم الشائعة حول محدودية الترابط التواتي الشنقيطي، فالكتابات التاريخية كشفت الغطاء عن حقائق مغيبة، من شأنها أن تخدم مجال الأبحاث العلمية الحديثة بنصوص توثيقية، تكون فيه المكتبة المحلية الخاصة عتبة ونواة لكتابة التاريخ الوطني العام، ومن ثمة تقدير الجهد الفكري والإنساني لمجتمعات نشطة، أفرزت شعوبا منتجة علميا وأديبا؛ متجانسة أخلاقيا

واجتماعياً؛ متعاونة ومتكافلة إنسانياً؛ مترابطة ومتراصة اقتصادياً؛ في وقت كان السفر عبر الصحراء يشكل أكبر المخاطر التي تهدد حياة البشر.

### أهداف الدراسة:

نتوخى من خلال دراسة موضوع التواصل الحضاري تحقيق جملة أهداف، من بينها:

- تقريب الباحث في تاريخ توات المحلي لمعرفة الدور الحضاري الذي لعبه هذا الإقليم، في سبيل نشر الحضارة الإسلامية والثقافة العربية بين المجتمعات المحيطة به، أو تلك التي اتخذته مطية للاتصال بشعوب أخرى في شتى المجالات والميادين، وبالتالي ترغيب الباحثين في تنويع الدراسات حوله والخوض في مجالات لا زالت طي النسيان.
- إبراز القيمة العلمية للرحلة التي تعتبر عامل تقارب وتجانس بين الشعوب، من بوابة التأثير والتأثر بحياة الآخر نتيجة تنقل السكان بين الحواضر، وما رافق ذلك من تبادل علمي وروحي واقتصادي، وكذا نقل عادات وتقاليد ساهمت في استمرارية التواصل بين المجتمعات.
- تقديم صورة موسعة عن مناطق الجوار الجهوي، التي كانت سبباً مباشراً أو غير مباشر في التواصل الحضاري، سواء من قريب أو من بعيد.
- تقوية الروابط العائلية بين القبائل المساهمة في مد جسور التواصل الحضاري، ومن ثمّ فسح المجال للأجيال المتعاقبة من أجل المحافظة على تلك اللحمة الاجتماعية واستمراريتها، والتي مرت عبر قنوات متعددة زادت من العلاقات الشعبية تناسقا واتحادا.

### الإشكالية:

سنحاول من خلال الدراسة الكشف عن الميادين التي شملها التواصل الحضاري التواتي الشنقيطي خلال القرنين (12-13هـ/18-19م)، بغرض تسليط الضوء حول شخصيات ساهمت في مجال التواصل، وذلك من منطلق تأثير الحواضر الصحراوية في تعزيز علاقات الشعوب، بما اشتهرت به من إمكانيات مهدت الطريق لعقد الصلات والروابط بين الأهالي، وخلالها لعبت الرحلات ومراسلات الأفراد والجماعة دوراً محورياً لتسهيل عملية التواصل القبلي. وهذا من شأنه أن يقدم انطبعا عن علاقات ثنائية (تواتية - شنقيطية) في مختلف الميادين الاجتماعية والاقتصادية والعلمية، نتيجة عوامل داخلية وأخرى خارجية مكنت فرص التواصل الحضاري بين الشعبين.

وللإجابة عن هذا الإشكال نطرح مجموعة من التساؤلات الفرعية، والتي نأمل تفصيل أجوبتها في معرض الدراسة: ماهي العوامل التي ساعدت على التواصل القبلي بين الشعبين التواتي والشنقيطي؟ وفيما تمثلت مشاركة علماء توات وشنقيط في نشر الثقافة العربية الإسلامية داخل وخارج مجتمعاتهم؟ وماهي العلوم والفنون التي نالت أولوية التواصل الحضاري بينهما؟ وكيف استطاع الإنسان التواتي

والشنقيطي التكيف مع بيئته لخلق جو من التبادل والتقارب القبلي؟ وماهي النتائج التي حققها هذا التواصل على الصعيدين الخاص والعام في ارتباط الشعوب؟

### المنهج المتبع:

بعد العرض العام لمجال الدراسة، ولما يتطلبه موضوع التواصل الحضاري بين الشعوب من تحليل دقيق للحدوث التاريخية، اعتمدنا على المنهج التاريخي القائم على عرض الأحداث ووصفها، ومن ثم نقد مضامينها بالمقارنة والتحليل؛ بغية الوصول إلى الهدف الأسمى من الدراسة، وإسقاط محتوياتها على الذهنية التواتية والشنقيطية، من خلال إبراز عامل التأثير والتأثر الحضاري، وذلك بالرجوع إلى ما تناولته كتابات المؤرخين والفقهاء، وأعلام النوازل والرحالة والمستكشفين، الذين زاروا المنطقة أو نقلوا تواريخ أخبارها، أو عن طريق زيارات ميدانية أو اتصالات ربطتنا ببعض الشخصيات الملمة بتاريخ المنطقتين أو أحد حواضرها، والتي استطعنا بفضلها تثبيت عدة معلومات تظهر عمق وأصالة العلاقات التاريخية بين توات وشنقيط من جهة، والأقطار المتصلة بهما من جهة أخرى.

### الدراسات السابقة:

يعتبر موضوع التواصل الحضاري بين توات وشنقيط مادة دسمة في الأبحاث التاريخية، فتباينت دراساته بين العمق والسطحية، وربما اكتفت في معظمها بموضوع معين دون آخر، أو نقل معلومات تساعدنا كباحثين في اكتشاف مواطن التقارب، ومن أهم تلك الدراسات:

- إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، للدكتور فرج محمود فرج: والمؤلف في أصله أطروحة تقدم بها الأستاذ الليبي لنيل شهادة الدكتوراه عن جامعة الجزائر، وتعتبر هذه الدراسة قاعدة لجميع الكتابات المعاصرة التي جاءت بعده وأرخت لتاريخ توات، وانفتاحها الحضاري على مناطق السودان الغربي، والجنوب الليبي والمغربي والجزائري، خلال فترة الدراسة.

- العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، للأستاذ الدكتور مبارك أبو الصافي جعفري: عرضت الحياة الثقافية في توات وانعكاساتها على حواضر السودان الغربي، حيث ركز الباحث على إبراز الجوانب المشرقة للمراكز الثقافية، من خلال تراجم أعلامها المتنقلين بين حواضر توات وشنقيط لدعم الروابط الثقافية؛ ولذلك نعتبرها مفتاح شهية الباحثين لخوض غمار دراسات بحجمها، فكانت منطلقه لنشر أعمال أخرى قريبة من الموضوع ومجالاته الجغرافية.

- آل كنتة دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، للأستاذ الدكتور محمد الصالح حوتية: توسع الباحث في أصول وفروع القبيلة المتوزعة بين توات والجنوب المغربي ومنطقة الساحل الإفريقي، وحاول من خلالها الكشف عن الأثر الحضاري لقبيلة كنتة في توات وأزواد، بالرجوع للوثائق المحلية في المناطق التي تعرف انتشار أبناء القبيلة.

- أعلام الشناقطة في الحجاز والمشرق وجهودهم العلمية وقضاياهم من القرن الخامس حتى القرن الخامس عشر الهجريين، للدكتور أبي علي بجدّ القلقمي الإدريسي: يتحدث الكتاب عن دور علماء شنقيط خارج البلاد، ويقدم صورة مشرقة للحواضر الشنقيطية، بما صدرته من علماء أجلاء لبلاد المشرق، وفي خضمها يثني على المناطق التي مروا عن طريقها لأرض الحجاز، بما فيهم توات.

- السلالة الصحراوية لأولاد السي حمو بلحاج من تافيلالت إلى الحوض الشرقي، للدكتور الموريتاني المهدي ولد مولاي الحسان: يتبع الكتاب مواطن انتشار أولاد حمو بلحاج في مناطق الصحراء الكبرى (توات، موريتانيا، أزواد) انطلاقاً من موطنهم تافيلالت، ويعتبر المؤلف سندا مباشرا للمطالع في تاريخ القبيلة من حيث الأصول والفروع، إضافة للأدوار الحضارية التي ما فتئ يقدمها الأبناء خدمة لمجتمعهم الجديد في الحواضر الشنقيطية، التي وصلوها من الحواضر التواتية فرادى وجماعات.

- سلسلة أبحاث في تاريخ توات، للأستاذ الدكتور أحمد أبو الصافي جعفري: تناولت السلسلة أبحاث متفرقة عن واقع الحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية في توات، وجذور تواصلها مع منطقة بلاد السودان، وخلالها قدم الباحث دراسة حول شخصية الشاعر الشيخ محمد بن بكو العلاوي الشنقيطي، وعلاقاته الوطيدة مع علماء توات، ولم يكتف الباحث بهذا المنجز العلمي، بل كانت له أعمال أخرى جمعها في مؤلفه "من تاريخ توات أبحاث في التراث"، الذي تطرق فيه لمواضيع متعمقة، تؤرخ لتواصل حضاري بين توات ومناطق الجوار، قبل وبعد القرنين الثاني والثالث عشر الهجريين.

#### الخطة:

سطرنا في مشروع الأطروحة الأولى خطة أولية للدراسة، خلالها لم تكن هناك فكرة دقيقة أو إلمام واسع بجوانب وأطر الدراسة، ولكن بعد الشروع في البحث والتعمق في متطلباته، اضطررنا بين الفينة والآخرى لإحداث بعض التغيرات التي رأيناها تتماشى وطبيعة البحث، عن طريق الرجوع للمصادر والمراجع المتوصل إليها. والخطة تتكون من مقدمة وفصل أولي عبارة عن مدخل تمهيدي للموضوع، وثلاثة فصول أخرى، ثم خاتمة، وهي تسيير وفق التقسيم الآتي:

يقتصر المدخل التمهيدي المتعلق بـ: "الدراسة الجغرافية والتاريخية لتوات وشنقيط" على عرض الطابع العام للمفاهيم الجغرافية والتاريخية، والتعاريف اللغوية والاصطلاحية المرتبطة بتاريخ الحواضر التواتية والشنقيطية، وقد منّا خلاله تعريفات خاصة بكل منطقة وانفتاحها على مختلف الأقاليم، وتحدثنا عن أصول المسميات وتناقض الآراء حولها، وكذلك أصول السكان وامتداداتهم، واختلاف طبقاتهم الاجتماعية، وأدوار كل طبقة داخل المجتمع، لأن هذه الطبقة في بعض الفترات شكلت عامل اضطراب والا أمن، سبب صراعات سواء في توات أو حواضر شنقيط، نتيجة التوافد المتزايد للسكان من شتى أصقاع المعمورة، وما أعقب ذلك من تشكيلات أحلاف، كانت سببا في انعدام النظام، وهو ما جعل المنطقتين لقمة سائغة أمام التدخلات الأجنبية من مختلف الاتجاهات.

ويتضمن الفصل الأول المسوم بـ: "العلاقات الاجتماعية والروحية بين توات وشنقيط"، المؤثرات السكانية التي أعطت دافعا قويا لعجلة التواصل الحضاري، من خلال تخصيصنا حيزا للقبائل المساهمة في عملية التواصل من الجهتين، سواء القبائل العربية أو الصنهاجية البربرية، والشيء الذي يلفت الانتباه دور التصوف وأعلامه في بناء علاقات سكانية متينة، بواسطة الحديث عن الطرق الصوفية المشتركة، وتحديد أدوارها الحضارية، وكذا تأثير رجال التصوف عامة والتواتي خاصة في المجتمع الشنقيطي بدرجات كبيرة جدا، حتى نستطيع القول أن الأثر التواتي (عن طريق زوايا التصوف) ظاهر للعيان لا يعترضه أي شكوك، وأن توات كانت غالبا السبيل الأمثل لانتشار مختلف الطرق الصوفية داخل مناطق شنقيط (القادرية، والتجانية، والشاذلية، والرقانية)، وكان هذا الداعي وراء ربط مؤثرات التصوف الروحي بالمجتمع، وفصله عن الحياة العلمية والدينية بمجال الدراسة.

أما الفصل الثاني فخصصناه "للروابط العلمية والدينية بين الأعلام التواتيين والشناقطة"، ومن خلاله سلطنا الضوء على انفتاح مراكز الثقافة التواتية والشنقيطية على الروافد الخارجية، وذلك من باب الحديث عن سمات وخصائص المراكز التعليمية، واتحاد المقررات المدرّسة في كل مرحلة، ثم تطرقنا فيما بعد لمظاهر التواصل العلمي، الذي لعبت فيه الرحلات - الحجازية والعلمية - دورا بارزا في تقارب وتلاقي الأعلام، وهذا بدوره انعكس على حركة التأليف، وتسييق الاهتمام بمؤلفات دون أخرى، ومن ثمة ميول الشناقطة للاهتمام بمؤلفات تواتية محددة، وتعهدتها بالدراسة والشرح سواء في اللغة أو العقيدة الإسلامية... إلخ، كما كانت لنا وقفة مع الجانب الديني، ودور الأعلام والفقهاء في نشر الفقه المالكي وتقديمه في الفتاوى، بالإضافة إلى الوقوف عند بعض الخلافات الفقهية، ومسائل أخرى رجع فيها أحد الفقهاء لطرف التواصل الحضاري الآخر.

وفي الفصل الثالث المسوم بـ: "الوضع الاقتصادي في توات وشنقيط وانعكاساته على التبادل التجاري"، كانت البداية بإلقاء نظرة متفردة عن الحياة الاقتصادية في كل منطقة لاستخراج مواطن الشبه، لاسيما وأن العمل اقتصر على وسائل متشابهة تقريبا، فيما يخص وسائل السقي الفلاحي والصناعات اليدوية، وكذا تنوع مصادر الثروة الحيوانية، بالإضافة إلى الاستعمالات المختلفة للمكونات النباتية والحيوانية في الصناعات الحرفية، ثم انتقلنا في الشطر الآخر للحديث عن التبادل التجاري، الذي لعبت فيه الأسواق التواتية والشنقيطية دورا مهما لتعزيز التواصل، دون تجاهل مناطق الجوار من الساحل السوداني الجنوبي والشرقي، ومن خلالها سلطنا الضوء على المسالك المؤدية للمنطقتين، والعراقيل المقوضة لذلك التواصل، وتحديد المعاملات الرائجة في عمليات التبادل، ونوعية السلع والبضائع المتبادلة، إما بين التجار التواتيين والشناقطة مباشرة، أو التي تمر عن طريقهم لبلاد السودان وشمال الصحراء، مع التركيز على نقاط التبادل التجاري بينهما على الضفتين.

### المصادر والمراجع:

تنوعت مادة البحث العلمي، بحيث جاءت على حسب كل مجال والميدان المتطرق إليه، وهي في مجملها عبارة عن مراجع ومصادر مخطوطة ومكتوبة عربية وأجنبية، أرخت لأحداث تاريخية مست علاقات الشعبين، ومن أهم تلك المصادر والمراجع نذكر:

#### ● المصادر المخطوطة:

تأخذ المخطوطات حيزا كبيرا من مجال الدراسة، سواء كانت نوازل فقهية، أم وثائق في شكل مراسلات أو عقود ومراسيم ووكالات، فهي بمثابة المحقق التاريخي لكشف روابط حضارية بين شخصيات تواتية وأخرى شنقيطية؛ ورغم افتقار أغلب الوثائق المخطوطة لتواريخ إصدار، إلا أنها ساعدتنا في ملمة ما كان متناثرا، مع ما استقيناه من معلومات تقرب أصحابها من شخصيات مؤرخ لهم، كما يبرز دور النوازل الفقهية المحوري "كنوازل الجنتوري" و "الغنية البلبلية المجموعة" و "نوازل المحجوبي المتفرقة" ... إلخ، كونها تساعد في تحديد أواصر التواصل بين أعلام توات والصحراء والسودان، فكانت بحق موسوعات دينية على شاكلة دساتير المحاكم الشرعية خلال تلك الفترة، جمّلت مختلف القضايا التي رفعت إلى قضاة الأقاليم الذين كَيّفوا أجوبتها حسب ظروف كل منطقة.

#### ● المصادر المنشورة:

تنوعت بين رحلات ونوازل وفهارس وتراجم أعلام، ومن أهمها:

- فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور (13هـ/19م): معجم تراجم اهتم مؤلفه الطالب محمد عبد الله بن أبي بكر الصديق البرتلي بتعريف أعلام بلاد التكرور والمناطق المجاورة لها، خصوصا أولئك الذين كان لهم أثر مباشر في حياة التكرورة، وجاء هذا المعجم في غاية الدقة والتفصيل، خصوصا وأنه أورد ترجمة كل عالم بسنة وفاته وإسهاماته العلمية، وزادت النسخة الموريتانية المحققة (الهوامش) المؤلف تنظيما، بوضع التراجم حسب الترتيب الأبجدي الألفبائي، وكثيرا ما رجعنا له في الدراسة، لأن المؤلف لم يغفل عن تراجم الأعلام التواتيين المؤثرين في حياة الشناقطة.

- "فهرسة شيوخ عبد الرحمن بن عمر التتلائي" لعبد الرحمن بن عمر التتلائي التواتي (ت 1189هـ/1775م): قام بتحقيقها الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بعثمان ضمن متطلبات رسالة الماجستير، وتطرق عبد الرحمن التتلائي في الفهرسة لذكر أهم المشائخ الذين نال من معيّنهم خلال رحلاته، سواء في توات أو سجلماسة أو أروان، إلا أنه لم يدون تواريخ الحوادث التي كانت تطبع رحلاته، واكتفى بذكر المجالس العلمية وما حصله من علوم. والكتاب مهم جدا في دراسة الجوانب العلمية الخاصة بموضوعنا، لأنه قدم تعاريف معمقة لأعلام أثروا في الحياة التواتية بصفة مباشرة أو غير مباشرة.

- رحلتي لزيارة قبر الوالد للرحالة الشيخ ضيف الله بن محمد بن آب المزمرى التواتي (ت ق 12هـ/19م): تناول مؤلف الرحلة الواقع الاقتصادي والاجتماعي في توات خلال القرن الثامن عشر، ويمكن منه خلال الرحلة رسم الخطوط العريضة لواقع الحياة الثقافية النشطة داخل الإقليم، بتخصيص المؤلف جوانب مهمة من رحلته للحديث عن أماكن زارها والده، والتي كانت في الوقت نفسه قبلة الأعلام الشناقطة، سواء عبر الرحلات الحجازية أو العلمية للتواصل والاحتكاك بعلماء الأمصار المجاورين.

- الرحلة الحجازية المباركة للحاج البشير البرتلي الولاقي (ت 1214هـ/1798م): تمت الرحلة أواخر القرن الثاني عشر وبدايات القرن الثالث عشر، انطلقا من ولاتة موطن الرحالة إلى البقاع المقدسة، حيث كشف صاحبها شواهد تحقق تواصل حضاري تواتي - شنقيطي، فرغم قلة سطورها المتحدثة عن زاوية الشيخ أبي نعامة، إلا أنها سجلت ماضي الزاوية المشرق الذي جعل حجاج التكرور يفضلون طريق توات، كما أنها تنقل يوميات مسافر وشاهد عيان على خطورة صحراء تنزروفت الموحشة.

- "منح الرب الغفور فيما أهمله صاحب فتح الشكور" للقاضي الطالب أبي بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي (ت 1335هـ/1917م)، ويفهم من العنوان السطحي أن الكتاب استطراد لما تجاوزه البرتلي في "فتح الشكور"، أما الواقع الذي يكتشفه الدارس للمؤلفين، أن البرتلي اعتنى بتراجم أعلام التكرور دون غيرهم من الأشخاص، خلافا للمحجوبي الذي نوع تراجمه بين وفيات الأعلام والمشاهير،

والأحداث التي كانت تعيشها ولاتة وما جاورها، ويمكن لأي باحث في تاريخ العلاقات التواتية - الشنقيطية الرجوع إليه، فهو بمثابة أرشيف أولاد حمو بلحاج في منطقة الحوض الشرقي.

- "نوازل القصري" للعلامة الطالب القصري بن محمد المختار بن عثمان بن القصري الشنقيطي (ت 1235هـ/1820م): مؤلف فقهي في علوم الشريعة مجزء إلى أربعة أجزاء، حرص المؤلف على تدوين الحوادث وإرفاقها بالتواريخ، كما نقل طابع الحياة العامة التي كانت تعيشها مناطق شنقيط الشرقية، وعلاقة الولايتين والشنقيطين بجيرانهم السوداين. وفي مجال تاريخ العلاقات التواتية - الشنقيطية، يعتبر مصدرا أساسيا لدراسة جوانب خفية عن التواصل الحضاري بين الشعوب، خصوصا وأن المؤلف ربطته علاقات وثيقة بمهاجري توات في ولاتة والنعمة.

- "إزالة الريب والشك والريب والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط" للشيخ أحمد بلعراف التكني (ت 1375هـ/1955م): يذكر الكتاب سير وتراجم المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وشنقيط المشهورين والمغمورين، جمع ما يقارب 459 عالما ترجم لهم، ساعدته تنقلاته وعلاقاته مع تجار غرب أفريقيا والصحراء بصفته تاجرا، ورتب تراجمه ترتيبا ألف بائيا، حظي خلالها بحرف الميم حصاة الأسد، فهو أكثر الحروف عددا واستعمالا، والكتاب مهم للباحثين في تاريخ شعوب الصحراء والسودان، ومن قراءتنا للكتاب إتضح لنا بعض التراجم مكررة إما بزيادة نسبة أو نقصانها، قد تكون من أصل المخطوط أو اختلاف النسخ التي اعتمدها المحقق.

- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار للرحالة المغربي ابن بطوطة (ت 770هـ/1369م) يدخل هذا المؤلف ضمن أمهات المصادر التاريخية المهمة بتاريخ الرحلات، لمؤلفه محمد بن عبد الله الطنجي المعروف بابن بطوطة، فهو رغم عهده المتقدم لفترة دراستنا بحوالي أربعة قرون (8هـ/14م)، لا يستطيع الباحثون الاستغناء عنه، نظرا لما دونه من وقائع تاريخية مست حياة الشعوب قاطبة خلال تلك الفترة، ومن بينها توات وولاتة الشنقيطية التي سماها (أيولاتن)، يستفاد من مادته المصدرية فيما نقله من عادات وتقاليد ومعاملات اقتصادية بين شمال وجنوب الصحراء، وكذا رسمه خارطة المسالك الصحراوية التي استمرت على حالها حتى قدوم الاستعمار الأوروبي للمنطقة.

### المراجع العربية:

تعتبر ركيزة موضوع الدراسة، فهي مهمة جدا لا يمكن الاستغناء عنها؛ لأنها تؤرخ لمجتمعات فصلتها الجغرافيا وجمعتها الأعراف والتقاليد الإسلامية، ومن بينها:

- "الوسيط في تراجم أدباء شنقيط" لأحمد بن الأمين الشنقيطي (ت 1331هـ/1913م): يحتوي الكتاب مزيج معارف علمية واقتصادية وسياسية واجتماعية، إذ يتناول المؤلف تراجم أدباء البلاد والمناظرات والمساجلات الشعرية بينهم، كما اهتم بمجالات أخرى في ميادين الجغرافيا والتاريخ والتضاريس والعادات والتقاليد، وبحكم أن كاتبه أحمد بن الأمين الشنقيطي فقيه وأديب نحوي، سجل في مؤلفه أحداثا مهمة جدا لم يدرج لها تواريخ محددة، واكتفى بسرد النزاعات والحروب القائمة، وفوق ذلك لاحظنا إهماله طرفا مهما في تاريخ التواصل التواتي الشنقيطي، والمتمثل في منطقة الحوض الشرقي، فلم نجد ذكرا لأعلام ولاتيين تركوا أثرا طيبا في شنقيط وأرض المهجر.

- "بلاد شنقيط المنارة والرباط" للكاتب الموريتاني الخليل النحوي: جاءت الدراسة في أربعة أبواب مقسمة إلى فصول، قام خلالها الباحث بعرض عام ومفصل للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والديني الذي عرفته بلاد شنقيط على مر العصور، وذلك عن طريق إبراز دور مراكز الثقافة الشنقيطية وإشعاعها الحضاري داخل وخارج البلاد، كما اهتم - أيضا - بتدوين تراجم الأعلام المساهمين من قريب أو من بعيد في تداخل ثقافات الشعوب الصحراوية المتقاطعة مع بلاد شنقيط في مواطن علمية كثيرة.

- "كتاب حياة موريتانيا"، للمؤرخ المختار بن حامد: جاء هذا الكتاب موسوعيا في مادته العلمية والمناطق التي شملتها الدراسة، حيث جمع المؤرخ مختلف الأحداث التي دونتها الحوليات الموريتانية خلال أربعة قرون، وخصها بهوامش مطولة، ولم يكتف في الجانب الثقافي بالأعلام الشناقطة ومؤلفاتهم، بل تعداهم لمؤلفين تواتيين كانت لهم وفادات متكررة على بلاد التكرور، وحاول من خلال شطر الجغرافيا التعريف بالبنية الاقتصادية والاجتماعية التي لم تخلوا من أسماء تواتية مهاجرة.

- "الرحلة العلية إلى توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات"، للشيخ محمد باي بلعالم رحمه الله تعالى: ويتضح من خلال العنوان أن الدراسة شملت ميادين عدة، فهي إن خصت أغلب مضامينها أعلام الزوايا بتراجم وافية ذكرت آثارهم في ميادين التأليف، إلا أن المؤلف من جهة أخرى حاول التوسع قدر المستطاع في تاريخ البلاد، لإبراز مدى تأثيرها في مناطق الجوار، وذلك للكشف عن المجالات الحضارية التي مثلت أولويات التبادل العلمي الثقافي.

- "المختار الكبير الكونتي التصوف والعلم بأزواد إفريقيا" للأستاذ الدكتور أحمد الحمدي: يتناول مؤلف الكتاب حياة الشيخ المختار الكبير الكنتي، وحاول من خلاله الوقوف عند دقائق حياته انطلاقا من البيئة التي كان يعيش فيها، وأصول قبيلته، وعلومه، ومكانته في المجتمع الصحراوي وتأثيره في الشعوب، مركزا على الجوانب الفكرية من خلال عرض مفصل لإسهاماته في ميادين التاريخ واللغة والأدب والفقهاء

والتصوف، وهو ما انعكس بالإيجاب على تعاملاته، بتطبيق نظم تتماشى مع مجتمعات تلك الفترة، حتى يتسنى له نقل خبرات العالم الإسلامي إلى أبناء جلدته في أزواد.

- "التراث الثقافي والمعماري لمدينة ولاتة التاريخية"، للدكتور الموريتاني إبراهيم أحمد فال: يعتبر الكتاب مهما جدا للباحث في تاريخ ولاتة الحضاري، إذ قام المؤلف بدراسة تحليلية مرفقة بمشاهد مصورة من أجل التعريف بالتراث الولائي الأصيل سواء في المجال الثقافي المتصل بالمراكز العلمية وإسهاماتها المعرفية، أو التراث المعماري المتميز بالطراز الإسلامي الصحراوي، كما تجدر الإشارة إلى أن الدراسة كشفت جوانب مشرقة عن التواصل الديني والثقافي الذي كان الحجاج والمتصوفة طرفا فاعلا فيه.

- "الأزواد خلال القرن 13هـ/19م، دراسة تاريخية اجتماعية واقتصادية"، للأستاذ الدكتور مبارك جعفري: يساعد الكتاب الباحثين في تاريخ الأزواد والأقاليم المجاورة له، واعتمد المؤلف طريقة منهجية تحيل الباحث لمواطن التقارب التواتي - الشنقيطي، وذلك برجوعه لكثير من المصادر والمراجع الموريتانية والتواتية، باعتبار أن معاملات الأزوايين صورة طبق الأصل لما هو شائع في شنقيط وتوات، وأن إقليم أزواد يعد في عبر التاريخ همزة الوصل بين الشعبين في شتى المجالات والميادين الحضارية.

- "سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحى إقليم توات" للشيخ مولاي التهامي الغيتاوي: اهتمت الدراسة في أجزاء ثلاثة بتراجم وافية لعلماء توات بأقاليمها الثلاثة، وتعد هذه الدراسة من أجدر الدراسات المحلية في تناول علاقات توات العلمية مع السودان الغربي ومناطق شنقيط، خصوصا ما تعلق بقبيلتي أولاد حمو بلحاج وفروع قبيلة كنتة المختلفة.

- "المجتمع البيضاني خلال القرن التاسع عشر"، للدكتور محمّد بن محمّد: تقوم الدراسة على وصف حالة المجتمع الموريتاني خلال القرن التاسع عشر، واستند المؤلف لرحلات المستكشفين الأوروبيين الذين تغلغلوا داخل المجتمع البيضاني تمهيدا للاحتلال الفرنسي للمنطقة، وبناء على ملاحظاتهم صور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية السائدة، وحاول خلالها تتبع مساراتهم والصعوبات والعوائق التي واجهتهم في رحلاتهم، خصوصا تلك المناطق التي كانت هدفا لمخططاتهم المعلنة والخفية.

- "الترجمان في حياة العلامة الحاج أحمد بن الأمين الغلاوي الشهير بالتواتي" للدكتور الطالب المجتبي عنكر: تأتي الدراسة في شكل بحث يتناول ترجمة سيرة الحاج أحمد بن الأمين، فيرجح الباحث أن علاقته بتوات قديمة تعود لأجداده الذين سكنوها فترة من الزمن، والذي يميز هذه الدراسة الدقيقة اجتهادات الباحث التي انطلقت من فرضيات، فكان شديد الموضوعية قبل إصدار الأحكام، رغم استناده لبعض الشواهد - الظاهرية - ظل دائم التحفظ على مصداقيتها خشية تعارضها مع الواقع.

- جمعية الدراسات والأبحاث التاريخية والثقافية أولاد السي حمو بلحاج: وهي مجموعة ملتقيات سنوية، دأبت على تنظيمها الجمعية بداية من سنة ألفين وخمسة عشر حتى يومنا هذا، وهذه الملتقيات مهمة جدا، فهي تطبع في شكل كتاب سنوي يتناول الأعمال الحضارية لأبناء العائلة، وعن طريقه يمكن النبش في ماضي الروابط التاريخية، بين أبناء العائلة في توات وبنو عمومهم في شنقيط.

### المراجع الأجنبية:

تحمل بعض المراجع الأجنبية إشارات عابرة لأصول عائلات تواتية في شنقيط، وهذا النوع من الكتابات يحتاج فحصا دقيقا وتمحيصا عميقا، لما يعترى بعض مؤلفيها من شكوك وأحكام غير منطقية، ورغم ذلك فإن مادتها مفيدة، لا يستغنى عنها الباحث لتدوين تاريخ العلاقات بين الشعوب. ونذكر بعض تلك الكتب التي رجعنا لها خلال دراسة الموضوع:

- كتابا بول مارتي "كننة الشريون" و "القبائل البيضانية" اللذان عربيهما محمد الودادي: تناول فيهما الضابط الفرنسي تاريخ كنتة وقبائل البيضان؛ فالمؤلف الأول يعتبر مفتاح الباحثين في تاريخ قبائل كنتة بأصولها وفروعها، وقد تدرج المؤلف في سرد تاريخها سواء ما تعلق بفترة الأساطير أو الكتابات التاريخية، فهو وإن خصص أغلب الكتاب لأحفاد الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير، إلا أنه قدم معلومات وافية عن روابط كنتة التاريخية بين توات وبلاد شنقيط.

أما مؤلفه الآخر حول "القبائل البيضانية في منطقة الساحل"، جاء موسوعيا من حيث مادته؛ رغم الأغلاط الكثيرة، وهذا الأمر طبيعي؛ لكون مؤلفه ضابطا استعماريًا ناقلا من الأفواه دون تمحيص ولا تدقيق لبعض المعلومات، وقد أزال الكتاب الكثير من الغموض بشأن الجذور التاريخية للقبائل البيضانية في الحوض والساحل، وذكر في غير موضع ارتباط بعض القبائل بالموطن توات، كما استدرك ما فاتته حول انتشار قبائل كنتة الغرب المتواجدين في مناطق شنقيط، وخص لهم فصل موسع.

- كتابات الباحث الجزائري إسماعيل حامت المختص في تاريخ شعوب غرب إفريقيا، خصوصا تلك المرتبطة بالقبائل والمدن الصحراوية والسودانية، وقد اهتم خلالها بتاريخ موريتانيا، وهو يعد من أهم الدراسات اللاتينية لموضوع دراستنا، لأنه احتوى العديد من الموضوعات الهامة حول مدن شنقيط العتيقة، فضلا عن أنه قدم مادة ثرية جدا حول قبيلتي كنتة وأولاد حمو بلحاج.

بالإضافة لما سبق ذكره؛ هناك كتابات أخرى لا تقل أهمية عن الأولى، ومن أهمها كتابات الضابط مارتان "الوحدات الصحراوية"، وجورج بولايت "البيضان في غرب إفريقيا"، ولويس فانون "تدكلت دراسة في الجغرافيا والتاريخ وعادات البلاد"، وإيتيان غيريشي "موريتانيا"... إلخ.

وفي الجمل، فإن مختلف تلك الكتابات تمثل مرآة عاكسة للحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت تعيشها مجتمعات عموم الصحراء من عادات، وتقاليد، وصراعات قبلية، ومعاملات اقتصادية.

### الصعوبات والعراقيل:

واجهتنا ونحن بصدد إنجاز هذا البحث صعوبات وعراقيل كثيرة، والتي غالبا ما يواجهها أي باحث خاصة إذا ما تعلق الأمر بالمواضيع التي تتطلب من أصحابها الاحتكاك بأفراد المجتمع للحصول على وثائق مخطوطة وإفادات، ولعل من أهم تلك الصعوبات ما نوجزه في الآتي:

- طابع البحث الوثائقي في بعض جوانبه المهمة، يحتاج من الدارس الإمام الجيد بتاريخ كل منطقة وشعوبها وعاداتها وتقاليدها وأعرافها السائدة، زيادة على ذلك صعوبة العثور في بدايات البحث العلمي على دلائل ترسخ التواصل الحضاري بين المنطقتين، فتقريبا ضاع من الوقت الكثير الذي كان في الإمكان استغلاله لإتمام الدراسة قبل هذا الوقت.

- الحيرة أمام زخم المادة العلمية التي وصلتنا في مراحل متأخرة من البحث، وصعوبة تدقيق معلوماتها في ظل إهمال الأحفاد ما تركه الأجداد، وزاد الأمر صعوبة كفيات ربط المعلومات الجديدة بما هو مدون سابقا، والذي كان بعضه فرضيات تحتمل الصواب أو التشكيك.

- عزوف بعض أصحاب المخطوطات تقديم يد العون والمساعدة، وهم بجوزتهم ووثائق تدخل في صلب موضوعنا، رغم الوساطات العديدة التي أجريناها مع بعض أقاربهم ومعارفهم، من أجل تخصيص أوقات فراغ لعقد لقاءات ولو شفوية لإزالة الكثير من الغموض.

- صعوبة الخوض في بعض النقاط التي من شأنها فتح قضايا مسكوت عنها ليست في صالح الباحث، وقد عرفت الدراسات السابقة إيجاد تفسيرات أو تحليلات واضحة لها، خصوصا الصراعات القبلية ومحاوله كل طرف تظليم الطرف الآخر، فما تناولناه في الدراسة لا يعكس وجهة نظرنا الخاصة، وإنما

استنادا لما أتىح لنا من معلومات حاولنا قدر المستطاع التزام الموضوعية عند نقلها، وتجنب الدخول في تفاصيلها لأنها لا تحدم سياق التواصل الحضاري.

- تعسر البحث في السنوات التي صادفت مرحلة وباء كورونا، جعلت البحث يسير بوتيرة بطيئة جدا، وحببسا في أغلب الأوقات على مواقع التواصل الاجتماعي، علنا نبني علاقات مع باحثين أو أحفاد لمن يفترض أن عملية التواصل الحضاري تمت بواسطة أجدادهم، وبالأخص عائلتي أولاد حمو بلحاج في ولاتة، والفروع الكنتية من آل الرقاد، وغيرهم في منطقة الحوض الشرقي وتگانت وأزواد، وبفضل الله تعالى، وبعد جهد مضمّن، توصلنا إلى مظان بحثنا ولو بعد حين.

ومن هذا المنبر لا يسعني إلا أن أتوجه بجميل الشكر والعرفان لمن كانت لهم اليد الطولى بعد الله عز وجلّ في إتمام هذا العمل، لاسيما أساتذتي في جامعة أحمد دراية (قسم العلوم الإنسانية)، كلّ بعلو رتبته وسمو مقامه، في مقدمتهم الأستاذ الدكتور عبد الكريم بلبالي الذي رافقني طوال سنوات البحث، وعن طريقه أتوجه بتمام الشكر الجزيل للأستاذ الدكتور مبارك جعفري الذي أنار لي درب البحث في الموضوع، بما قدمه لي من نصائح وارشادات وسعت أفكارى المحدودة، والشكر موصول - أيضا - للأستاذة الدكتورة: عبد الرحمن بعثمان، أحمد بوسعيد، عبد الله بابا، محمد مولاي، فجزى الله الجميع ووقفهم في مشوارهم العلمي، وإلى جميع من كانوا السند والعمود في السراء والضراء طيلة فترة الجائحة من داخل وخارج الجزائر، خاصة من الجمهورية الإسلامية الموريتانية بلاد العلم والشعراء.

وفي الختام أتمنى أن أكون قد وفقت - قليلا - في نفض الغبار عن ماضي توات وشنقيط الحضاري، وأن يكون هذا البحث مفتاح شهية أبحاث أخرى، لتصويب أخطاء أو زيادة ما لم يسعفنا الوقت والمعارف القليلة لتحصيلها، آملينا من المولى العليّ القدير أن تكون هذه الدراسة إضافة نوعية للمكتبة الجزائرية والموريتانية والعربية الأفريقية في تاريخ الأبحاث الحضارية، وعونا وسندا للقراء في تاريخ علاقات الشعوب الصحراوية الأفريقية.

مدخل تمهيدي: الدراسة الجغرافية والتاريخية لتوات وشنقيط

• المبحث الأول: التعريف بتوات

• المبحث الثاني: التعريف بشنقيط

تقتضي دراسة تاريخ العلاقات بين الشعوب التحدث عن موقعها الجغرافي، وما يتخلله من تضاريس وعوامل طبيعية مؤثرة في حياة الأفراد والجماعات، بحكم تأثيرها في حياة الإنسان المسير الرئيسي لحركة التواصل الحضاري، وتعتبر توات إلى جانب شنقيط نموذجا لتداخل ثقافة مجتمعات ضفتي الصحراء، لذلك ارتأينا في هذا الفصل تقديم لمحة موجزة عن تاريخهما، من خلال مناقشة قضايا متعلقة بالمسميات وأصول السكان وأجناسهم، ومن ثم الوقوف عند مختلف التشكيلات البشرية وتقسيماتها الطبقيّة، كمنطلق أساسي قبل التعمق في سبل التواصل الحضاري، والتي ستكون سببا كفيلا لإحداث نوع من التقارب في شتى مجالات وميادين الحضارة الإنسانية.

## المبحث الأول: التعريف بتوات

### 1. التسمية والامتداد الجغرافي

**1.1. التسمية:** تباينت الآراء واختلفت في إعطاء تعريف ثابت لمسمى توات، فحاولت الدراسات تقديم مقترحات لتأكيد بعض مصادر التسمية، وظلت تلك الآراء في أغلبها أقرب للفرضيات، خاصة وأنها مرتبطة بوقائع وأحداث تاريخية، ونذكر جزء من تلك الآراء المختلفة:

يذهب عبد الرحمن السعدي إلى أن أصل تسمية توات، تعود تفاصيلها لسلطان مملكة مالي السلطان كنكن موسى، عند مروره بأرض توات أثناء رحلته الحجازية سنة 725هـ/24-1325م. حين أصاب جنده وجع في الأرجل يسمى في كلامهم "توات"، فانقطعوا بالمكان وتوطنوا البلاد، فسمي الموضوع باسم العلة من باب تسمية الشيء بموضعه<sup>1</sup>؛ ونرى أن هذا القول فيه تضارب في الطرح. لأن ابن خلدون عاش - تقريبا - في نفس القرن، وذكر من أهم مصادر فاكهة السودان أقاليم بلاد المغرب، ومن بينها توات<sup>2</sup>. أو يعقل أن منطقة كانت تمثل مصدر قوت السودان، ولا يعرف اسمها حتى ذلك العهد، ثم أصبحت في أقل من نصف قرن تنتج فائضا زراعيا يغطي مناطق الجوار.

<sup>1</sup> عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، طبعه هوداس، باريس، 1981، ص 7.

<sup>2</sup> عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، راجعه، سهيل ذكار، دار الفكر، بيروت، 1421هـ/2000م، ج 1، ص 70.

ويذكر محمد بن عبد الكريم البكري أن التسمية مشتقة من أتاوة فرضها السلطان الموحد المهيدي عن طريق عماله المنتشرين في صحاري بلاد المغرب على سكان الإقليم<sup>1</sup>، ومستند اللفظ في العربية فاكهة التوت التي جمعها أتوات، فعُرفَ أهل البلاد بأهل الأتوات بعد حذف المضاف وقيام المضاف إليه مقامه. كما يقدم المؤرخ احتمالا آخر مرتبطا بحدث تاريخي شهده الإقليم، مفاده أن قبائل زناتة لما نزلت بأرض الصحراء شمال بلاد السودان وجدتها تواتي للسكنى والاستقرار<sup>2</sup>.

وقد يحمل هذا اللفظ في جوانبه شيئا من الصواب - المغارم والمكوس - رغم ما يتضمنه من تناقضات في بعض جزئياته، لأن محمد بن عبد الكريم البكري كان ضحية تأرجح الأقاويل كغيره من الباحثين، عندما قدم طرحا أوليا مفصلا بشأن القضية، ثم تراجع في الأخير، واعتقد رأيا معاكسا للأول، يشير إلى سبق قبائل زناتة تعمير البلاد. فهل يعقل - إذا كان الأمر كذلك - أن يتوطن شعب منطقة، ولا يضع اسما مرتبطا بلسانه لمكان استقراره!

كما خاضت الكتابات الأجنبية - الاستعمارية - مضمار الأبحاث التواتية. فيذكر الضابط الفرنسي مارتان (Martin)<sup>3</sup> أن جذر اشتقاق التسمية "Oua - وا" يوجد في عدة لغات، وهو يتطابق مع المصطلح الإغريقي "Oa" الذي يشير إلى الواحة "Oasis"، وهذا اللفظ استُعْمِلَ في المنطوق البربري للدلالة على المنطقة الخضراء المأهولة؛ وقد جاء طرحه (مارتان) مضطربا لا يستند لمعايير علمية ثابتة، من خلال تركيب مترادفات قريبة النطق من لغات مختلفة، لإعطائها تفسيرات لاتينية يسائر النوايا الاستعمارية، الهادفة إلى البحث عن علاقات تاريخية متكاملة، بين شمال أفريقيا البربري وسكان جنوب أوروبا الفرنجي، تثبت الأصول الإغريقية للسكان المحليين.

وبالعودة للكتابات العربية؛ فإننا نجد الشيخ مولاي أحمد الطاهري في القرن (14هـ/20م) ربط الاسم بالمكوس والمغارم، ثم تفرد برأي آخر حين قرن الاسم بالعبادة والانقطاع لطاعة الله تعالى، فقال:

<sup>1</sup> محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط، خزانة سيدي عبد الله البلبالي بقصر كسام، أدرار، الجزائر، ص8.

<sup>2</sup> - نفسه، ص9.

<sup>3</sup> - Martin- AGP: quatre siècle d' histoire marocain: au sahara de 1504 a' 1902, au maroc de 1894 a 1912, d'après archive et [...], P 1.

"سميت توات بهذا الاسم لأنها تواتي للعبادة..."<sup>1</sup>، فجاء مستند طرحه تاريخيا مبني على ماضي الإقليم الذي كان ملاذ العلماء والفقهاء المغاربة والسودانيين، وهذه حقيقة دونتها الكتابات؛ غير أن هذا لا يؤكد فرضية اسم العبادة والانقطاع للذكر، لأن توات ليست البلاد الوحيدة بين أقاليم الصحراء من اتصفت بهذه الخصلة.

ويمكن القول أن المعطيات التاريخية تجعلنا نرجح إمكانية بربرية الاسم، لكون بربر زناتة والملثمين أول من توطن الإقليم وخطط قصوره، واستنادا لمسميات شائعة لقصور وعادات وتقاليد وأكلات شعبية، وربما نستبعد -قليلا- الاتجاه القائل بعربية أو إغريقية توات. وما أسماء القصور التواتية إلا خير دليل على ذلك؛ مثل: تيط، بربش، تسفوت، تمالت، تيميمون، تليلان، تساييت، تيلولين،... وغيرها، فإذا كانت الفروع بربرية، فكيف بأصل الفرع (توات) أن يكون عربي أو لاتيني الاسم!

**2.1. الامتداد الجغرافي:** تضاربت أقوال الرحالة والجغرافيين في تحديد المجال التواتي المضبوط، فتشير بعض الدراسات المحلية والأجنبية، أن جميع المجموعات المكونة لشعوب المنطقة من تدكلت جنوبا إلى غورارة شمالا، تدخل ضمن إطار ما يعرف "توات الكبرى"<sup>2</sup>، مرتكزين على متغيرات سوسولوجية وخصائص جغرافية مشتركة بين أجزاء الإقليم<sup>3</sup>.

نجد عبد الله بن محمد العياشي اكتفى بذكر امتداد توات الشمالي لحدود تساييت، دون الغوص في بقية الأبعاد الأخرى، واستثنى مناطق أوغروت وتيغورارين<sup>4</sup>؛ وهو تقريبا نفس ما ذهب إليه مواطنه أبو فارس عبد العزيز الفشتالي<sup>5</sup>؛ أما الفرنسي مارتان فقد رسم بداية توات على مستوى بودة شمالا لغاية قصر تهننت بمنطقة رقان جنوبا؛ بينما اعتبر مواطنه ديپورتو (Deporter) المجال السابق امتدادا لمسار

<sup>1</sup> - مولاي أحمد الطاهري الإدريسي الحسني، نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات، تحقيق وتعليق، مولاي عبد الله الطاهري، د د ن، 2010م، ص 57.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن بعثمان، القضاء في منطقة توات خلال القرنين 17/18م، أطروحة دكتوراه، إشراف، أ.د محمد بن معمر، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران-1-أحمد بن بلة، (2015-2016م)، ص 56.

<sup>3</sup> - Henri Schirmer, Le Touat de Géographie Physique et économique, P 404.

<sup>4</sup> - عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية (1661-1663م)، تحقيق وتقديم، سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2006م، ج1، ص 79-80.

<sup>5</sup> - أبو فارس عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، المغرب، د ت، ص 73.

وادي مسعود، وهو جزء من توات التي تضم قصور تدكلت وتيگورارين<sup>1</sup>؛ وانزوى ابن خلدون برأى خاص، عندما ضيق حيز الإقليم وحصره في مجال جغرافي لا يتعدى مناطق زاوية كنتة الحالية، واعتبر المراكز الحضارية المشهورة (رقان، وتساييت، وتيگورارين، وتمنطيط، وبودة) أوطانا مستقلة بذاتها لا علاقة لها بتوات<sup>2</sup>.

ومن خلال التقديم الموجز للأراء والأقوال السابقة، واستنادا لما رسمه المؤرخون والرحالة الذين زاروا المنطقة، ودونوا تقارير عن مختلف مناحي الحياة التواتية، خصوصا ما ارتبط بعوامل المناخ المشترك وتشابه العادات والتقاليد الاجتماعية<sup>3</sup>؛ سنعمد في موضوع الدراسة على الاتجاه القائل بشمولية البلاد التواتية للمناطق الثلاث (تدكلت، وتوات، وتيگورارين)، في ظل تضارب أقوال دعاة التجزئة وعدم توافق وجهات نظرهم بشأن رسم حدود ثابتة ذات معالم واضحة تشمل مختلف الاتجاهات، واضطراب آراء آخرين في تحديد المجال السليم لمناطق الإقليم الكبرى.

## 2. الموقع والحدود الجغرافية

تقع توات [تضم حاليا ولايات: أدرار، تيميمون، عين صالح] جنوب غرب الجزائر ضمن نطاق الصحراء الإفريقية الكبرى، وتبعد عن العاصمة الجزائرية حوالي 1500 كلم<sup>4</sup>، يحده من الشمال الغربي العرق الغربي الكبير ووادي الساورة؛ ومن الغرب عرق شاش ووادي مسعود؛ ومن الجنوب صحراء تنزروفت وهضبة مويدر؛ ومن الشرق العرق الشرقي وهضبة تادميت<sup>5</sup>.

وقد حدد محمد بن عبد الكريم البكري، أبعاد الإقليم بالنسبة للحواضر المحاذية له من الجهات الأربع فقال: "توات هي صحراء في أعالي المغرب ذات نخيل وأشجار وعيون، بينها وبين سجلماسة

<sup>1</sup>- De Commandant Deporter, La Question Du Touat Sahara Algérien Gourara, Touat, Tidikelt, Librairie algérienne et coloniale, 5, Rue Jacob, 1891, P 15.

<sup>2</sup>- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 78.

<sup>3</sup> - Henri Schirmer, Op, Cit, P 405.

<sup>4</sup> - فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م، ص 1.

<sup>5</sup> - محمد صالح حوتية، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (دراسة تاريخية من خلال الوثائق)، دار الكتاب للطباعة والنشر والترجمة، الجزائر، 2007م، ج1، ص 28.

ثلاثة عشر يوما جوفاً وغرباً وعشرون يوماً لأول السودان، ومن أعدامس عشرون يوماً ومن بلاد الزاب عشرة أيام شرقاً، ومن ناحية أولاد عيسى مقدار أسبوعٍ إسراعاً لبلاد الأبيض سيد الشيخ<sup>1</sup>.

وينحصر الإقليم بين خطي عرض 26° و 30° شمالاً، وخطي طول 4° غرباً إلى 1° شرقاً في امتداد طبيعي لمنخفض تنزروفت نحو الشمال، حيث تتموقع إلى شمال وشرق هذا القفر الفسيح واحات ومدن وقصور تزيد عن ثلاثمائة وخمسين واحة متناثرة<sup>2</sup>، تتربع على مساحة تقدر إجمالاً بـ 4500 كم<sup>2</sup> في شكل هلال يتحلق حول هضبة تدمائيت، وتشكل واحات غورارة ذراعها الشمالي وواحات تدكلت ذراعها الجنوبي، أما الواحات التي تحمل اسم توات، فهي تشغل مقعر الهلال في انبساط اعتيادي لواد الساورة على الضفة الغربية لهضبة تادميت<sup>3</sup>.

وعن تقسيم توات فهي تنقسم إلى ثلاث مناطق رئيسية، هي:

- **تيگورارين:** تقع شمال توات ويحيط بها العرق الغربي الكبير من جهتي الشمال والشرق؛ وهضبة تادميت من جهة الجنوب؛ والحوض الشرقي لوادي الساورة من الجهة الغربية، ومن مناطقها أوگروت، تينزكوك، تميمون، شروين، وطلمين<sup>4</sup>.

- **توات:** وهي التي تحمل اسم البلاد عامة، تتوسط تيگورارين في الشمال وتدكلت في الجنوب الشرقي، تقع بمحاذاة وادي مسعود الذي يمر إلى غربها، ويحدها من جهة الشرق هضبة تدمائيت وصحراء تنزروفت من جهة الجنوب، وتقع بين تيگورارين وتدكلت. ومن مناطقها: بودة، تسابيت، تيمي، فنوغيل، تامست، زاوية كنته، أنزجير، سالي، رقان<sup>5</sup>.

1- محمد بن عبد الكريم البكري، المصدر السابق، ص 5.

2- فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 1.

3- محمد أعيف، توات مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها، ط1، مطبعة أبي الرقاق للطباعة النشر، الرباط، المغرب، 2014م، ص 25-26.

4- محمد صالح حوتية، المرجع السابق، ج1، ص 28.

5- نفسه، ص 29.

- **تدكلت:** تقع جنوب شرقي توات بين منحدر تادميت في الجنوب وواد جاريت في الشمال، تتشكل من واحات وقصور. أهمها: فقارة الزوى، وفقارة العرب، واقسطن، وحاسي لحجار، والساهلة الفوقانية، والساهلة التحتانية، وعين صالح، وتيط انغر، وأولف، وأقبلي، وتيمقطن<sup>1</sup>.

### 3. الخصائص الطبيعية (التضاريس)

تجتمع بأرض توات تقريبا جميع مكونات البيئة الصحراوية الحادة، والمتشكلة أساسا من الرق والعرق والسبخ والهضاب والوديان، حيث يُقابل اتساع رقعة هذه السطوح انحصار المناطق الآهلة بالسكان، ضمن شرائط ضيقة جعلت الإنسان التواقي يعيش مسجوناً في رقعة جغرافية محدودة المعالم إذا ما قُورنت بمساحة الإقليم الكبيرة، ونذكر أهم تلك السطوح:

**1.3. العرق:** تغطي الكثبان الرملية مساحات واسعة من الصحراء الكبرى، ويعد بحر الرمال أهم المناطق التي تغطيها الكثبان المنتشرة على هيئة سلاسل طويلة<sup>2</sup>، وتقع واحات توات وسط مجموعة من العروق، فالعرق الغربي الكبير شمال قورارة يغطي مناطق واسعة من الإقليم، ويفصلها عن الجنوب الوهراني وعن ورقلة وسط الصحراء الجزائرية؛ أما العرق الشرقي الكبير فيتركز شرق هضبة تدمائيت من جهة الشمال، ويمتد حتى شط الجريد في تونس؛ ويتواجد عرق شاش غرب وادي مسعود، وهو يصل جنوب الجزائر بشمال مالي؛ وأخيرا عرق إيجيدي (EGU- IDI) الممتد بين الجزائر وموريتانيا غربا<sup>3</sup>.

**2.3. الوديان:** تتغذى فقاقير وآبار توات بواسطة ثلاثة أودية كبرى تنبع من الشمال والشرق نحو الجنوب والغرب، وتصب مجاريها المائية في خزانات الإقليم الجوفية؛ لتبعث حياة جديدة في صحراء مقفرة تنعدم بها أدنى محفزات الحياة الكريمة، وتمثل هذه الأودية في الآتي<sup>4</sup>:

**1.2.3. وادي مقيدون:** يمر عبر أودية مختلفة باتجاه الغرب في مسار واحد، لينتهي بمنطقة قورارة شمال توات مكونا سبخة قورارة، وهو في واقع الأمر امتداد طبيعي لوادي سفور الذي ينبع من مدينة المنيع، ثم وادي شيدون الذي يشكل ظهوره تلاشيا لمعالم وادي سفور الأول.

<sup>1</sup> - Louis Voinot, Le Tidikelt, étude sur la géographie, l'histoire, les mœurs du pays, edition jacques gandini, 1909, P 30.

<sup>2</sup> - محمد خميس الزوكة، جغرافية العالم الإسلامي، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2000م، ص 54.

<sup>3</sup> - فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 2.

<sup>4</sup> - نفسه والصفحة.

**2.2.3. وادي مسعود:** تتشكل روافده من اتحاد وادي جير وزوزفانة عند التقائهما في منطقة فيقيق ثم يتجه نحو الجنوب، وهناك في الجزء الشمالي يُعرف باسم وادي الساورة، وعندما يصل لمنطقة كرزاز يغير اتجاهه نحو الغرب، ثم يستعيد الاتجاه الأول نحو الجنوب، وهنا يُطلق عليه اسم وادي مسعود<sup>1</sup>، ويمتد متوسط طوله حوالي 200 كلم، ومقدار تمدده قصور توات الحناء من الشمال نحو الجنوب بداية من أعالي بوده مروراً بمقاطعة تسفاوت، أين يكون سبخة يخرقها، ثم يواصل المسير إلى منطقة رقان، وهناك تمتزج مياهه بأمواج الرمال ويضيع جنوبها في صحراء تنزروفت<sup>2</sup>.

**3.2.3. وادي قاريت:** ينتهي بمنطقة تدكلت وينبع من شمالها الشرقي، حيث كلما اتجه جنوب غربها اندرست ملامحه واختفى في وادي مسعود فيصير أحد روافده الشرقية.

**3.3. الهضاب:** يوجد بالإقليم بعض الهضاب أهمها هضبة تادميت التي يبلغ ارتفاعها حوالي 836م فوق سطح البحر، تشكل محور تباعد بين مناطق توات الثلاث من جهات: الشمال و الغرب والجنوب، إضافة لهضبة الأقلاب التي ينبع منها وادي شناشن ويختفي في عرق شاش<sup>3</sup>.

**4.3. السبخات:** تعرف توات بأرض السباح<sup>4</sup>، والسبخة تنشأ عادة في المنخفضات، أين يكون الماء قريباً من سطح الأرض<sup>5</sup>، مما يساعد على رسوب أملاح معدنية يخلفها بخار الماء المتصاعد في فصل الصيف فيتحول المنخفض إلى ملاح، وأطول سبخات الإقليم تلك التي كانت تقطع بالسفن من تيمي إلى تمانين بمنطقة رقان<sup>6</sup>، وهناك - أيضاً - سبخة تغبارة جنوب طريق عين صالح إلى إينغر، وسبخة گورارة سابقة الذكر، وغيرها من السباح.

<sup>1</sup> - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 2.

<sup>2</sup> - Henri Charlese Lavauzelle, La Qustion Du Maroc: étude géographique, politique et militaire, PARIS, 1903, P 125.

<sup>3</sup> - بحية ابن عبد المؤمن، الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين (18-19م)، إشراف: د محمد بن معمر، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران -السانيا، 1426-1427هـ/2005-2006م، ص 6.

<sup>4</sup> - مولاي أحمد الطاهري، المصدر السابق، ص 57.

<sup>5</sup> - Louis Voinot, Op, Cit, P 12.

<sup>6</sup> - محمد بن عبد الكريم البكري، المصدر السابق، ص 3.

**5.3. الرق:** هو سهل صخري تغطيه الرمال، شكل قديما معبرا للعديد من الطرق الصحراوية<sup>1</sup>؛ وذلك بفعل إزالة الرياح لمؤثراته السطحية المعيقة لحركة السير، المتمثلة في الحبيبات الصغيرة مع الإبقاء على التكوينات الأثقل وزنا (الحصى)<sup>2</sup>، ويقع جنوب رقان رق تنزروفت مجهول المخارج الذي كان ولا يزال يخطف أرواح مئات المسافرين، وعن طريق هذا القفر الخالي -أيضا- بُنيت علاقات بين شعوب المنطقة المغاربية وبلاد السودان في شتى المجالات والميادين الحضارية.

#### 4. التركيبة السكانية للمجتمع التواتي

تعتبر أرض توات مسرحا لتعايش أجناس بشرية متفاوتة الأعراق، اجتمعت داخل بيئة صحراوية، بعيدا عن ذل تظلم الحكام، فرغم شح إمكانات الطبيعة وقلة فرص العمل؛ ظل الإقليم صمام أمان للأقليات الطريفة من جور السلاطين، وملجأ للجماعات الباحثة عن رغد العيش، التي بدورها ساهمت في تكوين مجتمع خليط تقطنه شعوب من شتى ربوع المعمورة؛ ومن تلك الأجناس:

**1.4. البربر:** يدخل ضمن التركيبة السكانية للمجتمع التواتي الجنس البربري، السباق لتعمير تراب الإقليم وتخطيط قصوره وحفر آباره؛ وتذكر الدراسات أنه في العصور الوسطى بعد انكسار دولة زناته شمال المغرب في القرن (4هـ/10م)، نزلت جماعة منهم بأرض بودة فرارا من التقتيل والتشريد فوجدوها ملائمة للإقامة<sup>3</sup>؛ ولذات السبب شهد (القرن 5هـ/11م) نزوح أفواج جديدة من زناته لقصور گورارة ووادي الحنة. وكذلك هربا من مضايقات المرابطين، لما استولى جنود الأمير المرابطي يحيى بن عمر اللمتوني على سجلماسة ودرعة، وقتلوا قائدهم مسعود بن وانودين المغراوي، وهو ما دفع أتباعه من مغراوه وبني يفرون إلى الفرار والتحصن بالواحات الوسطى والشرقية<sup>4</sup>.

ومن القبائل البربرية - أيضا - نجد قبيلة لمتونة صاحبة الدور الحضاري في تأسيس لبنات المجتمع التواتي، مع اندراس سلطان المرابطين في المغرب والأندلس، وتحول أملاكهم لصالح الموحديين، حيث تذكر الكتابات المحلية أن بعض أحفاد القائد المرابطي يوسف بن تاشفين، تفرقوا -بعد زوال دولتهم-

1 - محمد الهادي لعروق، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، الجزائر، د س ن، ص 13.

2 - محمد خميس الزوكه، المرجع السابق، ص 45.

3 - محمد بن عبد الكريم البكري، نفس المصدر، ص 5.

4 - عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 244.

في الفيافي والفلات بحثا عن الأمن والاستقرار، فانتهت بهم مراحل السير لحدود تمنطيط، ومن جملة القصور التي أنشئوها قصر (تايلوت) عام 554هـ/1147م<sup>1</sup>.

وقد انبثق عن قبائل اللمتون لفظ المرابطين، والذي يُطلق في الأصل على فئة عالمة من المجتمع، هجر أفرادها متاع الدنيا وملذاتها، وانقطعوا لعبادة الله تعالى والجهاد في سبيله<sup>2</sup>؛ وأكسبهم هذا الخلق إقبالا شعبيا مكنهم من إقامة دولة جنوب المغرب الأقصى عُرفت بدولة المرابطين، ثم بعد زوال مقومات الدولة، تطور اللفظ ليشمل المجموعات المسالمة التي لجأ بعضها لأرض توات واتخذوها مسكنا، ومن أمثلتهم: أولاد سيدي موسى في تسفاوت، والواجدة، وطممين، وشروين، وسكان تيلولين المرابطين، وزاقلوا المرابطين في توات الوسطى، والمرابطين في عين صالح<sup>3</sup>.

ونشير أن لفظ "المرابطين" يُعنى به أجناس عربية وبربرية، ممن توفرت فيهم شروط العلم والصلاح، ولا يخص مواطن نزول قبائل اللمتون بمراكز توات، ومن القبائل التي تضلعت بهذا الدور الحضاري، وسهر رجالها على نشر العلم وفض النزاعات بين الجماعات التواتية: الشرفاء في شتى ربوع توات؛ وآل البكري بتمنطيط؛ والبلباليون بملوكة؛ وقبائل الأنصار بزاجلو وسالي وأولف؛ وعرب كنته بزواوية كنته وأقبلي؛ وعائلات الصوفي والجوزي والجنثوري بقصور تميمون؛ وعائلة التلاني؛ وغيرهم.

<sup>1</sup> الطيب بن عبد الرحيم التمنطيطي، القول البسيط في إخبار تمنطيط، تحقيق فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م، ص 16.

<sup>2</sup> - Martin, Op, Cit, P 18

<sup>3</sup> - مبارك جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، ط1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009-1430م، ص 38.

## 2.4. العرب: تضم عدة تشكيلات اجتماعية، أهمها:

### 1.2.4. الشرفاء: يأتي الأشراف الأدارسة<sup>1</sup> والعلويون<sup>2</sup> في أعلى قمة الهرم البينبوي للمجتمع

التواتي، فقد حظي أبناء هذه الطبقة بالاحترام والتقدير داخل قصور توات، حبا في جدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم، لذلك توسم سكان الإقليم الخير والبركة فيهم، وغالبا ما نجد اسم الشريف يُسبق بعبارات تقديرية "سيدي" أو "مولاي" بالنسبة للرجل الشريف، مثل: "مولاي عبد المالك"، و"لالة" بالنسبة للمرأة الشريفة، مثل: "لالة عائشة"... وما على شاكلتهما من أسماء<sup>3</sup>.

استخدم الأشراف تلك المكانة لنهضة البلاد، فأصبحت توات قبلة الأسر الشريفة التي توافدت على تراها جماعات وفرادى لدواعي سياسية أو اقتصادية، ففي عام 349هـ/960م نزلت مجموعة من الأدارسة بتراب الإقليم بحثا عن حياة آمنة ومستقرة لحقن الدم وحفظ استمرار النسل<sup>4</sup>.

كما أطلقت جماعات أخرى العنان لتشييد القصور والحرص على عمارتها، وتزويدها بمقومات الحياة وقت الرخاء والشدة، وتشير الدراسات أن سيدي سليمان بن علي غادر موطنه فاس متجها نحو توات ليستوطن أولاد وشن ويؤسس قصرها، ويحفر فقارة آجدولان سنة (605هـ/1209م)<sup>5</sup>، كما نقل صاحب الدرّة الفاخرة مواطن أخرى لشرفاء أدارسة وعلويين، نزحوا من شمال بلاد المغرب، ونزلوا بقرى توات في كل من: جنتور، وكالي، وكرارة، وأوگروت، وشروين...<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> الأدارسة: أحفاد إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة الزهراء بنت رسول الله، مؤسس دولة الأدارسة (788م-974م)؛ ينظر: أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق بشار عواد ومحمود بشار، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1434هـ/2013م، ج1، ص 221.

<sup>2</sup> العلويون: ينتسبون للإمام محمد ذي النفس الزكية بن عبد الله الكامل عن طريق حفيده 20 مولاي علي الشريف، عاش مولاي علي الشريف متنقلا بين أرض الحجاز وفاس وسجلماسة والأندلس، التي دخلها برسم الجهاد لإعلاء كلمة الحق ونصرة المظلومين؛ ينظر، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، مصدر سابق، ج7، ص 7-8-9.

<sup>3</sup> أحمد بوسعيد، الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/18م، رسالة ماجستير، إشراف أ.د محمد حوتية، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أدرار، (1432-1433هـ/2011-2012م)، ص 83.

<sup>4</sup> Bernard Saffroy, Chronique du TOUAT, Des Reperes Pour Une Histoire, C.D.S, Ghardaia, P 1.

<sup>5</sup> Bernard Saffroy, Op. Cit, P 2.

<sup>6</sup> محمد عبد القادر بن عمر التتلائي، الدرّة الفاخرة في ذكر ما بتوات من العلماء والأشراف الإدريسيين والعلويين، مخطوط، النسخ، الطيب بن عبد الله البلبالي، خزنة سيدي عبد الله البلبالي، قصر كوسام، ولاية أدرار، الجزائر، ص 27.

وفي بعض الفترات تحول السخاء التواتي المفرط إلى مطمع، اتخذه بعض الأمراء ذريعة لتحقيق نوايا شخصية، ففي عام 1121هـ/1709م قدم الشريف مولاي أمبارك بن مولاي المامون من تافيلالت ومعه 30 فارسا، فاستضافتهم العوائل التواتية بعطايا ثمينة قُدِّرت بأربعين مثقالا للضيافة عن كل يوم، وفي العام الموالي أعاد الكرة الشريف آخر وحقق مأربه<sup>1</sup>.

**2.2.4. البطون العربية والمستعربة:** تضم عدة قبائل انتقلت عبر فترات من شبه الجزيرة العربية إلى قفار المغرب وفيافيه، بعضها رافق الفتوحات الإسلامية في القرن (2هـ/8م)<sup>2</sup>، والبعض الآخر تأخر مع الهجرة الهلالية والمعقلية بين القرنين (5-7هـ/11-13م)<sup>3</sup>. وتشير الروايات التاريخية أن قبيلة كنته<sup>4</sup> التي ينتهي نسبها إلى الفاتح عقبة بن نافع الفهري، كانت واحة عزي التواتية موطنها الأول داخل تراب الإقليم، ومنها سلكت طريقها للانتشار داخلها بواحات زاوية كنته والجديد وأقبلي، وخارجيا في الصحراء الكبرى ما بين شمال مالي وموريتانيا حتى الضفة الشرقية من نهر النيجر<sup>5</sup>.

ومن البطون العربية قبائل المعقل ذات التكوين المختلط من فروع متعددة، فقد رجح ابن خلدون أصولها اليمنية وعدد بطونها: ذوي عبيد الله، وذوي منصور، وذوي حسان، وكان مجيئها رفقة العرب الهلاليين في أعداد قليلة لا تتعدى المائتين، ثم تضاعفت باندماج قبائل أخرى لحفها، وجاورت في بداية عهدها قبائل زناته في القفار والصحاري، فلما عظم شأن زناته ودخل أفرادها الأمصار والمدن؛ تملك هذه القبائل قصورها في مناطق السوس غربا وتوات شرقا، وفرضت على سكانها ضرائب وإتاوات تُعطى

<sup>1</sup> - الصديق حاج أحمد المغيلي، التاريخ الثقافي لإقليم توات، ط2، منشورات الخبر، بني مسوس، الجزائر، 2011م، ص 55.

<sup>2</sup> - عز الدين أبو الحسن المعروف بابن كثير، الكامل في التاريخ، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 2012م، ج4، ص 220.

<sup>3</sup> - JACOB OLIEL, Les Juifs au Sahara Le Touat au Moyen Age, Cnrs édition, pqr, 1994, P 30-31.

<sup>4</sup> - يرجع أصل تسمية كنته إلى جددهم اللمتوني محمد بن الم بن كنت بن زم، الذي أطلق على سبطه - ولد ابنته - "بأهوى" اسم محمد الكنتي، وبأهوى هي زوجة "علي بن يحيى بن عثمان" المقبور بواحة عزي التواتية، وهكذا تشكلت القبيلة من أصل فهري قرشي من جهة الأباء، والتسمية صنهاجية بربرية من جهة الأمهات؛ ينظر، أحمد الحمدي، المختار الكبير الكونتي التصوف والعلم بأزواد أفريقيا، منشورات جمعية البيت للثقافة والفنون، الجزائر، 2009، ص 82.

<sup>5</sup> - بول مارتني، كنته الشرقيون، تعريب وتعليق، محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، سوريا، د س ن، ص 9-

لملوك زناته كصدقات<sup>1</sup>؛ وإلى جانب هذه القبائل هناك قبائل ذات أصول فارسية تعربت، مثل البرامكة في قصور بوعلي وسالي وأولف ... إلخ.

**3.4. الزنوج:** يطلق هذا الاسم على أصحاب البشرة السوداء<sup>2</sup>، المقيمين وراء نطاق الغابات الإستوائية جنوب الصحراء الكبرى، وينقسمون إلى قسمين:

أ- الحراثين: وهم الذين يقومون بأعمال حرفية من زراعة أو حدادة مقابل أجرة معينة، ويعود تواجدهم بمراكز توات تزامنا مع رحلة السلطان المالي منسا موسى الحجية السالفة الذكر (أي عام 725هـ/24-1325م)، أين تخلف جزء من جيشه المرافق بتراب الإقليم لعدة أصابتهم منعتهم من مواصلة السير<sup>3</sup>، وازدادت أعدادهم بشكل لافت بعد سقوط دولة سنغاي في بدايات القرن 11هـ/17م، وما خلفها من تبعات أمنية واقتصادية، دفعت الكثير منهم إلى هجرة اختيارية نحو الشمال<sup>4</sup>، بحثا عن آفاق جديدة لسبل العيش والحياة الكريمة.

ب- العبيد والأقنان: وهم الذين يقومون بأعمال منزلية أو في المزارع، حيث جرت العادة أن يباعوا بأثمان زهيدة في سوق النخاسة، ثم يقتادون بصورة بشعة إلى عالم مجهول، لدرجة فقدان حياتهم جراء ممارسات قاسية. وقد كانت توات منذ القرن (8هـ/14م) سوقا مفتوحا لأمثال هؤلاء، بواسطة قوافل تسوقهم بأعداد هائلة<sup>5</sup> إلى تراب الإقليم، ومنها يجولون إلى الأقاليم المجاورة، ويختلف دورهم الوظيفي من بلد لآخر، ففي مناطق توات غالبا ما كان يشتغل الأقنان خماسين داخل مزارع، توكل لهم مهام السقي والتنظيم، مقابل تحصيل فوائد متفق عليها مسبقا بين الخماس وصاحب المزرعة<sup>6</sup>.

وعليه يمكن القول، إن اختلاف الأعراق البشرية ساهم في بناء مجتمع متكامل تحكمه قيم العدالة، وفق ضوابط أقرها العرف السائد بين الجماعة التواتية، وظلت التركيبة السكانية تمثل أولويات متوارثة، قام المجتمع في بداية تكوينه على أسسها لبلوغ أهداف مسطرة، تحتم تقسيم الأدوار الوظيفية بصورة تلي

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 77-78.

<sup>2</sup> - جمال الدين بن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1997م، مج3، ص 224.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص 7.

<sup>4</sup> - مبارك جعفري، المرجع السابق، ص 39.

<sup>5</sup> - محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي (ابن بطوطة)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط4، دار صادر، بيروت، 2011م، ص 407.

<sup>6</sup> - Louis Voinot, Op. Cit P. 28.

الرغبات وترسم حدود التطلعات، بينما تشير الدلائل المتوفرة إلى أن الاحترام المتبادل والتقدير أساس قوة المجموعة التواتية منذ عقود، مما جعل الإقليم قبلة مختلف الأجناس والأقليات.

## 5. الخلفية التاريخية للإقليم

**1.5. أهمية توات في طريق القوافل:** أصبح اسم توات متداولاً في كتابات الرحالة والجغرافيين منذ القرن (8هـ/14م) تصريحاً لا تلميحاً، وقبل هذا التاريخ لم تكن توات سوى فضاء صحراوي واسع، ارتبط اسمها بالمفاوز والبراري المنقطعة بين بلاد المغرب والسودان<sup>1</sup>، وأزال الغموض الرحالة المغربي ابن بطوطة، عند تعريفه العالم بتواجد إقليم حضاري وسط صحراء موحشة، تقصده القوافل والركبان للترود بضروريات السفر، فيقول: "وقصدت السفر إلى توات، ورفعت زاد سبعين ليلة إذ لا يوجد الطعام بين تكدا وتوات، إنما يوجد اللحم واللبن والسمن... ثم وصلنا إلى بودا، وهي من أكبر قرى توات... وأقمنا ببودا أياماً، ثم سافرنا في قافلة ووصلنا في أوسط ذي القعدة إلى مدينة سجلماسة"<sup>2</sup>.

ولا يمكن تفسير غياب الاسم عن الدواوين بأنه ظل نكرة خارج حسابات عابري الصحراء؛ فيذكر جاكوب أوليل أن حركة المسافرين عبر توات من نقطتها بودة وتمنيط تعود لحدود القرنين (11-12م)، بعد موجة استقرار القبائل العربية المهاجرة بأجزاء البلاد عام 984م، أما الحديث عن التواصل المثمر، فلم يرق لدرجة الأهمية القصوى إلا مع القرنين (13-14م)، حين أصبحت تمنيط قاعدة صناعية وتجارية للصحراء مثل تمبكتو، وهذا يبرز لنا حقيقة أن توات كانت مزدهرة ومعروفة قبل الفترة المذكورة بديناميكية موقعها الجغرافي، وسط مفترق القوافل الرئيسة العابرة للصحراء<sup>3</sup>.

**2.5. الصراعات الداخلية:** تنافست القبائل الوافدة على أرض توات لتعمير مجالات خصبة، وقد أشرنا - سابقاً - أن المناطق الآهلة بالسكان تمثل جزءاً قليلاً من مساحة الإقليم المترامي الأطراف، وربما أحدث تجمع مئات الأهالي داخل فضاء ضيق شرخاً اجتماعياً، زرع استقرار نظام القصور التواتية، وأصبح قاطنوها أمام خيار المواجهات الدامية. كما يعد مشكل الزعامة السياسية<sup>4</sup> الذي يخول لمقربيه بطريقة أو بأخرى الاستحواذ على قدر معتبر من الأراضي، أكبر العضلات التي طفت على سطح

<sup>1</sup> - أبو القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م، ص 83-84.

<sup>2</sup> - ابن بطوطة، المصدر السابق، ص: 406-407.

<sup>3</sup> - JACOB OLIEL, Op. Cit, P 24.

<sup>4</sup> - محمد بن عبد الكريم البكري، المصدر السابق، ص 17.

الأحداث؛ فأدخلت البلاد في دوامة صراعات، عصفت بالنسق الاجتماعي الموحد، وتمحّض عنها انقسام القصور التواتية إلى أعراش، انضوى ساكنوها تحت فريقين متنافسين: يحمّد وسفيان<sup>1</sup>.

وتنطوي وجهة النظر هنا، محاولة كل فريق الاستعانة بجيرانه من القبائل الضاربة في الصحراء<sup>2</sup>، لتقوية النفوذ وزيادة الأتباع، في صورة شكلت وصمة عار في تاريخ الإقليم، وبلغ حجم تلك العداوة والتنافس، أن شخصا من يحمّد يكره آخر من سفيان أشد الكراهية<sup>3</sup>، لا لشيء سوى أنه يمثل تيارا عكسيا، لا يوافق توجهه القبلي، ويراه منافسا لطموحاته التوسعية.

ولتوضيح ذلك نقل **مارتان** جانبا من مأساة حرب سنة 1827م، التي كلفت الإقليم خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، بدأت شرارتها بهجوم شنته جماعة تدكّلت على قافلة أولاد الحاج من قصر بوفادي، الذين بدورهم ردوا الثأر واعترضوا قافلة قادمة من جورارة إلى تدكّلت، ودفع هذا الموقف أهالي تدكّلت، لجمع الأحلاف والاتجاه لتخريب بساتين أولاد الحاج بقصرهم وقطع نخيلهم<sup>4</sup>، وفي العام الموالي استنجد أحد الأعيان المحليين بقوات خارجية من تافيلالت قوامها 200 فارس؛ لتقوية صفوفه وإضعاف الخصوم، غير أن هذه القوات عند وصولها صائفة عام 1828م وجدت النزاع الحربي في نومناس انتهى، محلفا خسائر بشرية فُدِّرت بـ 95 قتيلًا، أغلبهم من صفوف سفيان<sup>5</sup>.

تجدد الإشارة إلى إن النزاعات القبلية بين القبائل قديمة متجددة. فتطرق ابن خلدون لمشكل رئاسة القصور التواتية، وما تخللها من فتن وحروب بين القبائل الزناتية، أثّرت سلبا على الوحدة الاجتماعية، وجعلت البلاد لحمّة سائغة أمام كل وافد من عرب المعقل وغيرهم، لتحصيل أتاوات وضرائب<sup>6</sup> تعسفية من السكان المحليين، مستغلين هشاشة القاعدة الشعبية، وتوسعت تلك الفجوة بنزوح قبائل عربية من الصحراء، ذات صلة بالهجرات العربية المتقدمة، بغرض النهب وزعزعة الأمن

<sup>1</sup> - تشكل الفريقان مع بداية القرن 13م بسبب الإقبال المتزايد للقبائل على تراب الإقليم واستقرارها بالقصور وما خلفه من تضارب في المصالح ورغبة كل جماعة في السيطرة والتسلط. ويصور المؤرخ المحلي محمد بن عبد الكريم البكري ضراوة الحرب القائمة بين الطرفين؛ ينظر، محمد بن عبد الكريم البكري، المصدر السابق، ص 10.

<sup>2</sup> - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 5

<sup>3</sup> - محمد بن عبد الكريم البكري: المصدر السابق، ص 11.

<sup>4</sup> - Martin, Op, Cit, P 133-134.

<sup>5</sup> - Ip, Id, P 134-135.

<sup>6</sup> - عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 78.

الداخلي؛ فتذكر الكتابات التاريخية أن غزوا من تيشيت وصل توات عام 675هـ/1276م، وأحدث خرابا فادحا اشتدت وطأته على قصور واد الحناء<sup>1</sup>.

**3.5. توات والعالم الخارجي:** تمثل توات بالنسبة للعالم الخارجي محور تواصل حيوي، يربط شمال أفريقيا بالأقاليم الواقعة جنوب صحرائها، حيث حرصت الدويلات والسلطنات القائمة على توجيه أنظارها لمداخل ومخارج الإقليم؛ بغية تأسيس علاقات متينة مع الأهالي، تباينت أشكالها بين فرض القوة تارة ومحاولة الاستعطف تارة أخرى، بمختلف الطرق والأساليب لتحقيق الأهداف الخفية.

**1.3.5. تهديدات المخزن المغربي:** كان الإقليم طوال تاريخه هدف الحكام المغاربة بالدرجة الأولى، بضمه لسلطانهم بحجة مغربية أرض توات؛ فأخذ حكامه يتحسّون الفرص للتوسع في الأقاليم الجزائرية المجاورة لشمال شرق المغرب، وتوات المجاورة لجنوب شرقه، ولقيت حملاتهم المتكررة مقاومة باسلة من أهالي الإقليم ضد المرينيين أولا، ثم السعديين، وصولا إلى العلويين مع القرن (11هـ/17م)<sup>2</sup>.

بدأت مطامع السلطات المغربية الفعلية في ضم قصور توات أثناء فترة الدولة المرينية<sup>3</sup>، مع الأمير أبي علي عمر بن سعيد المريني، الذي تقوى ببعض أنصار أبيه السلطان أبي سعيد، وخلع طاعته مستقلا بمدينة فاس وما جاورها في غضون عام 715هـ/1315م، ولكن تأرجح موازين القوى لصالح السلطان وابنه الأكبر الأمير أبي الحسن علي فيما بعد؛ دفعت الأمير المتمرد للتقرب من أبيه طالبا الصفح، وتعويض خسارة فاس بمدينة سجلماسة وما والاها من بلاد القبلة، فلبّى السلطان طلبه، وعهد إليه سجلماسة التي أقام بها ملكا عظيما، مستعينا بظواعن العرب المعاقلة في فتح جيوب الصحراء، ومن ضمنها قصور توات وتيگورارين وتمنيط<sup>4</sup>.

ما لبثت أن أخذت العلاقات التواتية - المغربية منعرجا خطيرا، مع تولي السلطان المغربي أحمد المنصور السعدي شؤون الدولة السعدية عام 986هـ/1578م؛ حيث قابل نشوة انتصار معركة وادي

<sup>1</sup> - محمد بن عبد الكريم البكري، المصدر السابق، ص 14.

<sup>2</sup> - محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م، ج2، ص 44.

<sup>3</sup> - أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 32.

<sup>4</sup> - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ج3، ص 105-106-107.

المخازن رغبته في استغلال مناجم ذهب السودان الغربي، والتي طالما هفت نفسه للاستيلاء عليها<sup>1</sup>، فسير جيشاً ضخماً لإخضاع إقليم توات عام 991هـ/1583م، بغية تأمين الخطوط الخلفية، وخلال حملة الاحتلال أبدى سكان تيميمون مقاومة باسلة في إحباط المشروع المغربي؛ لكن عدم تكافؤ القدرات الحربية سرّع بسقوط تيگورارين عنوة، ثم توات صلحاً<sup>2</sup>، في يد مرتزقة عاثت فساداً، بتدمير المنازل، ونهب الممتلكات، وتحطيم الحصون على مرتاديها.

على العكس من ذلك؛ عرفت علاقة توات بالمخزن المغربي تحسناً، بانتقال الحكم من السعديين إلى العلويين عام 1076هـ/1666م، من خلال اتباع ملوك الدولة العلوية سياسة المهادنة والتقارب الاجتماعي؛ فأصبحت الروابط الاجتماعية أكثر منها سياسية، خصوصاً بعد معاهدة لالة مغنية 1845م، التي أبطلت ادعاءات مغربية توات، في ظل عجز سلاطين المغرب الحصول على طاعة سكان الإقليم<sup>3</sup>. وأمام هذا الوضع لإرضاء أعيان المنطقة، عمد السلطان محمد بن مولاي عبد الرحمن العلوي عام 1277هـ/1860م إلى تخصيص هدايا عن طريق ممثليه بتوات، تُوزَّع على أطفال القصور بالتساوي، بمعدل درهم واحد لكل طفل حسب الوصية المرفقة بالقرار<sup>4</sup>.

### 2.3.5. دخول آل عثمان على خط الصراع: سُبقت الحملة السعدية بانتعاش في العلاقات

الثنائية بين توات والدولة العثمانية، التي أوفدت جماعة من أتراك الجزائر لزيارة المنطقة، بدعوة من الأهالي عام 987هـ/1579م<sup>5</sup>؛ وحملت الزيارة في طياتها بعض دلائل الولاء التواتي للعثمانيين، وهو الشيء الذي رفضه نظام المخزن واعتبره محاولة احتلال فاشلة<sup>6</sup>، وبعد ثلاث سنوات من الزيارة الأولى قدم ابن

<sup>1</sup> - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ (من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين)، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1420هـ/2000م، ج2، ص 271.

<sup>2</sup> - عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص 76-77.

<sup>3</sup> - Henri Charlese Lavauzelle, Op. Cit. P 137.

<sup>4</sup> - Martin, Op, Cit, P 177.

<sup>5</sup> - Bernard Saffroy, Op. Cit, P 5.

<sup>6</sup> - عبد الرحمن المودن، تساؤلات حول موقف العثمانيين من الغزو السعدي للسودان، ندوة دولية حول المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء في بدايات العصر الحديث، ط1، جامعة محمد الخامس السويسي، مراكش، 23-25 أكتوبر 1992م، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1995، ص 11-20.

باي إلى طرابلس عام 990هـ/1582م رفقة عشرة علماء مالكيين؛ ويحتمل أن تكون زيارتهم لقيت إقبالا شعبيا كبيرا، من خلال بقائهم عدة أيام بتراب الإقليم يطوفون بين قصوره<sup>1</sup>.

وحرصا على التوازن الثنائي المغربي - العثماني، لم تكن توات هدفا مسطرا في رحلة الباي الحاج محمد الكبير إلى الجنوب الجزائري سنة 1199هـ/1785م، وذلك حفاظا على مبدأ الود والصدقة مع السلطان المغربي مولاي محمد العلوي<sup>2</sup>، ولتأكيد امتداد سطوة آل عثمان على الأقاليم الجنوبية؛ انتهت سفيرة الباي في حدود مقاطعة الأغواط الحالية<sup>3</sup>. وفي هذا المقام لا نستبعد فرضية الرقابة العثمانية على الأقاليم المتنازع عليها (الصحراء)، وهكذا ظلت توات محور الصراع الخفي بين الأصدقاء الأعداء، رغبة في ضم ترابها، دون الإخلال بالطابع السلمي في علاقات الحكام المتنافسين.

وما يمكن استخلاصه حول جغرافية وتاريخ توات، توضحه الأهمية الحيوية للموقع على الخارطة الصحراوية؛ لما تميز به الإقليم من مؤهلات بشرية وعوامل اقتصادية، سهّلت آفاق التواصل بالعالم الخارجي، من منطلق التربع على نطاق جغرافي مترامي الأطراف، كان له وما عليه من إيجابيات وسلبيات في علاقات الجوار، في ظل فاعلية نشاط حركة القوافل عبر المناطق الصحراوية.

## المبحث الثاني: التعريف بشنقيط

### 1. شنقيط والأسماء المتصلة بها

عرفت بلاد شنقيط أسماء تاريخية مختلفة، ارتبطت بدول وإمارات تغيرت مسمياتها بزوال سلطة وقيام أخرى، ومعها قد يتسع مجال البلاد أو يضيق حسب قوة أو ضعف السلطة القائمة، ومن الأسماء التي عرفتها البلاد واشتهرت بها في الأمصار القريبة والبعيدة، نذكر الآتي:

**1.1. صحراء المثلثين:** تُطلق التسمية على قبائل صنهاجة الجنوب المقيمة بالصحراء الكبرى، والمعروف عنهم اللثام منذ قديم العهود، وغلب اسم "المثلثين" على شعوبهم بين الأمم، كما نُسبت

<sup>1</sup> محمد بن عبد الكريم البكري، المصدر السابق، ص 18.

<sup>2</sup> أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم، محمد بن عبد الكريم، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1969، ص 29.

<sup>3</sup> نفسه، ص ص 60-64.

الأرض إليهم فسُمِّيَت "صحراء المثلثين"<sup>1</sup>. ومن المؤرخين الذين توسعوا في ذكر قبائلهم ومواطن نزولهم بين الصحاري ابن خلدون، فقال عنهم: "...وتعددت قبائلهم من كدالة فلمتونة فمسوفة فوتريكة فتاركا فزغاوة ثم لمطة إخوة صنهاجة، كلهم ما بين البحر المحيط بالمغرب إلى غدامس من قبلة طرابلس وبرقة"<sup>2</sup>.

تمتد مواطن صنهاجة على امتداد صحراء بني ينتسر<sup>3</sup>. وصولاً إلى حوض نهر السنغال، عاشوا حياة شظف وجهد، بعد أن شردتهم زناتة من نواحي تافيلالت، وما تاخمها إلى أقصى الجنوب المغربي المصائب لبلاد السودان، وغدوا محصورين بين سور حوض السنغال جنوباً وزناتة المغرب شمالاً<sup>4</sup>، ولما أجمعوا أمرهم، ووحدهم صفهم تحت راية قبيلة لمتونة، أيام دولة عبد الرحمن بن معاوية الداخل في الأندلس سنة 138هـ/755م؛ ترسخ لهم ملك إلى بلاد الزنوج توارثته ملوكهم من ورائهم<sup>5</sup>.

وكانت صحراء شنقيط جنوب المغرب الأقصى مركز تجمع القبائل المتحالفة<sup>6</sup>، وقد شهد الحلف اللمتوني تصدعاً بفعل خلافات قبلية، أدخلت المنطقة في دوامة صراعات داخلية، هددت أمن التجارة الصحراوية عمود قوام المثلثين؛ وعرف عبد الله بن تيفاوت اللمتوني كيف يخدم شرارتها، ويجتثها من جذورها، ويجول الخلاف إلى جهاد للدفاع عن الدين والدولة، وردع الأعداء الوثنيين، وهي فكرته في جمع شمل القبائل المتنافرة والمتطاحنة<sup>7</sup>.

**2.1. بلاد التكرور:** اشتهرت بلاد شنقيط في عصور متقدمة بهذا المصطلح، فصاحب فتح الشكور يظهر عند تعريفه المبهم لحد الإقليم الجنوبي أنه اختص اسم التكرور بمناطق شنقيط والبلاد المحيطة بها

<sup>1</sup> الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987، ص 18.

<sup>2</sup> عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 241.

<sup>3</sup> أبو عبيد عبد الله بن البكري، المسالك والممالك، تحقيق، جمال الطلبة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م، ج2، ص 352.

<sup>4</sup> حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط5، دار رشاد للنشر، القاهرة، مصر، 1421هـ/200م، ص 181.

<sup>5</sup> عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 241.

<sup>6</sup> أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د س ن، ص 15.

<sup>7</sup> مطير سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي (دراسة في التواصل الحضاري العربي-الإفريقي)، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، د س ن، ص 61.

من جهتي أزواد وبعض أطراف السودان الغربي، فقال بشأنه: "التكرور إقليم واسع ممتد شرقا إلى أدغاغ ومغربا إلى بحر بني الزناقية وجنوبا إلى بيط وشمالا إلى آدرار"<sup>1</sup>.

في الوقت نفسه، يسود اعتقاد مواز تبناه بابا بن الشيخ سيديا، حدد من خلاله مجال التكرور العام، بحيث ضمَّه بعض الأجزاء من بلاد شنقيط، فقال: "...بلاد آدرار وتگانة والقبلة والساحل والحوض إلى بلاد السودان هي بلاد التكرور"<sup>2</sup>. فنلاحظ أن تعريفه جاء أكثر شمولية من تقديم البرتلي، خصوصا عندما عدَّد مناطق شنقيط، وربط بها جميع أقاليم السودان المتصلة بالتكرور المعروفة في الكتابات التاريخية بهذا المصطلح.

كما قدم الشيخ محمد بلو تعريفا واسعا للمعنى العام لبلاد التكرور، وتعد مناطق شنقيط أحد أجزائه الشمالية، رسم فيه أبعاده المختلفة، من الجهات الأربع استنادا لمعطيات اعتمدها ممن سبقوه، جمعت تقريبا كل مناطق غرب إفريقيا وأجزاء من شرقيها؛ من المحيط الأطلسي غربا إلى دارفور شرقا؛ ومن قفار العرب والبربر شمالا حتى الأراضي المتوغلة في بلاد كفار السودان جنوبا<sup>3</sup>.

أما مصطلح "التكرور" بالمعنى الخاص، فهو اسم علم لمدينة ذكرها أبو عبيد الله البكري، كانت قائمة على حوض نهر السنغال، سكانها سودان على دين المجوسية، اعتنقوا الإسلام لما تولى أمرهم وارجابي بن راييس (ت 432هـ/1041م)، "فأسلم، وأقام عندهم شعائر الإسلام، وحملهم عليها، وحقق بصائرهم فيها"<sup>4</sup>. ويُرجَّح أن تعميم المصطلح وربطه ببلاد شنقيط في فترات زمنية؛ له علاقة مباشرة بركب الحج الذي عُرفَ في البلاد الشرقية بالركب الشنقيطي أو التكروري، حيث مثَّلت مدن شنقيط إحدى ركائزه الأساسية قبل الاحتلال الأوروبي للمنطقة في القرن 19م.

**3.1. بلاد شنقيط:** يعتبر الاسم راسخا في الذاكرة العربية الشرقية، لما اشتهرت به البلاد من أعلام في أمصار العالم العربي والإسلامي، ويطلق اسم شنقيط في الأصل على مدينة عريقة من مدن آدرار الموريتانية، تقع فوق جبل في جهة غرب الصحراء الإفريقية الكبرى، أخذ القطر الشنقيطي - مع مرور

<sup>1</sup> محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق، عبد الودود ولد عبد الله وأحمد جمال ولد الحسن، دار نجيويه للبرمجة والدراسات والطباعة والنشر، القاهرة، لبنان، 2010م، ص 15.

<sup>2</sup> بابا بن الشيخ سيديا، تاريخ أنساب صنهاجة في موريتانيا، مخطوط، مخطوطات جامعة فريبورغ (على الشبكة)، ألمانيا، ص 6.

<sup>3</sup> محمد بلو بن عثمان بن فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، د د ن، 1383هـ/1964م، ص 29.

<sup>4</sup> أبو عبيد عبد الله بن البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 360.

الوقت - اسمها من باب تسمية الشيء باسم بعضه، وتفسير شنقيط هو عيون الخيل على ما ذكره عبد الله بن الحجاج إبراهيم<sup>1</sup>، وكانت هذه المدينة لقرون خلت مُنطَلَقَ ركب الحجاج، فلا يُعرَفُون خارج بلادهم إلا بها، فهي تسمية خارجية قَبِلَهَا أهل البلد عن طيب خاطر<sup>2</sup>.

وقد تباينت الآراء في تحديد نطق شنقيط الصحيح بالجيم المصرية أو القاف، وهو ما فصل فيه الخليل النحوي عند تحليله لنص أورده صاحب الوسيط بشأن المسألة، فأوضح أن النطقين صحيحان؛ وممكن الفرق أن القاف في العامية غالبا ما تنطق كافا معقودة، وهي تساوي الجيم المصرية، ومن عادة الشناقطة في اللهجة العامية أن يقلبوا القاف كافا معقودة، مثل: قام، قال، قدح، قرأ... ينطقونها في جميع هذه الكلمات وأضربها كافا معقودة (جيما مصرية)؛ بينما يبقونها على أصلها في مواطن أخرى، مثل: قلم، قبر، قمر؛ وعليه تكون كتابة شنقيط هكذا (شنقيط) مجرد تأثر باللهجة المصرية من الحجاج، على اعتبار أن مصر كانت مدرجهم في رحلة الحج ذهابا وإيابا<sup>3</sup>.

**4.1. تراب البيضان والأسماء المرتبطة بها:** جاء هذا الاسم تمييزا للشناقطة عن شعوب السودان القاطنة جنوب الصحراء، وكثيرا ما ركزت الدراسات الموريتانية على هذا المصطلح المتداول - محليا - عكس المسميات السابقة، وقد يكون دواعي استعماله مرتبطا بما ذهب إليه الشنقيطي في كلامه عن شنقيط: هل هي من السودان أم من المغرب؟ حين قدّم بعض الدلائل التاريخية التي تثبت الاتصال ببلاد المغرب، ردا على ما أنكره بعض المشاركة، بادعائهم - حسب قوله - أنها من السودان، مستدلا بما أورده النخبة الأزهرية بشأن الموضوع: "ومن الواحات الشهيرة فيها (يعني الصحراء) غربا الأدرار، وتسكنها قبائل الأرواد، وهم مغاربة مسلمون مركزها وادان، ومدنها شنقيط، ثم تاغانيت، ومركزها تيشيت، ثم ولاته..."<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط والكلام على تلك البلاد تحديدا وتخطيطا وعاداتهم وأخلاقهم وما يتعلق بذلك، ط4، مطبعة المدني، القاهرة، 1409هـ/1989م، ص 422.

<sup>2</sup> - أحمد ولد الحسن، مظاهر الوعي القومي عند مثقفي بلاد شنقيط في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة المستقبل العربي، مجلة شهرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ع2، 1985م، ص 111-123.

<sup>3</sup> - الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 20.

<sup>4</sup> - أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 423.

يندرج تحت مسمى "تراب البيضان" القبائل البيضانية المنتشرة شمال حوض نهر السنغال والنيجر في الجزء الغربي والأوسط من الصحراء الكبرى<sup>1</sup>، فيما يُعرّف بالمجال البيضاني، وكانت هذه القبائل قبل مجيء الاستعمار تنتقل بكل أريحية داخل هذا الخلاء، دون موانع تفصلها بحثاً عن الماء والكلاً لمواشيها، وخلف رحيله ثلثة في مسار تواصل شعوبها، بفعل حدود مصطنعة ورثتها عنه.

وينقسم المجال البيضاني إلى قسمين: قسم متسع وآخر ضيق<sup>2</sup>، يمثلان مواطن انتداح القبائل البيضانية، والمميزات المشتركة بين شعوبها؛ فالمجال البيضاني المتسع يغطي موريتانيا الحالية، والصحراء الغربية، وأجزاء من جنوب الجزائر، ومساحات رحبة من جمهورية مالي، وجزءاً من النيجر؛ يتكلم شعوبه العربية ويدينون بالإسلام، ويشتركون في مجموع العادات والقيم الثقافية. وعلى نقيض الأول، يكاد يتطابق المجال البيضاني الضيق مع الامتداد الحالي للجمهورية الإسلامية الموريتانية، وهو الذي شهد أثناء القرن 19م قيام إمارات بيضانية، تقاسم زعمائها السيطرة على المنطقة<sup>3</sup>.

كما ارتبط بمصطلح تراب البيضان أسماء أخرى مقترنة بمجال شنقيط سابق الذكر، من ضمنها ما يسمى ببلاد المغفرة، وإن كان مدلوله سياسياً أكثر منه جغرافياً، لأن المغفرة كانوا يشكلون أقوى المجموعات العربية شوكة، وأنفذها سلطة؛ مما يبرز تغليب النسبة إليهم دون غيرهم من القبائل العربية<sup>4</sup>، إضافة لمسمى بلاد السبية غير الخاضعة لأي سلطة مركزية، ويبدو أن الاسم توافق بالموازاة مع النزوح العربي للصحراء الكبرى في نهاية القرن 14م، في عصر كان فيه سكان المنطقة والساحل يتألفون من مزيج من القبائل الزنجية والصنهاجية<sup>5</sup>... إلى غيره من الأسماء.

نشير إلى أن الاسم الحالي لبلاد شنقيط (موريتانيا الحديثة)، فهو اختصار اسم مملكة موريتانيا القديمة؛ وبالتالي فإن التسمية المستحدثة لم تأت من فراغ؛ بل بدافع إسقاط اسم شنقيط المرادف للعروبة

<sup>1</sup>- Georges POULET, Les Maures de l'Afrique Occidentale française, Augustin CHALLAMEL, Librairie Maritime et Coloniale, PARIS, 1904, P 4.

<sup>2</sup>- محمد بن محمد، المجتمع البيضاني في القرن التاسع عشر (قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية)، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2001م، ص 9.

<sup>3</sup>- محمد بن محمد، المرجع السابق، ص 9-10.

<sup>4</sup>- الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 22.

<sup>5</sup>- بول ماري، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني وقصة الاحتلال الفرنسي للمنطقة، تعريب، محمد محمود وداوي، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 1422هـ/2001م، ص 8.

والإسلام، وهذا ما سعى الاحتلال الأوروبي طمس معالمه. فأحيا الاسم الموروث ليرسخ روابط مفتعلة، جمعت سكان شمال غرب أفريقيا بالإمبراطورية الرومانية، بحجة أن موريتانيا تمثل نموذجا لتلاقي مختلف الأجناس (الجنس العربي والبربري والأوروبي)<sup>1</sup>. ويتركب اسم موريتانيا الحالية من كلمتين ((Mauros اليونانية ومعناها أسمر، و(Tania) ومعناها أرض أو بلاد، فهي إذن تعني بلاد السمر، وهو نفس الاسم الذي أطلقه الإسبان على العرب الفاتحين للأندلس<sup>2</sup>.

## 2. الموقع والحدود الجغرافية

تقع شنقيط في أقصى غرب إفريقيا على شاطئ المحيط الأطلسي، بين خطي الطول 5° و 17° غربا، ودائرتي العرض 15° و 27° شمالا، يحدها من الغرب المحيط الأطلسي، ومن الجنوب دولة السنغال، ومن الشرق والجنوب الشرقي منطقة أزواد بدولة مالي، ومن الشمال الشرقي منطقتي تندوف وآدرار الحالية الواقعتين جنوب غرب الجمهورية الجزائرية، ومن الشمال الصحراء الغربية<sup>3</sup>.

ويكون للموريتانيين آراء متفاوتة بشأن هذا الامتداد، فمعلوم أن بلادهم شهدت طوال تاريخها حالة لاستقرار أمني، نتيجة الصراعات القبلية التي خلّفت موجة تنقلات واسعة باتجاه الأجزاء الشمالية والشرقية من الصحراء الكبرى، ومعها كانت تتسع أو تضيق المعالم الجغرافية الواضحة للبلاد، وسنأخذ نموذجين سنعتمددهما جزئيا أثناء دراستنا:

**أولا:** اعتمادا على الخرائط الفرنسية مع بعض الزيادات الفردية، حدد أحمد بن الأمين الشنقيطي (أقدم مرجع تناول تاريخ البلاد تفصيلا) المجال التقريبي لشنقيط بالساقية الحمراء شمالا، وقاع ابن مهيب جنوبا، وولادة والنعمة شرقا، فاعتبر كل هذه المناطق جزءا لا يتجزأ من شنقيط، واستثنى من هذا الإطار الحد الغربي الذي ينتهي ببلاد السنغال المعروفة عند أهل شنقيط بإندر<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- J- BRENEZ, et Autres Enquete Démographique En Mauritanie1964-1965, Paris, Octobre 1966, P: 14.

<sup>2</sup>- أبي علي بجميد القلقمي الإدريسي، أعلام الشناقطة في الحجاز والمشرق وجهودهم العلمية وقضاياهم من القرن الخامس حتى القرن الخامس عشر الهجريين، د د ن، د س ن، ص: 11.

<sup>3</sup>- Bah Ould Zine, Le Français En Mauritanie, Universités Francophones, AUPELF-UREF, 1997, P 4.

<sup>4</sup>- أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 422.

ثانياً: أما المؤرخ المختار بن حامد، فركز عند ذكره حدود شنقيط على الجهتين: الشمالية الممتدة إلى الساقية الحمراء ووادي الذهب، والشرقية حيث منطقة أزواد في جمهورية مالي، معتبراً هذين المجالين يدخلان ضمن إطار البلاد المتسع، معتمداً تقديرات متجانسة قاعدتها الدين الإسلامي، واللغة العربية الحسانية، والعادات والتقاليد، والتاريخ المشترك؛ فهذه المؤثرات وحدت شعوب المنطقة في الماضي وجعلتها كتلة واحدة لا تتفرق، رغم الفواصل المستحدثة التي خلقها الاستعمار الأوروبي<sup>1</sup>.

بناء على ذلك، سنحاول التركيز أثناء الدراسة على تقرير أحمد بن الأمين الشنقيطي، الذي نراه أقرب لحدود البلاد الموضوعية تاريخياً وجغرافياً، مع توسعنا قليلاً لما ذكره المختار بن حامد، بالحديث عن الأجزاء المحيطة بها من جهة أزواد والسودان الغربي لأهميتها التاريخية؛ ليس اعتبارها جزءاً من شنقيط، وإنما لكونها نقاط عبور دائمة في عمليات التواصل الحضاري، في ظل التقارب المورفولوجي والجغرافي؛ لعدم وجود حدود ثابتة تفصل البلاد عن جيرانها خلال تلك الفترة.

### 3. التقسيم الطبيعي والجغرافي

**1.3. التضاريس:** تتمركز شنقيط في التخوم الشمالية لغرب إفريقيا، حيث تغطي الرمال أغلب مقاطعاتها، وبالأخص الشمالية والشرقية المحاذية لمالي والجزائر والصحراء الغربية، عكس الجهة الغربية وأجزاء من الجهة الجنوبية، المطلتين على المحيط الأطلسي غرباً والضفة اليسرى لحوض السنغال جنوباً، ويمكن تقسيم البلاد تضاريسياً إلى منطقتين طبيعيتين<sup>2</sup>: منطقة جنوبية غربية (سهلية)، ومنطقة شمالية شرقية (صحراوية).

**1.1.3. منطقة سهلية زراعية:** تقع جنوباً وتمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى أدغاغ في مالي شرقاً؛ ومن نهر السنغال جنوباً إلى خط وهمي لا يبعد عن خط العرض 17° و 50° شمالاً؛ وهذه المنطقة لا تختص باسم معين، وإنما لكل ناحية من أجزائها الطبيعية اسم محلي، مثل: الكبلة، وأفطوط، والركيبة،

<sup>1</sup> - المختار بن حامد، حياة موريتانيا (حوادث السنين أربعة قرون من تاريخ البيضان بموريتانيا وجوارها)، تقديم وتحقيق، سيدي أحمد بن أحمد سالم، ددار الكتب للتراث، أبو ظبي، 2011، ص 5.

<sup>2</sup> - المختار ولد حامد، موسوعة حياة موريتانيا الجغرافياً، تصدير، أحمد التوفيق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1414هـ/1994م، ص 10.

والحوض... إلخ، ويساهم تساقط الأمطار الموسمية غير المنتظمة في شهر جويلية بتوفر المراعي الكافية لتربية المواشي، كما يقوم فيها نشاط زراعي منذ أقدم العصور؛ لذلك يتركز فيها معظم السكان<sup>1</sup>.

**2.1.3. منطقة صحراوية جبلية:** تغطي وسط وشمال شنقيط، وتتميز بمناطقها بتوافر التلال الرملية، والهضاب الصخرية والوديان الجافة لأنهار قديمة، كما توجد واحات يمكن التزود منها بالمياه الجوفية لغرس النخيل، وبعض الحبوب الموسمية: كالقمح، والشعير، والذرة، والدخن... إلخ، مثل: واحات وادان، تشيت، شنقيط وآدرار... وغيرها. وتعتبر مقاطعتي تكانت، وآدرار - المشتق اسمها من الجبل - أعلى مرتفعات البلاد عامة، ومن بين مناطق هذا المجال: آطار وإنشيري في الغرب؛ وتيرس زمور في الشمال؛ وأجيدز في الوسط؛ والأجزاء الشمالية من تكانت؛ والحوض الشرقي<sup>2</sup>.

**2.3. مميزات المناخ:** يتميز مناخ شنقيط بالحرارة عموما والجفاف، مع فصل شتاء لطيف نسبيا، تتراوح درجة حرارته الدنيا في المتوسط ما بين 19° إلى 23°، بينما تتجاوز صيفا عتبة 40° في جل مناطق البلد، باستثناء داخله نواذيو<sup>3</sup>. ويمكن التمييز بين ثلاثة أنماط من المناخ<sup>4</sup>، تسود البلاد:

- مناخ مداري جاف من نمط ساحلي سوداني، يمتاز ب: 8 أشهر جافة في أقصى جنوب البلاد؛ وتساقطات مطرية تربو على 400 مم.
- مناخ شبه صحراوي من نمط ساحلي صحراوي، يمتاز ب: مدى حراري كبير؛ وتساقطات مطرية بين 200 و 400 مم.
- مناخ صحراوي من نمط مناخ الصحراء الكبرى، يمتاز ب: تساقطات مطرية أقل من 200 مم في السنة، ويشمل هذا المناخ مناطق الشمال.

<sup>1</sup> - المختار ولد حامد، الجغرافيا، المرجع السابق، ص 10.

<sup>2</sup> - أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 428؛ المختار ولد حامد، الجغرافيا، المرجع السابق، ص 26.

<sup>3</sup> - وزارة البيئة والتنمية المستدامة، الإبلاغ الوطني الثالث عن التغيير المناخي في موريتانيا، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، 2014م، ص 18.

<sup>4</sup> - نفسه، ص 19.

**3.3. التقسيمات الجغرافية:** لم تشهد شنقيط سلطة موحدة مثل التي عرفتها أثناء حكم دولة المرابطين، وبزوال سلطتهم دخلت البلاد دوامة صراعات حربية، أفرزت تشكل مجموعات قبلية، تسيّرهما إمارات ومشيخات استقل كل منها بمجاله الخاص، ومعه تفرعت البلاد إلى عشرة مناطق رئيسية<sup>1</sup>:

**1 ( الترازة:** تقع غرب جنوب شنقيط (تعرف بالكبلة)، ويحدها المحيط الأطلسي غرباً؛ والضفة اليمنى من نهر صنهاجة (السنغال) جنوباً؛ ومن مدنها المعروفة: شمامة، والحشومة، وأفطوط الغربي (موضع نواكشوط عاصمة موريتانيا حالياً)، وإيكيدى، وأفطوط الشرقي، والعقل، وتارگه، وتافلي.

**2 ( البراكنة:** تقع جنوب شنقيط على نهر السنغال؛ عاصمتها: ألاك؛ ومن مدنها التاريخية: آفكام، وآكرج، وآكيرت، ومكطع لحجر، وامباروك، وبوطليحية.

**3 ( كركول:** تقع شرق البراكنة شمال نهر السنغال في جنوب شنقيط؛ ومن مدنها: امبود المجيبير، ومونكل (العقيلات)، وانكينار، وأجاكلي.

**4 ( داخله نواذيبو:** تقع شمال غرب شنقيط على المحيط الأطلسي؛ عاصمتها نواذيبو؛ ومن مقاطعاتها الشهيرة: انومغار، واتميميشات، والشامي، وتازيزات، وأبو الأنوار.

**5 ( تگانت<sup>2</sup>:** تقع وسط شنقيط باتجاه الشمال؛ عاصمتها تجكجة؛ وبها مدن كثيرة، أهمها: تيشيت، والحنيكات، والمجرية

**6 ( العصابة:** تقع جنوب شنقيط على الحدود المالية؛ عاصمتها كيفه؛ ومن مدنها التاريخية: باركيول، وكنكوصه، وأكريگل، وگنديگه، واندوليشه، وكوص.

<sup>1</sup> - للتوسع أكثر في تفاصيل التقسيمات المتبعة، وكذا أسماء المشيخات والإمارات التي سيطرت على كل مجال جغرافي. يمكن العودة لما تناوله المؤرخ الموريتاني المختار بن حامد في موسوعة الجغرافيا، وهو ما اعتمدها في جانب التقسيم الإداري.

<sup>2</sup> - تگانت: معناها الغابة، وهي حلقة كآدرار، يحفها من الجانبين جبل عظيم كجبل آدرار. تمتد مسيرة ثلاثة أيام متعددة طولاً، وعرضها يقرب من خمسة أيام، ويقال لتلك البلاد وما حوته تگانت، ولها طرق كثيرة وعرة، وتنتهي من جهة الشمال في أدافر وهي أرض كثيرة الرمال قليلة المياه؛ ينظر، أحمد بن الأمين الشنقيطي، المصدر السابق، ص 444.

7 ( الحوض<sup>1</sup>: تقع شرق شنقيط مع الحدود المالية؛ وتنقسم إلى قسمين: الحوض الشرقي وعاصمته النعمة، وأهم مدنها: ولاتة، وباسكنو، وآرقان، وحدكوش الشرقي؛ وكذلك الحوض الغربي وعاصمته العيون، وبها مدن: تامشكط، وتدنيت، وتكدمت وتكلط...

8 ( آدرار: تمثل قلب شنقيط، فهي تقع في الوسط بين الشمال والجنوب؛ عاصمتها آطار؛ ومن مدنها العتيقة: شنقيط، ووادان، وآحليف، ووواجفت، وابتلاتن، وترجيت، وتينيكي، وتيگصماط.

9 ( انيشيري: تقع غرب البلاد؛ ومن مدنها: أكجوجت، وانشيري العاصمة، وأكشار، وتيجريت وآدرار سطف.

10 ( تيرس زمور: تقع في الشمال، مناصفة بين حدود الجزائر والصحراء الغربية؛ تحيط بها الصحراء من جميع الاتجاهات؛ وأهم مدنها: الزويرات، وأفديرك، وبيير أم كرين.

واختصاراً لهذا التقسيم، طرح المؤرخ الجزائري إسماعيل حامت المختص في تاريخ شعوب غرب إفريقيا تقسيماً آخر، ربطه بالتضاريس الجغرافية، حين قسم البلاد إلى ثلاث مناطق رئيسية: منطقة الكبلية؛ ومنطقة الساحل؛ والمنطقة الوسطى الجبلية التي تضم تكانت وآدرار وتيرس<sup>2</sup>.

#### 4. الطبقات الاجتماعية

عرفت البلاد منذ القدم مجموعات وأعراق بشرية مختلفة الألوان والمواطن والأعراف، ساعد اختلاف أجناسها في تكوين مجتمع صحراوي، انصهرت داخله شتى أنواع الثقافات، فوظفت كل فئة قدراتها ومهاراتها المكتسبة، من أجل بناء صرح مجتمع متكامل الأسس والمهام. ويمكن تقسيم المجتمع الشنقيطي إلى ثلاث طبقات، وفق التسلسل الآتي:

<sup>1</sup> - الحوض: مصطلح علمي جغرافي، يقصد به المكان الذي ينخفض كلما اتجه في الناحية التي يوجد فيها مسطح بحري، وهو ذات دلالة جغرافية، وتقع مدن الحوض في منخفضات تجمع المياه خلال فترات الأمطار الغزيرة. كما تعتبر منطقة الحوض الشرقي تحديداً من المناطق التي لعبت دوراً لافتاً في التواصل الحضاري كما سنرى في فصول الدراسة.

<sup>2</sup> - Ismail Hamet, Chroniques de La Mauritanie Sénégalise, Ernest Leroux, Editeur, Paris, P 20.

1.4. حسان (المخاربون): يرتبط مصطلح حسان - المفهوم الخاص - بقبائل بني حسان العربية المعقلية، وهم خمسة أفخاذ<sup>1</sup>، من أب واحد "حسان بن مختار بن محمد بن عاقل بن معقل"، استغل أجدادهم أوضاع الدولة المرينية في فترات فلالها؛ لخلق بلبلة وسط مناطق نفوذها في منطقة السوس المغربي، بما دفع السلطان المريني أبا يعقوب بن أبي يوسف إلى محاربتهم سنة 786هـ/1287م، وتغريبهم لمواطن صنهاجة الجنوب، فتوزعت قبائلهم في مناطق متفرقة من الصحراء وبلاد الساحل الإفريقي<sup>2</sup>، واستقر قسم منهم عند مصب نهر السنغال شمالاً، ومن هؤلاء الذين يعرفون اليوم باسم الترازة<sup>3</sup>.

لذلك؛ يجب الأخذ في الحسبان أن الحسانيين استطاعوا بقوتهم بسط نفوذهم السياسي والحربي، مغتتمين اشتداد الصراع وتجدد الخلاف بين القبائل الصنهاجية وأحلافها، فهزمت قبيلة أولاد الناصر الحسانية إمارة أبدوكل للمتونية عام 820هـ/1417م، وكانت نهاية الحرب إيذاناً بفرض اللهجة العربية الملحونة المسماة "الحسانية" على القبائل المنهزمة<sup>4</sup>، ومن ثم فسح المجال لتأسيس إمارات مختلطة الأعراق ذات أسماء عربية، استمر تسييرها للبلاد إلى غاية الاحتلال الفرنسي مطلع القرن 20م، ومن أهمها إمارة أولاد رزق بن أودي بن حسان في القرن (9هـ/15م)، التي حكمت منطقة الترازة والبراكنة، واستمر سلطانها حتى قضى عليها بنو عموماتهم المغافرة في القرن (11هـ/17م)<sup>5</sup>.

وإذا أردنا أن نفسر مصطلح حسان بالمفهوم العام، فهو أشمل وأعم، ولا يمكن حصره في الجنس العربي، فالمنتسبون له يمثلون الفئة الحربية المسيطرة على زمام القيادة، ومستند تسميتهم مرتبط بقيم البطولة والتضحية والإقدام والنخوة والشهامة، وليس بالانتماء العربي الأصيل، فلفظ حسان صار يطلق

1- ذكر صالح بن عبد الوهاب أربعة أبناء من أصل خمسة، وهم: عبد الرحمن بن حسان جد الرحامنة، وأحمد المعروف بـأدي بن حسان أبو المغافرة، ودليم بن حسان أبو أولاد دليم، وهو بن حسان أبو البراييش؛ محمد صالح بن عبد الوهاب الناصري الولاتي، الحسوة البيسانية في علم الأنساب الحسانية، تحقيق، حماه الله ولد السلام، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2015م، ص 68.

2- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 92.

3- محمود شاکر، التاريخ الإسلامي المعاصر (بلاد المغرب)، ط2، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، 1417هـ/1996م، ص 474.

4- حماه الله ولد السلام، بلاد شنقيط - موريتانيا - (من العصور القديمة إلى حرب شريبه الكبرى بين أولاد الناصر ودولة إبدوكل للمتونية)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م، ص 168.

5- محمود شاکر، المرجع السابق، ص 475.

في الحياة على كل مجموعة حملت السلاح، فتخلقت بأخلاق عرب المعقل، وسارت على نهجهم في الحياة، وإن كانت القبيلة صنهاجية الأصل، مثل: إدوعيش، وإديشلي<sup>1</sup>.

بالمقابل كشفت روايات أخرى، أن هذا التدرج الطبقي لم ينعقد بالنسب القبلي؛ ولا بتاريخ الأسر؛ بل حسب الأحوال والمتغيرات، فالعروبة أو النسبة الحسانية مفهوم اجتماعي سلوكي فرضتها ظروف طارئة، انعكست على حياة الأفراد أو الجماعات، فإذا كان الإقدام والشجاعة سببا في الرقي الاجتماعي لبعض القبائل بغض النظر عن انتماءاتها العرقية؛ فإن وهن وانكسار شوكة أي قبيلة كافٍ لتجريدها من نسبتها، وإنزالها إلى أدنى درجات السلم الاجتماعي، وتحول من قبيلة محاربة حسانية (بالاصطلاح) إلى قبيلة غارمة، مثل: قبيلتي لكدرارة، وآغزازير<sup>2</sup>.

وقد قسم أحمد بن الأمين الشنقيطي الفروع الحسانية في أرض شنقيط إلى أربعة أقسام، وحدد مواطن انتجاعها وتفرعها في أرجاء البلاد، ومما ذكره عن تلك القبائل: أولاد أُحبي بن عثمان، وموطنهم آدرار، ويخرجون أحيانا للنجعة؛ وقبيلة إدوعيش، ويسكنون تكانت في أغلب الأوقات؛ والترارزة، وهم سكان القبلة؛ وأولاد عبد الله، ويطلق عليهم - أيضا - البراكنة، وهؤلاء متفرقون في جهات كثيرة، فمثلا أبناء السيد يسكنون شماشة، وأبناء أحمد إكيدي يتوزعون فيما بين آمشثيل وأفطوط، وأبناء هيبه وأبناء نغماش يقطنون الرّك أي: القاع<sup>3</sup>.

**2.4. الزوايا (الطلبة):** يطلق مدلوله في الاصطلاح الموريتاني على مجموعة قبائل متصارعة، أكثرها من أصل صنهاجي، انزروا بعبادتهم بعد انكسار شوكة دولة المرابطين واطمحلها، فاستغل عرب المعقل خلافتهم القبلية للسيطرة على البلاد، وتقسيمها لإمارات ومناطق نفوذ<sup>4</sup>؛ وينتشرون في جميع أنحاء شنقيط، لأنهم الأكثر عددا وأهمية، حتى ضمن المجموعات الكبيرة ذات التمثيل العربي، مثل: الترارزة، ويحي بن عثمان، وآل كنته، والبراكنة، وأولاد الناصر؛ أما دورهم فينحصر غالبا في التجارة والتربية والتعليم؛ وهم ملتزمون سنويا بدفع إتاوات للقبائل الحسانية المحاربة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 33.

<sup>2</sup> - نفسه والصفحة

<sup>3</sup> - أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 480.

<sup>4</sup> - محمد اليدالي، شيم الزوايا نصوص من التاريخ الموريتاني، تقديم وتحقيق، محمد ولد باباه، مكتبة الذنبجة بن معاوية، موريتانيا، د س ن، ص 58.

<sup>5</sup> - Georges Poulet, Op. Cit. P 07.

وفي واقع الأمر نال أفراد هذه الطبقة داخل المجتمع الشنقيطي شرف تصدر المقامات النبيلة، من علم وكرم وتنظيم لشؤون الدهماء، فصار لفظ زوايا علما مقترنا بكل قبيلة، غلب على سير أبنائها تحصيل العلم وإفادته للعامة؛ وتعمير الأرض بحفر الآبار؛ وتسيير القوافل وقرى الضيف<sup>1</sup>؛ لا تنازعهم في مجدهم طائفة أخرى، وتضلع بهذا الدور قبائل كثيرة عربية وبربرية على حد سواء، عرفوا باسم الزوايا، أمثال: قبيلة إدواعلي<sup>2</sup>، وأدا بلحسن العلاويتين، وأولاد بيري التندغية، واديسات الأنصارية، وأبناء أعمار أكداش الحسنية، وتجكانت<sup>3</sup>، وملتونة صاحبة الفضل الأول في هذا التحول الاجتماعي.

لامنص من القول، إن اشتغال الزوايا بإحياء علوم الدين والأدب واللغة ونشرها بين الأصحاب، ساهم في إرساء قواعد العلم والثقافة العربية في شنقيط، في وقت أهل الوافدون العرب هذا الدور الحضاري، وانصب اهتمامهم على الجانب السياسي والعسكري، بصفتهم شعبا حربيا همهم التسلط والسيطرة. ولا شك أن تعزّب قبائل الزوايا البربرية جاء طواعية بدافع تحصيل المعارف الدينية واللغوية<sup>4</sup>، نتيجة الوضع الناجم عن سيطرة بني حسان، الذين بدورهم لم يستغلوا نفوذهم الاجتماعي والسياسي لتعريب العشائر التابعة لهم، كما أنهم لم يحملوا علما يُدرّس، ولا تدبيرا يُقتدى به<sup>5</sup>؛ وكل ما قاموا به هو تكملة لحركة التعريب التي مهّدت لها المرابطون في القرن (5هـ/11م).

حسب ما هو معروف؛ تمثل قبائل حسان والزوايا ذروة هرم المجتمع الشنقيطي، تمتع أفرادها بمنزلة مرموقة بين العشائر لحد التبجيل والتعظيم، فيُصور الخليل النحوي نوع التمثيل المزدوج، والمكانة المتفشية، لهذين الطبقتين وسط المجتمع، فيقول: "شكلت قبائل الزوايا وبنو حسان قيادة ثنائية للمجتمع، مارست

<sup>1</sup> - أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 7.

<sup>2</sup> - يصل نسب قبيلة إدواعلي لعلي بن أبي طالب (رض) من أبنه محمد الذي أمه الحنفية، وهذا النسب العلوي يمتد بواسطة علي الأحمر، الجد الذي سمت القبيلة باسمه، فأصبحت ذريته في الأزمنة الحديثة قبيلة إدواعلي، وخلال رحلة البحث عن موطن استقرار مرّ أجداد علي بالكوفة، مصر، تلمسان، حتى وصلوا تلبالت جنوب غربي الجزائر، ثم تقدموا خطوة جديدة جهة الغرب أوصلتهم إلى آبير الواقعة إلى الشمال الغربي من شنقيط؛ ينظر، بول مارتي، دراسات حول الإسلام في موريتانيا الشيخ سيديا - الفاضلية - إدواعلي، ترجمة وتقديم، البكاي ولد عبد الملك، د د ن، د س ن، ص 221-222.

<sup>3</sup> - عبد اللطيف الدليشي الخالدي، من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة-الشيخ محمد أمين الشنقيطي (1293-1351هـ/1876-1932م)، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق، د س ن، ص 28.

<sup>4</sup> - Bah Ould Zine, Op. Cit. . 05.

<sup>5</sup> - أحمد ولد الحسن، المرجع السابق، ص 113.

الأولى القيادة الروحية والعلمية وإدارة الشؤون الاقتصادية، ومارست الثانية القيادة العسكرية، واشتركتا معا في السيطرة السياسية، وكرس المجتمع هذه القيادة المزدوجة بتمجيد شأن العلم والسلاح واعتبرهما رمز المجد والكرامة، فلا مكان إلا لمن يدلي بشهادة علمية أو شهادة عسكرية<sup>1</sup>.

**3.4. اللُّحمة (القبائل الغارمة):** يقصد باللُّحمة اصطلاحا القرابة، وتدل على مجموعة أشخاص تجمعهم صلة قرابة (لحمة) واحدة<sup>2</sup>، وعادة ما يُطلق المصطلح في التاريخ الموريتاني على قبائل من حسان كانوا أحرارا في الأصل، استعبدهم بنو جلدتهم جراء الحروب، واستأثروا بهم، وسخروهم تسخير الموالي بواسطة إتاوات مفروضة وصلت إلى حد بيع رقابهم<sup>3</sup>، ويُعرف هذا البيع عندهم ببيع المصلحة أو المنفعة التي يؤديها الفرد من هؤلاء، بمنطق استغلال القوي للضعيف عند الحاجة، فهو ليس من قبيل استرقاق البدن، بل أشبه ببيع أمراء الإقطاع في العصور الوسطى لفلاحهم مع الأراضي الزراعية<sup>4</sup>.

تعيش قبائل هذه الطبقة حياة الترحال بحثا عن مواطن الكألمواشيها، ومن أثر منها حياة الحضرة؛ وقع ضحية العبودية في خدمة القبائل المحاربة أو المرابطة...<sup>5</sup>، ومن الأجناس المتاخمة لهذه المجموعة قبائل البانتوس المهاجرة (نسبة لقبائل البانتو)، التي يُنسب إليها جميع الأجناس السوداء المقيمة حاليا بغرب إفريقيا؛ ويُعرفون باسم الحراطيين، فكان حلولهم بواحات الصحراء وشمال الأطلس الكبير سابقا لمجيء البربر<sup>6</sup>، ثم تحولوا بفعل الضغوطات إلى الجنوب، واستقروا بالمناطق المحيطة بحوض نهر السنغال والنيجر؛ وهؤلاء الحراثون يمتازون بروح العمل الجاد والتفاني في الغراسة والصبر على المشقة؛ ومن أجناسهم: الولوف، والسوننكي، والتكولور، والفلولان؛ ويتمركزون بمناطق: الحوض، وكركول، وكيدمغ (Guidimagha)<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 36.

<sup>2</sup> - أنطوان نعمة وآخرون (تحرير)، المنجد الوسيط في العربية المعاصرة، ط2، دار المشرق، بيروت، 2012، ص 928.

<sup>3</sup> - أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 476.

<sup>4</sup> - عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المرجع السابق، ص 27.

<sup>5</sup> - Georges Poulet, Op. Cit. P 07.

<sup>6</sup> - محمد يوسف مقلد، موريتانيا الحديثة غابرها وحاضرها، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، د س ن، ص 93.

<sup>7</sup> - ازديديه سيدي اجيد، تسجيل صوتي، مستشار قانوني لدى مدير المطبعة الوطنية بأنواكشوط، تم التسجيل عبر وسيلة التواصل الاجتماعي "واتساب"، يوم الثلاثاء 20 سبتمبر 2022م.

كما يدخل ضمن تشكيل طبقة اللُّحمة مجموعات قبلية أخرى، تختلف أهميتها الاجتماعية حسب درجات القرابة العرقية بمالكهم، ونوعية الخدمات المقدّمة؛ يُعرفون بأسماء: الموالي، والعنقاء، والعبيد، والصناع، والأرقاء... إلخ؛ والشيء الذي يربطهم بالقبائل الغارمة المتفرعة عن حسان، أنهم جميعا مسخرين لخدمة طبقة المحاربين والزوايا.

يزاول أهالي طبقة اللُّحمة - تقريبا - كافة الوظائف القاعدية الملحقة بحفظ أمن وكرامة أسيادهم، ويمكن أن تعود بالفائدة على الاقتصاد المحلي في آن واحد، عن طريق إصلاح الأراضي الفلاحية بالزراعة والغرس؛ وتربية المواشي؛ وحفظ الأموال؛ إضافة لبعض الحرف التقليدية المرتبطة بالصناعات اليدوية كالحدادة والنجارة وما شابه؛ ومن أموالهم تُؤخذ الزكاة فتُصرف لطلبة العلم؛ كما يشاركون في تقديم الإعانات للمجاهدين<sup>1</sup>.

غير أن الدور الذي يقدمه هؤلاء اللُّحمة وما شاكلهم من قبائل غارمة، لا يقتصر فقط على خدمة الآخرين، فهناك مواطنون يعتبرون أحرارا، يُسمح لهم بممارسة مهام شخصية من تجارة وتعليم، وما اتصل بهما، شريطة موافقة رئيس قبيلة المحاربين المنضوين تحت لوائها، وذلك بالالتزام برسوم التبعية الواجب تقديمها كل عام لمبعوث الرئيس لمزاولة أعمالهم؛ كما لا تُسقط عنهم هذه الحرية الشكلية واجب المشاركة في حروب القبيلة، والتي يكونون فيها خداما مدافعين عن شرفها وملكها<sup>2</sup>.

وعليه؛ يمكن القول أن المجتمع الشنقيطي وظيفي الطبقة في تشكيله، يراعي قوة الفرد ونفوذه الاجتماعي، ونفسر هذا بالمكانة المميزة التي حظيت بها القبائل المحاربة والعائلة، مقارنة بقبائل أخرى محدودة العطاء المعرفي، معدومة الخبرة العسكرية، والتي أصبحت مهمشة شعبيا مقهورة اجتماعيا، ووُصِفَ المنتسبون إليها بألقاب ازدرائية كاللُّحمة والموالي والعنقاء؛ تقليلا من وزنهم الاجتماعي، وتفرقا عن سادتهم آل حسان والزوايا، فكرامة وعزة المواطن الشنقيطي، مرتبطة بما يقدمه لمجتمعه من بطولات حربية في ميادين القتال، أو ما يغرسه من آداب وأخلاق جمّة في نفوس النشء وطلاب العلم.

<sup>1</sup> - عبد اللطيف الدليشي الخالدي، المرجع السابق، ص 27.

<sup>2</sup> - Georges Poulet, Op. Cit. P 06.

## 5. الخلفية التاريخية

شهدت بلاد شنقيط طوال تاريخها تغيرات وتقلبات جذرية في شتى مجالات وميادين الحضارة الإنسانية، بعضها جعل البلاد تعيش حالة اضطراب أمني متواصل، بسبب تصارع القبائل المعمرة للمنطقة، من أجل فرض الوجود وتقوية النفوذ مثل الذي طغى على مناطق توات.

**1.5. طلائع الفتح الإسلامي لبلاد شنقيط:** تطَّلَعَ الصحابي الجليل عمرو بن العاص (رض) بعد فتحه مصر البيزنطية سنة 21هـ/642م لمواصلة السير غربا، واحتواء بلاد المغرب لخارطة العالم الإسلامي، فاستأذن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رض) الذي بدوره رفض المقترح، خوفا على جيش المسلمين المنهك من خطورة فتح جبهة قتال جديدة مجهولة المعالم، تدخل ضمن ممتلكات الإمبراطورية البيزنطية الواسعة، وهذا من شأنه إضعاف مخطط إنشاء دولة إسلامية مترامية الأطراف لا تزال في طريق التكوين<sup>1</sup>.

على العكس من ذلك، توالى الحملات الإسلامية بوتيرة متسارعة خلال العصر الأموي، بعد ركود سببه عدم اتضاح الرؤية بشأن خلافة المسلمين في المشرق، فتمكّن عقبة بن نافع الفهري من إخضاع إفريقيا (تونس) وتخطيط مدينة القيروان بها سنة 50هـ/670م<sup>2</sup>، واتخذها قاعدة جهادية لمباشرة فتح الأقاليم المغربية وثغورها الموعلة في الصحراء، ومن بينها بلاد شنقيط، لحمل الأهالي على ترك ما كان سائدا بينهم من ملل ونحل كاليهودية والنصرانية والمجوسية، وإن كانت الأخيرة هي الرائجة بين برابرة البوادي والجبال والصحراء<sup>3</sup> قبل قدوم الإسلام.

لذا فإن غياب القرائن الثابتة حول انسياب الإسلام إلى شنقيط، فسح مجال التأويل والفرضية التاريخية، بين قائل: أن عقبة بن نافع الفهري أثناء ولايته الثانية على إفريقيا سنة 61هـ/681م، وصل شواطئ المحيط الأطلسي، ثم توغل بجيشه جنوب المغرب الأقصى<sup>4</sup>، فدوّخ قبائل الملثمين، وحملها للإسلام، وبنى المساجد، وترك ابنه العاقب بن عقبة في بيرو (ولاتة) زعيما للبلاد ونائبا عنه فيها ينظم

<sup>1</sup> - راغب السرجاني، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، الفسطاط، ج1، ص 110.

<sup>2</sup> - أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي (البلاذري)، فتوح البلدان، تقديم وتعليق، شوقي أبو خليل، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1997م، ص 311.

<sup>3</sup> - أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 16-17.

<sup>4</sup> - البلاذري، المصدر السابق، ص 312.

شؤونها<sup>1</sup>؛ وبين من يُرجح تأخر وصول الإسلام لهذه البقاع حتى بداية القرن (2هـ/8م) مع حبيب بن أبي عبيده أحد أحفاد عقبة بن نافع، وذلك على رأس إحدى السرايا التي قادها والي إفريقية آنذاك عبد الله بن الحبحاب لتأمين مسالك السودان<sup>2</sup>.

بغض النظر عن مدى صحة الرأي القائل باستخلاف عقبة ابنه العاقب بولادة، فالمؤكد أن إسلام الملتزمين تزامن وتوسعات الأمويين في المنطقة، فلو لم تتأثر هذه القبائل ببعض تعاليمه منذ عهود باكرة، لما قامت إمارة إسلامية بسطت سلطانها على ملوك السودان في أوائل القرن (3هـ/9م)؛ وإن كان هذا لا ينفي محدودية علمهم وجهلهم أمور دينهم بسبب غلبة الجهل وقلة العلماء بينهم<sup>3</sup>. أما تمسكهم بتعاليم الإسلام السمحة وشعائره الصحيحة، فعرفوها مع عبد الله بن ياسين الجزولي، الذي انتدبه يحيى بن إبراهيم الجدالي من الحواضر المغربية، عند قفوله من الحج ليُفَقِّه قومه في أمور دينهم<sup>4</sup>، المنحصر حسب عرفهم في العبادات المفروضة كالصلاة، والجهاد، والصيام.

**2.5. شنقيط تحت حكم المرابطين:** أحدث نزول عبد الله بن ياسين الجزولي بين قبائل الملتزمين أثرا بارزا في تحول نظرة شعوبهم للإسلام، من مظهر الانتساب الاسمي إلى التطبع بأخلاق شريعته السمحة، وساعد الرباط الخلاوتي الذي شيده الجزولي رفقة يحيى بن إبراهيم الجدالي وأتباعه، بإحدى الجزر القريبة من بلاد شنقيط على نهر السنغال<sup>5</sup>، في إرساء الصفوف وزيادة الحشود، تحضيراً لفتح الأقاليم المجاورة من بلاد السودان، وجـرّ قبائلها الوثنية للإسلام، ومن ثمة التطلع شمالا لمحاربة العادات المشينة التي ارتبطت بإسلام برابرة الصحراء وبلاد المغرب على حد سواء<sup>6</sup>.

مثل ذلك الرباط الديني نواة ظهور دولة المرابطين في صحراء الملتزمين (448-541هـ/1057-1147م)، فاهتم ابن ياسين بترتيب شؤون دولته الفتية، حيث استأثر بأمور العبادات والأحكام

<sup>1</sup> - بول مارتني، كنته الشريون، المصدر السابق، ص 15.

<sup>2</sup> - البلاذري، المصدر السابق، ص 318.

<sup>3</sup> - علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص 122.

<sup>4</sup> - يذكر أبي عبيد الله البكري أن يحيى بن إبراهيم الكدالي أمير المرابطين في طريقه إلى الحج، اختبره الفقيه أبا عمران الفاسي في بعض أمور دينه فلم يجد عنده علما بشئ رغم حرصه على التعلم...؛ ينظر، أبي عبيد الله البكري، المصدر السابق، ج2، ص 352.

<sup>5</sup> - علي بن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 124-125.

<sup>6</sup> - نفسه، ص 157.

الشرعية، واختار قبيلة لمتونه من بين القبائل الصنهاجية للقيادة الحربية؛ لما تفرد به أبناؤها من لزوم الطاعة والاستقامة والصلاح<sup>1</sup>. هذا، وقد أخلص المرابطون في الذود عن حمى الإسلام، مدافعين عن حرمة بضم مدن الصحراء والسودان المصاوبة لديارهم جنوبا، وفي مقدمتهم أودغست عاصمة مملكة غانا الوثنية عام 1055م<sup>2</sup>.

غلب على سير أمراء المرابطين الصلاح والتقوى والرفق بالرعية، فلم يسجل التاريخ أن أحد ولاتهم فرض إتاوات أو خراج على أهل البوادي والحواضر، بل عاش السكان في كنف الأمن والرفاهية ورغد العيش، وكانت ثمار تلك السياسة الرشيدة والمعاملة الحسنة، اتساع رقعة الدولة في أوج قوتها مع الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين، لتشمل جبل الذهب في السودان جنوبا إلى الأندلس شمالا؛ ومن بحر المحيط غربا إلى حدود بجاية من بلاد العدو شرقا<sup>3</sup>.

ومن الأدوار المحسوبة لهذا الأمير المرابطي في مجال التكتيك الحربي إصلاحه نظام تسليح الجيش وطريقة إعداده للقتال، بالانتقال من خطة الكرّ والفرّ في حروب الصحراء إلى مباغته جيوش العدو في عقر دارها وداخل حصونها أو ما يعرف بالتقري<sup>4</sup>، وهو ما سمح بتخفيف الضغط عن مسلمي الأندلس بعد معركة الزلاقة سنة 479هـ/1086م، والتي أعطت نفسا جديدا للإسلام بتأخر سقوط دولته في بلاد الفرنجة، واستمرارها طيلة أربعة قرون من تاريخ الموقعة المفصلية الشهيرة.

**3.5. شنقيط في ظل الممالك السودانية:** مع انقضاء سلطان المرابطين على يد الموحيدين في القرن (6هـ/12م)، تفرقت البلاد إلى قبائل وعشائر، مما أدى إلى غياب نظام مركزية السلطة التي فرضها المثلثون، وبزواله دخلت شنقيط في حكم بلاد السببية القوي يستعبد الضعيف؛ غير أن هذا المنطق لم يشمل كل الأقاليم، فهناك بعض الأجزاء الوسطى والشرقية عرفت لردح من الزمن نظامية حكم ترأسته الممالك السودانية.

<sup>1</sup> - علي بن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 126-127.

<sup>2</sup> - Ismail Hamet, Op. Cit, P 6.

<sup>3</sup> - علي ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 166-167.

<sup>4</sup> - علي محمد الصلابي، صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، 1428هـ/2007م، ج2، ص 286.

جدير بالذكر؛ أن إمبراطورية غانا تعد أقدم ممالك السودان الغربي، التي قامت جنوب المغرب الأقصى بين الصحراء الكبرى والغابات الإستوائية، وشملت بعض الحواضر الشنقيطية، فامتد نفوذها إلى مناطق آوكار والحوض وشمال نهر السنغال<sup>1</sup>؛ لذا عمدت بعض التقارير والأبحاث إلى تكوين علاقة افتراضية بين اسم غانا وولاتة، حيث ذكر جويي (Gouilly) أن اسم إيولاتن (ولاتا) التي أنشأها مسلمو غانا الجافلون من بطش الصوصو سنة 1203م، هو تحريف لنطق السود كلمة (غاناتا)<sup>2</sup>.

وقد رسم الإدريسي اتساع الإمبراطورية، وأشار إلى احتوائها مضارب البربر شمالا، فقال: "...إن أرض غانا تتصل من غربيها ببلاد مقزارة ومن شرقيها ببلاد ونقارة، وبشمالها بالصحراء المتصلة التي بين أرض السودان وأرض البربر، وتتصل بجنوبها بأرض الكفار من الللممية وغيرها"<sup>3</sup>.

كما عرفت البلاد تبعية سودانية أخرى، مع ظهور مملكة مالي الإسلامية في القرن (7هـ/13م) لمسرح الأحداث، واستئصالها شوكة مملكة الصوصو الوثنية عام 1240م، حيث سار ملوك الماندنغو المالين على نهج أسلافهم السوننك الغانيين، وامتد سلطانهم إلى الأقاليم الصحراوية المحاذية لحدودهم. ويذكر ابن بطوطة خلال رحلته السودانية، ومروره بمدينة ولاتة أو إيولاتن كما ذكرها سنة 753هـ/1352م، أن هذه المدينة تعد أول عمالة السودان من جهة المغرب، وأنه نزل في ضيافة فاربا حسين ممثل سلطان مالي في تلك الديار<sup>4</sup>.

وشهدت نفس المدينة (ولاتة) تبعية سودانية بعد زوال سلطان ملوك مالي، فأصبحت ولاتة في القرن (9هـ/15م) خاضعة اسميا لمملكة سنغاي وريثة عرش مملكة مالي الإسلامية. والذي حدث أن الملك سني علي اقتحم المدينة عنوة، عقابا على ترحيب سكانها بعلماء تنبكتو الفارين من المذبحة الشنيعة عام 875هـ/1471م، وكان هذا الهول سببا في لجوء حاكمها للصحراء فرارا من عقاب الطاغية، ولكنَّ ضمان سني علي بالأمان مقابل جزية سنوية سرَّع رجوعه لمنصبه في المدينة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 18.

<sup>2</sup> - إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية غانا الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970/1390، ص 16.

<sup>3</sup> - أبو عبد الله بن محمد المعروف بالشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م، ج1، ص 24.

<sup>4</sup> - ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 393.

<sup>5</sup> - عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص 66؛ بول مارتى، القبائل البيضانية، المصدر السابق، ص 169.

**4.5. الصراعات الداخلية:** مرت شنقيط بفترة فراغ سياسي دامت قرابة ثمانية قرون، لم يعرف الأهالي خلالها سلطة موحدة تنظم شؤونهم الاجتماعية، حيث رافق هذا الشغور دخول البلاد في دوامة صراعات حربية، انجر عنها بروز زعامات محلية فرض أصحابها سياساتهم وأفكارهم على القبائل المنكسرة. ولم يكن الوضع السياسي واضحاً تماماً، بعد تفرق قبائل الحلف اللمتوني بين شمال وجنوب المغرب الأقصى، مع انصرام المرابطين، وانتصاب دولة الموحدين على أنقاضهم في القرن (6هـ/12م)، فمن المفترض أنه أعقب ذلك التشتت نوعاً من التنظيم السياسي الجهوي، أفضى إلى توزيع السلطات بين القبائل الصنهاجية في مختلف جهات البلاد أواخر القرن (7هـ/13م)، فكانت السيطرة في "الكبلة" بيد قبيلة "انيزريك"؛ وفي "تكانت" و "الركيبة" لقبيلة الأنباط؛ أما في "آدرار" فالسلطة كانت بيد قبيلة "إديشلي"؛ بينما كان الحكم بيد "ابدوكل" في الشمال<sup>1</sup>.

كانت صنهاجة صاحبة خفارة قوافل السودان المارة عبر ولايتة الشنقيطية قبل القرن (8هـ/14م)، إلا أن انعدام الأمن الذي رافق الحضور الحساني في منطقة السوس الأقصى، وما خلفه من تحول الطريق التجاري باتجاه توات؛ دفع القبائل الغازية لمقارعة أطراف شنقيط، وتهديد النفوذ الصنهاجي في إكيدي، ولتخفيف التوتر تزوج الأمير الحساني عثمان بن مغفر بمروشة بنت الأحمر الصنهاجي أحد زعماء قبيلة ابدوكل، ولكن سرعان ما تحولت المصاهرة إلى عداوة؛ بسبب رغبة كل طرف الظفر بمغرم، وخفارة السفن الأوروبية التي وفدت على المنطقة مع منتصف القرن 15م<sup>2</sup>.

كما تطورت العداوة إلى قتال بين قبائل الزوايا الصنهاجية وبني حسان في القرن (9هـ/15م) - ذكرنا جانباً من أسبابها عند تصادم أولاد يونس بابدوكل - وكانت نتائجهما المحزنة لانقراض اللسان البربري في البلاد<sup>3</sup>؛ غير أن هذه السيادة شهدت شرخاً، إثر فتور العلاقات بين أبناء العمومة أولاد رزق والمغافرة، وانتهت باندلاع "حرب انتينام" سنة 1040هـ/1630م جنوب بلاد الترارزة، التي انهزم فيها أولاد رزق، ومعها تحولت السيادة العسكرية للمغافرة الذين سيروا البلاد وفق قانونهم الخاص، بفرض الضرائب، ونهب الأموال، ونشر الفتن والقتال داخل القبائل المعارضة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - المختار ولد حامد، موسوعة حياة موريتانيا (التاريخ السياسي)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م، ص 79.

<sup>2</sup> - الحسين بن محنض، تاريخ بلاد شنقيط من أقدم العصور إلى مقدم الاستعمار، د د ن، د س ن، ص 201.

<sup>3</sup> - حماد الله ولد السالم، المرجع السابق، ص 168.

<sup>4</sup> - الحسين بن محنض، المرجع السابق، ص 271.

دفعت هذه التطورات زوايا تشمشه للتراس حول زعيم لمتوني متطلع لإحياء مجد دولة المرابطين، وهو "أوبك بن أبهم بن أشفغ أبهنض" الملقب بالإمام ناصر الدين (ت 1085هـ/1674م)، فاستطاع تأسيس دولة إسلامية جمعت - تقريبا - كل سكان حوض السنغال، وبدت معالمها دينية محضة تهدف إلى تحريم تجارة الرقيق، بواسطة نشر الإسلام بين الأفارقة، وتحذير ملوكهم من النوايا الاستعمارية للشركات التجارية الأوروبية، فأصبحت هذه الحركة في نظر "شامبونو" المكلف بالأعمال الفرنسية بميناء سان لويس خطرا سياسيا واقتصاديا مهولا، يهدد التواجد الأجنبي بالمنطقة<sup>1</sup>.

أما المغفرة والمناهضين لحركته، فوجه إليهم الزعيم اللمتوني النصح بحسن التوبة، ودفع ما عليهم من زكاة مفروضة، ونتج عن ذلك نشوب حرب بين أتباع الإمام ناصر الدين بقيادته، والتحالف المغفري بزعامة إبراهيم بن أحمد بن العروسي عرفت باسم حرب شريبه الكبرى (1644/1674م)، قتل خلالها الإمام ناصر الدين في إحدى جولاتها بموقعة ترتلاس سنة 1080هـ/1674م، بينما واصل خلفاؤه الحرب بوتيرة أقل ضراوة، وانتهت الحرب بهزيمة "تن يقظاظ" الساحقة حوالي 1087هـ/1677م<sup>2</sup>، معلنة نهاية الدولة الناصرية، وبداية عهد جديد للسيطرة العربية المطلقة على بلاد شنقيط.

وكانت نهاية حرب شريبه الكبرى عام 1087هـ/1677م، مرحلة أخرى لأستتباب العنصر الحساني، وقد خلصت إلى نتائج في صالحهم. ولعل أهمها ذلك الاتفاق التاريخي الذي حدث بين الطرفين. فأصبح الحسانيون بموجبه سادة البلاد، ومعهم عزز اللسان الحساني (اللهجة العربية الملحونة) نفوذه على كافة البوادي والمدن أمام تقلص اللهجات الأخرى، بالإضافة إلى ذلك احتكر بنو حسان حمل السلاح، واقتصر حمله عند الزوايا على أوقات الحروب لا غير<sup>3</sup>.

هذا ويعرف عن قبائل الزوايا الصبر والرزانة وتفادي الحروب، فهم في الغالب يتحاشون مواجهة القبائل الحسانية، إلا أنهم كثيرا ما انجروا لمثل تلك المناوشات، وكانوا أحد طرفي نزاعها؛ والذي لا يخلو

<sup>1</sup> - أحمد جمال ولد الحسن، حركة الإمام ناصر الدين ومنزلتها من تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا، حوليات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط، موريتانيا، ع1، 1989م، ص ص 1-19.

<sup>2</sup> - أحمد جمال ولد الحسن، المرجع السابق، ص ص 1-19.

<sup>3</sup> - حماد الله ولد السالم، المرجع السابق، ص 192.

عادة من سببين: إما ديني كصراع الإمام ناصر الدين والمغفرة السابق، أو انتقامي بهدف ردع مظلمة طالتهم من قبائل حسانية، كما وقع بين كنتة وإدوعيش، وبين أولاد الناصر وتواجيو<sup>1</sup>.

وفي بعض الحالات يكون طرفي النزاع من قبيلة واحدة، فيضطر المهزم لمغادرة البلاد طوعاً أو كرهاً تحت تهديدات الطرف المنتصر. فشهدت زوايا إدواعلي بعد وفاة الشيخ أحمد بن الوافي نزاعاً قبلياً راح ضحيته حوالي 440 قتيل من إدواعلي البيض، وانتهت بهجراتهم مدينة شنقيط الأصل واستقرارهم بتجكجة المحروسة<sup>2</sup>؛ ومن الأمثلة - أيضاً - ما وقع لقبيلة مشظوف التي كانت تقيم في تكانت، ثم أجلاها ما كان ينالها من إدوعيش من أنواع الأذى مع اقتضاء الأتوات، فارتحلوا إلى أرض الحوض أواخر القرن (13هـ) في زمان إمارة بكار بن سويد أحمد (1256-1323هـ)<sup>3</sup>.

كما ارتبطت قبائل أخرى بقوى خارجية بغية ترجيح كفتها وتأمين قوتها الاقتصادية، وهو ما ندب إليه بعض أمراء الترازرة في صراع السيطرة على أرومة التجارة الساحلية (مادة الصمغ العربي)، حين تقوى الأمير علي شندورة (1703-1727م) بالسلطان المغربي مولاي إسماعيل العلوي، من أجل إخضاع جيرانه البراكنة، مقابل الاعتراف بالتبعية المغربية، لدرجة جعلت القوى الأوروبية تهاب قوته، وتسعى لعقد معاهدات شراكة استمراراً لمصالحها هناك<sup>4</sup>.

**5.5. تشكل الإمارات (المشيخات):** أفرزت الصراعات القبلية قيام عدة إمارات أغلبها عربية حسانية، باستثناء إمارة صنهاجية واحدة، استطاعت الوقوف فترة في وجه المد الحساني، مستغلة غياب الثقة وتنافس القبائل العربية<sup>5</sup>، ونذكر من تلك الإمارات العربية والصنهاجية اختصاراً:

**1.5.5. الإمارات العربية<sup>6</sup>:** تنسب إلى قبائل بني حسان العربية المكونة من خليط أجناس ذات غالبية حسانية، لذلك رُجِّحَ الاسم العربي على باقي المسميات، وهي خمسة بطون:

<sup>1</sup> - أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 492.

<sup>2</sup> - عبد الله بن الحاج إبراهيم، صحيفة النقل في علوية إدواعلي وبكرية محمد قل، مخطوط، بركبول، موريتانيا، ص 15.

<sup>3</sup> - بابا بن الشيخ سيديا، المصدر السابق، ص 21.

<sup>4</sup> - Cour Internationale de Justice, Sahara Occidental, Volume3, mémoires plaidoiries et documents, La Hague, Hollande, P 73.

<sup>5</sup> - أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 479.

<sup>6</sup> - المختار ولد حامد، الموسوعة السياسية، المرجع السابق، ص 96-97.

أولاً: إمارة المغفرة (بنو مغفر بن أودي بن حسان)، وتفرعت منها ستة فروع:

أ- إمارة البراكنة (بنو بركني بن هداج بن عمران بن عثمان بن مغفر)، وشملت إقليمي البراكنة وكركل برئاسة أولاد عبد الله بن كروم بن بركني (أحمد وأخيه أعلي)، وبقيت متوارثة بين أحفادهما.

ب- إمارة الترازرة، تُنسب إلى تروز بن هداج بن عمران بن عثمان بن مغفر، فهم آخر أجناس حسان شنقيط مما يلي السنغال، وأرحمهم بالزوايا، حتى قيل فيهم: "يومان لا ظلم فيهما يوم القيامة إذ يقول الله تعالى: لا ظلم اليوم؛ ويوم ينظر الإنسان إلى خيم أبناء أحمد من دامن، لأنه يكون يومئذ آمنة"<sup>1</sup>، وهذا كناية عن عدل ورجاحة عقل الأمير أحمد بن دامن، الذي جَنَّب زوايا تشمشه فتنة إبراهيم بن أحمد العروسي، إثر حرب شربه الكبرى، جراء ممالأتهم أولاد رزق في خلافهم ضد المغفرة.<sup>2</sup>

ج- رئاسات أولاد مبارك (ابن أحمد بن عثمان بن مغفر) في الحوض وشمال مالي؛ وتفرع منها فرعان كبيران، هما: رئاسة أهل محمود الزناكي، ورئاسة أولاد أوديكة بن النبيكة بن لغويري.

د- رئاسات أولاد داود (ابن أحمد بن عثمان بن مغفر) في الحوض وشمال تكانت؛ وأشهر فروعهم: أولاد بوفاييد، وأولاد بلله، وأولاد طلحة.

هـ- إمارة أولاد يحيى بن عثمان بن مغفر في آدرار، وهي من أقوى الإمارات المغربية امتدادا وتأثيرا، بحكم موقعها الإستراتيجي المتحكم في موارد التجارة الصحراوية، حيث امتد نفوذها فترة قوتها من وادي الساقية الحمراء شمالا إلى أطراف الكبلة جنوبا (نطاق الترازرة والبراكنة)<sup>3</sup>.

و- رئاسة أولاد الناصر بن مغفر في منطقة الحوض.

ثانياً: رئاسة أولاد دليم بن أودي بن حسان؛ ومن إماراتها: أولاد المولاة، وأولاد اللب بن الشويخ في منطقة انشيري، وبطون أولاد الرميثيه في تيرس زمور.

ثالثاً: رئاسة أولاد رزق بن أودي بن حسان في منطقة الكبلة، وهذه أخضعها المغفرة.

<sup>1</sup> - أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 481.

<sup>2</sup> - الحسين بن محض، المرجع السابق، ص 271.

<sup>3</sup> - Cour Internationale de Justice, Op. Cit. P 74.

**رابعاً:** رئاسة أولاد أعزوك بن أودي بن حسان في منطقة الحوض؛ وأشهر فروعها: أولاد عكبه، وأولاد يونس، وأولاد داود.

**خامساً:** رئاسة البرابيش في منطقة أزواد شمال مالي، وهي خارج بلاد شنقيط.

**2.5.5. الرئاسات الصنهاجية<sup>1</sup>:** هي إمارة موروثية عن المرابطين، ضعفت عند دخول بني حسان لبلاد شنقيط، ثم قامت من جديد حوالي القرن (11هـ/17م) بهدف إعادة بعث دولة أجدادهم، وتشكلت إمارتان: واحدة حسانية (ايدوعيش)، والأخرى زوايا (دولة الإمام ناصر الدين).

**أولاً:** إمارة ايدوعيش، عاشت في ظل النزاعات والحروب، وانقسمت سنة 1236هـ إلى قسمين:

أ- إمارة الشرايب في الركبية، التي انشقت عنها رئاسة أهل سيدي محمود.

ب- إمارة أبكاك في تكانت، وعنها انشقت إمارة مشظوف في بلاد الحوض.

**ثانياً:** دولة الإمام ناصر الدين، وقد نشأت كحركة دينية في زوايا الكبلية في النصف الثاني من القرن (11هـ)، وتولى منصب الإمامة قبل سقوطها أهل بني ديمان، ثم انتقلت إلى قبيلة اديجيه.

حوصلة القول؛ أن وضع الاستقرار السياسي؛ أثر على قبائل الإمارات المنكسرة وأحلافها، فالحساسية الطبقيّة شكلت في كثير من الحالات عامل تفرقة، نتج عنها حروب دامية، قامت على إثرها قبائل وانطفأت شمعة قبائل أخرى، ومثل هذه السمات تطغى عند شعوب البلاد الصحراوية السائبة، المفتقرة للحكم الراشد المبني على العدالة الاجتماعية والوحدة الترابية.

وفي ختام هذا المدخل التمهيدي؛ اتضح لنا أن البنية التضاريسية شكلت عامل تجانس طبيعي، فالمميزات البيئية الصحراوية من رياح وحرارة وقلّة تساقط، عمّت كامل تراب الإقليم التواتي؛ والشيء نفسه ينطبق على أغلب المناطق الشنقيطية، باستثناء الأجزاء الغربية والجنوبية الغربية المطلة على المحيط الأطلسي ونهر السنغال، التي تشهد - أحيانا - كميات تساقط معتبرة خلال فترات السنة، ساعدت على توافد أجناس عربية وبربرية وزنجية للاستقرار، وتشكيل طبقات اجتماعية متباينة التكوين والتأثير، بعضها دخل في دوامة صراعات من أجل فرض الوجود، متجاهلا الخطر المحدق من مختلف الجهات،

<sup>1</sup> - المختار ولد حامد، الحياة السياسية، المرجع السابق، ص 181.

وهو ما جعل أهالي المنطقتين تحت غطاء التبعية الخارجية والتدخلات الأجنبية؛ كما فتح هذا التمايز السكاني باب الاحتمالات والفرضيات على مصراعيه، لتحديد أصول المسميات ومشتقاتها، وهو ما أكدته جُلُّ الدراسات، حين ربطت اسم شنقيط بالدويلات والقبائل المسيطرة على مجالاتها؛ بينما انشطر المختصون لتحديد أصول تسمية توات، وسعى كل طرف ترجيح رأيه، استنادا لوقائع تاريخية، وأخرى لغوية، تعلقت بمناطق الإقليم قاطبة على مر العصور.

## الفصل الأول: العلاقات الاجتماعية والروحية بين المجتمع التواتي والشنيطي

- المبحث الأول: القبائل المشكلة لنمط التواصل الاجتماعي
- المبحث الثاني: دور الطرق الصوفية في التواصل الروحي
- المبحث الثالث: العوامل المؤثرة في التواصل الاجتماعي
- المبحث الرابع: الأثر الناتج عن التواصل الروحي والاجتماعي

يأتي التصوف وأعلامه بمنزلة الرأس من الجسد عند المجتمعات الصحراوية، والجرعة التي تضخ الجسم بدماء جديدة، لتطهير القلوب وتركيز النفوس من الشوائب، ولنا في التاريخ الإسلامي شواهد كثيرة عن رجال كانوا مفاتيح علاقات حضارية بين الشعوب، انبعثت حركاتهم روحية المنبت، ثم ما لبثت أن تتغلغل في الأعماق، عن طريق زيادة المنضويين في مشروعهم التربوي، لدرجة تخطي حيز القبيلة والمصر الواحد لملامسة القبائل والحواضر المجاورة. كما إن نجاح أي مشروع كفيل بتداخل عدة أطراف مؤثرة تشارك في خلق تجانس قبلي، وهو ما تفرزه تنقلات الأفراد والجماعات بين حواضر التواصل، فيتم من خلالها نقل الأفكار الجديدة مع ما هو كائن، بهدف تأسيس رابطة بعيدا عن معوقات الجغرافيا التي تصير عامل تقارب أكثر من تباعد، وعن طريقها يلتئم شمل القبائل وتتطلع للتعارف، كما هو الحال بالنسبة للمجتمع التواتي والشنقيطي.

## المبحث الأول: القبائل المشكلة لنمط التواصل الاجتماعي

إن ثقافة الترحال سبيل الإنسان لمعرفة حضارات الشعوب، فالنسق الاجتماعي يفرض تكوين علاقات متعددة الأطراف، خاصة إذا توافقت الطابع البيئي الجديد مع العادات والتقاليد المألوفة، فيتم بذلك تأسيس صرح حضاري يغطي مجالات عدة، تتوارثه الأجيال أبا عن جد.

### 1. القبائل المتنقلة (المهاجرة)

نقصد بها القبائل التي كانت سببا في التواصل الاجتماعي والروحي، وكان سبيلها لتحقيق ذلك الهجرة من موطنها إلى موطن آخر، واستطاعت تكوين أسر لازالت تحافظ على نسق التواصل القبلي، ومن أهم تلك القبائل شرفاء أولاد السي حمو بلحاج، وعرب كنتة من بني الرقاد.

**1.1. أولاد السي حمو بلحاج:** تنسب القبيلة لمحمد بن الحاج الحسن بن محمد بن عبد الله بن المولى محمد بن مولاي علي الشريف الفيلاي السجلماسي، اشتغل برسم التجارة بين تافيلالت وبلاد التكرور إلى أن وافاه الأجل بتنبكتو عام 1044هـ/1635م، مخلفا وراءه ثروة هائلة تقاسمها ثمانية أبناء ذكور<sup>1</sup>،

<sup>1</sup> - مولاي أحمد (محمد)، مولاي عبد الكريم، مولاي عبد القادر، مولاي أحمد البريشي (نسبة إلى الموضع الذي سكنه بزواوية كنتة ومنه حمل القصر الحالي اسم بريش) إليه ينتسب الشرفاء البريشيين، مولاي الزين، مولاي الشيخ المعروف مولاي الشريف، مولاي عبد الملك، مولاي عبد الله، ونزل الإخوة السبعة تباعا في ضيافة الشيخ أحمد بن محمد بن الرقاد ي زواوية كنتة، صاهروه عن طريق زواج بناته وبنات أولاده، باستثناء مولاي الزين جد آل الرقاني الذي رجع إلى مسقط رأس أبيه في تافيلالت.

تتابعوا متفرقين للاستقرار بالزاوية الرقادية بتوات، حيث يعتبر مولاي أحمد أول الوافدين بعد تحصيل تركة والده العالقة بتنبكتو، وذلك بتفويض من إخوانه السبعة؛ لأن عادة السودان حفظ مال المتوفى ببلادهم من البيضان، فلا يسلم لأحد حتى يأخذه من ينوب على مستحقه<sup>1</sup>.

مع هجرات أبناء وأحفاد حمو بلحاج لمنطقة السودان الغربي، بدأ عهد جديد في التأريخ للعلاقات الاجتماعية والروحية التواتية - الشنقيطية، والتي مرت عبر قنوات مختلفة؛ أهمها: التصوف والقوافل التجارية؛ هذه الأخيرة، قادت مولاي عمار<sup>2</sup> بن مولاي فضيل من ذرية مولاي عبد المالك بن حمو بلحاج، القادم من واحة تاخيفت بزاوية كنته إلى النزول بولاية نهاية القرن (12هـ/18م)، بعدما كان يعمل برسم التجارة بين توات وبلاد التكرور مروا بولاية<sup>3</sup>.

وتعتبر الفترة المتقدمة؛ مرحلة مهمة في هجرات أولاد حمو بلحاج. فالروايات الشفوية والوثائق التاريخية الملمة بتاريخ العائلة، تقدم تفسيرات منطقية لمراحل تتابع تلك الهجرات، وبواسطتها نكتشف مغالطات بول مارتى، الذي أصاب من جهة ضبط فتراتهما أواخر القرن (17م)، بينما أخطأ في نسبة مولاي الشريف بن محمد لأهل مولاي الشيخ (الشريف)<sup>4</sup>؛ فهو جد آل الخليفة المنحدرين من مولاي عبد القادر بن حمو بلحاج، وليس من أحفاد آل مولاي صالح بن محمد بن مولاي الشيخ بن حمو بلحاج، الذين التحقوا بولاية - أيضا - نهاية القرن المنصرم نفسه.

ومما يعضد الرأي المخالف؛ الحضور الشخصي لحفيد حمو بلحاج المباشر، محمد بن مولاي عبد القادر رفقة ابنه مولاي الشريف وبعض أقاربه<sup>5</sup>، في قضية سداد دية قتيل أحد الشرفاء غير التواتيين

<sup>1</sup> - ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 401.

<sup>2</sup> - أحد شرفاء ولاية النازحين إليها من توات، مشهور بالكرم والجدود، توفي عام 1234هـ/1819م؛ ينظر، الطالب أبوبكر بن أحمد المصطفى المحجوبي وآخرين، حوليات ولاية، تحقيق، سيدي عبد الله بن البخاري، إشراف، ددو بن عبد الله، بحث لنيل شهادة الماتريز، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط، السنة الجامعية: 1991-1992، ص 32.

<sup>3</sup> - بول مارتى، القبائل البيضانية، المصدر السابق، ص 227.

<sup>4</sup> - نفسه والصفحة.

<sup>5</sup> - حضر اللقاء من جهة شرفاء أولاد سيدي حمو بلحاج: سيدي محمد بن مولاي عبد القادر وسيدي محمد بن عبد الهادي ونجله مولاي الشريف وأخاه المرحوم مولاي عبد الوثيق، بالإضافة إلى سيدي محمد بن مولاي صالح، وأعطوا دية القتيل مولاي أحمد بن مولاي الزين لأخيه مولاي محمد بن مولاي الزين مع بني عمه وإخوته بحضور إداوعللي؛ ينظر، MAHDI Ould Moulay El Hassane, Tafillat Au Hodh Chargui- La Saga Saharienne De Awlad Sidi

المتواجدين بولاية عام 1149هـ/1737م، وهو ما يؤكد أسبقية هجرة أبناء مولاي عبد القادر وأحفاد أخيه مولاي الشيخ إلى ولاية، التي ستعرف مع مرور الزمن اكتساحا مكثفا للشرفاء من ذرية مولاي علي الشريف سواء القادمين من تافيلالت أو توات فيما بعد.

**2.1. القبائل الكنتية:** تنتشر بطونها - كما سبق ذكره - في أرجاء الصحراء الكبرى والسودان، وعرفت القبيلة بواسطة أحفاد الشيخ محمد الكنتي بن علي طفرة توسعية رحبة، وهذا بعد انجاب بنت يعقوب الحكني من ابنه الشيخ أحمد البكاي<sup>1</sup> ثلاثة أبناء، ترجع إليهم كل فروع قبائل كنتة الحالية: محمد الكنتي الصغير، والطالب بوبكر الحاج، وأعمر الشيخ<sup>2</sup>.

**1.2.1. محمد الكنتي الصغير:** سمي الصغير تميزا عن جده لأبيه، وهو جد أكثرية كنتة الحوض والغرب عن طريق أبنائه السبعة<sup>3</sup>، عاش آخر حياته بتكانت قادما إليها من ولاية، توفي حوالي سنة 1550م، ودفن بفركش في الجنوب الغربي لآدرار، ورث عن أبيه كابن بكر النفوذ السياسي، تاركا لأخيه الأصغر أعمر الشيخ المشيخة الدينية<sup>4</sup>، ويعمر أحفاده - حاليا - البلاد الممتدة من الطرف الغربي للساقية الحمراء إلى تيرس وآدرار وتكانت وأوكار، منتجعين الخيام بحثا عن المراعي والكلاء لقطعانهم، وتنتشر مراكزهم التجارية في بانغو والريف المحيط بها وصولا إلى فوتا تورو<sup>5</sup>.

**2.2.1. الطالب بوبكر الحاج:** جد الهمال وعشيرة أهل الأزرق وأهل بوسيف، اختاره والده لنشر الدعوة الإسلامية في السنغال، فأقام بين سكانها مدة يعلم جاهلهم وينبه غافلهم، ويغرس فيهم الفضائل، ويدعوهم إلى الله تعالى بكرة وعشية، سالكا سلوك الأكرمين والهداة المتقين في سماحة ونزاهة

---

Hamou Ben Elhaj, Institut des Etudes Africaines Etude Africaines Rabat, Université Mohamed V – Souissi, 2002. P 328.

1 - أحمد البكاي بن أحمد الخليفة الكنتي (ت 920هـ/1515م)، منح لقب البكاي من قبل معاصريه لبكائه مائة عام ندما على صلاة واحدة فاتته جماعة؛ ينظر، بول مارتى، كنتة الشريون، المصدر السابق، ص 29.

2 - سيدي محمد الخليفة الكنتي (ت 1242هـ/1825م)، الرسالة الغلاوية المسماة مبردة الغليل وشافية الغل من صدور جميع المؤمنين خصوصا بني محمد غل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1434هـ/2013م، ص 166.

3 - بول مارتى، القبائل البيضانية، المصدر السابق، ص 136.

4 - نفسه، ص 145.

5 - Ismael Hamet, Le Kounta, Revue Du Monde Musulman, Publiée par La MISSION socentifique Du Maroc, Numéros 6-7, Juillet-Aout 1911, P P 302-318.

وزهد وكرم خلق، وما زال أحفاده قائمين بهذا الدور في زاوية أقبلي، التي تنسب لحفيده الشيخ محمد أبي نعامة بن عبد الرحمن السائح ابن محمد أبي نعامة بن عبد الرحمن الهامل<sup>1</sup>.

عن طري عبد الرحمن الهامل وأخوه أحمد الفقيه، تتشكل أفخاذ كتنة الهمال<sup>2</sup>، والتي يمثلها أولاد أحمد كتنة الفقيه في بلاد أزواد، وأولاد عبد الرحمن وأهل الأزرق في تجكجة؛ وأهل أبو نعامة في السنغال<sup>3</sup> وأقبلي جنوب شرق توات؛ وأهل الشيخ المختار بن محمد بن عبد الرحمن الهامل، مؤسس نواة العائلة الكنتية بقرية تيمادين التواتية، حيث كان معاصرا للشيخ مولاي عبد الله الرقاني<sup>4</sup>، وجمعه به صلة وثيقة ترجمتها المراسلات المتبادلة بينهما<sup>5</sup>.

### 3.2.1. عمر الشيخ الكنتي: تسمى القبائل المتصلة بأعمر الشيخ وبيكر الحاج كتنة الشرق

تميزا عن كتنة الغرب، ويجمع أحفاد عمر الشيخ في أبنائه الثلاث: أحمد الملقب بالفيرم جد الرقاودة؛ والمختار الشيخ جد أولاد الشيخ؛ والوافي جد أولاد الوافي؛ والثلاثة والدتهم فاطمة بنت ألفتغ ايلب من عشيرة ايديشلي الصنهاجية، عاش أبوهم حياة أجداده متنقلا مع تلامذته وأتباعه في البلاد الممتدة من الساقية الحمراء إلى شرق توات، وزيان، وعرق شاش، ووادي الشب<sup>6</sup>.

باعتبار أن توات ركيزة الكنتين ومنطلقهم، فيها قصور وزوايا وأملاك بأسمائهم، اعتاد أجدادهم التردد عليها رغم الإنقطاع في الأصقاع<sup>7</sup>، فمن الذين خيروا الرجوع لموطن الأجداد: المختار الشيخ

<sup>1</sup> - يعرف بالشيخ سيدي محمد أبي نعامة الصغير، ولد بأرض الساقية الحمراء من الصحراء الغربية عام 1060هـ/1650م، وتوفي بتدكلت من أرض توات عام 1163هـ/1750م؛ ينظر، مولاي التهامي الغيتاوي، سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحى إقليم توات، العالمية للطباعة والخدمات، الجزائر، 1434هـ/2013م، ج1، ص 82.

<sup>2</sup> - سيدي محمد الخليفة الكنتي، المصدر السابق، ص 173

<sup>3</sup> - المختار بن حامد، الجغرافيا، المرجع السابق، ص 57.

<sup>4</sup> - يعرف بالشيخ مولاي عبد الله الرقاني نسبة إلى بلدة رقان جنوب توات، إليه ينتسب أبناء الرقاني في توات وغيرها. عاش في القرن (12هـ/18م)، وكان رحمه الله تعالى واليا وارعا زاهدا كثير الخير وافر الحرمة ذا منزلة عظيمة من أكابر مشائخ عصره؛ ينظر، محمد عبد القادر بن عمر بن عبد الرحمن التلاني، المصدر السابق، ص 11.

<sup>5</sup> - عزيزي عقباوي بن بوبكر الهاملي الكنتي، النفحات البهية في أفنان الشجرة الكنتية، ط2، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2016، ص 65.

<sup>6</sup> - Ismael Hamet, Op. Cit, P P 302-318.

<sup>7</sup> - مبارك جعفري، الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص 236.

المتوفى بزواوية كنته؛ وحفيد أخيه أحمد الفيرم، ونعني به الشيخ أحمد بن محمد الرقاد، الذي قدم من واد نون بالصحراء الغربية وأسس زاوية كنتة أواخر القرن (10هـ/16م)، التي ذاع صيتها وقصدتها وفود الطلاب من الجهات المختلفة، وخلف بها ثمانية أبناء صالحين انتفع بهم خلق كثير، وإليهم تنسب الأفخاذ الرقادية المتفرقة في البلاد السودانية والموريتانية والمغربية<sup>1</sup>.

والمتفق عليه؛ أن المجموعات الرقادية من صلب الشيخ أحمد بن محمد الرقاد، خرجت من توات وتوزعت في الأصقاع، "وكثر فتوحاتهم وظهرت بركاتهم على مريديهم بالمغرب وموريتانيا ودول السودان ... التي تركوا بها فروعهم المتكاثرة وآثارهم المنتشرة ... وكلهم خرجوا من الزاوية الرقادية الكنتية التواتية، ومن لم يخرج منها فليس من الرقادة أصلا، لأن محمد الرقاد لم يخلف إلا أحمد، وأحمد لم يخلف ولدا في غير الزاوية الكنتية، ولم يترك عقبا بسواها، وإنما خرج أولاده وأحفاده من الزاوية في أزمنة متفرقة إلى الأماكن النائية على سبيل الدعوة إلى الله والتربية والتعليم ..."<sup>2</sup>.

هكذا، تدعمت العلاقات البشرية التواتية - الشنقيطية بدماء رقادية، فالمؤرخ الموريتاني المختار بن حامد، أدرج ضمن سلسلة القبائل الكنتية المقيمة في النعمة طائفة الرقادة<sup>3</sup>؛ ومكان إقامة هذه الطائفة في منطقة الحوض الشرقي وتگانت، وتعود نسبتها لأبناء الفقيه التواتي الشيخ محمد المصطفى بن أحمد بن الرقاد الكنتي دفين أروان، عن طريق أحفاد ولديه الشيخ عمر والشيخ عبد المومن، وكذلك أخيه الشيخ أعر بن أحمد أبو الجماعة الرقادية<sup>4</sup>.

كما نشير إلى تواجد مصدر كنتي آخر من أحفاد الوافي، يرتبط ببابا أحمد بن الشيخ المختار الكنتي الكبير، الذي غادر أزواد إلى الحوض ما بين سنتي 1820 و1825م، وبذلك يكون جزء من أحفاد أعر الشيخ الابن الثالث للشيخ أحمد البكاي، وعند مماته سنة 1855هـ/1840م، ترك نواة

<sup>1</sup> - مولاي التهامي الغيتاوي، المرجع السابق، ج1، ص 79.

<sup>2</sup> - نفسه، ج1، ص 75.

<sup>3</sup> - المختار بن حامد، الجغرافيا، المرجع السابق، ص 57.

<sup>4</sup> - أحمد ولد محمد ولد عالي الرقادي، تسجيل صوتي، صحفي بالإذاعة الموريتانية وباحث مهتم بتاريخ القبائل الكنتية، تم التسجيل عبر وسيلة التواصل الاجتماعي "الواتساب"، يوم 2022/11/9، الساعة: 10:00 صباحا، نواكشوط، موريتانيا.

أفخاذ أهل الشيخ الثلاثة الموجودة في الحوض، وهم: أهل حمادي بن بابا أحمد، وأهل بابا بن البكاي، وأهل الشيخ بن عابدين الذين انضموا لأبناء عمومته المقبلين من تكانت<sup>1</sup>.

**3.1. القبائل الحسانية:** تتحدث كتب الحوليات عن وفود حسانية من أولاد دليم، استوطنت بعض القصور التواتية في القرن (10هـ/16م)، ومن أهم رئاسات أولاد دليم: أولاد المولاة، وأولاد اللب، ولوديكات، وأولاد نكدي، وأولاد باعمر، وأولاد لخليكة، والسراحنة<sup>2</sup>. وقد أشار الباحث الموريتاني حماد الله ولد السالم إلى انتقال أحد فروع قبائل أولاد دليم جراء الحروب القبلية نحو توات ووادي درعة والحوض الشرقي، وهذا الفرع يسمى أولاد سالم بن الشويخ بن دليم الذين اشتهروا بقوة الشكيمة والبسالة، لكنهم تفرقوا بعد إحدى المعارك؛ فسمي عامها "عام اخصاره أولاد سالم"<sup>3</sup>.

كما يذكر المؤرخ المختار بن حامد، أن فرع من أولاد المولاة كانوا ينتجعون إقليم أزواد، ويعيشون على الحروب والغزو، مما دفع البرابيش إلى إجلاهم نحو أركشاش (عرق شاش) حوالي عام 1220هـ/1805م، وذلك عقب مقتل زعيمهم محمد العلوم بن أحمد الأقرع بن عبد الرحمن، فحالفوا أولاد سالم بن الشويخ<sup>4</sup>، هذا وتحفظ التواريخ التواتية أن أبناء عمومة أولاد المولاة في توات، كانت لهم صولات وجولات داخل الإقليم ضد أولاد زنان في موقعتين: الأولى قرب فنوغيل عام 1266هـ/1850م؛ والثانية جنوب بودة عام 1296هـ/1879م<sup>5</sup>.

وحرى بنا التنوية بأن الفرع الحساني من أولاد سالم بن الشويخ بن دليم، حلفاء أولاد المولاة في مناطق شنقيط، كانوا ضحايا تحالفات - حسب ما تنقله الروايات الشفوية - لم تبق من أسرهم إلا آحاد تفرقوا بين القبائل الشنقيطية والصحراوية<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - بول مارتى، القبائل البيضانية، المصدر السابق، ص 145-146.

<sup>2</sup> - المختار بن حامد، الحياة السياسية، المرجع السابق، ص 100.

<sup>3</sup> - محمد صالح بن عبد الوهاب، المصدر السابق، الهامش، ص 84.

<sup>4</sup> - المختار بن حامد، الحياة السياسية، المرجع السابق، ص 101.

<sup>5</sup> - Bernard Saffroy, Op.Cit P. 1.

<sup>6</sup> - محمد الأمين ولد أحمد، تسجيل صوتي، موظف لدى شركة مصرفية خاصة تتبع للبنك الشعبي الموريتاني BPM وباحث في تاريخ قبيلة أولاد دليم، تم التسجيل عبر وسيلة التواصل الاجتماعي "الواتساب"، يوم: 11-11-2022، الساعة: 20:00، نواكشوط، موريتانيا.

من خلال استقراء بعض المعلومات المتعلقة بالقبائل الحسانية، لم نعثر خلال فترة دراستنا - على الأقل - على تواصل مباشر بين المنطقتين، إلا ما نقلته دراسات متفرقة عن هجرات من صحراء أزواد وشنقيط غير محدودة الأطر، وإن وجدت فأغلبها يعتره التضارب والدقة، مما يجعل البحث في تاريخ القبيلة وعلاقتها بمناطق توات غامض إلى حد كبير، ومن تلك الإشارات:

✓ نشرة الجمعية الفرنسية حول أصول شعوب توات عام 1905، ذكرت أن زاوية سيدي حيدة (من عرش بودة) بنيت عام 1044هـ/1635م، من طرف سيدي حيدة الهداجي الشنقيطي، وسكان زاوية لحشف من مرابطي الهداج الشناقطة<sup>1</sup>؛ غير أن الذي تحفظه الذاكرة الشعبية وتدونه الكتابات التاريخية، أن سكان القصر الأخير جعافرة زينبيون لكنهم ليسوا شناقطة، من أحفاد محمد بن ناصر الجعفري، انتقلوا من المغرب الأقصى إلى وادي الساورة ثم توزعوا في ربوع توات<sup>2</sup>.

✓ تتعلق بأحد فروع البرابيش ذكروا في نوازل القصري، ونعني بهم قبيلة أولاد يعيش القاطنون في صحراء أزواد والسودان الغربي وبعض مناطق توات، فالنوازل تحدثت عن أعريب أولاد يعيش كانوا ضمن قافلة تجارية، انطلقت من قصر بوعلي التواتية إلى النعمة الشنقيطية<sup>3</sup>.

**4.1. قبيلة إداوعلي:** عندما نتحدث عن قبيلة إداوعلي العلاوية الشنقيطية، يتبادر للأذهان محمد بن بكو الإداوعلي الشنقيطي، مؤسس الأسرة الإداوعلية العلاوية بتوات خلال القرن (12هـ/18م)<sup>4</sup>، فتذكر الروايات أنه تزوج أحد بنات عمه الحاج مولود بن الأمين بكو في قرية أعباني (من أعمال دائرة فنوغيل حالياً)، وخلف هناك ذرية يحملون لقب العائلة الكبير "إداوعلي"<sup>5</sup>، وهو بذلك ساهم في بعث

<sup>1</sup> - L'Officier - Interpréte, Origines des Pouplations du Touat, Bulletin De Société De Géographie D'Alger Et De L'Afrique Du Nord, Dixième Année , 2em, Trimestre, 1905, PP: 209-246.

<sup>2</sup> - أحمد أبا الصافي جعفري، سلسلة رجال في الذاكرة الشيخ سيدي محمد بن المبروك البداوي الجعفري 1198هـ حياته وشعره، ط1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص 10.

<sup>3</sup> - القصري محمد بن المختار بن عثمان بن القصري، نوازل القصري، تحقيق، أبو الفضل الدمياطي، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2009، ج4، ص: 359.

<sup>4</sup> - أحمد أبا الصافي جعفري، سلسلة رجال في الذاكرة الشيخ سيدي محمد إداوعلي (ق12هـ) حياته وأشعاره، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2009، ص 7.

<sup>5</sup> - عبد الوهاب إداوعلي، مقابلة شفوية، مدير متوسطة من أحفاد سيدي محمد بكو الإداوعلي بتوات، يوم الإثنين 1 أوت 2022، الساعة الخامسة والنصف مساءً، قصر أعباني، دائرة فنوغيل، ولاية أدرار، الجزائر.

علاقات اجتماعية بين توات وشنقيط وتنبكتو، على اعتبار أنه نسج روابط عائلية بالمواطن الثلاث، وعلاقات أخرى اجتماعية وعلمية مع أعلام تواتيين.

## 2. القبائل المقيمة (المستقرة)

هي القبائل التي أسست علاقات ثنائية مع قبائل الطرف الآخر لدواعي مختلفة، وحتى إن كانت لها رحلات، فلم يكن الغرض من ورائها الإقامة والتوطن، بل انحصرت في تبليغ رسائل أو القيام بمهام خارجية من أجل رسّ الروابط، ومن ثمّ الرجوع للموطن، ونذكر من بينها:

**1.2. المحاجيب:** يعتبر المحاجيب أول من سكنوا ولاية من العرب البيضان الذين استقروا في المنطقة حوالي القرن 7هـ/13م، ويطلق الاسم على ثلاث تشكيلات قبلية، تحالفت فيما بينها، وشكلت أهم تجمع سكاني في المدينة: أولاد الفقيه عثمان، وآل اند اعلي، والإمامات؛ ثم تقاسموا الأدوار، فتوارث أولاد الفقيه عثمان العلم؛ وآل اندا اعلي القضاء؛ والإمامات كانوا يتولون إقامة الصلاة حتى انقرضوا<sup>1</sup>. وعرفوا بالمحاجيب؛ لأن نساءهم كن لا يتزوجن من الأجانب؛ ولا يخرجن من البيوت، فالاسم اقتصر في البداية على عشيرة أولاد الفقيه عثمان، ثم شمل باقي العشائر المشكلة للتحالف القبلي<sup>2</sup>.

يحظى محاجيب ولاية بمكانة اجتماعية مرموقة، نظير إشرافهم على الخطط الدينية بالمدينة، ويتنازلون رمزيا عن الرئاسة المدنية لصالح شرفاء توات من أولاد حمو بلحاج؛ عملا بمبدأ تقاسم الأدوار التمثيلية داخل المجتمع الواحد<sup>3</sup>، فهؤلاء المحاجيب كانوا حريصين على توثيق الصلة بعائلة البكري التواتية، عن طريق مراسلات أولاد الفقيه عثمان المحجوبي الولاتي لأحفاد الشيخ عمر الباز التواتيين، يمتدحونهم بشتى الأوصاف، ويذكرونهم بالعرق الدموي المشترك بينهم<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - إبراهيم أحمد فال، التراث الثقافي والمعمار لمدينة ولاية التاريخية، ط1، دار كنوز التراث للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2021/1442، ص 36.

<sup>2</sup> - أحمد الحمدي، المختار الكبير الكونتي، المرجع السابق، ص 77؛ حماه الله ولد السلام، المرجع السابق، ص 247.

<sup>3</sup> - Ismael Hamet, Villes Sahariennes, Revue Du Mondes Musulman, Op. Cit, Voulum 19, Avril-Mai-Juin, 1912, Paris, P P 260-279.

<sup>4</sup> - محمد بن أبي بكر المحجوبي، رسالة من محاجيب ولاية لأحفاد عمر الباز في تمنظيط، وثيقة مخطوطة، خزانة الطالب ب بكر المحجوبي، ولاية، ص 2

غير أن الذي يجمع القبيلتين لا يعدو أن يكون سوى مصاهرة؛ فالذي تذكره الوثائق أن قبيلة النفاع المندمجة ضمن التنظيم القبلي المحجوبي، يتصل نسبهم بجدهم البكرين الشيخ عمر الباز، الذي هجر توات، وتوفي ضواحي ولاتة سنة 872هـ/1468م، وهناك تزوج بمرأة محجوبية ولدت له ابنه إبراهيم المكنى أبا الفضل، والذي عاش بولاتة وانصهر مع أخواله المحاجيب، وصار يعرف حفيده بالنعاعي الشريف أبي بكر بن إبراهيم بن عمر الباز الإدريسي الحسني الفاسي<sup>1</sup>.

تعضد وثيقة مؤرخة سنة 1315هـ/1898م هذا القول، وهي وثيقة ختمت بشهادة كبار عدول ولاتة، أمثال: الطالب بوبكر بن أحمد المصطفى؛ وابن عمه باب الجنة بن أبي كف المحجوبيان؛ والفقير المحقق محمد يحيى بن محمد المختار الداودي<sup>2</sup>، الذين أقروا أن أبناء جدو بن النفاع المحجوبي، ينتسبون لجدهم الشريف أبي بكر بن إبراهيم المكنى بأبي الفضل من آل بيت المصطفى عليه السلام<sup>3</sup>؛ وبالتالي اندمجت نسبة الأعمام في الأحوال، فأصبح أبناء النفاع جزءا لا يتجزء من قبيلة المحاجيب الكبيرة.

**2.2. الأغلال أو الأقلال:** من قبائل الزوايا القرشية، ينتسبون إلى أبي بكر الصديق (رض) عن طريق جدهم محمد قلي بن إبراهيم بن بك، عقب ثلاثة أبناء، هم: محم، ومالك، و بنت لهواشم. ومالك ذريته ما تسمى أولاد مالك، أما محم فله ولدان، هما: موسى جد أولاد موسى الذين يتوطنون الحوض الشرقي ومدينة شنقيط؛ ومحم ذريته بالحوض الغربي والركبية<sup>4</sup>، وفي جميع بطون أغلال الحوض مواطنون أو أتباع من مهاجري بني حسان وإيدوعيش أو من شتى بطون الزوايا من شرفاء وغيرهم، فضلا عن أتباعهم من لحمة أولاد مبارك، وفصائل من أولاد دليم، وغيرهم من القبائل الغارمة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - يحفظ عمرو إنجييه محمد عبد الله، سيدي بوبكر النعاعي المحجوبي حياته وآثاره العلمية، بحث غير منشور، 2022، ص 3.

<sup>2</sup> - محمد يحيى بن محمد المختار الولاقي الشنقيطي (ت 1330هـ/1912م): تولى خطة القضاء جهة الحوض الشرقي لبلاد شنقيط، كانت له تأليف كثيرة نافلة، وفتاوى وجدالات فقهية، منها مراسلاته مع ابن أحمد زيدان في الرد على قصر صلاة البادية...؛ ينظر، أحمد بلعراق التكني، إزالة الشك والريب والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط، دراسة وتحقيق وتقديم، الهادي المبروك الدالي، د د ن، د س ن، ص 131-132.

<sup>3</sup> - يحفظ عمرو إنجييه محمد عبد الله، المرجع السابق، ص 5.

<sup>4</sup> - ماء العينين ولد محمد فاضل القلقمي، كتاب الأنساب في صالح الأنساب، د د ن، د ت، ص 59-60.

<sup>5</sup> - المختار بن حامد، الجعرافيا، المرجع السابق، ص 61.

يمثل أولاد موسى<sup>1</sup> الفخذ الغلاوي الذي سيكون له دور بارز في دراساتنا، فهو يحتوي العالم الحيسوبي، الحاج أحمد بن الأمين الغلاوي التواتي<sup>2</sup>. وحول جذور علاقات عائلة الغلاوي بتوات، يذكر الباحث الموريتاني الطالب المجتبي عنكر أن جد والد أحمد بن الأمين، المسمى محمد أحمد التواتي، قادته الرحلة من حاضرة شنقيط باتجاه توات في القرن (10هـ/16م)، وعاش أحفاده ردحا من الزمن هناك، حتى نهاية القرن (11هـ/17م) تاريخ عودتهم لبلدهم الأصلي<sup>3</sup>، وهذا لا يستبعد تلقي الحاج أحمد بن الأمين الغلاوي التواتي مبادئ تربيته الأولى بإحدى قصور زاوية كنتة التواتية<sup>4</sup>.

تنطوي وجهة النظر هنا؛ انتساب الكثير من العائلات الشنقيطية إلى مناطق التكرور أو توات الجزائرية، لأن هذه الأقاليم الإسلامية يوجد فيها للشناقطة منزلة واعتبار، وهي أقرب الأوطان جغرافيا إلى بلادهم من غيرها، كان يجعلها الحجاج في الغالب نقطة انطلاق إلى أرض الحجاز، ومرحلة مهمة في أسفارهم إلى هناك، وربما اتخذها بعضهم سكنا للتدريس والإرشاد أو للتجارة ولو لبعض الوقت، فالمشاركة مثل السيوطي في جوابه والزيدي<sup>5</sup> في معجمه، كانوا ينسبون من يلتقون به من علماء شنقيط إلى تلك الديار حسب شهرة المنطقة التي قدم منها<sup>6</sup>.

1- المختار بن حامد، الجغرافيا، المرجع السابق، ص 60.

2- توفي عام 1157هـ/1743م، وهو أبو العباس الحاج أحمد بن الحاج الأمين بن المختار، الإمام، العلامة، الفقيه، المشارك، أبو العباس سيدي أحمد بن الحاج الأمين القبلي ثم الغلاوي؛ ينظر، عبد الرحمن بن عمر التلاني التواتي، فهرسة الشيوخ، دراسة وتحقيق، عبد الرحمن بعثمان، رسالة ماجستير، إشراف، عبد المجيد بن نعيمة، كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، جامعة بشار، السنة الجامعية (2008/2009م)، ص 154؛ أحمد بلعاف التكني، المصدر السابق، ص 94.

3- الطالب المجتبي عنكر، الترجمان المواتي في سيرة الحاج أحمد بن الأمين الغلاوي التواتي، بحث غير منشور، د د ن، د س ن، ص 4-3.

4- أمام محدودية الدلائل والبراهين يصعب التأكيد أو الرفض، لأن عديد مخطوطات الزاوية الكنتية ضاعت مع المهجرات الرقادية قبل وأثناء فترة الاحتلال الفرنسي؛ الشيخ الحاج أحمد كنتاوي، مقابلة شفوية، شيخ الزاوية الكنتية الرقادية بزاوية كنتة والخليفة العام للطريقة القادرية الكنتية بالجزائر وامتداداتها الجوارية، ولاية أدرار، الجزائر، تمت المقابلة بتاريخ 30 مارس 2022.

5- محمد مرتضى الزيدي (ت 1205هـ/1791م): عالم محدث، أصولي، مؤرخ، نسابة، لغوي، نحوي، مشارك في عدة علوم تدريسا وتأليفاً، كان منزله مقصد الحجاج من بلاد بعيدة؛ ينظر، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق، عبد الرحيم عبد الرحمن، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1998م، ص 303.

6- أبي علي بجد القلومي الإدريسي، المرجع السابق، ص 9.

**3.2. تجكانت:** قبيلة صنهاجية أغلب الظن أنها من عرب حمير اليمن، حسب ما تداوله النسابون العرب في بيان الأصول القبلية، باستثناء ابن خلدون الذي يعتقد أنهم أمازيغ، شأن باقي القبائل البربرية المغربية والصحراوية، "... والحق الذي شهد به المواطن والمخالف أنهم بمعزل عن العرب، إلا ما تزعمه نسابة العرب في صنهاجة وكتامة. وعندني إنهم من إخوانهم والله أعلم"<sup>1</sup>.

عند تفسير ما ورد في مخطوط القول البسيط، حول فرار بقايا جيش يوسف بن تاشفين إلى تمنظيط وتشديد قصور بها، تذكر الدراسات أن الاستقرار الأول لتجكانت كان في حاضرة توات بعد سقوط دولة المرابطين، أين أقاموا بها سبعين عاما قبل أن يغادروها لمدينتهم الشهيرة تينقي بأدرار الموريتانية، ولأن قبيلتهم كانت قطعة أساسية في الجيش المرابطي، حُرِفَ اسمهم إلى تيلكانت نسبة إلى القائد المرابطي مدرك التلكاني، الذي كان يقود ربع جيش المرابطين من قبيلته<sup>2</sup>.

وعليه جاء اشتقاق تسمية تجكانت من بطولات وشجاعة الأسلاف، وهي تعني بلسان صنهاجة القُوَاد أو أدوات القيادة<sup>3</sup>، وينضوي تحت لواء القبيلة مجموع الفروع المنتشرة في الصحراء الكبرى وغرب أفريقيا الحاملة لهذه المسميات: الرماضين، وجكاني، والزلامطة، وأولاد موساني، واشفغات، وايديشف، وأولاد إبراهيم، والكواليل، وايديجه، وايديقوب، وايني، وايدوشر، والأنصار، وايدلبه، والوسرة<sup>4</sup>.

**4.2. بارتيل:** قبيلة أنصارية ينسب إليها كل من يحمل لقب "بُرْتَلِي" أو "بَارْتِيلِي"، وقد اشتهرت بكثرة علمائها ومشايخها، قدموا حسب الروايات المتواترة من المغرب ضمن قبائل أنصارية أخرى، واستوطنوا منطقة وسط الحوض، ومدينة ولاتة بالذات ولهم بها حي كبير (الحي الجنوبي - رحبة بارتيل)، كما توجد منهم مجموعة تقطن مدينة بوتلميت جنوب موريتانيا، إضافة لمجموعة أهل أتفغ الخطاط القاطنة في

<sup>1</sup> - عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 128.

<sup>2</sup> - إبراهيم حامد لامين، قبيلة تجكانت ودورها الحضاري بالصحراء الكبرى وغرب أفريقيا خلال القرنين 12-13هـ/18-19م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف، أ.د. محمد حوتية، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، جامعة غرداية، الجزائر، السنة الجامعية، 1442-1443هـ/2020-2021م، ص 98.

<sup>3</sup> - موسى كمارا، تاريخ قبائل البيضان عرب الصحراء الكبرى، تحقيق، حماد الله ولد السالم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009، ص 81.

<sup>4</sup> - المختار بن حامد، الجغرافيا، المرجع السابق، ص 41-42.

منطقة إينشيري الموريتانية<sup>1</sup>، وتقول الروايات أنهم ينحدرون من جدهم الأكبر المختار ندا، الذي قدم ولادة قبل سبعة قرون<sup>2</sup>، وارتبطت القبيلة بتوات بواسطة أعلامها ومؤرخيها ورحلاتها.

### 3. أبرز شخصيات التواصل الاجتماعي

اتحدت العلاقات التواتية - الشنقيطية سمة الود والتقارب، واتحدت لخلق تمازج بشري عرف كيف يحافظ على الديمومة والاستمرار سنين طويلة؛ بفعل شخصيات كان لها حضور مميز، اقتزن ذكرها بأحداث مهمة في البحث، ساهمت بدور أساسي أو ثانوي في التواصل الحضاري.

**3-1- الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني (ت 1207هـ/1793م):** هو مولاي عبد المالك بن عبد الله بن مولاي علي ابن مولاي الزين بن حمو بلحاج، خصه فقيره محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي<sup>3</sup> بترجمة وافية، فكان رحمه الله تعالى معظما عند الخاصة والعامة، ذائع الصيت؛ لاشتغاله الدائم بالعبادة، وملازمة الأذكار، والأوراد، وقيام الليل، وتلاوة القرآن... إلخ، بلغ مراتب الولاية والصلاح والشهرة بالتقوى والورع والزهد عن أمور الدنيا، حتى سار ذكره بين الأقطار، فتوافدت عليه الوفود أفواجا لفيض كراماته الظاهرة والخفية، ومن تلك الكرامات استشهاده بالأحاديث النبوية، والنصوص الفقهية، والحكم العطائية، أو أحزاب الأولياء من غير تأمل ولا تراخ كأنها مكتوبة في يديه<sup>4</sup>.

**3-2- الشيخ محمد بن أحمد العربي (ت 1327هـ/1909م):** هو الشريف الإدريسي محمد بن أحمد العربي التواتي المعروف بالشريف الأخض، والمتوفى بمدينة انيورو المالية. عاش قرابة السبعين عاما، مما يرجح مولده في حدود عام 1257هـ/1841م، ورغم اسهاماته في مد جسور التواصل التواتي- الشنقيطي، بقي اسمه مجهولا في الدواوين تواتية؛ باستثناء ما نقلته الذاكرة الشنقيطية، عن دوره

<sup>1</sup> - الحاج البشير البرتلي الولاتي، الرحلة المباركة للحاج محمد البشير بن أبي بكر الولاتي إلى الحرمين الشريفين، (1204-1206هـ/1789-1891م)، تحقيق ودراسة، عمرو عبد العزيز منير بمشاركة محمد بن أحمد سالم في التدقيق، وعبد الرحمن بن محمد بعثمان في مراجعة النسخة الأولية، دار بريل للنشر في ليدن المحروسة وبوسطن، 2021، ص 22.

<sup>2</sup> - بول مارتني، القبائل البيضانية، المصدر السابق، ص 228.

<sup>3</sup> - محمد الأمين الحضري ومحمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، رسالة إلى الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني، وثيقة مخطوطة، مكتبة الطالب ببيكر المحجوبي الولاتي، ولادة، موريتانيا، د ت، ص 2.

<sup>4</sup> - محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 357-366.

الإصلاح في الحواضر الشنقيطية، ومالي، وساحل العاج، والسنغال، فأجمعت عامة الروايات - حسب فريد ديمون - أن "الشيخ الأخضر كان رجلاً صوفياً محترماً مؤثراً في المجتمعات"<sup>1</sup>.

**3-3- الشيخ أحمد التواتي (ت 1138هـ/1726م):** الطالب أحمد التواتي بن محمد بن عمر، من قرية حماد [دائرة تساييت ولاية أدرار الجزائرية]. كان آخر عهده الاستقرار بمدينة تيشيت الموريتانية، والمعلومات المتوفرة عنه شحيحة جداً، لا تزيد عمّن نقله صاحب الفتح في جوانب تعبه وصلاحه وتصوفه "... أحد الأولياء العارفين وعباد الله الصالحين، صالحاً متعبداً مواظباً على العبادات، معمر الأوقات، مداوماً على الأوراد، ورده كل يوم فدية الذكر سبعون ألفاً من لا إله إلا الله محمد رسول الله، ... مشتغلاً بالتصوف، فترى في خزائنه الكثير من كتب التصوف ونحوها"<sup>2</sup>.

**3-4- محمد أبي نعام الصغير الكنتي التواتي (ت 1163هـ/1749م):** يعرف بشيخ الركب النبوي، هو أول من هياً ركب الحج، وأحيا به سنة الوفود للبقاع المقدسة عبر توات، تربي في سجلماسة على يد عالمها العلامة أحمد لحبيب اللمطي السجلماسي<sup>3</sup>، قضى حياته متنقلاً بين حواضر تافيلالت وتنبكتو وأزواد، قبل أن يطيب له المقام بتديكلت، ويؤسس زاوية أقبلي التي استقطبت أعلام من داخل وخارج الإقليم، سجلت الكتابات التاريخية عنه أعمال حضارية لا زالت معالمها قائمة، إضافة لوصية طويلة جمعت فنوناً من العلم والحكم موجهة لأحد موريديه الشيخ محمود بن الحاج أحمد الفقير<sup>4</sup>.

**3-5- الحاج البشير بن الحاج أبي بكر البرتلي (ت 1214هـ/1798م):** هو الطالب البشير بن الحاج أبي بكر بن الطالب محمد بن الطالب عمر البرتلي الولاقي، شاعر شنقيطي أحسن أداء شعر المديح النبوي، وقضى أغلب أوقاته في المدح، كان يطرب ويهتز عند ذكر اسمه (النبى صلى الله عليه

<sup>1</sup>- Alioune Traoré, Islam Et Colonisation En Afrique, Cheikh Hamahoullah Homme De Foi Et Résistant, Editions Maisonneuve et Larose, 15 rue Victor-Cousin, 75005, Paris, 1983, P 49.

<sup>2</sup>- محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص. 83-84.

<sup>3</sup>- توفي العلامة أحمد الحبيب اللمطي السجلماسي رحمه الله سنة 1165هـ/1752م، وعرف عنه التقوى والزهد والتصوف، من مشاهير العلماء والقراء في المغرب الأقصى؛ ينظر، محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 74.

<sup>4</sup>- محفوظ بن ساعد بوكراع السطيفي، الفرقد النائر في تراجم علماء أدرار المالكية الأكابر، فهرسة وتقديم، أبو بكر بلقاسم ضيف البجباحي الجلفاوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2016م، ص 265.

وسلم<sup>1</sup>، وكانت مساهماته كبيرة في التأريخ للعلاقات الاجتماعية التواتية - الشنقيطية، من خلال رحلته الحجازية من ولادة إلى الحرمين الشريفين عبر توات عام 1204هـ/1789م، والتي ذكر فيها بئر "والن" الذي حفره الشيخ أبي نعامة، وزاويته بأقبلي، والتي اجتمع فيها بشيخها العالم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، الحبيب بن محمد بن أبي نعامة الكنتي المتوفى سنة 1255هـ/1839م<sup>2</sup>.

**3-7- القصري بن محمد بن المختار الإيدلي (ت 1235هـ/1820م):** أحد العلماء المؤلفين والفقهاء المدرسين، عالم نوازي ذاع صيته في ولادة، إذ اشتهر بفتاويه المجموعة، التي كانت مرجعا فقهيا معتمدا عند العلماء الشناقطة خلال القرنين (12-13هـ/18-19م)<sup>3</sup>، وعن سمة أخلاقه وتبحره العلمي "كان رحمه الله عالما فقيها قاضيا مفتيا مدرسا، يدرس مختصر خليل انتفع الناس بعلمه، وكان غرة أهل عصره في التعلم، شهد له بذلك الموافق والمخالف، له حظ كثير في الفقه والأدب، وكان حليفا سيدا نزيها أديبا تقيا عابدا مشتغلا بالعلم، لا همة له إلا تحرير مسائله وتعليمه"<sup>4</sup>، تمثلت مساهمته في بناء العلاقات التواتية - الشنقيطية من خلال نوازه، وعلاقته الوثيقة التي ربطت مهاجري توات ببلاد شنقيط من آل السي حمو بلحاج في ولادة والنعمة.

**3-8- الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي (ت 1219هـ/1805م):** هو العالم الفقيه محمد بن أبي بكر الصديق بن عبد الله بن محمد بن الطالب علي بنان البرتلي الولاقي، اسمه الأصلي محمد، وكنيته عبد الله، وشهرته الطالب محمد، ولد بولادة سنة 1112هـ/1700م، أخذ العلم عن أشهر علمائها، لا سيما الطالب الأمين بن الحبيب الحرشي، وأبو بكر بن الحاج عيسى الغلاوي، كان عالما

<sup>1</sup> محمد بن أبي بكر بن الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 154؛ أحمد بلعاف التكني، المصدر السابق، ص 98.

<sup>2</sup> الحاج البشير البرتلي الولاقي، المصدر السابق، ص 37.

<sup>3</sup> محمد بن أبي بكر بن الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 367؛ محمد مولاي، القضاء والقضاة ببلاد السودان الغربي من أواخر القرن التاسع الهجري حتى الثاني عشر هجري (15م-18م)، إشراف، أ.د. أحمد الحمدي، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، السنة الجامعية 2018-2019، ص 222.

<sup>4</sup> أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي، منح الرب الغفور فيما أهمله صاحب فتح الشكور، تحقيق، محمد الأمين بن حمادي، ENS EDISONS، ليون، 2011، ص: 98.

بارعا في فنون العلم الفقهي واللغوي، وأكثر المساهمين في التواصل الحضاري بين منطقة الحوض الشرقي وتوات، من خلال مراسلاته وتراجمه لأعلام تواتيين مؤثرين في الحياة الأفريقية<sup>1</sup>.

**3-9- الشيخ مولاي الشريف الرقاني (ت 1208هـ/1794م):** الفقيه السني الشاعر مولاي الشريف بن مولاي عبد الله الرقاني بن مولاي علي بن مولاي الزين بن حمو بلحاج، كان رحمه الله عالما زاهدا في خلوته، أَلَّف مؤلفا ضخما في علوم التوحيد والفرائض والطب<sup>2</sup>، وقف على تفريظه عبد الرحمن بن عمر<sup>3</sup>، فأثنى عليه وذكره بالخير، بالإضافة إلى ذلك كانت له قصائد في مدح النبي محمد ﷺ، كما قام برحلات علمية لولادة وما جاورها<sup>4</sup>.

**3-10- مولاي السعيد الرقاني (ت 1209هـ/1795م):** هو الولي السني مولاي السعيد بن مولاي عبد الله الحسيني بن مولاي علي بن مولاي الزين بن حمو بلحاج<sup>5</sup>، كانت له رحلات كثيرة لبلاد التكرور رفقة أخيه مولاي الشريف، للتجارة ونشر تعاليم التصوف الرقاني، توفي بمسقط رأسه خلاف ما تداولته بعض الروايات الولائية حول تواجد قبره بإحدى مقابر المدينة العتيقة.

**3-11- مولاي هيبة الله بن مولاي السعيد الرقاني (ت خ ق 13هـ/19م):** كان مثل أبيه مشغلا بالتجارة، يعد من أكثر أبناء الرقاني توافدا على أسواق الحوض الشرقي، استطاع تأسيس بعض جوانب من العلاقات الاجتماعية بين توات وبلاد الساحل، بواسطة الأعمال التجارية والمراسلات التي كان اسمه حاضرا فيها دوما.

**3-12- مولاي علي بن مولاي العايش (ت خ ق 13هـ/19م):** هو مولاي علي بن مولاي العايش بن مولاي محرز بن مولاي فضيل بن مولاي هاشم بن مولاي أحمد بن مولاي عبد المالك بن

<sup>1</sup> - أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي، المصدر السابق، ص. 75-76؛ أحمد بلعاف التكني، المصدر السابق، ص 124.

<sup>2</sup> - توجد نسخة من المؤلف في خزانة آل الرقاني، ضاعت بعض صفحاتها بسبب عوامل التعرية والإهمال.

<sup>3</sup> - يرجح أنه الشيخ عبد الرحمن بن عمر التتلائي الذي توفي وهو قافلا من حجة الفريضة بمصر، ودفن بمقبرة سيدي عبد الله المنوفي عام 1189هـ/1775م، كان رحمه الله عالما بارعا في مختلف الفنون، مجتهدا لقيام الليل، من غرائب الدهر لدرجة مبالغة علماء عصره في الثناء عليه؛ ينظر، محمد بن عبد القادر التتلائي، المصدر السابق، ص 3.

<sup>4</sup> - مولاي الشريف الرقاني، مقابلة شفوية، إطار في الخزينة البلدية للصحة العمومية والمؤسسات بلدية رقان وعضو جمعية حفظ تراث عائلة الرقاني، تمت المقابلة بمنزله يوم الأحد 18 جوان 2022، الساعة الحادي عشر صباحا، زاوية الرقاني، ولاية أدرار، الجزائر.

<sup>5</sup> - أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي وآخرين، المصدر السابق، ص 22.

حمو بلحاج، يكنى بالثاخيبي نسبة لمسقط رأسه قرية تاخيفت من قرى زاوية كنتة، عاش في القرن (13هـ/19م)، وربطته علاقة وثيقة بمولاي هبة الله، ترجمته المراسلات الكثيرة بينهما، فكان مقربا له، وشريكه في التجارة الداخلية والبينية بين توات ومنطقة السودان الغربي من بوابته ولاتة<sup>1</sup>.

**3-13- الشيخ محمد أبي نعامة الكنتي (ت 1256هـ/1840م):** العالم السني الشيخ أبي نعامة بن أحمد البكاي بن الشيخ محمد أبي نعامة الصغير، اسمه محمد، ولد بزواوية جده بأقبلي عام 1200هـ/1780م، وتلقى مبادئ علوم الشريعة والحقيقة بها، ثم انتقل إلى بلاد السودان معرجا على بلاد شنقيط، التي نزل فيها عند الشيخ الولي صلاح بن آبي الديماني<sup>2</sup>، ولا زالت العلاقة قائمة بين أحفادهما، توفي رحمه الله بالسنغال، ويعد ضريحه مزارا للزوار من الموردين والأتباع<sup>3</sup>.

**3-14- محمد بن مولاي العربي (ت خ ق 13هـ/19م):** هو محمد بن مولاي العربي بن مولاي العباس بن مولاي عبد الله الرقاني بن مولاي علي بن مولاي الزين، هو تاجر آخر من أبناء العائلة الرقانية الذين نسجوا روابط توات ببلاد شنقيط، توفي بولاتة ودفن بها، ويعتقد أنه المعني في الروايات الولاتية التي تتحدث عن قبور بعض أحفاد الشيخ مولاي عبد الله من أبنائه المباشرين بالمدينة<sup>4</sup>.

**3-15- الشيخ عال بن مومن الرقادي:** هو عالي بن محمد بن عثمان بن ألفا بن المختار الشيخ بن عبد المومن بن محمد المصطفى بن أحمد الرقاد الكنتي أبو الجماعة، لم نعثر على تاريخ محدد لوفاته، سوى أنه من مواليد عشرينيات القرن الثالث عشر، تلقى تعليمه على يد أبيه في قرية "أتى" المالية، ثم التحق بالعالم الجهبذ شيخنا محمد الأمين ولد الطالب عبد الوهاب الفيلاي، دفين منطقة الحوض الشرقي الموريتاني، فزوده بنفائس علوم العصر من اللغة وعلوم الشريعة والحقيقة، كرس حياته لتعليم أولاده الثلاثة

<sup>1</sup> - علي ماموني، أبناء سيدي حمو بلحاج في الحركة التجارية والإقتصادية الداخلية والبينية، كتاب الندوة الرابعة أولاد السي حمو بلحاج أعلام وآثار 2018، ط1، جمعية الدراسات والأبحاث التاريخية والثقافية لأولاد السي حمو بلحاج، دار الكلمة، الجزائر، 2019، ص 114.

<sup>2</sup> - لم أفق على ترجمته.

<sup>3</sup> - محمد بون الكنتي التواتي السنغالي، كاشف الغم والغمامة عن حياة الشيخ أبي نعامة، تحقيق، مولاي عبد الله سماعيل، ط 1، المكتبة الوطنية الجزائرية، 2017، ص 131.

<sup>4</sup> - مولاي الشريف الرقاني، المقابلة السابقة.

محمد الأمين وعبد الله والناجي<sup>1</sup>، وقد توج مسيرته العطائية، باشتغال منصب القضاء في إمارة أولاد مبارك الحسانية التي سقطت أواخر القرن التاسع عشر<sup>2</sup>.

**3-16- مولاي عمار ولد مولاي فضيل (1234هـ/1819م):** مولاي عمار بن مولاي افضيل بن هاشم بن محمد بن مولاي عبد المالك بن حمو بلحاج، والمعروف ولاتيا بـ "بّا عمار"، ولد بواحة تاخيف في زاوية كنتة، وترعرع بها، ثم قدم ولاتة تاجرا في حدود سنة 1220هـ/1805م، كان دائم التنقل بين توات وولاتة، تزوج لالة مولاتي بنت الوثيق بن الشريف، فأنجبت منه مولاي عبد الملك الملقب عند الولاتيين بـ "ملوك"، حيث تركه في كفالتها، وقفل راجعا لمسقط رأسه قرية تاخيفت التواتية، ويعرف أهله في ولاتة بأهل أبا عمار<sup>3</sup>.

**3-17- مولاي عبد الله ولد محمد (1216هـ/1802م):** هو مولاي عبد الله بن محمد بن مولاي صالح بن مولاي الشريف بن حمو بلحاج، الملقب شيخ العافية، من الشرفاء الذين تركوا ذكرا طيبا في ولاتة، حتى مدحه شعراء المحاجيب وغيرهم، أمه تواتية تدعى نانة عيشة بنت محمد المهدي بن مولاي علي بن مولاي محمد بن حمو بلحاج<sup>4</sup>، وتسجل أحد الوثائق التي أعاد نسخها أحمد بن القصري عام 1254هـ/1838م، أن مولاي عبد الله شيخ العافية كان حاضرا رفقة ابنه مولاي عبد الكريم عند تدوين الوثيقة الأولى بتوات أواخر القرن (12هـ/18م)<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> سيدي أحمد ولد محمد ولد عالي الرقادي، التسجيل الصوتي السابق.

<sup>2</sup> يوسف نجاح، المتدارك من أعلام أولاد مبارك (1712-1877)، تقديم، الشيخ إبراهيم أكيه، ط1، د د ن، موريتانيا، 2020، ص 180.

<sup>3</sup> سيدي محمد ولد جعفر، تواريخ هجرات بعض أحفاد السي حمو بلحاج نحو الجنوب "موريتانيا"، كتاب الندوة الثانية أولاد السي حمو بلحاج أعلام وآثار 2016، ط1، جمعية الدراسات والأبحاث التاريخية والثقافية لأولاد السي حمو بلحاج، دار الكلمة، الجزائر، 2017، ص 26.

<sup>4</sup> سيدي محمد ولد جعفر، من أعلام أبناء سيدي حمو بلحاج في موريتانيا جعفر بن المهدي النعمي، كتاب الندوة الثالثة أولاد السي حمو بلحاج أعلام وآثار 2017، ط1، جمعية الدراسات والأبحاث التاريخية والثقافية لأولاد السي حمو بلحاج، دار الكلمة، الجزائر، 2017، ص 30.

<sup>5</sup> بن أحمد الطيب عبد الرحمن، تحبب أملاك مولاي صالح بن السي حمو بلحاج في توات، وثيقة مخطوطة، الناسخ، أحمد ولد القصري بن محمد بن المختار، 1838/1254، بحوزة سيدي محمد ولد جعفر، نواكشوط، ص 4.

**3-18- محمد الأمين بن عمر الحضري (ت 1215هـ/1800م):** هو الفقيه محمد الأمين بن الشيخ الطالب أحمد بن عمر بن الوافي الحضري الجكني، كان رحمه الله تعالى فقيها يدرس الرسالة ومختصر الشيخ خليل، نحويا لغويا يدرس ألفية ابن مالك وماهرا فيها، محققا ماهرا في العربية، شاعرا مكثرا من الشعر نجيبا، ومشاركا في علوم كثيرة، من علماء بلاد التكرور الولايتين الذين تأثروا بالشيخ مولاي عبد المالك الرقاني<sup>1</sup>.

**3-19- الشيخ مولاي عبد الله الرقاني الحفيد:** هو مولاي عبد الله بن مولاي عبد المالك بن مولاي عبد الله الرقاني بن مولاي علي بن مولاي الزين بن حمو بلحاج، المشهور سيدي بله، تربي في كفالة أخيه محمد العيمش بعد وفاة والده، فأحسن تربيته، كان رجلا صالحا، سنيا ناسكا، صوفيا متعبدا، زاهدا عن أمور الدنيا، تأتيه الهدايا فيوزعها في حينها على الفقراء والمساكين، مقتفيا أثر أبيه الشيخ مولاي عبد المالك، ساهم بقسط وافر في مد جسور التواصل الروحي والإجتماعي بين توات وولاية كآبيه وأعمامه، توفي على الأرجح في الربع الأخير من القرن التاسع عشر<sup>2</sup>.

**3-20- مولاي المامون بن محمد المهدي:** مولاي المامون بن محمد المهدي بن مولاي علي بن مولاي أحمد بن حم بلحاج، قدم ولادة من توات عام 1213هـ/1799م، وهو جد عائلة آل بابا عينينا في موريتانيا<sup>3</sup>، ورد اسمه في عديد الوثائق التي تؤرخ للعلاقات الاجتماعية بين توات وولاية، بصفته طرف إحدى النزاعات التي شملت عقارات المهاجرين الولايتين بتوات.

**3-21- الشيخ مولاي زيدان المستوري (ت 1202هـ/1788م):** مولاي زيدان بن محمد بن مولاي أحمد بن مولاي عبد الكريم بن حمو بلحاج، يعتبر سفير توات بواسطة شيخه مولاي عبد المالك الرقاني لنشر ورد طريقته (الرقانية) في بلاد التكرور، ورد اسمه رفقة أخيه مولاي الحسان في أحد وثائق

<sup>1</sup> - محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 257.

<sup>2</sup> - محمد الرقاني، مقابلة شفوية، مدير مدرسة ابتدائية متقاعد والقيم على شؤون خزانة مولاي العباس الرقاني، تمت المقابلة بمنزله يوم 7 جويلية 2021، بني وازل، بلدية بودة، ولاية أدرار، الجزائر.

<sup>3</sup> - سيدي محمد ولد جعفر، تواريخ الهجرات، كتاب الندوة الثالثة، المرجع السابق، ص 22.

أبناء الرقاني في بلاد السودان الغربي؛ إذ يوصي محمد بن مولاي الشريف ابنه عمه مولاي هيبه الله بن مولاي السعيد بتبليغ سلامه لمولاي زيدان وأخيه مولاي الحسان<sup>1</sup>.

تماشياً مع ما تم ذكره؛ فإن هؤلاء الشخصيات ما هم إلا عينات بسيطة من نماذج أخرى، قامت بالدور الحضاري نفسه، لم يتسن لنا الوصول لمعلومات وافية حولها، وجاء استثناء أو تغييراً بعض ركائز التواصل الحضاري، أمثال: الشيخ محمد بن بكو الإدواعلي، والعلامة الحاج أحمد بن الأمين الغلاوي، والفقيه عبد الرحمن بن عمر التنلاي، والفقيه النحوي محمد بن آب المزمري... إلخ، وذلك لتخصيص مجال في الدراسة يتعلق بأعلام التواصل العلمي بين أعلام القطرين.

## المبحث الثاني: دور الطرق الصوفية في التواصل الروحي

### 1. الطرق الصوفية المتشاركة

يرتكز نشاط الطرق الصوفية في البيئات المنعزلة، بعيداً عن ضجيج المدينة وما تجره من تيارات فكرية مناهضة، فحياة البداوة سلاح فعال للخلوة بالنفس، واحتواء الشعوب بواسطة زيادة الأتباع. وسنورد في هذا العنصر أبرز الطرق الصوفية المساهمة في عملية التقارب التواتي-الشنقيطي.

**1.1. الطريقة القادرية:** تعتبر من أقدم الطرق الصوفية نشاطاً في العالم الإسلامي، تأسست في القرن (6هـ/12م) على يد الشيخ عبد القادر الجيلاني<sup>2</sup>، فكان لسماحة أخلاقه، وتربية تلاميذه، أثرها في تفشي الطريقة القادرية؛ ولهذا حرص الأتباع في مشارق الأرض ومغاربها الإلتزام بوصاياه، ومنها: أن

<sup>1</sup> محمد بن مولاي الشريف الرقاني، رسالة إلى مولاي هيبه الله بن مولاي السعيد الرقاني في سنسند، وثيقة مخطوطة، جمعية مسجد ومدرسة مولاي عبد الله الرقاني، زاوية الرقاني، دائرة رقان، ولاية أدرار، الجزائر، د.ت.

<sup>2</sup> توفى ببغداد عام 560هـ/1165م، يعد أحد أشهر رجال التصوف، وأحد أقطابه الأربعة: الرفاعي والبدوي والدسوقي والجيلاني، واسمه نسبة لبلدة جيلان، أجاد الفقه والأدب، واشتغل بالوعظ والتعليم، ثم مال إلى التصوف ولجأ للخلوة ومجاهدة النفس؛ ينظر، أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي (الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء إفريقيا منذ دخلها الإسلام حتى الآن)، ط5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1990م، ج 6، ص 211.

يكون الفرد قطعة مؤثرة في المجتمع لا موجهها؛ يرشد ويربي ويعلم في الوقت نفسه، يعض الطرف عن زلات الآخرين؛ ذو أخلاق فاضلة، حتى يرقى مرتبة القدوة المؤثر في الغير<sup>1</sup>.

على هذا الأساس انتشرت دعوة الشيخ أحمد البكاي في الجزء الغربي من القارة الأفريقية، انطلاقاً من حدود الساقية الحمراء شمالاً إلى ولاتة جنوباً، التي اتخذها موطناً بعد شيوخ أخبار فيوضاته وكراماته بين العام والخاص<sup>2</sup>، كما تعزى شهرة القادرية للشيخ المختار الكنتي الكبير<sup>3</sup> في القرن (13هـ/19م)؛ بترحالها شرقاً وغرباً؛ شمالاً وجنوباً؛ رابطة الأطراف بالمراكز، وممهدة لقيام إمارات إسلامية في بلاد السودان، تحمل من أعلام القادرية شعاراً لحركتها الإصلاحية<sup>4</sup>.

نضع إلى جانب القادرية البكائية، التي تنسب للشيخ عمر الشيخ الكنتي المتوفى عام 960هـ/1552م<sup>5</sup>، الطريقة الفاضلية المنفرعة عن القادرية، لمؤسسها محمد فاضل بن مامين المتوفى عام 1281هـ/1879م، صاحب المشروع التجديدي في منطقة آجريف شمال بلاد شنقيط<sup>6</sup>، من خلال إحدائه تعديلات أفقية على الطريقة الأم مراعاة لأذواق الأفرقة، جعلت من طريقته حلقة دينية صغيرة ضمن أسرة القادرية الكبيرة، استمال بها الزوج والكثير من أهالي الصحراء، وأدخلت في صفوفها عدداً من التجانيين الزوج، وبعض أتباع الشاذلية الناصرية، بواسطة أحفاده وتلامذته، أمثال: ابنه المجاهد الشيخ ماء العينين القلقمي، والشيخ سعد بوه، ومحمد الأغطف... إلخ<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - أحمد شيخي، الطريقة القادرية الكنتية البكائية مصدر لانحياز الخطاب الصوفي في الصحراء، أطروحة لنيل الدكتوراه في الأدب، إشراف، د. محمد الظريف، شعبة الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادال، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، السنة الجامعية (2012-2013م)، ص 116.

<sup>2</sup> - سيدي محمد الخليفة الكنتي، المصدر السابق، ص 170.

<sup>3</sup> - توفى عام 1226هـ/1811م، كان رحمه الله قطبا عالماً، ناسكاً، عارفاً، ذو المآثر الشهيرة، والفتوحات الغزيرة، والكرامات والتأليف النيرة الكثيرة؛ ينظر، أي بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي، المصدر السابق، ص 86-87.

<sup>4</sup> - أحمد شلي، المرجع السابق، ص 212-213.

<sup>5</sup> - أحمد شيخي، المرجع السابق، ص 126.

<sup>6</sup> - الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 122.

<sup>7</sup> - بول مارتى، دراسات حول الإسلام، المصدر السابق، ص 136-137.

أما الشيء الذي لا يختلف فيه اثنان، أن توات تعد مبعث القادرية، بواسطة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي<sup>1</sup>، بتلقيه مبادئ الطريقة لمقربه في أسفاره عمر الشيخ بن أحمد البكاي<sup>2</sup>، كما قدم الشيخ أبو نعامة القبلاوي الحفيد بعض المريدين في مناطق شنقيط أثناء رحلته إلى السنغال<sup>3</sup>. ومما يستخلصه المتتبع لمجد الطريقة، أن اسمها ظل مرادفا لانتشار الفروع الكنتية، من فوتا غربا إلى مصب نهر النيجر شرقا، منذ تنقلات القطب الصوفي الشيخ أحمد الخليفة الكنتي بين الشعاب الصحراوية، وتوارث أحفاده مشيخة الطريقة في أغلب الفترات إلى يومنا هذا.

وعلى المستوى النظري العام؛ تغطي المشيخات البكائية مواطن القبيلة في زاوية كنتة، وزاوية الشيخ أبي نعامة في أقبلي بتوات، ومن أنصارها في حواضر شنقيط: أهل الشيخ سيديا الكبير في بوتلميت؛ والشيخ القاضي بن أفغا الإيدا جبل في البراكنة؛ وأهل أولاد أب الشيخ أحمد في تكانت؛ والشيخ شماد الكنتي في وادان...، إضافة إلى المشيخات ذات السند الفاضلي التي تنتشر فروعها في آدرار؛ ومنطقة تيرس زمر عند أحفاد الشيخ أحمد الخليفة الكنتي؛ وكذلك منطقة الحوض الشرقي... إلخ<sup>4</sup>.

**2.1. الطريقة الشاذلية:** تنسب اسميا لأبي الحسن الشاذلي المغربي المتوفى سنة 656هـ/1258م، وقدم الطريقة جعلها سبابة لاحتواء منطقة شمال أفريقيا، ومنها أخذت طريقها إلى غربها، ومع زيادة المنضوين تحت لوائها توسعت دوائرها، فهي تقريبا تفرعت عنها جل الطرق التي عملت في هذه المناطق، وغيرها من مناطق أفريقيا<sup>5</sup>، ومن تلك الفروع: الجزولية، والزروقية، والناصرية والدرعية، والزبانية، والكرازية، والشيخية، والطيبية... إلخ.

1 - محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني التواتي (ت 910هـ/1505م): العالم المصلح المجدد المعروف بخاتمة المحققين، قضى حياته متنقلا بين الأقطار خدمة للإسلام ونشر العلوم، انتقل إلى بلاد السودان لإرشاد حكامها وإفادة علمائها، كان حريصا على بناء المدارس ومراسلة الأعلام المبرزين...؛ ينظر، أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم، عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، كلية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية الليبية، 1398هـ/1989م، ص 576.

2 - سيدي محمد الخليفة الكنتي، المصدر السابق، ص: 167؛ أحمد شيخي، المرجع السابق، ص 126.

3 محمد بون الكنتي التواتي السنغالي، المصدر السابق، ص 118.

4 - حمه لامين، تسجيل صوتي، مدير مجمع الشيخ المختار الكنتي الكبير، نواكشوط، موريتانيا، تم التسجيل عبر وسيلة التواصل الاجتماعي "الواتساب"، يوم 7 جويلية 2022 م، الساعة العاشرة والنصف مساء.

5 - فاطمة الزهراء حوتية، الطرق الصوفية في الجنوب الغربي الجزائري، التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغرب (كتاب جماعي)، إشراف وتنسيق، عبد الباسط شرقي، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2019م، ص 185.

من أجل دعامة الوحدة الثقافية بين شمال وجنوب الصحراء، كانت المدن المغربية المعبر الأنسب لانسياج الفرع الشاذلي الناصري، حيث شهدت بلاد شنقيط حضورا مكثفا للطريقة خلال القرن (12هـ/18م)، بدليل وجود أعلام نقلوها مشافهة عن العلامة أحمد الحبيب اللمطي، وكذا تصنيف آخرين مؤلفات في التصوف، مثل كتاب: "خاتمة التصوف" للعلامة محمد اليدالي، وهو تلميذ الفقيه نختارو بن المصطفى اليدالي الشمشوي، ومن تلامذة أحمد الحبيب اللمطي المبرزين<sup>1</sup>.

كما عرف الفرع الشاذلي دليله إلى توات، بواسطة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني، الذي اجتمع بالشيخ محمد بن أبي زيان القندسي، ولقنه سلسلة مشائخ وأذكار الطريقة، فالسلسلة الزيانية تمتد إلى الشاذلي وابن مشيش وأبي مدين شعيب، أما أذكراها هي أذكار الشاذلية مع بعض التغيير، مثلا: الإستغفار مئة مرة عند الفجر؛ والصلاة على الرسول مئة مرة بصيغة "اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم"؛ والتشهد ألف مرة؛ والتسبيح مئة مرة؛ وذكر اسم الجلالة ألف مرة<sup>2</sup>.

**3.1. الطريقة التجانية:** تنسب الطريقة التجانية للفقهاء الجزائري أبي العباس أحمد بن المختار، المتوفى بفاس عام 1230هـ/1815م، شق عصا الترحال من مسقط رأسه عين ماضي، بحثا عن مشاهير الأئمة والوعاظ، وأداء المناسك الدينية، ومن أشهر المدن التي زارها: تلمسان، وفاس، والقاهرة، والحجاز، فكان خلالها يفتش عن طريقة تحمل معالم التصوف السليم، ويُفَسِّرُ هذا تعلقه بين القادرية تارة، والخلواتية تارة أخرى، مما جعله لا يستقر على شيخ، ولا طريقة يأنس لها<sup>3</sup>.

انطلاقا من منطقة بوسمغون جنوب غرب الجزائر أنشئ التجاني طريقته عام 1196هـ/1781م، والتي ستعرف فيما بعد بوابة العالمية من حاضرة فاس، فامتد نشاطها إلى شمال الجزائر والمغرب وتونس وليبيا؛ وجنوبا إلى آدرار من بلاد شنقيط وعموم غرب أفريقيا؛ ثم صحراء مرزوق الليبية نسبة إلى مدينة

<sup>1</sup> - أحمد بن حبيب الله ومحمد بن أحمد بن المحبوبي، الطريقة الشاذلية حضراتها ومحاضرها في موريتانيا، مطبعة المنار، نواكشوط، 2013، ص 18.

<sup>2</sup> - مبارك جعفري، الطريقة الرقانية التواتية وانتشارها في أفريقيا جنوب الصحراء خلال القرنين (12-13هـ/18-19م)، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة نواكشوط، موريتانيا، العدد 22، 2017م، ص ص 63-74.

<sup>3</sup> - أحمد شلي، المرجع السابق، ص 213.

مزرق الليبية وطوارق الأزجر حتى المشرق الإسلامي والحجاز<sup>1</sup>؛ منافسة في وقت وجيز كبريات الطرق الصوفية العتيقة.

كما تعد توات قاعدة التجاني الأمامية لولوج بلدان إفريقيا جنوب الصحراء، فقصده مؤسسها تيگورارين في أحد رحلاته للاجتماع بأحابه، "وفي هذه المدة التي أقامها بأبي سمغون، سافر إلى توات بقصد زيارة أهل الخير بها، وملاقاتهم، وخصوصا العارف بالله سيدي محمد بن الفضيل...، ومما سمعته من الثقات الفضلاء من أصحابه الصحراويين، وحفظته بالتقيد أن سيدنا (رض)، كتب إلى هذا السيد أولا كتابا يطلب منه فيه شيئا من الأسرار، فلم يجبه عن ذلك الكتاب، رغبة منه فيلقى والمواجهة بالخطاب...، فعمل الرحلة إليه، وسار حتى انتهى إلى محله وخيم عليه..."<sup>2</sup>.

والذي يفهم من النص أن محمد بن الفضيل، لم يكن شخصا عاديا تطوى الخطى والمسافات للقيام والجلوس بحضرتة، بل رأى فيه مؤسس الطريقة (التجاني)، القدوة الحسنة، والسبيل الأمثل لزيادة الحشود والأتباع، خصوصا وأنه لمس في أهالي توات محبة أولياء الله الصالحين، وميلهم الجياش لحفظ أسرار العلم اللدني، ولو كلفهم ذلك شراء الأوراد والأذكار بغالي الأثمان<sup>3</sup>.

هذا وقد أثنى أحمد العياشي سكيرج<sup>4</sup> على أسماء تواتية أخرى، كان أصحابها بمثابة سفراء أحمد التجاني في الأصقاع الصحراوية، أمثال: أحمد التواتي الذي سماه بأحد خاصة أصحاب الشيخ؛ والمقدم العربي بن إدريس التلاني؛ والطاهر بن عبد القادر القندوسي، الذي أخذ أسرار الطريقة عن التلاني؛ وكلاهما اجتمعا بالشيخ التجاني وتبادلا معه الرسائل.

وباستحضار ما نقله "ديبورتو" عن المد التجاني للأطراف. فإن انتشاره في أفريقيا الغربية يعود لخليفة شيخ الطريقة في بلاد البيضان محمد الحافظ العلاوي، الذي منح هذا اللقب من قبل أحمد التجاني عام 1194هـ/1780م<sup>5</sup>؛ مما دعى بعض أعلام الشناقطة للتوافد على فاس، واقتباس الأنوار

<sup>1</sup>- De Commandant Deporter, Op. Cit. P 55.

<sup>2</sup>- محمد العربي بن السائح، بغية المستفيد لشرح منية المرید، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة، د ت، ص 128-129.

<sup>3</sup>- نفسه، ص 129.

<sup>4</sup>- أحمد بن العياشي سكيرج، كشف الحجاب عن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، ط1، مطبوعات سالم الحبيب الجزائري، دار التجاني للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الوادي، الجزائر، 2009م، ص ص 356-359.

<sup>5</sup>- نفسه، ص 359.

الأحمدية من مظاهرها، ومن أبرز أولئك الأعلام: الطالب جد الشنقيطي، والعلامة أحمد الوداني، ومحمد السالك الوداني، وعبد الرحمن الشنقيطي... إلخ<sup>1</sup>.

نستطيع القول إن المكانة الروحية لمحمد الحافظ العلاوي، بلورها تعلق أبناء قبيلته (إداوعللي) بالطريقة التجانية، وأخذ ذلك التعلق طابعا من الخصوصية المطلقة، بحيث أصبح أفراد القبيلة يقولون أنه يستحيل أن تجد فردا من قبيلة إداوعللي ليس تجاني الطريقة<sup>2</sup>، كما ساعد الإقبال المتزايد على الطريقة امتدادها جنوبا خلال القرن (13هـ/19م)، بواسطة خريج المدرسة العلاوية مولود فال يعقوبي، فغطت المناطق المحاذية والمحيطية بنهر السنغال من بلاد فوتا غربا إلى تمبكتو شرقا.

ثم تفرعت عن الطريقة التجانية: الحافظية، والإبراهيمية، والحموية، وهذه الأخيرة انشأها الشيخ أحمد بن حماد الله التيشيتي<sup>3</sup> مطلع القرن العشرين من قرية أينورو المالية، وامتد تأثيرها الروحي والسياسي ليغطي مختلف مناطق موريتانيا ومالي، فانضوى تحت غطاها العلماء والشعراء والفقهاء.

**1.4. الطريقة الرقانية:** تأسست الطريقة على يد الشيخ مولاي عبد الله الرقاني التواتي، ارتبط بالتصوف وأعلامه وهو يزاول دراسته بزواوية بني الرقاد الكنتية، وسمحت له فترة إقامته في قصر بوعللي التردد على قبر الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، فظهرت عليه أسرار الزيارة وأنوارها، ثم تآقت نفسه إلى شيخ من الأحياء يصله، فشد الرحال إلى شيخ الأوراد الزيانية - أبي زيان القندسي - أين وجد مراد ضالته<sup>4</sup>.

ويمكن أن نردف لفظ الجامعة بالطريقة الرقانية، التي تأسست في القرن (12هـ/18م) عن طريق تفتحها على مختلف الطرق الصوفية، فهي رغم جذورها (القادرية - الشاذلية)، تجمع بين الطرق التجانية، والطيبية، والزيانية، والبكائية القادرية، وهذه الأخيرة من منطلق مزاولة الشيخ مولاي عبد الله

<sup>1</sup> - محمد العربي بن السائح، المصدر السابق، ص ص 192-200.

<sup>2</sup> - بول مارتي، دراسات حول الإسلام، المصدر السابق، ص ص 233-234.

<sup>3</sup> - تسمى الحمالية أيضا نسبة لمؤسسها الشيخ أحمد حماد الله المتوفى سنة 1943، تبنت طريقته حركة جهادية ذات توجه ديني سياسي ضد المحتل الفرنسي، متأثرا فيها بأراء وأفكار أستاذه الشريف الأخضر التواتي؛ Alioune Traoré: Op. Cit. P 51.

<sup>4</sup> - محمد بن المصطفى الرقادي الكنتي، نبذة عن حياة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني، مخطوط، خزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار، الجزائر، ص ص 16-23.

الرقاني، دراسته داخل أروقة الزاوية الكنتية على يد الشيخ أحمد الصوفي، لذلك يختلط الأمر في تصنيف طريقة زاوية رقان<sup>1</sup> التي اغترفت من كل منهل نصيب.

إن كانت الطريقة الرقانية جمعت خليط أواراد من طرق متعددة، إلا أنها استحدثت وتميزت بـ "ورد الرماية" الذي لم يكن في الطرق قبلها، حيث ما إن استقر الأمر لمولاي عبد الله الرقاني بزايوته حتى أسس فرقة الرماية، وكان لها ورد خاص، يتصل سنده بالشيخ محمد بن موسى الخلاص، عن ابن ناصر، عن الزوير بن العوام، عن عمر بن الشاط، عن مالك بن أنس، عن المقداد، عن سعد بن أبي وقاص، عن الرسول محمد ﷺ، عن جبريل، عن المولى عز وجل<sup>2</sup>.

بعد الشيخ مولاي عبد الله الرقاني انتقلت رئاسة الطريقة، ومشيختها، لابنه الأكبر الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني، الذي اشتهر بالولاية والصلاح وتعدد الكرامات، وهو الذي أخذ الأواراد الصوفية عن والده الشيخ مولاي عبد الله بالتواتر<sup>3</sup>، ومعه ستعرف الطريقة الرقانية خارج توات بعدا إفريقياً، بتغطيتها الأقاليم المجاورة لمناطق توات من أفريقيا جنوب الصحراء.

## 2. نماذج من الوصل الثقافي الصوفي

يعتبر إقليم توات المطل على بلدان الساحل الأفريقي شمالا، من أهم مسارب التصوف الجزائري لبلاد شنقيط، وشكلت الطريقة الشاذلية مع القادرية والتجانية شريان التصوف في المنطقة، من حيث عموم الانتشار لتغطية أكبر حيز جغرافي، وكذا طبيعة الممارسة في ترتيب الأولويات، إضافة لقوة التأثير الشعبي في مدى سعة الأخذ، والانضواء تحت أفكار منتسبي الطرق.

**1.1. حركة الإصلاح التجاني:** كان الهدف من وراء الحركة إصلاحيا بالدرجة الأولى، فظهرت في النصف الثاني من القرن (13هـ/19م)، بهدف تصحيح مسار التجانية العمريين - ينسب للشيخ الحاج عمر بن سعيد الفوتي - الذي يخالف حسب رواد الإصلاح الورد التجاني الصحيح؛ إذ أنهم في صلاتهم

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج4، ص 93.

<sup>2</sup> - مبارك جعفري، الطريقة الرقانية، المرجع السابق، ص ص 63-74.

<sup>3</sup> - محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص ص 357-366.

الوظيفة يذكرون اثنتي عشر مرة جوهره الكمال، وهذا يتناقض كلياً مع ما ورد عن الشيخ أحمد التجاني، والمقتصر على الذكر إحدى عشر مرة فقط، وما زاد فوّه تحريفاً باطلاً في نظر رواد الإصلاح<sup>1</sup>.

يعتبر محمد الأخضر التواتي زعيم الحركة الإصلاحية في غرب أفريقيا، بمباركة الخليفة التجاني الطاهر بوطيبة التلمساني<sup>2</sup>، لما ساقته رياح الأسفار في شبابه للنزول ضيفاً على الزاوية التجانية بتلمسان لأداء إحدى الصلوات المفروضة، وهناك تم اللقاء الروحي الأول بينه والخليفة التجاني، فرغم محدودية مستوى الشريف الأخضر العلمي، بصفته بناءً بسيطاً لا يجيد القراءة ولا الكتابة، إلا أن الشيخ الطاهر بوطيبة لمس فيه مواصفات الرجل الصالح، القادر على تجشم وعناء السفر لتبليغ الرسالة، فانتدبه مفوضاً عنه في الديار السودانية للقيام بالحركة الإصلاحية، ومن ثمة تقديم سر أحمد التجاني لخليفته هناك، بعد أن دله على المواصفات والعلامات التي سيعرف بها صاحبه<sup>3</sup>.

خلال رحلة البحث عن صاحب الإمارات، زار الأخضر حاضرة آجريف من الحواضر القادرية في آدرار، هذه الزيارة أثير حولها الكثير من اللغظ، واتخذها الوشائين المحافظين مطية لإشاعة خبر تحوله إلى الفاضلية، وهو ما أنكره الشيخ سعد بوه الفاضلي في رسالة لأعيان التجانية، برئ فيها الأخضر وفند التهم المنسوبة إليه، كما شهد له بالاستقامة، وصلاح الحال، والحرص على طريقته التجانية، والعمل بحرفية تعاليمها على أكمل وجه وأحسنه، دون مساومة أو مداهنة<sup>4</sup>.

ولأن القطبية مرتبة عالية في التصوف تحوّل لصاحبها مطلق التقديم؛ فالمحطات المؤقتة آدرار، وشنقيطي، وكهيدي، وولاتة، والنعمة، كانت ساحة لجس النبض وحشد الأتباع، وتقديم مجموعات من قبيلة الأغلال تلقن الرفع التجاني الأحد عشر<sup>5</sup>، الذي يعتبر الشيخ الأخضر أول المؤسسين له في المنطقة؛ وتوطيدا لدعامته أسس تلميذه الشيخ أحمد بن حمّاه الله التيشيتي عام 1902 الطريقة الحمالية (الحموية)، اللسان الناطق للرفع التجاني؛ لاجتثاث أفكار الزيغ والانحراف المستشري<sup>6</sup>.

<sup>1</sup>- Alioune Traoré, Op. Cit, P. 49.

<sup>2</sup>- أبو عبد الله سيدي بوطيبة التلمساني، ارتبط بأقطاب الطريقة التجانية أمثال سيدي أحمد التجاني والعبداوي، واشتهرت على يديه في نواحي تلمسان، فهو أحد الخاصة المفتوح عليهم فيها؛ ينظر، أحمد بلعياشي سكريج، المصدر السابق، ص 330.

<sup>3</sup>- حدو ولد الحسن، شيخنا حمّاه الله حياته ومقاومته للفرنسيين، ط1، د د ن، 2009، ص 17.

<sup>4</sup>- نفسه، ص 19.

<sup>5</sup>- Alioune Traore, Op. Cit, P 50.

<sup>6</sup>- Ip. Id, P 50; 22-18. حدو ولد الحسن، نفس المرجع، ص ص.

**2.2. تشهير الطريقة الناصرية الدرعية<sup>1</sup>:** انتشرت الطريقة الناصرية الغازية، وهي أحد فروع الشاذلية في بلاد شنقيط وأحوازها، انطلاقاً من زاوية تامكروت الناصرية الدرعية، لدرجة جعلت البعض يرجح تزامن انتشار الشاذلية مع القادرية في البلاد وربما أسبقية الأولى<sup>2</sup>. ونحن هنا، لسنا بصدد الخوض في هذا الإشكال، بما أن الطريقتين وجهتان لعملة واحدة، والذي يهمنا في موضوع الانتشار العلامة أحمد التواتي المتوفى بحاضرة تيشيت، الذي أخذ طريق الصوفية الغازية في زاوية تامكروت عن شيخه أحمد بن عبد القادر.

مما لا شك فيه أن القرن (12هـ/18م) غصَّ بأعلام الناصرية؛ وهذا لم يجلب أحمد التواتي عن أن يكون عمدة مشهريها في شنقيط وما جاورها، فزاوية تامكروت التي احتضنته ومريديه، أعاد منها تصدير الطريقة كمرابي لثلة من الشناقطة، أمثال: الأمين بن الطالب الحبيب، والفقير محمد بن عمر الخطاط البرتلي، وعن الخطاط تلقاها حمدي بن المختار بن الطالب أجود الحاجي، الذي كان لحفيده المرابط بابا بن محمد بن حمدي دور متميز في نشر الطريقة في السنغال<sup>3</sup>.

**3.2. انتشار الطريقة الرقانية:** تحدثنا فيما مضى عن نسبة الطريقة الرقانية وبواعث ميلادها، وسنخصص هذا العنصر للحديث عن تطورها خارج توات عملاً بوصية المؤسس<sup>4</sup>، فتعد فترة انتقال المشيخة لأبناء الشيخ مولاي عبد الله، نقلة نوعية في نشاط الطريقة خلال النصف الثاني من القرن (12هـ/18م)، فما إن ورث الشيخ مولاي عبد الملك مشعل الخليفة، وتردد أخويه مولاي الشريف ومولاي السعيد المستمر على ولاتة، حتى شرعوا في تنفيذ مخطط توسعي غطى مجالا رحبا، ازداد معهم الأتباع في الضفة الجنوبية الصحراوية من بلاد السودان عبر مدن الحوض الشرقي الموريتاني<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - الناصرية الدرعية: نسبة إلى محمد بن ناصر الدرعي (ت 1085هـ/1674م)، من أجل مشائخ المغرب الأقصى علما وعملا ...؛ ينظر، محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 84.

<sup>2</sup> - الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 122.

<sup>3</sup> - نفسه، ص ص 84 - 123.

<sup>4</sup> - عبد الله بن هاشم الرقاني، النسمة الزكية في التعريف بشيوخ الطريقة الرقانية، ط2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2020م، ص 132.

<sup>5</sup> - مبارك جعفري، العلاقة بين الطريقة الرقانية في توات وأتباعها في أفريقيا جنوب الصحراء من خلال وثائق خزانة مولاي العباس بن مولاي عبد الله الرقاني ببودة أدرار الجزائر، مجلة البحوث التاريخية، جامعة المسيلة، مج6، ع01، جوان 2022م، ص ص 366-382.

في سلسلة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني ما يشير لدواعي تشهير الطريقة الرقانية؛ من منطلق الالتزام بالآداب والأخلاق الفاضلة لنيل مرضاة الله تعالى، ورسوله الكريم، والوالدين؛ والصبر على المشاق، لتبليغ الرسالة للشعوب البعيدة المتوطنة شعاب الصحراء والسودان<sup>1</sup>.

أوصايي شدوها حنين أتموتوا  
أوعلموا الناس والسكان والابعاد  
أو لا تملوش من دين محمد  
به انرجحو غدا في الميعادي

وعملا بفحوى الوصية وما جاء فيها من إرشادات ونصائح؛ كثف الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني الاتصالات، بغرض تعبئة أنصار جدد للتشبث بالطريقة، فالمهمة تحتاج شخصا تقيا ورعا، ملازما للأذكار والأوراد<sup>2</sup>، وفوق ذلك خبيرا بأحوال المسالك الصحراوية الوعرة، فوق الاختيار على الشيخ مولاي زيدان بن محمد، صاحب التنقلات الكثيرة بين توات وأرض التكرور<sup>3</sup>، فسحاء النفس وكرم الأخلاق صفات تربى عليها، غرست له محبة زائدة في نفوس الولايتين، وعظمت شأن شيخه مولاي عبد المالك عندهم، فخلصت بتبليغ الورد الرقاني لساكنة ولاته "فهو الذي أوصل ورد الشيخ مولاي عبد المالك لنا ولأهل بلادنا، فجزاه الله تعالى عنا بأحسن الجزاء"<sup>4</sup>.

كما عرف عن الشيخ مولاي زيدان التواضع والاحترام الشديد لشيخه مولاي عبد المالك، فهو كان يرى نفسه مبعوثا مكلفا بتبليغ دعوته لا غير، وكان يجذب أن يرتبط الأتباع والمريدون بالشيخ لا به، ومن ذلك قوله: "أحب إليّ من يضربني في مجلس فيه كثير من الناس ممن يقول لي شيخنا، إنما شيخكم مولاي عبد المالك، إنما أنا رسوله أوصل لكم ورده، فلا تعطوبني وتعطبوا أنفسكم"<sup>5</sup>.

إن مكانة أحفاد آل الرقاني عند الولايتين لا يشق لها غبار، لذا خصّهم الشيخ مولاي عبد الله الحفيد بزيارة شخصية، زادتهم تعلقا بطريقته، فعرف عنه مصاحبة والده مولاي عبد المالك الذي ميزه دون إخوانه بالسر والإعلام، وترك الأمانتين عند أخيه محمد العيمش حتى يبلغ أشده<sup>6</sup>، فبعد أن أصبح

<sup>1</sup> - عبد الله بن هاشم الرقاني، المرجع السابق، ص 132.

<sup>2</sup> - أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي، المصدر السابق، ص 51.

<sup>3</sup> - MAHDI Ould Moulay El Hassane, Op. Cit , P 254.

<sup>4</sup> - محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 180-181.

<sup>5</sup> - نفسه، ص 101.

<sup>6</sup> - محمد الرقاني، المقابلة السابقة.

مؤهلاً لتحمل المسؤولية، جدّ السفر لولاته، لما عظم شأن الطريقة بها، وصار لها أتباع من خارج المدينة، وهو ما حملته رسالة عبد المالك بن الطالب الصغير البرتلي، التي تخبر أن خديم الطريقة أحمد بن الحاج التيشيتي، عثر في سنسند على شخص إخواني من تيشيت يردد الورد الرقاني<sup>1</sup>.

### 3. الامتداد الروحي لزوايا التصوف

يشترك اسم الزاوية في اللغة من الفعل انزوى، أي انطوى على نفسه وعاش منعزلاً عن الناس، مثل المتصوفين في خلواتهم، والمرابطين في ثغورهم؛ وهي على شكل مسجد غير جامع، ليس فيه مئذنة ولا منبر<sup>2</sup>؛ أما اصطلاحاً، فهي مؤسسة إسلامية ذات طابع علمي واجتماعي وروحي، اقترنت في كثير الأحيان بالطرق الصوفية، وكانت مكاناً يلتقي فيه المرید مع الشيخ لتلقي الأوراد والأذكار<sup>3</sup>.

تمثل هذه الزوايا همزة وصل بين شعوب شمال وجنوب الصحراء؛ ولذلك أخذ أعلامها على عاتقهم دور القرباة الروحية، بواسطة عملهم الإصلاحية القائم على نشر العلم، وتنوير العقول، وتربية النفوس وتركيتها، وتهذيب السلوك، وتوجيه الناس إلى محراب المحبة وإلى التأخي في الدين والدنيا<sup>4</sup>؛ مما جعلها ملاذ أعلام التصوف، بفعل مجاراتها بين التوجه الشرعي المحض، والفكر الصوفي القائم على الخلوة. وسنحاول إبراز ذلك من خلال أهم الزوايا التي لعبت دور التقارب بين القطرين.

**1.3. الحلة المختارية بأزواد:** تأسست على يد الشيخ المختار الكبير الكنتي بقصر الحلة سنة 1167هـ/1754م، في مكان استراتيجي يدعى المبروك، به مياه وزرع، ويقع في طريق مرور القوافل، فاختره موطناً وبنى فيه مسجداً للصلاة، وزاوية للتدريس، وهي بموقعها تعتبر مرحلة مهمة في طريق التبر الذي يربط السودان الغربي مع باقي الأقطار<sup>5</sup>، فلم تكن زاويته الكنتية تهدف إلى إعطاء الأوراد القادرية،

<sup>1</sup> - مبارك جعفري، العلاقة بين الطريقة الرقانية وأتباعها، المرجع السابق، ص 366-382.

<sup>2</sup> - أنطوان نعمة وآخرون، المرجع السابق، ص 472.

<sup>3</sup> - مبارك جعفري، الزوايا ودورها التربوي الإسلامي في منطقة توات، المؤتمر الدولي الثاني رؤى تربوية إسلامية معاصرة "واقع وطموح"، المعهد العالي للدراسات الإسلامية جامعة آل البيت المفرق، المملكة الأردنية الهاشمية، 11/10 إبريل 2012، ص 2.

<sup>4</sup> - مصطفى بن خطري، الدور التربوي للطرق الصوفية بالبلاد السائبة، مجلة منارة الفتوى، العدد الثالث، رمضان 1436هـ/يوليو 2015، ص 45-76.

<sup>5</sup> - أحمد الحمدي، المختار الكبير الكنتي، المرجع السابق، ص 192.

أو عزل المريدين التام عن العالم، وإنما اتخذت من الزهد طريقاً لتصفية النفوس، ومنهجاً لإقامة مثل عليٍّ من السلوك والإيمان، وهيئة الصفاة ليكونوا قادة فيما بعد<sup>1</sup>.

استطاعت الزاوية في وقت وجيز بفضل منهجها القويم وتسييرها الرشيد، أن تستقطب عديد الشخصيات، ذات التأثير الديني في مجتمعاتهم، خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، فأصبح لها أتباع في عموم الصحراء الغربية والسودان<sup>2</sup>، وصار للشيخ المختار ممثلين إما من أبنائه، أو مشايخ من عائلات كنتية أخرى في توات وتكانت، أمثال: الرقايدة في زاوية كنتة؛ والهمال في أقبلي؛ وأولاد المختار الشيخ في الجديد؛ وأولاد بوسيف في قصر البركة والرشيد<sup>3</sup>.

من الذين اندمجوا في مشروع الحلة المختارية الشيخ أبو نعامه بن أحمد البكاي، الذي حط الرحال عند الشيخ المختار الكبير الكنتي قادماً من زاوية أقبلي، حيث تزود بالفضائل والأخلاق الأحمدية من علوم الشريعة والحقيقة، ثم ترك الزاوية بأمر شيخه لنشر الطريقة بين قبائل السوداين؛ وأثناء رحلته اجتمع في إكيدي الشنقيطية بالولي الصالح "صالح بن آبي الديماني"، واستغرقا مدة في تفتيش العلم الشرعي واللدني، والتعاقد على البر والتقوى، حتى انكشف النقاب لكليهما عن سريرة صاحبه<sup>4</sup>.

تعد المدة التي قضاها الشيخ أبو نعامه سواء في أزواد أو بلاد شنقيط، من الفترات الغامضة التي لا يعرف عنها إلا القليل؛ وهي رغم ذلك، تصنف ضمن محطات احياء وانبعاث القادرية العمرية في غرب أفريقيا<sup>5</sup>، إذ تزامنت وفاته المؤرخة عام 1256هـ/1840م، مع رحيل قطب ديني آخر، ترك خلفه أتباع كثر في منطقة الحوض، ونعني به بابا أحمد بن الشيخ المختار الكبير الكنتي، الذي يعتبر مصدراً مهماً للورد القادري الكنتي جاء من الشرق للاستقرار بالغرب<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - أحمد الحمدي، المختار الكبير الكنتي، المرجع السابق، ص 193.

<sup>2</sup> - بول مارتني، كنتة الشرقيون، المصدر السابق، ص 74.

<sup>3</sup> - Abdel-aziz abdallah Batran, Sidi al-mukhtar al-kunti qnd the recrudescence of Islam in Westren Sahara and he Middle Niger c. 1750-1811, PH.D. thesis submitted, Centre of West African Studies, University of Birmingham, London, November, 1971, P 156.

<sup>4</sup> - محمد بون الكنتي التواتي السنغالي، المصدر السابق، ص 117-118.

<sup>5</sup> - مصطفى بن خطري، المرجع السابق، ص 45-76.

<sup>6</sup> - بول مارتني، القبائل البيضانية، المصدر السابق، ص 151.

هناك رافد آخر؛ وفد من جنوب غرب بلاد شنقيط لنشر الطريقة القادرية، وهو الشيخ سيديا بن المختار الأبييري، الذي كان من مقربي عائلة الشيخ المختار الكنتي، فعمل على نشر الطريقة من زاوية بوتلميت في الترازة، وفي طريقه إلى مخيم الشيخ المختار الذي وصله عام 1226هـ/1811م، زار المبجل صلاح بن آبي بنية التبرك والفلاح<sup>1</sup>، وقد عرف عن الشيخ سيديا ورعه ونباهته ودهاؤه، فيقول عنه بول مارتى: "كان للشيخ سيدي محمد الخليفة الشرف أن الشيخ سيديا كان في عداد تلامذته، ذلك أنه سيصبح في يوم ما الزعيم الديني لموريتانيا السفلى ومجدد القادرية"<sup>2</sup>.

**2.3. الزاوية الرقادية التواتية:** تنسب الزاوية للشيخ أحمد بن محمد الرقاد، تأسست أواخر القرن (10هـ/16م) بحاضرة زاوية كنتة، وهي ثالث الزوايا الكنتية على حسب التأسيس<sup>3</sup>، وقد حرص أعلامها -عملا بوصية المؤسس لخليفته الشيخ علي بن أحمد بن محمد الرقاد- على الحفاظ على الأسس التي قامت لأجلها، من ضيافة، وكرم، وتقوى، وتعلم، وتواتر السلسلة القادرية، التي ورثها جدهم عمر الشيخ لابنه أحمد الفيرم، فقام بها خير القيام حتى مكن منها ابنه محمد، وهو أول من عرف بالرقاد<sup>4</sup>.

يحسب انتشار القادرية العمرية بين شعوب التكرور لأبناء الرقاد؛ فيذكر محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، أنه أخذ ورد الشيخ عبد القادر الجيلاني قراءة عن العلامة علي بن أحمد الصوفي بن علي الرقادي المتوفى عام 1194هـ/1780م<sup>5</sup>، والذي كان حسب قوله "من عباد الله الصالحين، والأولياء العارفين أرباب الأحوال، يذكر الله كثيرا حتى يسقط مغشيا عليه ... يؤنس أصحابه وجماعته بحكايات الصالحين ... وكانت تظهر بركته ونفعه لمن اعتقده من أصحابه"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - هارون بن الشيخ سيديا باب الأبييري، كتاب الأخبار "المدون" في أخبار الموريتانيين ومن جاورهم من النواحي المحيطة بهم، أعده وقدمه للطباعة والنشر، باب ولد هارون، د ط، د د ن، د س ن، ج 1، ص 67.

<sup>2</sup> - بول مارتى، كنتة الشرقيون، المصدر السابق، ص، 82

<sup>3</sup> - مولاي التوهامي الغيتاوي، المرجع السابق، ج 1، ص 85.

<sup>4</sup> - نفسه، ج 1، ص 85.

<sup>5</sup> - محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 356.

<sup>6</sup> - نفسه، ص 355-356.

مما لا شك فيه أن سمعة مشائخ كنتة كرجال دين، وقدراتهم في عالم الكرامات مع أنشطة تجارية ناجحة<sup>1</sup>، هيأت الأرضية لتأسيس زوايا خارج توات تصدرها أبنائهم؛ فلم يطلق في أدبيات كنتة مصطلح مقدم الطريقة على أحد خارج الأسرة، ونتيجة لذلك استغل علي بن أحمد الرقاد مكانته وتأثر الأفاقة به، فأرسل ولداه البارزين في أعراف القبيلة الكنتية، أحمد الخليفة وأخوه محمد الأمين ذو النقاب، لتأسيس وتعمير زوايا تهتم بالأمر الدينية والروحية للشعوب الإفريقية<sup>2</sup>.

من الظاهر أن الهجرات الرقادية نحو زاوية أروان التي شاع خبرها، لم تُبَقَّ في زاوية توات أواخر القرن الثاني عشر إلى آخر القرن الثالث عشر الهجري، إلا القائم على أمورها حفظا لوصية الأجداد، وهو علي بن أحمد الصوفي<sup>3</sup> الذي لقن الورد مشافهة للبرتلي، وهذا يطرح سؤالاً، عمّ إذا كان علي قد زار بلاد شنقيط، أو اجتمع بالبرتلي في أحد زوايا بني الرقاد في السودان، أم لا؟ سيما وأن علي الذي شغل منصب قضاء إمارة أولاد مبارك الحسانية، نشر الورد القادري في منطقة الحوض، ثم شيّد أحفاده فيما بعد "زاوية سيدي أحمد الرقاد" في منطقة النعمة<sup>4</sup>.

**3.3. الزاوية الرقانية التواتية:** تأسست مع ظهور الطريقة الرقانية على يد الشيخ مولاي عبد الله الرقاني خلال القرن (12هـ/18م) بمنطقة رقان، ومنذ التأسيس ربطت الزاوية أواصر التقارب الثقافي والاجتماعي مع دول الجوار جنوب الصحراء الجزائرية، وبلغت علاقاتها بتلك الدول ذروتها في حضرة الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني، حيث شهد النصف الثاني من القرن نفسه دخول جماعة من أهل ولاتة ومن حام حماهم، بفصاروا مريدين للشيخ مدعين لذلك في سائر أقاليم توات<sup>5</sup>.

بعد انكشاف للعيان كرامات الشيخ مولاي زيدان المستوري<sup>6</sup>، تآقت أنفس الولاتيين لإرسال بعثات تنهل من معين مشائخها. فهذا الفقيه محمد الأمين بن أحمد بن عمر المحضري الولاتي، يرسل خطابا بصحبة أخيه علي بن أحمد المحضري للشيخ مولاي عبد المالك، يطلب الاجتهاد في تربية المبعوث

<sup>1</sup>- Abdel-aziz abdallah Batran, Op, Cit, P 156.

<sup>2</sup>- مولاي التهامي الغيتاوي، المرجع السابق، ج1، ص 79.

<sup>3</sup> - نفسه والصفحة.

<sup>4</sup>- سيدي أحمد ولد محمد ولد علي، التسجيل صوتي السابق.

<sup>5</sup>- محمد بن مصطفى الرقادي الكنتي، المصدر السابق، ص ص 26-34.

<sup>6</sup>- محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص ص 176-182.

روحيا على أسس الطريقة السليمة، وإعادة إرساله مع الرفقة الآمنة لنشر تعاليمها، متوسلا إلى الله تعالى بآل الرقاني قضاء حوائجه في الدنيا قبل الآخرة<sup>1</sup>.

من هذا المنطلق؛ فإن مناطق الصحراء الوسطى والجنوبية<sup>2</sup> التي عرفت الطريقة الرقانية بها نفوذا، تعهد أصحابها ارسال تبرعات سنوية كعربون إخلاص لمشائخها؛ فكان أحمد بن الحاج التيشيتي يعمل متطوعا ليل نهار في خدمة الزاوية، وإن كلفه ذلك المغيب عن أهله مدة طويلة<sup>3</sup>، مستقصيا أخبار المريدين وأحوالهم، وتحصيل الفروض اللازمة المقدرة بمثقالين عن كل منخرط، بينما اختص أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، بجمع تبرعات وصدقات المحسنين والمتعاطفين الولاتيين، وإرسالها بمعية الرفقاء الوافدين على مركز الزاوية الأم بتوات<sup>4</sup>.

على ما يبدو أن العلاقة الوطيدة التي جمعت البرتلي أبو بكر الصديق بشيخه مولاي عبد المالك، مهدت الطريق أمام المبعوث الرقاني (مولاي زيدان)، أن يقترح الطالب أبا بكر بن محمد بن الحاج أحمد قاضيا على ولاتة، ولقي المقترح قبول أعضاء مجلس المدينة الاستشاري<sup>5</sup>؛ وهذا لا يدع مجالاً للشك بمكانة الزاوية الروحية خارج توات؛ فهي بمنزلة القطب الاجتماعي لالتفاف شمل أطراف المجتمع، يفرع المهزومون والهاربون إليها وقت الشدائد والمحن؛ ومركزا إصلاحيا تناقش في أروقتها مشاكل الشعوب؛ وملجأ يقصدها بالهدايا سكان الصحراء من الطوارق، للزيارة والتبرك معا<sup>6</sup>.

استنادا لما تم التطرق إليه؛ مثل التصوف الطريقي اللبنة الأساسية للترابط القبلي التواتي الشنقيطي، فرغم تعدد الطرق الصوفية واختلاف أدوارها، يبقى هدفها الأسمى تربية الروح البشرية على الأخلاق الفاضلة، بصورة تجعل الشخص يعتقد أنه مهما سما وعلا في المراتب الدنيوية، يظل مبتور الأطراف إذا

1- محمد الأمين بن عمر المحضري و محمد عبد الله بن أبي بكر الصديق البرتلي، الوثيقة السابقة، ص 1-2.

2- Martain, Op. Cit, P 10.

3- مبارك جعفري، العلاقة الروحية، المرجع السابق، ص 366-382.

4- محمد الأمين بن عمر المحضري و محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، الوثيقة السابقة، ص: 2.

5- رحال بوبريك، المدينة في مجتمع البداوة (التاريخ الاجتماعي لولاته خلال القرنين 18-19م)، ط 1، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، المغرب، 2002م، ص 32.

6- أبو القاسم سعد لله: المرجع السابق، ج3، ص 93.

لم يجبل نفسه على التواضع والإيثار ومواساة الغير بما يملك؛ ولا يتم ذلك إلا بالاندماج في حياة رجال التصوف المكابدين والمجاهدين من أجل بلوغ منازل الصلحاء الأتقياء.

## المبحث الثالث: العوامل المؤثرة في التواصل الاجتماعي

تجتمع عدة عوامل مؤثرة لخلق تجانس حضاري بين المجتمع التواتي والشنقيطي، بعض هذه العوامل فرضته الهجرات السكانية المتبادلة، وما ينجر عنها من تقارب قبلي، والبعض الآخر جاء نتيجة الجوار الجغرافي والبيئة الصحراوية المتماثلة في كثير المزايا والخصوصيات.

### 1. الصلات والروابط الأسرية

**1.1. المصاهرة:** يعتبر الزواج من سنن الأنبياء عمل به المتقدمون، ودأب على استمراره المتأخرون؛ فالإسلام رغب في هذه السنة الممدوحة، التي تعزز أواصر الألفة والمحبة بين الشعوب، لأن أصله الشرعي زيادة النسل حتى لا يخلو العالم من عابد لله، مصدقا لقوله (ص): {التَّكَاحَ مِنْ سُنِّي. فَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِسُنِّي فَلَيْسَ مِنِّي. وَتَزَوَّجُوا فَإِنِّي مُكَاتِرٌ بِكُمْ الْأُمَّمُ}؛<sup>1</sup> فعن طريقه تؤسس لبنات الأسر، وتنهض حضارات الشعوب، وتتكاثر الأمم والخلائق ذرية بعضها من بعض؛ بغية التعارف والتواصل.

عملا بقول سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ. إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>2</sup>؛ جاءت الهجرات من توات لحواضر شنقيط، لتحقق الخلق الديني الأسمى للمصاهرة، بغرض تقوية الروابط القبلية وتحقيق المآرب الدعوية، حيث أفضى تردد مولاي عبد الله ابن مولاي عبد المالك الرقاني على أرض ولاتة إلى زواجه من إحدى السيدات الكنتيات، حتى أن ولده مولاي العباس - شهيد معركة الدغامشة التاريخية بعين صالح عام 1318هـ/1900م- تربي عند أخواله الولاتيين، أين تدرّب على فنون القتال الحربية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجة القزويني، سنن ابن ماجة، تحقيق ودراسة، محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، حديث رقم (226)، ج1، ص 592.

<sup>2</sup> - سورة الحجرات، الآية رقم: 13

<sup>3</sup> - محمد الرقاني، المقابلة الشفوية السابقة.

من أجل الهدف الدعوي نفسه، تزوج الشيخ محمد الأخضر التواتي بامرأة من قبيلة اديشلي، رزق منها بابنته الوحيدة لالة منت (بنت) الأخضر، التي كان يقصدها الناس للتبرك في حياتها، حتى انتقلت إلى عفو ربها حوالي 1376هـ/1957م، وقد ترك الأخضر البنت مع أمها في آدرار الموريتانية، ثم توجه صوب لعصابة وكركول، ومنهما للحوضين - الشرقي والغربي - حتى وصل ولاتة، ومن ولاتة إلى مدينة انيورو التي اطمأنت نفسه بها وتزوج هناك، فكان خلال رحلته يلاقي احترام الجميع، وإشادتهم بقدرته الفائقة على التدين والثقافة<sup>1</sup>.

علاوة على ذلك، نجد أن صاحب مؤلف "مطرب العباد" ترجمه المؤرخ الجزائري إسماعيل حامت إلى الفرنسية، ثم اعتمده محقق كتاب حوادث السنين الأربعة في حواشي تحقيقه، قد نقل الجبايات التلاحم القبلي الذي يؤدي إلى المصاهرة، لشرح بعض أسباب هجرة العائلات البلحاجية من ولاتة وتأسيس النعمة، وذكر من جملة القبائل المرافقة لهم، قبيلة إيدلبة الصنهاجية، التي جمعتها روابط عرقية بواسطة زواج أبناء هذا البطن الجكني من بنات أحفاد مولاي صالح، والعكس<sup>2</sup>.

**2.1. تشريفات المنصب:** يزيد الإنتماء الشريف الفرد وقارا وتجلية اجتماعية، فالشرفاء محل إشادة وتقدير داخل المجتمعات الإسلامية الصحراوية، والحال ينطبق مع شرفاء توات الولايتين الذين رغم حداثة عهدهم في بلاد شنقيط، لقيوا صنوف الكرم والترحيب الاجتماعي بتولي أبنائهم المناصب المهمة، ومنها أن مولاي عبد الله الملقب شيخ العافية، كان مقدم ركب الحاج الولاقي في الرحلة المباركة التي أرحها الحاج البشير البرتلي، ونال هذا الشرف نظير الخدمات الكبيرة التي ما فتى يقدمها لعامة وخاصة المجتمع، فهو كما وصفه جدو بن الطالب البرتلي "الشريف الغطريف الرئيس فاعل الخير والمعروف التقى النقي مولاي عبد الله بن سيدي محمد بن مولاي صالح"<sup>3</sup>.

كما ساعد توافد شرفاء توات البلحاجيين في زيادة فرص تمثيلهم الاجتماعي، فالمحاجيب أصحاب القرار المخولين بتنظيم شؤون المدينة، اختاروا عشيرة أهل الخليفة ابن مولاي الشريف من بين قبائل الشرفاء للرئاسة الفخرية مع بعض تشريفات المنصب، الذي يتيح لعائلة الرئيس الحصول على

<sup>1</sup> - جدو ولد الحسن، المرجع السابق، ص 20-21.

<sup>2</sup> - المختار بن حامد، حوادث السنين، المرجع السابق، ص 297.

<sup>3</sup> - جدو بن الطالب الصغير البرتلي، تاريخ جدو بن الطالب الصغير المسمى تاريخ بلاد التكرور، مخطوط، مكتبة مخطوطات جامعة فريبورغ، ألمانيا، د ت، ص 31.

امتيازات مادية تجسيدا لخاصية الرئاسة، مثل: رأس ذبيحة عن كل نحيرة؛ وضريبة القوافل بمقدار 4 كلغ تقريبا عن كل بعير محمل؛ فضلا عن كون الطبل يضرب في خيمة رئيس أهل الخليفة<sup>1</sup>.

غير أن هذا الاختيار المحجوبي بين العشائر والقبائل الولاتية، جاء ليفتح باب الجدل حول الغاية من هذا التفضيل الخفي، لا سيما وأن بالمدينة قبائل أعرق حضورا وتمثيلا من عشيرة آل الخليفة، وهو ما يمكن تفسيره - حسب بعض الدراسات - بأن التنامي المتزايد للشرفاء، أصبح يؤرق كاهل الزعماء المحجوبيين، فكان الخيار الأنسب لإحداث شرخ بين أبناء العمومة، بذريعة تفضيل قبيلة عن أخرى، حتى يضعف شأهم وتنفرد كلمتهم<sup>2</sup>.

**3.1. ضمانات الوكلاء:** تصون خزائن المخطوطات عقود الضمان والوكالات من التلف والضياع، ونعتبر هذه العقود وسائل تواصل مهمة، وعلاوة على غزارة مادتها العلمية، تمثل مظهرا حضاريا للعلاقات بين الشعوب. وأصل وجوبها أن شخصا يمكّن آخر في متاع له، على أمل استرجاعه مستقبلا عن طريق وكيل بتوثيق رسمي، فصورتهما متلازمة تقريبا، لأن كل حق جازت فيه النيابة جازت الوكالة فيه كالبيع، والشراء، والإجارة، واقتضاء الدين، وخصومة الخصم، والتزويج، والطلاق... وما إلى غير ذلك<sup>3</sup>.

من خلال قراءةتنا لمختلف ضمانات الوكلاء التي تؤرخ لعلاقات تواتية - شنقيطية، استوقفنا ذكر اسم أحد قضاة ولاتة في عارضة احتجاج، تقدم بها محمد بن عبد الله بن الحسن الرقادي عام 1209هـ/1795م، في شأن تخلف الوكيل والمكلف بتمكين المتاع، عند تقويم تركة الصائر إلى عفو الله تعالى مولاي علي بن مولاي الشيخ؛ فذكرت العارضة فوق المبالغ المؤمنة مبلغا قدره سبعة وسبعون مثقالا ذهبيا ضمانا، وجدت عند آخر قضاة أسرة المحاجيب في ولاتة<sup>4</sup> قبل الحرب التي اشتعلت فيها بين الشرفاء من مهاجري توات عام 1222هـ/1807م القاضي انبويه بن محمد بوية بن الطالب عبد

<sup>1</sup> - المختار بن حامد، حوادث السنين، المرجع السابق، ص 279.

<sup>2</sup> - Mahdi Ould Moulay El Hassan, Op, Cit, P 259.

<sup>3</sup> - أبو محمد عبد الله بن علي بن نصر التعلبي، التلقين في الفقه المالكي، اعتناء وتعليق، المركز العلمي بدار ابن الجوزي، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، 1437هـ/2016م، ج2، ص 160.

<sup>4</sup> - محمد مولاي، المرجع السابق، ص 222.

الرحمن المحجوبي<sup>1</sup>، وأمام غياب الوكيل مولاي عبد الرحمن الرقاني، وأبيه مولاي السعيد الرقاني المكلف بتأمين المتاع، قامت جماعة الرقايدة بتقويم الحاضر المعلوم، والمتكون من أمة وغلّام وأربعة أو خمسة جمال<sup>2</sup>، على أن يبقى المال المقوم في ذمة الوكيل إلى حين إبلاغ مستوجه أو إرفاد أهله.

من الأمثلة الواردة - أيضا - ضمن سياق ضمان الوكلاء، خصومة مولاي هيبة الله الرقاني والحاج المبخوت الوغلايني، بصفة الأخير وكيلا عن فاطمة بنت الحاج محمد البارودي، لقبض جميع ممتلكات والدها، ومنها مائتا مثقال التي بحوزة مولاي هيبة الله بن مولاي السعيد الرقاني، وهنا طالب القاضي محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي من الوكيل بعد تحصيل المتاع، دفع جميع المال المسترد لفاطمة بنت الحاج البارودي لأنها المستحقة به شرعا، ولا يحق له الوقوف عليه، ولا مساءلتها فيه<sup>3</sup>.

**4.1. الأوقاف:** يدخل الوقف أو الحبس ضمن التبرعات المندوبة، وهو مما اختص المسلمون به اقتداء بالنبي (ص)، فلم يجبس أهل الجاهلية دارا ولا أرضا، إلا ما كان على وجه التفاخر، ورسمه جعل منفعة مملوك على وجه الدوام للانتفاع به<sup>4</sup>، وعن لفظه يقول التغلبي: "وألفاظ الوقف والحبس ضربان؛ ضرب يتجرد، وهو قوله وقفت وحبست وتصدقت؛ وضرب يقترن به ما يقتضي التأيد، وهو أن يقوم محرم مؤبد ولا يباع ولا يوهب ... ومن شروطه خروجه عن يد الواقف وتركه الانتفاع به"<sup>5</sup>.

من أفعال التسبيل المخلدة ذات المنفعة العامة التي تحفظها الذاكرة الشنقيطية، تجسيد الحاج الأمين الغلاوي التواتي فكرة الوقف الخيري "مشروع الهمة الكبرى"، الذي لا يزال ريعه ساريا على الحجاج الشناقطة، ويعطي أكله إلى اليوم في بلاد الحرمين، وذلك بعدما أنهكهم صراع الهوية المرير لنيل حقهم

<sup>1</sup> - توفي عام 1222هـ / 1806م، كان رحمه الله تعالى قاضيا عدلا رضيا مرضيا؛ ينظر، جدو بن الطالب الصغير البرتلي، المصدر السابق، ص 30.

<sup>2</sup> - محمد بن عبد الله بن الحسن الرقادي، رسالة إحتجاج إلى مولاي السعيد بن مولاي عبد الله الرقاني، وثيقة مخطوطة، الناسخ، أحمد بن عبد القادر البداوي، جمعية مسجد ومدرسة مولاي عبد الله الرقاني، زاوية الرقاني، رقان، أدرار، الجزائر، د ت.

<sup>3</sup> - محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، نازلة بشأن وكالة فاطمة بنت الحاج محمد الشانع لاسترجاع أموال في ذمة مولاي هبة الله الرقاني، وثيقة مخطوطة، جمعية مسجد ومدرسة مولاي عبد الله الرقاني، زاوية الرقاني، رقان، أدرار، الجزائر، د ت، ص 3.

<sup>4</sup> - أبي البركات أحمد الدردير، الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أخرج وضبط نصه، مصطفى كمال وصفي، دار المعارف، القاهرة، 1986م، ج 4، ص 97.

<sup>5</sup> - أبو محمد عبد الوهاب التغلبي، المصدر السابق، ص 201.

في الوقف المغربي، أيام العُصامي المجاور بالمدينة المنورة عبد الرشيد الشنقيطي، فباشر الحاج الأمين المشروع، ثم اقتفى ابنه أحمد خطى الوالد المباركة في مواصلة المشروع المبارك<sup>1</sup>.

تجنبا للخلاف الذي قد تجره أملاك الوقف العائلي الخاص، عُقدَ ميثاق بتوات عام 1196هـ/1782م، بخصوص الحبس المؤبد والوقف المخلد، بحيث تعود فائدته على أحفاد مولاي صالح في ولاتة طبقة بعد طبقة باستثناء أولاد البنات<sup>2</sup>، شريطة أن تبقى الأعباس في صورتها الوقفية، لا تقبل بيعا، ولا تبديلا، ولا تغييرا بأي شكل من الأشكال، نزولا عند شروط الواقف حسب ما درج عليه الفقهاء، من لزومية شروطه ما لم تناقض القصد الذي من أجله حبست<sup>3</sup>، وجاء هذا القرار ليحدد أطماع المتربصين، ويُرغِبَ الأحفاد على ديمومة الترابط مع أرض الأجداد توات.

من شواهد الأعباس الشنقيطية بالقصور التواتية، تحبب الحاج مولود بن الأمين بكو العلاوي الشنقيطي، أحد بساتين قصر أعباني على أولاد بنته زوجة الشيخ محمد بكو العلاوي، وقد يضعنا هذا الحبس أمام افتراض هجرات أخرى سابقة أو متأخرة لنزول الشيخ محمد بكو، لاسيما وأن هناك قصة عتيقة، تتوسط قصر بني تامر وحاضرة تمنطيط، تعرف باسم "قصة بكو"، ولا ندري درجة اقترانها بأحد أبناء القبيلة، أم أن الأمر لا يعدو أن يكون تشابه مسميات فقط<sup>4</sup>.

## 2. العادات والتقاليد المتوارثة

هي عبارة عن مجموعة أنماط سلوكية مكتسبة تخص جماعة معينة، يحفظها الأحفاد عن الآباء ممارسة أو شفويا، وتصبح بمرور الزمن تقليدا متبعا في القبيلة أو المجتمع، ويدخل ضمنها: الاحتفالات الموسمية؛ وشيم التكافل والتآزر؛ والأمثال والحكم ... إلخ؛ وذلك على النحو الآتي:

**1.2. شيم التكافل والتآزر:** يطفو على حال المجتمعات الصحراوية حياة العسر والمشقة؛ بسبب شح الموارد، واقترانها بفترات موسمية، ورغم ذلك فهي تمثل نموذجا للتظافر والتكاثف الاجتماعي، فرحلة الشيخ ضيف الله بن آب المزمري نقلت جوانب مهمة عن أفراد أعيان القصور التواتية دورا خاصة

<sup>1</sup> - الطالب المجتبي عنكر، المرجع السابق، ص 23.

<sup>2</sup> - بن أحمد الطيب عبد الرحمن، الوثيقة السابقة، ص 2.

<sup>3</sup> - Mahdi Ould Moulay El Hassan, Op. Cit, P 366.

<sup>4</sup> - عبد الوهاب إدواعلي، المقابلة الشفوية السابقة.

لاستقبال الضيوف، وعابري السبيل تعرف "دار الزاوية"، يشرف عليها شخص أمين ومنفتح اجتماعيا يعرف باسم "الوقاف"، مهمته توزيع أيام ضيافة الغريب يوما واحدا تقريبا على كل عائلة من عوائل البلدة<sup>1</sup>.

هذا وتتضح أبهى صور التلاحم الاجتماعي في تظافر الجهود، لمساعدة كل راغب في أداء شعيرة الحج منعه الفاقة، ومن ذلك أن والد العلامة الشنقيطي أحمد بن أحمد المعروف بأبي الكساء، كان ينفق في كل حجة على أربعين نفسا من غير أهله<sup>2</sup>، وكان يتكفل العلامة أحمد بن عبد الله الونقالي بمقام وحركة طلابه من نفقاته الخاصة<sup>3</sup>، أما مواطنه الفقيه أبو زيد عبد الرحمن التلاني فكان يُشعِرُ الأهالي مكاتبه، قصد الانضمام إلى ركب الحج الذي ترأسه عام 1186هـ/1772م<sup>4</sup>.

تأسيسا على ذلك؛ تنغمس مختلف الأطياف في مراسيم الاستقبال الشعبي، الذي يخصه سكان القرى والحواضر للحجاج -العابرين- ذهابا وإيابا، فمباشرة بعدما تحط الرحال في نقاط الاستراحة، يقدم الأهالي من كل فج للترحاب بهم، ناهيك عن المرافق المخصصة للاحتفاء في زاوية أقبلي التواتية؛ وغدامس وفزان الليبيتين؛ والقاهرة المصرية؛ فتظهر مشاهد الغبطة والسرور بادية على محبي الأهالي، تهليلا وتكبيرا وحمدا لله على السلامة، والإكرام بما توفر من المأكول والمشرب<sup>5</sup>.

**2.2. الاحتفالات الموسمية:** تكون في الغالب الاحتفالات مرتبطة بالمناسبات الدينية والشعبية، ويعتبر عيد الفطر وعيد الأضحى من الأعياد الشرعية التي يحتفي المسلمون بها قاطبة، حيث يجتمع أفراد العائلة بعد الصلاة والمغفرة في البيت الجامع -دار الجد مثلا- حول مائدة واحدة بحضور الأعمام، وفي الغالب تؤخر زيارة الأقارب والأحباب للفترة المسائية؛ إلا أنه رغم تشابه المناسك المرتبطة بالعيدين، تبقى

<sup>1</sup> - ضيف الله بن محمد بن أب التواتي الجزائري، رحلتي لزيارة قبر الوالد، تحقيق، أحمد أبا الصافي جعفري، دار الكتاب العربي، خرايسية، الجزائر، 2015، ج1، ص 233.

<sup>2</sup> - سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي، المصدر السابق، ص: 13.

<sup>3</sup> - أبي عبد الله الفلاني، رحلة القبلاوي، مخطوط، خزانة مولاي على سليمان، أولاد وشن، ولاية أدرار، الجزائر، ص 4.

<sup>4</sup> - محمد بن عبد العزيز البلبالي، غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل، مخطوط، مكتبة محمد العالم بن عبد الكبير، المطارفة، ولاية تيميمون، الجزائر، ص 4.

<sup>5</sup> - Gaston Donnet, Op. Cit, P 33.

خصوصية عيد الأضحى فريدة، فالعبد يتقرب في هذا اليوم الفضيل بالأضحية شكرا لله تعالى على كرمه ومنته، كما يشارك الأغنياء الفقراء فرحة هذا اليوم المبارك بتقديم شطر من الأضحية<sup>1</sup>.

بالإضافة لمناسبة العيدين، تخلد المساجد يوم 12 ربيع الأول من كل عام ذكرى المولد النبوي الشريف، في جو مهيب تطبعه الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع، تدوم على مدار الاثنا عشر يوما الأولى من شهر مولد خير البرية ﷺ، فتحيا الليالي بقراءة المتون التي تمدحه، وتذكر الناس بصفاته وأخلاقه، ومما يقرأ قصيدة البردة والهمزية والبغدادية، وكذا شرح البخاري<sup>2</sup>، على أن يلحق بهذه المتون في محاضر ومساجد شنقيط قصائد ابن مهيب والغازاري، وتستمر أجواء الاحتفالات إلى غاية 18 ربيع الأول، أي يوم التسمية المعروف محليا بمسمى "السبوع"، وفي بعض المناطق يبدأ إحياء الذكرى من مطلع صفر إلى نهاية شهر ربيع الأول<sup>3</sup>.

فضلا عن ذلك؛ تعتبر زيارة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني يوم 10 محرم من كل عام، والمصادفة لذكرى يوم عاشوراء، من أهم الوعدات السنوية في توات، فهي مثال حي عن التواصل الروحي والاجتماعي التواتي - الشنقيطي، فلم يفوت الولاتيون الفرصة للمساهمة بقسط في إحياء مراسيم هذه الوعدة، من خلال دفع هدايا موسمية في شكل تبرعات وصدقات لأبناء الرقاني، تضاف إلى ما تم جمعه عبر قصور توات، وتعرف هذه المساهمة باسم "الدُّوَهْمَةُ"، أي صدقات فقراء ولاتة وأحوازا لأبناء الشيخ مولاي عبد الله الرقاني<sup>4</sup>.

**3.2. الهبات والعطايا:** يتضح جليا صدق سريرة أهالي ولاتة في الشيخ سيدي بله حفيد الشيخ مولاي عبد الله الرقاني، من خلال كشفها حجم الهبات والعطايا الموسمية التي ورد أمرها في الرسائل العائلية، وعليها جرت منازعات بين ولديه مولاي الشيخ وأخيه مولاي العباس، وهذه الهبات والعطايا - في حقيقة الأمر - لأبيهم سيدي بله خير الولاتيون بها، بعدما عاينوا بركاته، يوم وطأت قدماه بلادهم التي

<sup>1</sup> - عز الدين جعفري، أطلس العادات والتقاليد بمنطقة توات، أطروحة دكتوراه تخصص تاريخ التراث الأمازيجي الجزائري، إشراف، أ. د شعيب مقنونيف، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2018/2017م، ص 104.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 108.

<sup>3</sup> - المختار بن حامد، الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص 183؛ الشيخ باي بلعالم، المرجع السابق، ج2، ص 272.

<sup>4</sup> - محمد الرقاني، المقابلة الشفوية السابقة.

كانت تمر بفترة قحط شديد، أضمرت على إثرها المحاصيل الزراعية، بسبب اجتياح الجراد، وقلة التساقط لمدة أربع سنوات<sup>1</sup>.

رغم الإشادة بفوائد تلك الزيارة التي جاءت بعدما ذاق الأهالي ضنك العيش، إلا أن عوائد صدقاتها تبقى وقفا على الزاوية الرقانية تيمُّنا ببركة أشياخها، واستشهادا برسالة أحمد بن عمر للشيخ سيدي بله يسلم عليه وعلى أبناء عمومته، ويعلمه خبر تحويل صدقة الزاوية مع الرفقة القادمة "الحمد لله وحده والصلاة والسلام على أفضل من عبده، هذا وإنه اسنى وتحية حسنى إلى أبناء شيخنا الشيخ مولاي عبد الله الركابي عامة وخصوصا أبناء شيخنا مولاي عبد المالك، من فقيركم ومحبكم أحمد بن الحاج عمر وبعد: فما حصل من الذهب أعطيناه لمولاي عمار يأتيكم إن شاء الله مع مولاي سنبار، هدية الزاوية من بركة الشيخ وبركتكم أن يأتيكم كل عام إن شاء الله شيء من الذهب"<sup>2</sup>.

**4.2. التبرك بالأولياء والصالحين:** إن تاريخ ولادة مليء بقصص الكرامات وخوارق العادات المرتبطة برجال التصوف، فلا تزال الذاكرة الولاتية تتوارث قصة السباع والوحوش التي كانت تهاجم المدينة، وتهدد سلامة الوافدين عليها، واختفت بنزول الشيخ سيدي أحمد البكاي على مشارف أسوارها، فتكوّن الاعتقاد ببركة هذا الولي الصالح، فأصبح بيته مزارا لا يخلو من الزائرين، للتبرك وقضاء الحوائج، ولأخذ بعض أسرار العلم اللدني، وبعد وفاته بقي ضريحه يحظى بالقدر نفسه من الاحترام والزيارات، لدرجة أن الشيخ سيديا الكبير خصه بزيارة أثناء عبوره ولاتة، قاصدا حلة الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير بأزواد<sup>3</sup>.

من القبور التي لاقت إقبال وتوافد الولاتيين، ذلك القبر القابع بجبل ولاتة الغربي المعروف "بِقَتْنَك"، لأحد شرفاء توات المهاجرين من ذرية مولاي عبد القادر بن السي حمو بلحاج، وهو مولاي عبد القادر المعروف بعالة بن مولاي الشريف بن سيدي محمد المتوفى عام 1215هـ/1800م، والذي كان مشهورا

<sup>1</sup> - محمد الرقاني، المقابلة الشفوية السابقة.

<sup>2</sup> - مبارك جعفري، العلاقة الروحية، المرجع السابق، ص 366-382.

<sup>3</sup> - هارون بن الشيخ سيديا باب الأبييري، المصدر السابق، ص 74.

عند أهالي البلاد بالبركة، وفي اعتقادهم أن كل من يزور قبره في حاجة إلا قضيت له عاجلا أم آجلا، كما شاهد ذلك وسمعه أكابرهم<sup>1</sup>.

لا مناص من القول؛ أن الإكبار بمقام الأولياء والصالحين تقليد شائع عند الشناقطة والتواتيين، وما الشريف "عالة" إلا سليل القبيلة الكبيرة التي ينتمي إليها الشيخ مولاي زيدان مترجم العلاقات الثنائية، عندما زار الأخير مدينة ولاتة العتيقة بأمر من شيخه مولاي عبد المالك، فكان منزله طوال فترة بقائه يعج بالناس صباحا وعشيا، يتبركون منه ويبركون صبيانهم<sup>2</sup>، وبلغ ذلك الإكبار ذروته بتوقف الحاج البشير البرتلي أثناء رحلته الحجازية بين تنزروفت وتوات عند قبر مولاي زيدان في "الن"، فاعتبره مكانا طيبا حسنا في صحراء قاحلة<sup>3</sup>، ودوّنه ضمن أهم نقاط الاستراحة التي زارها بغرض التبرك.

**5.2. الألقاب والكنى:** تعز كتب النوازل والأنساب الأشخاص إلى الجهات التي قدموا منها، فيقال السوداني لمن جاء من السودان أو داوم التردد عليه؛ وكذا البرناوي (برنو)؛ الكشناوي (كاشنا)؛ الهوصاوي (هاوصا)؛ التكروري (تكرور) ... إلخ؛ وكثيرا ما أردف العلامة والنسابة المصري مرتضى الزويدي، وكذلك صاحب بغية المستفيد للعربي السائح، أسماء الأعلام بمواطنهم (ألقابهم) زيادة على كنياتهم الشخصية، فيقال: عبد الرحمن بن عمر التلاني التواتي؛ أو محمد الحافظ العلوي الشنقيطي.

تعتبر الكنية واللقب قسيمين مشتركين للاسم، ويشمل كلا من الثلاثة، كلمة العَلَم كما هو موضح في كتب النحو، فالكنى جمع "كنية" والألقاب جمع "لقب"، ومكمن الفرق بينهما، أن الكنية عرفها النحاة ما علا وسفل من الأصول والفروع والحواشي، فتستعمل عند العرب للاحترام والتقدير وجبر خاطر غالبا، واللقب ما أشعر برفعة مسماه مدحا أو بخسته ذما<sup>4</sup>، وعلى هذا المنوال اقتدت شعوب العصور المتقدمة وحفظته بعض الأمم إلى يومنا هذا.

<sup>1</sup> - أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي، المصدر السابق، ص 70

<sup>2</sup> - محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 180.

<sup>3</sup> - الحاج البشير البرتلي الولاقي، المصدر السابق، ص 86-87.

<sup>4</sup> - محمد بن أحمد بن عمر الشاطري، المعجم اللطيف لأسباب الألقاب والكنى في النسب الشريف لقبائل وبطون السادة بني علوي أدام الله مجدهم، ط1، عالم المعرفة، جدة، المملكة العربية السعودية، 1406هـ/1986م، ص 35-36.

ولما كان لا ضير في تناول الألقاب التي فيها عزة وأنفة بعض الأسر، أطلق الشناقطة على عائلة الحاج أحمد بن الأمين الغلاوي لقب التواتي نسبة إلى توات، وحسب الوثائق الغلاوية فالكنية سابقة لرأس الحاج أحمد الركب الشنقيطي، استنادا لمحضر اجتماع تحالف أبناء محمد قل: أولاد أحمد وأولاد موسى عام 1096هـ/1685م، فورد ضمن الحضور اسم محمد بن أحمد بن المختار التواتي شقيق الحاج أحمد بن الأمين التواتي<sup>1</sup>، وهو ما يضع كنية التواتي لصيقة بالعائلة لا بأحد أفرادها.

بالتالي؛ لم يكن لقب التواتي المستثنى الوحيد، فكثيرا ما نجد قبيلة تواتية تنسب نفسها لقبيلة شنقيطية أو العكس، لدرجة تعديّ اللقب إلى أحد قبائل المنطقتين، بداعي الروابط العرقية القديمة، أمثال: إداو علي، وأولاد دليم، وأولاد المولات، وقلي، وجكاني، ورمضاني، ومحجوي، وأولاد أبو السباع، والأتواج، وبربوشي، وأولا يعيش، ومولاي، وكننة... إلخ، إضافة لقبيلة إيفقارن التي تنتمي لعشائر ماسنة المسوفية، وأصل التسمية - حسب الدكتور حماد الله ولد السالم - من ملاك الفقارات، حيث يُرَجَّح أن تكون هذه القبيلة ذات أصل تواتي، والمشهورة بتقنية الري القديمة التي لا يعرفها أهالي الصحراء<sup>2</sup>.

**6.2. الأمثال الشعبية:** تدخل ضمن خارطة التراث الثقافي اللامادي للشعوب، إذ تستهوي مختلف الفئات العمرية والاجتماعية؛ ذكورا وإناثا؛ مثقفين وأميين؛ لما فيها من فوائد ومعاني تتماشى مع طبائع البشر، استطاعت المحافظة على تماسك الأمة للقضاء على الفكر الاستعماري، فهي تمثل الوسيلة المثلى لنقل الخبرات، ومحاربة سياسة الطمس والتغريب والتجهيل، التي مارسها الاستعمار الفرنسي بعنف ووحشية لا نظير لها ضد الشعوب البريئة<sup>3</sup>، وما الأمة الجزائرية والموريتانية إلا خير دليل على ذلك.

يقودنا الحديث عن الأمثال الشعبية، للتعريب - سطحيا - على تركيب اللهجة التواتية المتأثرة بعدة ألسنة: التارقي، والزناطي، والفارسي، والتركي، والعربي الفصيح والعامي (الدارجة الجزائرية)،

<sup>1</sup> يذكر الباحث الطالب المجتبي عنكر أن الاجتماع تم سنة 1096هـ/1685م؛ ينظر، محمد أحمد بن عبد الرحمن بن الفقيه محمد بن حبيب، محضر اجتماع قبيلة الأغلال أبناء محمد قلبي، وثيقة مخطوطة، نسخة بحوزة الطالب المجتبي عنكر، موريتانيا. الطالب المجتبي عنكر، نفس المرجع، ص 5.

<sup>2</sup> حماد الله ولد السالم، المرجع السابق، ص ص 413-439.

<sup>3</sup> نعيمة العقروب، مصنف "الأمثال الشعبية في الجزائر والمغرب" لمحمد بن شنب دراسة في منهج التوثيق والجماليات اللغوية، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، ع 35، 31-03-2017، الجزائر، ص ص 209-224.

والحسانية<sup>1</sup>، مما كانف على تشكل خارطة لهجات مختلطة، ولعل مرد التأثير التواتي بالحسانية، توافد قبائل عرب بني هلال ومعقل بأعداد هائلة على تراب الإقليم، وإن كان يبدو - ظاهريا - اللسان التواتي بعيدا كل البعد عن نظيره الشنقيطي، لكن الواقع يعكس ذلك، فيمكن الوقوف عند كلمات وحروف مستلة من العربية الحسانية، سواء ما تعلق بالنطق الحرفي أو شبه الكلمة، أمثال: أفكراش، والطراب، وأكبض، ولگمل، والسبوع (أسبوع المولد النبوي)، والظمر... إلخ.

لعل من أهم ما يستوقف الباحث عند صياغة الأمثال الشعبية التواتية والشنقيطية، الاتفاق الحاصل بينهما من حيث الأشباه والنظائر، واختلافاتهما مرده اللكنة الحسانية، التي تستبدل حرف الياء بحركة الكسرة؛ وحرف القاف بالكاف المخطوطة (ك)، ومن أمثلتها: الدين ما يخلص الدين؛ واسمع إكلام أمبكينك (اللي ييكيك) لا تسمع كلام أمضحكينك (اللي يضحكك)؛ والشوف ما يمل (يملي) الجوف؛ وآل (اللي) وصاك على أمك حگرك (حقرك)؛ وآل عظك (عضك) ما عظيت (عضيتوا) أكول (يجسبك) أنك بلا سنين... إلخ<sup>2</sup>؛ وجميعها اتحدت في المدلول الوظيفي العملي.

### 3. التراث المعماري الصحراوي

تشتهر المدينة الصحراوية بمقومات معمارية فريدة تلتئم فيها مختلف الطبوع، مراعاة لخصوصية المنطقة ومناخها الذي يفرض نموذجا دقيقا، يتماشى والظروف الطارئة، من أجل اختيار نوع البناء المناسب، من تصاميم وأدوات وزخارف، توحى دقة المخطط التقليدي للهندسة الصحراوية.

**3.1. أنواع البناءات الصحراوية:** تتعدد أشكال البناءات الصحراوية حسب أنماط الاستعمال، حيث تنطبع في الغالب بنسيج شبه حضاري، تتقاطع فيه تأهيلات متعددة، أملاها مواءمة القبائل الوافدة، وكذا توسط طريق القوافل، مما جعلها تحمل بعض الخصائص المميزة للنسيج الحضاري الإسلامي، فتوجد

<sup>1</sup> - أحمد أبا الصافي جعفري، اللهجة التواتية الجزائرية معجمها بلاغتها أمثالها وحكمها عيون أشعارها، ط1، دار الكتاب العربي للطباعة النشر، التوزيع والترجمة، الجزائر، 2013، ج2، ص 595.

<sup>2</sup> - ينظر الملاحق استنادا لمجموعة مراجع؛ أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص ص 543-575؛ المختار بن حامد، الثقافة، المرجع السابق، ص ص 148-168؛ أحمد أبا الصافي جعفري، اللهجة التواتية، المرجع السابق، ص ص 429-497.

بها رحاب تشكل بالإضافة إلى السقائف الموجودة بولاتة وتيشيت فضاءات عمومية، في حين تشكل المساجد والمنشآت المائية التقليدية والمقابر عناصر تكميلية لهذا النسيج<sup>1</sup>.

**1.1.3. العمارة السكنية:** تقع مثل هذه المنشآت داخل القصر (كسر)، ويتميز نمطها المعماري بالبساطة وتشابه المكونات، فهي أنشئت حسب رغبة الإنسان وما يلائم بيئته الجغرافية، وهذا يضع المنزل الشنقيطي صورة طبق الأصل لنظيره التواتي، لا سيما نسيجه العمراني المصنف ضمن مدن التراث العالمي<sup>2</sup>، الذي تتحد مدنه مع قصور توات في كثير العادات والتقاليد التي نقلتها الكتابات التاريخية.

يتشابه هيكل البناء الأصلي الذي لا يخلو غالبا من المدخل العام "فم الدار"، والفناء الداخلي "الحوش"، وعدد قليل من الغرف، أهمها الحجرة الرئيسية "السكفة أو السكيفة"، وهي فضاء انتقالي لاستقبال الضيوف واجتماع العائلة<sup>3</sup>، ويطرأ على هذه المرافق تغييرات حسب الفوارق الاجتماعية العائلية، وزيادة المتطلبات الحضارية للأسرة مع مرور الزمن.

ويبدو أن تشابه الظروف المناخية أدى إلى تشكيل نمط معماري واحد، فالمنازل تتوفر على مختلف المتطلبات الضرورية التي يحتاجها الإنسان، مثل: المخزن، والمطبخ، والحمام، وحظيرة الدواب، وهي مجزئة حسب الطراز الشائع إلى طابق أرضي وآخر علوي<sup>4</sup>، يستعمل البيت العلوي غالبا في الصيف، حيث يتم الصعود إليه عبر سلالم تقليدية مبنية من الحجارة والطين تسمى محليا (السندريّات)، هذه السلالم يوجد تحتها مكان لتبريد المياه في قدور من الفخار يسمى (أدرّيب الحمام)<sup>5</sup>.

ويمثل القصر في ثقافة الصحراء خلية سكنية، تضم العديد من المنازل والأسر التي يجمع أفرادها تقارب أو تشابه أنماط العيش، أو بعض العلاقات الاجتماعية ذات الأصول المتعددة الموروثة عن

<sup>1</sup> - أحمد مولود ولد ايدو، الصحراء الكبرى مدن وقصور، طبع بدعم من وزارة الثقافة الجزائرية في إطار المهرجان الإفريقي الثاني، دار المعرفة، 2009، ج2، ص 259.

<sup>2</sup> - Liste Du Patrimoine Mondial, Aniciens Ksour de Ouadane, Chinguetti, Tichitt et Oualata, République islamique de Mauritanie, 25 septembre 1995, P P 127-132.

<sup>3</sup> - نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية لمنطقتي توات والوسطة وقوراة بين ضوابط النص الديني وحدود الواقع، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2013، ص: 137؛ إبراهيم أحمد فال، المرجع السابق، ص 184.

<sup>4</sup> - بالكاد ينطبق الوصف على البيت الشنقيطي، لأن البيت التواتي يغلب عليه الطابع الأرضي فقط.

<sup>5</sup> - محمد أعفيف، المرجع السابق، ص 92؛ إبراهيم أحمد فال، المرجع السابق، ص 185.

الأوضاع السياسية التي تعرفها منطقة معينة<sup>1</sup>، فلذلك تقتطع كل مجموعة قبلية رقعة من الأرض للاستقرار بها، في أسلوب يشبه النظام المعمول به في المدن العربية الإسلامية الأولى، وبالتالي فالنظام القصورى نابع من ذهنية القبائل البدوية التي لم تكن تتصور السكن خارج إطار القبيلة<sup>2</sup>.

ولئن اتسم نسيج القصور بالعفوية واللانظام، فخبرة السنين كفيلة بمسايرة حالة المناخ والتكيف مع ظروفه، بصورة تجعل السكان أمام خيار التهوية الطبيعية، وهذا ما أقرته الدراسات الأجنبية، أنه رغم محدودية الإمكانيات -فقر التآيث- وتفاوت الفوارق الاجتماعية، يبقى أهالي الصحراء أشد الناس حرصا على نظافة بيوتهم والأزقة المؤدية إليها، بواسطة تفريش الأرضية بالتراب الصافي والحصى<sup>3</sup>، التي قد تكون بديلا فيزيولوجيا لتحقيق الراحة النفسية لأعضاء الجسم عوض الأفرشة المصنعة.

كما تمثل هذه المنشآت لمتطلبات الأمن والاكتفاء الذاتي، ولذلك تحاط بحصون دفاعية تختلف أدوارها من منطقة إلى أخرى، فقد أدرجت القصور على بناء قلاع صغيرة محصنة تعرف بالقصبات، مخصصة لحفظ المؤن والسلاح أو لأسر ذات مكانة؛ ولكن المراقب لمكوناتها المعمارية يلاحظ أن وظيفتها تخزينية أمنية في آن واحد، بواسطة أبراجها وخنادقها (أحفير) وأسوارها، إضافة لاختيار مواقع مرتفعة لبنائها فوق تلال صخرية، ويحتمل أن تكون النواة الأولى لعمران القصر، في ظل توفرها على كل المرافق الضرورية لحياة الإنسان، مثل قسبة ملوكة أو قسبة بني مهلال جنوب تميمون<sup>4</sup>.

خلاف ذلك، تتضارب الآراء بشأن طرق التحصين الشنقيطي، بين مؤيد لمنطق الأسوار الدفاعية<sup>5</sup>، معتمدا وجهات نظر تؤيد وجود أبراج مراقبة وأبواب تغلق ليلا وتفتح صباحا<sup>6</sup>، ورأي معاكس يقتصر التشديد على الحراسة الليلة من غارات اللصوص ومجابهة القبائل المحاربة، ومما يعزز الرأي المعاكس أن الأستاذ "ريمون موني" يذكر أن مدينة وادان مثلا لم تكن محصنة بآتم معنى الكلمة؛ غير أن موقع

<sup>1</sup> - نور الدين بن عبد الله، المرجع السابق، ص 84-85.

<sup>2</sup> - أحمد مولود ولد ايدو، المرجع السابق، ج2، ص 260.

<sup>3</sup> - Guillaume De Champeaux, A Travers Oasis Sahariennes: Les spahie sahariens, R. Chapelot et Cie, Editeurs, 1903, P 30.

<sup>4</sup> - نور الدين بن عبد الله، المرجع السابق، ص 153-154-155.

<sup>5</sup> - Liste Du Patrimoine Mondial, Op. Cit, P P 127-132.

<sup>6</sup> - Ip. Id, PP 127-131

المدينة وطريقة تشييد المنازل بها، بطريقة متراسة وعالية دون ترك أي منافذ أو فجوات باستثناء المداخل المعدودة، يوحي بمستوى التحصين العالي الذي كانت تتمتع به الحاضرة<sup>1</sup>.

من الجدير بالملاحظة؛ أن أحد المنازل العتيقة بولاتة، وهو ملك لقبيلة المحاجيب يعرف باسم "دار أشبار"، كان ذا أهمية كبيرة في تاريخ المدينة، فالمنزل يمتاز بطول الجدران ومتانتها، ويوجد أعلاه بيت محصن وحيد يسمى (القروب)، يستخدم كبرج مراقبة لحماية المدينة وساكنيها في حالات الغزو<sup>2</sup>، وهذا يكون خلاف القلاع التواتية التي تتميز بأبراج مراقبة تلتف حول زواياها الأربعة.

**2.1.3. العمارة الدينية:** تولى الشعوب الإسلامية عناية فائقة بتشبيد المرافق الدينية، من مساجد وما يتصل بها من مراكز تعليمية، فهي تشترك غالباً في هيكل البناء الداخلي والخارجي، مع بعض الفروقات التي يختص بها المسجد بالأخص المئذنة والمحراب، فالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم أول ما ابتدأ به فور الوصول إلى المدينة المنورة اختطاط المسجد، فهو مكان أداء الصلوات، والمدرسة التي تخرج منها الرعيل الأول من المسلمين، وفيه تم اجتناء خليفتهم، ومناقشة قضايا صلاح أحوالهم<sup>3</sup>.

على نحو ذلك؛ تتوسع البلاد شمالاً وجنوباً؛ شرقاً وغرباً؛ فلم تشذ الحواضر الصحراوية عن النهج السوداني المتأثر بالعمارة المغاربية<sup>4</sup> في بناء المساجد، فنأخذ على سبيل المثال مسجد ولاتة نموذجاً؛ لأقدميته التاريخية وتشابهه الشديد مع المساجد التواتية في طريقة البناء والتخطيط، ولذا نعتبره معلماً حضارياً مهماً في تاريخ المدينة الصحراوية العتيقة، إذ يعد هذا المسجد المبني بمادتي الطين والحجارة أحد أهم ركائز العمارة الدينية بالمدينة، يعود تاريخ تأسيسه للقرن (2هـ/8م)، وشهد عدة ترميمات بعد انهيار بعض أجزائه حوالي سنة 1223هـ/1808م، وهو يتكون من عدة مرافق، منها: قاعة مستطيلة

1- أحمد مولود ولد ايده، المرجع السابق، ج2، ص ص 267-268.

2- إبراهيم أحمد فال، المرجع السابق، ص 185.

3- راغب السرجاني، المرجع السابق، ج1، ص 28.

4- جمعت العمارة السودانية بين الطراز الإسلامي مع احتفاظها بالخصوصية الإفريقية، ويعود الفضل في التطور الذي شهدته للمهندس الأندلسي أبو إسحاق الساحلي المعروف بالطويجن، الذي أحدث ثورة حقيقية في مجال العمران السوداني خلال فترة حكم منسا موسى سلطان مملكة مالي الإسلامية في القرن (8هـ/14م)؛ ينظر، نور الدين شعباني وزينب جعني، الفن والعمارة في مملكة مالي الإسلامية، مجلة معارف للبحوث والدراسات التاريخية، مجلة دورية محكمة، جامعة الشيخ حمه لخضر، الوادي، الجزائر، ع1، مج2، 2016، ص ص 215-231.

معدة للصلاة، تتخللها سوارى عريضة فاصلة بين الصفوف؛ وباحة داخلية مكشوفة تمثل الفناء أو الصحن الداخلي للمسجد؛ ومدرج يؤدي إلى السطح؛ ورواقان مخصصان لقراءة المدائح وتفسير كتب الحديث والسيرة النبوية؛ كما تحاكي مئذنته النمط السوداني الإفريقي؛ بالإضافة إلى منبر خشبي يسار المحراب؛ والمسجد محاط بسور يحتوي مدخلين رئيسيين، الباب الشرقي والباب الشمالي<sup>1</sup>.

ولأن من مهام المسجد مواولة النشاط الدعوي والتعليمي معاً، إضافة لملائمة نسيجه المعماري لمدارس التعليم غير النظامي، يتم استغلال ملحقاته لأغراض أخرى في ظل محدودية المنشآت الحضارية، وبالتالي؛ يلتحق به المتعلمون عن طريق تخصيص أروقة خاصة بالكتاتيب والخلوات والزوايا، مثل الملحقات المتصلة بمسجد قصبه ملوكة، والمسجد العتيق بقصر تايوت<sup>2</sup>، أما الزوايا وإن كانت مستقلة بذاتها، يظل تابعها مقتضبا عن المساجد، في معظم تشكيلاتها الهندسية المعمارية.

**3.1.3. الأضرحة:** إن من عادات سكان الصحراء تعظيم صلحائهم، وتبرز حقيقة هذا الاعتقاد في أفرادهم بناءات متميزة يتفنن في إنشائها، من باب تعظيم شيوخ التصوف المرتبط بالجانب الاعتقادي للإنسان، وهذه الأضرحة لا يخلو قصر تواتي منها، حسب لويس فانون (Louis Voinot)، وشكلها المعهود هو شكل هرم محدب قليلاً في الأعلى، بها فتحة صغيرة للدخول زحفاً على الركبة إلى الداخل، يرشونها عند اقتراب موعد الوعدة (الزيارة) بالجير الأبيض، فتبدوا كأنها جديدة<sup>3</sup>.

يعتبر ضريح الشيخ سيدي أحمد البكاي المشيد بالطين والحجارة، معلماً روحياً اجتذب أهالي ولاتة والحوض، فهو إلى جانب القيمة الروحية يشكل نموذج تقارب فنون العمارة التواتية والشنقيطية من حيث المواصفات الهندسية، ويقع الضريح على رأس الجبل الذي تقع المدينة أسفله، وهو مطلي بالطين الأبيض والأحمر، وبداخله تابوت من الخشب مستطيل الشكل أعلى المكان الذي يوجد فيه جثمان الشيخ، مصبوغاً باللون الأزرق وضعت عليه سبحة طويلة ذات لون أسود<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - إبراهيم أحمد فال، المرجع السابق، ص ص 158-170.

<sup>2</sup> - نور الدين بن عبد الله، المرجع السابق، ص 177.

<sup>3</sup> - Louis Voinot, Op, Cit, P 107.

<sup>4</sup> - إبراهيم أحمد فال، المرجع السابق، ص 172.

**2.3. أدوات البناء التقليدي:** تستعمل مواد الطين والحجارة وطوب اللبن المجفف، لتهيئة المنشآت الصحراوية باختلاف استعمالاتها، حيث تخلط الطين بالتراب والماء، وتُركَّبُ جيدا بالأرجل لِتُخَمَّرَ، فتصبح جاهزة للربط بين جدران المنازل أو سد فجوات الأسقف، كما يستعمل الجص (الجير) لأغراض الطلاء، أو يخلط بالتراب ليشكل طبقة عازلة فوق السطح تقلل حرارة الجو، ولهذا تمتاز البيوت الطينية بالبرودة صيفا والدفء شتاء، وقد تضاف بعض فضلات الأنعام للخليط الطيني، فيصبح مثل أسمنت الخرسانة أو أشد منه، يقاوم ظروف الطبيعة القاهرة، ويعيش القرون تلوى القرون من الزمن<sup>1</sup>.

جدير بالذكر أن الإنسان الصحراوي، يستعين بمكونات النخيل في تشييد سقوف المنازل والمساجد والأضرحة، وصناعة الأبواب والنوافذ، فعندما يكتمل البناء يغطي السقف بعوارض جذوع النخيل (الخشبة)، وعليه يوضع الكرناف أو الجريد عكس اتجاه العوارض، وربما أضافوا اللفيف (لفدام) لربط الجريد ببعضه، وبعد ذلك يؤتى بمعجون الطين المدعم بالسبخة أو فتات الحجارة، لتغطية السقف خارجيا من جهة، وتجنب سيلان مياه الأمطار من جهة أخرى، والمراقب لارتفاع المنازل تبدو في عمومها ليست بالعالية، إذ أن ارتفاع الأسقف في حدود 2.50م، أما أبوابها فعادة ما تصنع من الجريد أو جذوع الأخشاب المتينة<sup>2</sup>.

مما لا شك فيه، أن هذه الأدوات المحلية الأصيلة، انتجت للعالم حضارة بشرية في قلب الصحراء غاية في الروعة والجمال، يغلب على عمرانها الطابع الحربي الإيكولوجي، فقد كانت تعتبر حصنا منيعا يردع الأعداء، ولذلك شيدت في مكان مرتفع بعيد عن مجاري الوديان، جمعت في تشكيلها الفني وتكوينها الهندسي بين النمط العربي - الإسلامي والأمازيغي - البربري، ومن أمثلتها في توات: قصور لحمر، وتماسخت، وقصر قدور، واسبع، وأدغاغ، وآدرور، وتاوريت، ويغزر<sup>3</sup>... إلخ.

**3.3. الزخارف:** إن الذي يميز العمارة الصحراوية بساطة التصاميم والزخرفة، فهي تترجم مدى بساطة حياة سكان القصور، حيث أن الزائر أول وهلة لا يفرق بين منزل غني ولا فقير؛ لتشابه المواصفات

<sup>1</sup> محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج2، ص 265؛ إبراهيم أحمد فال، المرجع السابق، ص 211.

<sup>2</sup> -Guillaume De Champeaux, Op. Cit, P 29

<sup>3</sup> رضا شنوف، أدرار الجزائرية مدينة القصور والفقارة والسبوع وشهادة على تمازج الثقافات، مجلة القدس العربي، 4 ديسمبر 2021، [على الخط]، <http://www.alquds.co.uk/>، تاريخ الإطلاع: 2022-07-25، الساعة: 16h40.

الشكلية، فتزخرف الأبواب بمرصعات نحاسية صغيرة<sup>1</sup>، بينما تغطي المنازل بالطين وترش بالجص الأبيض العاكس لأشعة الشمس، ويعكف أصحاب المنازل الحجرية على طلائها من الجهتين، لتقليل من قيظ الصيف وبرد الشتاء، فمادة الحجر تتأثر بالتقلبات الفصلية بين الحرارة والبرودة.

وهكذا يكتشف المتتبع لأنواع الزخارف المستعملة في المنازل التواتية والشنقيطية، مدى تداخل تراث القطرين المعماري، فالأشكال الهندسية من مثلثات ودوائر وخطوط ورموز مصنوعة بأنامل خبيرة، تُرسم عند مداخل الدور والمساجد وفي صحنونها، ومن الطرافة أن هذه الزخارف من نتاج المرأة الصحراوية، تحاكي الواقع المعاش وتسائر مراحل تقدم العمر، فكل رسمة ذات دلالة؛ فهناك اطفيلة (الصغيرة)، والعزبة (غير المتزوجة)، وامرأة امتفنة (متربةعة)، وأركاج الطرحة (الرجل)<sup>2</sup>.

صفوة القول، إن التواصل السكاني لعب دورا حاسما في العلاقات الاجتماعية، بصورة مهدت لإنشاء دوائر اتصال أكثر شمولية، سمحت بدراسة فروع القبائل المساهمة في ترابط الأجيال المتعاقبة، وما تعلق بالتراث الثقافي اللامادي لشعوبها من عادات وتقاليد، وهو الذي جعل الإنسان التواتي أو الشنقيطي عنصرا فاعلا في بيئة شحيحة، عن طريق توجيه ذكائه لخدمة الحضارة البشرية، مما ساعد على انجلاء معالم راسخة، حول مميزات العمارة التقليدية المتأثرة بظروف الطبيعة والماضي المشترك.

## المبحث الرابع: الأثر الناتج عن التواصل الروحي والاجتماعي

اكتست العلاقة بين المجتمع التواتي والشنقيطي طابع الود والأخوة، زاد من عمقها صلات وروابط منطقة الحوض الشرقي بصُلَّاح توات، فالعادة أن الأعلام بمختلف مشاربهم أدوات تأثير إنساني في حياة المجتمعات، فما من نهضة حضارية إلا ويكون للمشائخ الفضلاء قصب السبق في تنفيذها أو تسهيل اندماجها، وقد ينعكس ذلك الأثر على الهيكل البنيوي لشعوب القطرين.

### 1. التدخل لفض النزاعات القبلية

شكلت القبائل الوافدة عامل تعبئة محلي، ساهم في امتزاج خليط أجناس بشرية داخل القصر الواحد، مما تسبب في حالة عدم الاستقرار التي كانت تعيشها معظم الأقطار الصحراوية، وهنا يبرز دور

<sup>1</sup> - Louis Voinot, Op, Cit, P 115.

<sup>2</sup> - إبراهيم أحمد فال، المرجع السابق، ص 228.

جماعة الحل والعقد أو ما يعرف بالجماعة التواتية، المتشكلة أساسا من قضاة البلاد يساعدهم جماعة المسلمين؛ لأن عُرِف المذهب المالكي يقضي بأن البلاد التي ليس بها حاكم يكون أمرها بيد العلماء أو جماعة المسلمين<sup>1</sup>.

شهدت فترة تنقلات الشرفاء أولاد السي حمو بلحاج التواتيين بين ولاتة والنعمة، سواء بغرض التعلم أو التجارة أو التوطن السكاني، دخول هؤلاء المهاجرين في شحناء ومشادات مع أطراف مختلفة، رفعت قضاياها إلى قضاة البلاد المرشحين، من أجل البث في شكوى الخصوم، بدافع خدمة استقرار المجتمع وإعطاء كل ذي حق حقه<sup>2</sup>؛ ومن ذلك قضية بيع التراضي بين البشير بن محمد ومحمد التواتي في النعمة، بموجبها استفاد الأخير (محمد التواتي) من دار الأول (البشير بن محمد) الكائن مقرها بولاتة؛ لكن الذي حدث أن عثمان بن الطالب عبد الرحمن النزاري أنشأ خلفا، بحجة وجود عقود تثبت أحقية البائع في بعض الدار لا كلها، وهو ما أبطله العلامة القصري؛ لأن المدعي عثمان طلب مسبقا من محمد التواتي، أن يبيع له جزءا من الدار بخمسة وعشرين مثقال ذهب، ولما عجز عن إقناعه تحجج بالعقود الوهمية التي تسقط بيع الطرفين<sup>3</sup>.

كثيرا ما تضيع أحفاد عمر الباز في توات بهذا الدور الحضاري، الذي خول لهم فض النزاعات الفردية والجماعية، من أجل جمع شتات أبناء المجتمع الواحد بلا خصام ولا عداوة، فالعدل والإنصاف والقيام بأمر الشريعة عادة توارثوها البكريين<sup>4</sup>، باعتراف أبناء الفقيه عثمان المحجوبي القاطنين بولاتة، في الرسالة التي امتدحتهم بأوصاف حميدة لا تعد ولا تحصى، شاهدين لهم بالعدل والإنصاف، مطلعها "من المحاجيب أبناء الفقيه إلى إخوانهم القاطنين بتمنيط القائمين بالعدل والشريعة"<sup>5</sup>.

1- أحمد الحمدي، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي الإطار المعرفي والتعامل مع المكانية، ط1، مكتبة الرشد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012/1433، ص 40.

2- محمد عبد الله بن أبي بكر الصديق البرتلي، الوثيقة السابقة، ص 1.

3- القصري بن محمد المختار، المصدر السابق، ص 344-351.

4- عبد الله بابا، الزاوية البكرية ودورها الثقافي والاجتماعي بإقليم توات من 1112-1421هـ/1700-2000م، إشراف، أ د عبد الكريم بوصفصاف، رسالة ماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي عبر العصور، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، جامعة أدرار، 1432/2011-2012م، ص 88.

5- محمد بن أبي بكر المحجوبي، الوثيقة السابقة، ص 2.

إلى جانب البكريين هناك العائلة الرقانية، التي تصدر أبنائها المشهد التواصلية طيلة القرن (13هـ/19م)، بفعل مواقف الشيخ مولاي عبد المالك الإصلاحية ما بين الجماعة الولائية؛ عندما اشتكوا له امتناع مولاي الوثيق بن مولاي عبد القادر بن حمو بلحاج تسليم الأمانات التي بحوزته؛ ويتضح من سياق المراسلة أن المشادات بين الطرفين سبقتها شكاية الجماعة الولائية للشيخ الرقاني، مما دفع بالشيخ مولاي عبد المالك مراسلة مولاي الوثيق، وتوبيخه على سوء صنيعه، لمخالفته العهد الذي قطعه وإياه في توات، بشأن توصيل الأمانة إلى مستحقيها<sup>1</sup>.

يمكن تفسير موقف الشيخ مولاي عبد المالك من قضية الجماعة الولائية، برده مظلمة عملا بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>2</sup>؛ وانتصار لمن كان سندا في تشهير طريقته خارج توات؛ فالمبادرة التي توسطها تعبر عن مدى حنكته السياسية، بصفته صاحب الأثر الطيب سواء في توات أو بلاد شنقيط، لذلك وضعت جماعة ولاتة ثققتها في شخصه لفض الخصام، وإخماد لهيب الفتنة من جذورها، تفاديا لاتساع دائرة الصراع من بوابة حادثة مفتعلة سببها مولاي الوثيق.

تشتهر هذه الجماعة في شنقيط بـ "جماعة أهل الحل والعقد"، فهم بمنزلة السلطة التشريعية والتنفيذية في وقتنا الحالي، بفعل الشخصية القوية والكاريزماتية التي تجعلهم مؤهلين لتنصيب أو عزل أي شخصية. فلاحظنا - سابقا - كيف عُلقَ مقترح الشيخ مولاي زيدان بتعيين الطالب أبو بكر بن أحمد قاضيا، إلا بعد موافقة مجلس المدينة الاستشاري الذي تمثله الجماعة، وربما يتعدى تأثيرهم إلى البوادي التي لها ارتباط قبلي بالمدينة، أو سكانها الذين يمارسون الرعي والترحال الموسمي<sup>3</sup>.

تضفي هذه الجماعة على نفسها صلاحيات الإشراف على مراسيم البيع والشراء، فيكون حضورهم إثباتا لمصادقية العقد، لأن شهادتهم موثوق بصحتها خارج الديار، ومن ذلك عملية تبادل العقار بثمان التركة، عندما أخذ أولاد مولاي الحسن بن مولاي عبد الله عقار عمهم مولاي المامون في

<sup>1</sup> - مولاي عبد المالك الرقاني، رسالة إلى مولاي الوثيق في قضية الأموال التي بدمته، الناسخ، عبد الله بن عمر، وثيقة مخطوطة، خزانة مولاي العباس، بودة، ولاية أدرار، الجزائر، د.ت.

<sup>2</sup> - سورة الأنفال، رقم الآية 01.

<sup>3</sup> - رجال بوبريك، المرجع السابق، ص 32.

توات، مقابل نصيب تركة أبيهم مولاي عبد الله في ولايته، بعدما قوّمت جماعة ولاثة التركة ثم باعتها لمولاي المامون، فأصبح بذلك عقار العم من نصيب أبناء الأخ نظير ما في ذمته من تركة والدهم<sup>1</sup>.

## 2. التوازنات القبلية بتشكيل الأحلاف

يدرك المتمحص لتاريخ البلاد الصحراوية السائبة، المغزى من اعتبار النظام التقليدي سلطانا حاكما في غياب السلطة المركزية، مما يفسح المجال لخلق تشكيلات قبلية تتنافس على زمام الأمور، عرفت في توات باسم يحمد وسفيان، والأمر كذلك في بلاد شنقيط مع ظهور ما يعرف بالمجتمع الأهلي البيضاني الممهّد لقيام الإمارات الحسانية والصنهاجية، ووسط هذا الزخم الهائل عقدت التحالفات الداخلية بين القبائل، بغرض التغليب والاحتماء من كل خطر يهدد الأمن والسلام<sup>2</sup>.

تعتبر مدينة ولاثة إحدى أهم الحواضر الشنقيطية ارتباطا بتوات، فأغلب التأثيرات الخارجية (الروحية والاجتماعية) اتخذت من المدينة موطنًا خصبا لها، وربما لا نكون مغالين إذا قلنا أن شرفاء توات شكلوا عامل توازن قبلي داخل أسوار المدينة العتيقة، ذلك أن نسيجها الاجتماعي تشكل أساسا من خمس قبائل، انضمت إليهم قبيلة مشظوف المسوفية، وريثة عرش قبيلة أولاد أمبارك الحسانية في منطقة الحوض أواخر القرن (13هـ/19م)، وهذه القبائل هي: المحاجيب، والشرفاء، والأغلال، وبارتيل، وايديلبه<sup>3</sup>، فشكّلوا يدا واحدة أمام أي تهديد خارجي أو تمرد داخلي يخل بالنظام التقليدي.

في النظام التقليدي، تعتبر قبيلة المحاجيب صاحبة الدور الريادي رفقة حلفائها من قبائل الشرفاء بمختلف تشكيلاتهم، إذ يمثل شرفاء توات سوادهم الأعظم، ولكن هذا الحلف شهد تصدعا بفعل سياسة المحاجيب التفاضلية، بتقديم الشرفاء الأسبق تواجدا على حساب الآخرين، ومثّل ذلك التفاضل النقطة التي أفاضت الكأس، وجعلت صداقة الحلفاء تتحول إلى عداوة مع مرور الوقت، فكان الخاسر الأكبر فيها مهاجري توات، الذين دخلوا في قتال عنيف<sup>4</sup> أضعفهم وشتت شملهم.

<sup>1</sup> - مولاي افضيل بن مولاي أحمد، إ شهادة بتولي أبناء مولاي الحسن بن مولاي عبد الله عقار مولاي المامون في توات، وثيقة مخطوطة، الناسخ، عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن هبت، 1247هـ/1832م، بحوزة مولاي أحمد ماموني، أغرماملال، دائرة زاوية كنتة، ولاية أدرار، الجزائر.

<sup>2</sup> - Ismael Hamet, Op. Cit, P P 260-279.

<sup>3</sup> - Georges Poulet, Op, Cit, P 120.

<sup>4</sup> - Ismael Hamet, Ip. Id, P P 260-279.

وقد أشرنا آنفا لامتيازات أهل الخليفة المدنية، فهم الحليف المباشر للمحاجيب وعضدهم الأيمن في تسيير شؤون المدينة، وعلامة تلك الامتيازات حاصل رئاستهم مشيخة دار أشبار (القلعة الحصينة) رمزية المدينة التاريخية<sup>1</sup>، وهو ما أثار حفيظة أهل مولاي صالح الذين رفضوا الخطوة واعتبروها تمييزا، فبدأت شرارة الحرب عام 1222هـ/1807م، باقتحام أحد مناصري آل الخليفة دار مولاي صالح وتخويف حارسها بالسلاح، فلاحقه الحارس، ولما غاب عنه أفرغ بندقيته في أحد المنازل، ولتدارك الموقف اجتمع أهل الحل والعقد، واكتفوا بتعزيم آل مولاي صالح 100 مثقال تعويضا عن الاعتداء الثاني متجاهلين الانتهاك الأول، ورغم ذلك وافق آل مولاي صالح على العرض حقنا للدماء، بينما رفض آل الخليفة القرار جملة وتفصيلا، فكان هذا التحول إيذانا باندلاع حرب دامت قرابة العام<sup>2</sup>.

ولعل من المفيد؛ التأكيد على اندلاع أربعة حروب بين الطرفين، كان آخرها بطحاء يوم الخميس 3 جمادى الثانية عام 1223هـ/1808م<sup>3</sup>، ويبقى لغز الحروب الأربعة المحير، هو عدم تسليط الكتابات المعاصرة لها الضوء حول تفاصيلها، إلا ما ارتبط بالبدايات والنهايات والأحداث العابرة خلال فترات السلم، مما يرجح فرضية إضعاف الشرفاء ذات الغالبية السكانية، ومن شدة شرستها أن أحد أنصار أهل مولاي صالح استنجد بالأمير أعمر بن علي بن اعمر بن هنون بن بهدل من قبيلة أولاد مبارك لمساعدتهم، فقدم الأمير بجيشه، لكنه فشل ورجع خالي الوفاض<sup>4</sup>.

حتى وإن التزمت القبائل الأخرى مبدأ الحياد العلني، فإن الكواليس أبرزت أحلاف داخلية وسط تحالفات معلنة، ويتضح ذلك من موالات بعض فروع قبيلتي ايدلبه وابدوكل الصنهاجيتين، اللتين وقفنا متعاطفتين مع أهل مولاي صالح<sup>5</sup>؛ وهكذا فقد تداعت أخبار الحرب القبيلية إلى أبناء العمومة في توات،

<sup>1</sup> محمد محمود الأرواني، تاريخ الصحراء والسودان وبلد تنبكت وشنقيط وأروان في جميع البلدان، دراسة وتحقيق وتقديم، الهادي المبروك الدالي، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2009، ص 326

<sup>2</sup> Mahdi Ould Moulay El Hassan, Op. Cit, P 261-262.

<sup>3</sup> وقعت هذه الحروب الأربعة عند بطحاء ولاتة، كان أولها يوم الجمعة 26 رمضان عام 1222هـ/1807م، والثانية يوم الأربعاء 13 ذي الحجة من نفس العام، ثم الثالثة يوم الأحد 24 ربيع الثاني عام 1223هـ/07-1808م، وأخيرا الرابعة والأخيرة يوم الخميس 3 جمادى الثانية من نفس العام؛ ينظر، جدو بن الطالب الصغير، المصدر السابق، ص 33.

<sup>4</sup> أبوبكر بن أحمد المصطفى المحجوبي، المصدر السابق، ص 82.

<sup>5</sup> جدو بن الطالب الصغير، المصدر السابق، ص 33؛ Mahdi, Op. Cit, P. 264.

بما دفع مولاي عمار بن مولاي افضيل من أحفاد مولاي عبد المالك بن حمو بلحاج، إلى تغيير وجهته إلى تمبكتو، عوض ولاتة القادم إليها من توات؛ بسبب خلاف الأشقاء<sup>1</sup>.

### 3. تأسيس الحواضر وتعميرها

إن أغلب الحواضر التي سوف يأتي الحديث عنها، قامت على أنقاض مدن مغمورة، اندرست بفعل عناصر التجريد الطبيعي والبشري، ومع مرور الزمن وتحسن الأحوال ظهرت من جديد محافظة على اسمها العتيق، أو متخذة اسما حديثا دلالة على المؤسسين الجدد.

**1.3. النعمة:** تقع في منطقة الحوض الشرقي على بعد 90 كيلومترا جنوب غرب ولاتة، تعترضها حصانة جغرافية من مخاطر الطبيعة وتهديدات الغزاة؛ فهي تتوسط مرتفعات صخرية ورملية تحيط بها من مختلف الاتجاهات، باستثناء الجهة الغربية المنفذ شبه الوحيد للمدينة؛ وزيادة على ذلك مناخها ذو الطابع الصحراوي الحار صيفا والقارس شتاء؛ غير أن هذه المميزات لم تقف حاجزا أمام ممارسة النشاط الزراعي والرعوي في ظل وفرة مياه الآبار المدعمة لذلك<sup>2</sup>.

وفيما يخص الموقع الجغرافي والوصف الخارجي للمدينة، يذكر بول مارتى: "وقد بنيت النعمة في سهل فسيح يمتد على مدّ البصر عند حافة ظهر ولاتة على الضفة اليمنى لأحد الأودية؛ وليس للمدينة سور، غير أن بيوتها المبنية كلها بالطين، والحجارة، وصفائح القرميد، تظهر متلاصقة ببعضها البعض من الجانب الخارجي، مما يجعل منها مدينة مغلقة"<sup>3</sup>.

تتحدث الروايات التاريخية أن المدينة عرفت ثلاث فترات إعمار: أولها، في القرن (9هـ/15م)، عندما بنى قصرها أبناء علي بن شمس الدين بن يحيى القلقمي حوالي 891هـ/1486م، وهم يحيى الصغير، وبوبكر، والطالب البركة، ومعهم ازدهرت البلدة لفترة وجيزة ثم خلت برجوع أهلها لولاتة؛ وثانيها، كان مع أحمد الهيبة بن الطالب عبد الله القلقمي، عندما أعاد بناء القصر ما بين القرنين

<sup>1</sup> الوثيق بن مولاي أحمد الوثيق العلوي، عين اليقين في نسب الشرفاء العلويين السجلمايين منهم في بلاد شنقيط موريتانيا، بحث غير منشور، د د ن، د ت، ج 1، ص 46.

<sup>2</sup> - Georges Poulet, Op. Cit, P: 122.

<sup>3</sup> - بول مارتى، القبائل البيضانية، المصدر السابق، ص 236.

السادس عشر والسابع عشر، وهو مدفون بها، استنادا على شاهد قبر يحمل اسمه ومكتوب عليه 1120هـ/1709م، يرجح أنه عام وفاته<sup>1</sup>.

غير أن أكبر انتعاش بعد فترات التعمير والإخلاء، تزامن مع انتقال أحفاد مولاي صالح رفقة حلفائهم من ولاتة إلى النعمة في أكتوبر عام 1223هـ/1808م، وجاء القرار بناء على مؤثر أممي اجتماعي، تفاديا لزهق مزيد من الأرواح، وحفظ ماء الوجه من الحرب البائسة، وكذا البحث عن بلاد يكونون رؤوساء عليها لا مرؤوسين، فنزلوا عند واد بني النعمان التابع لقبيلة الجماني الحسانية الذين سمحوا للوافدين ببناء قريتهم على ظهر الواد في منحدر الجبل، وأطلقوا عليها اسم النعمة، فامتدت في العمران، حتى أصبحت من كبريات المدن الشنقيطية وعاصمة لمقاطعات حوضها الشرقي<sup>2</sup>.

تناولت الكتابات التاريخية أسماء بعض الشرفاء الذين ارتحلوا عن ولاتة إلى الحاضرة المشيدة، وهم: مولاي عبد الكريم بن مولاي صالح صحبة أولاده السبعة؛ وابن أخيه مولاي إسماعيل بن مولاي عبد الله شيخ العافية، الذي اصطحب معه أخويه محمد المهدي ومولاي علي وابن أخيه مولاي عبد الله؛ وكذلك أهل باكروم؛ وأهل بابا عينينا؛ والشرفاء الرقانيين؛ إضافة لقبيلة ابدوكل وايدلبه الجكانية، وضمت المجموعة الإيدلية عالما جليلا لا مثيل له في الفضيلة والعلم، اسمه القصري بن المختار، وهو فقيه الزمان في المسائل الشرعية من فتوى وأحكام القضاء، وغيرها<sup>3</sup>.

علاوة على ذلك، فتصميم الحاضرة مقتبس عن المدينة الأم ولاتة، إذ تتوفر على جميع المنشآت الحضارية من دور ومساجد وطرق وشوارع... وغيرها، وبنائها الطيني مدعوم بالحجارة والكلس، كما توجد بها مزارات تاريخية في شكل أضرحة ذات أهمية قصوى، وأكثرها احتراماً وتقديراً قبور الشرفاء مؤسسي المدينة، مولاي إسماعيل وأبناء أخيه، إضافة لقبر محيي النعمة في القرن السابع عشر الطالب أحمد الهبية القلقمي، وهذه القبور يقصدها الزوار دوما بالهدايا الصغيرة، لا سيما يوم الجمعة<sup>4</sup>.

**2.3. قصر السلام:** يقع شرق حاضرة شنقيط، تأسس أواخر القرن (11هـ/17م)، من طرف المصطفى بن الطالب عثمان الغلاوي، بعد رحلة بحث قادته إلى نواحي ولاتة وتيشيت، حيث قرر

<sup>1</sup> - بول مارتى، القبائل البيضانية، المصدر السابق، ص: 235.

<sup>2</sup> - الوثيق بن مولاي أحمد، المرجع السابق، ج1، ص 52.

<sup>3</sup> - Ismael Hamet, Ip. Id, P P 260-279.

<sup>4</sup> - بول مارتى، القبائل البيضانية، المصدر السابق، ص ص 236-240.

الاستقرار في حمى جبل كنديكة الشهير، في الشمال الشرقي من أرض أركيبة بداية امتداد إقليم أوكار، وهناك أسس "حاضرة قصر السلام"، وهي الحاضرة التي سوف يكون لها شأن عظيم في تاريخ المنطقة<sup>1</sup>. يتضح من خلال التسمية، أن الحاضرة شيدت وفق نمط تمليه مصلحة الأمن والسلم الاجتماعي، بعيداً عن سحنة الحروب والصراعات التي كان المؤسس أشد معارضياً<sup>2</sup>.

كما شهد القصر مراحل تجديد أهمها توسيعه عام 1152هـ/1739م، بإدخال العلامة الحاج أحمد بن الأمين التواتي الغلاوي بعض تقاليد العمارة التواتية على أعمال البناء الصوري، حيث أنشأ مسجداً وأتبعه بمنشآت وقفية، مثل دار التلاميذ ودار الإمام ومرافق أخرى؛ ثم حدد مسافة القصر من الجهات الأربع، عن طريق الذراع بالحبل، مستخدماً تخصصه في علم الفلك؛ غير أن المشروع الحيري لم يكتمل، قبل أن يرهقه موسم تحضير ركب الحج، وهي الرحلة الأخيرة التي توفى فيها<sup>3</sup>.

تجدر الإشارة إلى أن مخطط الوسطية والعزلة الحربية لم يدم طويلاً، فرفض التبعية وعدم دفع المدارات، كلف الأهالي غارات متوالية في النصف الأول من القرن (12هـ/18م)، بدأها جماعة الرماة من بقايا الجيش السعودي على مملكة سنغاي، ثم تلاهم الطوارق وليتام من البراكنة<sup>4</sup>، وهذه الحملات دفعت الحاج أحمد إلى إحداث إضافات نوعية أكثر حصانة، مما جعل البعض ينسب إليه أولية إنشاء القصر، وهو في الحقيقة بني مرافق جديدة، وأصلح ما طالته أيادي التخريب والفساد<sup>5</sup>.

**3.3. القصور الكنتية:** توافقت تأسيسها مع فترة الصراع القبلي بين القبائل الشنقيطية، الذي كان الكنتيون فيه تارة ضمن أحلاف تأديب إحدى القبائل الوافدة، مثل حلف حروب أنباز التي جمعت قبائل إدوعيش، ومشظوف، وأولاد الناصر، وأهل سيدي محمود إدولحاج، وكنتة، وتجكانت، ضد الأغلال الذين استفحل أمرهم في الحوض، وكثر الدخلاء والأشرار فيهم؛ وتارة أخرى تدور الدائرة

<sup>1</sup> - الطالب المجتبي عنكر، المرجع السابق، ص 24-25.

<sup>2</sup> - محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 221-222.

<sup>3</sup> - نفسه، ص 96؛ الطالب المجتبي عنكر، المرجع السابق، ص: 24.

<sup>4</sup> - يقال يتامى البراكنة أو ليتام لبراكنة: وهم من اليتيم بن ملوك بن بركني بن هداغ المغفري الحساني، من القبائل المحاربة التي تنتجع في البراكنة والعصابة؛ ينظر، بول مارتني، كنتة الشرقيون، المصدر السابق، ص 68.

<sup>5</sup> - الطالب المجتبي عنكر، المرجع السابق، ص 28.

فتقاتل كنتة إدوعيش أو إدولحاج، لردع تظلم طال أفرادها، بسبب غفر الطريق الذي أضر القوافل الكنتية كثيرا<sup>1</sup>، ولتخفيف حدة الصراع فكر شيوخ القبيلة في البحث عن أماكن أكثر حيوية واستقرار.

**1.3.3. قصر البركة:** واد من أودية تكانت المشهورة، هجر بفعل اشتداد الحرب بين أهله وأهل سيدي محمود، فخربت دوره وبقي بعض نخله<sup>2</sup>، ويمكن اعتباره امتدادا لحركة البناء والتشييد الكنتي، الذي استهله رقاودة توات أواخر القرن (10هـ/16م) بتأسيس قصر زاوية كنتة؛ فالبركة تقريبا أول حواضر كنتة استقلالية في شنقيط، بناه أولاد حبيب الله الكنتي عام 1101هـ/1790م<sup>3</sup>.

وتسمية البركة تيمما بطلب العلا والفأل الحسن، وترسيخ أواصر الحضارة الإسلامية والثقافة العربية، وإن كان الواقع غيب معظم آثاره التي اندثرت تحت ضربات عوامل التعرية، يبقى الشاهد التاريخي قائما يمكن مشاهدته حين الزيارة، من خلال تصميم البناء المقتضب عن الهندسة الوادانية، وتزيين الجدران المصممة من الحجارة الصماء المستقاة من المعمار الولاتي الأصيل، ويعود الفضل في الحفاظ على هذا الصرح الحضاري، إلى الرتوشات التي قام بها الطالب أحمد عام 1253هـ/1837م، بتوسيع دائرة المسجد، وترميم المنازل المهترئة، وإضافة أخرى جديدة<sup>4</sup>.

**2.3.3. قصر الرشيد:** يبعد عن قصر البركة حوالي 40 كلم إلى غرب مدينة تجكجة<sup>5</sup>، من أهم مدن تكانت حسب الشنقيطي "وبتكانت مدينتان. وهما: تجكجة... على ضفة واد كثير النخل، يقرب من نصف يوم، ويضاف إليها، وهي لإدوعل، وثانيتها (الرشيد)، وهي مدينة صغيرة على رأس جبل مطل على الوادي المسماة به وهي لقبيلة كنتة، وقد أقمت بذلك الوادي نحو خمسة عشر يوما، ولم أصعد إلى المدينة، لأنها خالية من الأنيس إذ ذاك، للحرب التي وقعت بين كنتة وإدوعيش"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - أحمد بن الأمين الشنقيطي، المصدر السابق، ص ص 492-508.

<sup>2</sup> - الطالب بوبكر بن أحمد المصطفى المحجوبي وآخرون، المصدر السابق، ص 35

<sup>3</sup> - المختار بن حامد، حوادث السنين، المرجع السابق، ص 65.

<sup>4</sup> - عبد الله مولود، قصر البركة ملتقى قوافل العلماء والتجار عبر الصحراء، مجلة القدس العربي، عدد 26-11-2016، متاح

[على الخط]، <https://www.alquds.co.uk>، تاريخ الإطلاع، 11-08-2022، الساعة، 13h00.

<sup>5</sup> - المختار بن حامد، حوادث السنين، المرجع السابق، ص 65.

<sup>6</sup> - أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 444.

يعتبر أحمد بن الأمين الوافي الكنتي المشهور بلقبه أمينوه، مؤسس قصر الرشيد عام 1211هـ/1797م<sup>1</sup>، بعد أن قَوَّم أرض الرشيد بألفي دينار ودفعها للفقراء والمساكين، فكان أول ما شرع في بنائه هو المسجد، ثم بنى الدور وغرس النخل وحفر العيون، وقد ظل القصر عرضة للهجمات والتخريب طيلة القرن (13هـ/19م)، مما أدى إلى تدميره وتخريبه في كثير المناسبات، خلال حروب كنتة وخصوصهم من أشرائيت إدوعيش وتجمكانت وأهل سيدي محمود<sup>2</sup>.

**3.3.3. عدل بكرو:** تقع ضمن ولايات الحوض الشرقي، في المنطقة الواقعة جنوب شرق بلاد شنقيط على الحدود مع دولة مالي، تنسب الروايات تأسيس مدينة عدل بكرو للقاضي الرقادي عال بن مومن، بعد الفراغ من تأهيل أولاده وتجهيزهم لتحمل المسؤولية، شرع في بناء المدينة وسماها عدل بكرو، وتسمية بكرو نسبة إلى أنه كان يملك ثروة هائلة من البقر في المنطقة<sup>3</sup>، وبالقرب من المدينة المشيدة على طريق (عدل بكرو - أمرج - النعمة)، مسافة عشرين كيلومتر شمال مقاطعة عدل بكرو، يقطن أهل جدو ولد النفاع المحجوبيين بنو عمومة البكريين في توات<sup>4</sup>.

**4.3. مشاريع تنمية خارج البلاد:** تتحدث الكتابات التاريخية عن مشاريع كانت محصلة علاقات وطيدة بين علماء توات وشنقيط، ومن ذلك أن الشيخ أبو نعامه بن أحمد البكاي مؤسس نواة أسرة كنتة الهمال بالسنغال، أثمرت صداقته مع الشيخ صلاح بن أبي الديباني المقيم بمنطقة تيرس زمور، في رسم خطة محكمة تولى بها الملك "برم فطوم" عرش مملكة "كاجور" في السنغال، بعد مصرع الطاغية "امير انكون انديل"، وكانت مكافأة الأمير الجديد للشيخ أبي نعامه، أن يختار عن طواعية بلدة قرب "يلين بون"، ليؤسس عليها قرية "اندخ" حول مدينة "كاي" عام 1221هـ/1806م<sup>5</sup>.

ويمثل إقليم أزواد نقطة تواصل بين شمال وجنوب الصحراء، بفعل الحضور اللافت للعائلات المغاربية والسودانية المرتحلة أو المترددة. فالمعلوم أن حواضر المامون، والمبروك، وبوجبيهة، وأروان، وتنبكتو،

<sup>1</sup> - هناك تضارب بشأن تاريخ التأسيس الذي ترجعه حوليات ولاتة لفترة تسبق هذا التاريخ حوالي عام 1137هـ/1725م؛ ينظر؛ الطالب أبو بكر بن أحمد المصطفى الحوي وآخرون، المصدر السابق (هوامش التحقيق)، ص 35.

<sup>2</sup> - المختار بن حامد، حوادث السنين، المرجع السابق، ص 359.

<sup>3</sup> - سيدي أحمد ولد محمد ولد عالي، التسجيل الصوتي السابق.

<sup>4</sup> - يحفظ عمرو إنجيحه محمد عبد الله، المرجع السابق، ص 5.

<sup>5</sup> - محمد بون الكنتي، المصدر السابق، ص 123.

عرفت شهرة قارية نتيجة الموقع الاستراتيجي، الذي أتاح للقادمين ممارسة أنشطة متعددة، ومثال ذلك أن الشيخ محمد بن الصديق الرقادي بنى قصر المامون، وهو المعروف بقصر الرقايدة من آل كنتة؛ وكذا تشييد الحاج أبو بكر الحاج بن محمد بن أعمر بن الوافي الكنتي قصر المبروك<sup>1</sup>.

من الإنجازات الحضارية ما ذكرته حوليات أروان، أن الحاج الأمين الغلاوي (والد الحاج أحمد التواتي) بنى مسجدا بالمدينة حمل اسم الأغلال، وقبله أنشأ الأمين الرقادي المعروف بذي النقاب مسجد الرقايدة، وهو الذي وفد على المدينة امثالاً لأمر الشيخ علي بن الشيخ أحمد الرقاد، عندما جاءته جماعة أروان تلتمس مرشدا ومدرسا، فنزل عند قبيلة أولاد الشيخ أحمد أفادة يعلم ويربي، إلى أن وافاه الأجل ودفن بجوار قبر الشيخ أحمد أفادة<sup>2</sup>.

ومحصلة القول؛ أن الحواضر المشيدة ساهمت في مد جسور التواصل السكاني، وتقوية الصلات القارية بين شعوب المنطقة، فمختلف الحواضر التي تم تشييدها هي محصلة علاقات مترسخة، انبثقت من روابط اجتماعية وأخرى روحية، عرف أصحابها كيف يؤسسون آفاق تواصلية وطيدة، بصورة مكنت شعوب القطرين من تقديم الإضافات اللازمة كل على حسب استطاعته داخل وخارج مجتمعه، من أجل بناء صرح حضاري تتمازج فيه مختلف الثقافات والأجناس.

وفي الختام؛ سلك التواصل البشري التواتي - الشنقيطي عبر قناتي الهجرات والتصوف، حيث شكل هذا الأخير رافدا حضاريا للتقارب الروحي والاجتماعي، بفعل القيم الإنسانية الحضارية التي كان يكتسيها المتصوفة داخل المجتمعات الصحراوية، فيصبحون بمثابة الحاكم غير المعلن لنزع فتيل لهيب الأزمت العاصفة، ولأن الأثر الروحي سبق بهجرات قبليّة باكرة أو معاصرة، لم يبق حبيس المكان والزمان والقبائل الحديثة العهد بالتعمير والاستيطان، بل شمل قبائل متجذرة حافظت على إرث الأجداد وأماناتهم، بواسطة تشييد حواضر زادت توطدا بموطن الأصل والبيئة المعمرة، وقد تخطى ذلك الأثر ليشمل جوانب متعددة من عادات وتقاليد متوارثة، سواء تعلق الأمر بتشابه الألقاب والكنى، أو الاحتفالات الموسمية، أو الأمثال الشعبية، وأعظم من كل هذا وذاك؛ إجلال منزلة المساهمين المباشرين

<sup>1</sup> - مبارك جعفري، الأزواد خلال القرن 13هـ/19م دراسة تاريخية اجتماعية واقتصادية، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2021، ص 82.

<sup>2</sup> - مولاي التهامي الغيتاوي، المرجع السابق، ج 1، ص 79.

في عمليات التواصل قيد حياتهم وبعد مماتهم، وهكذا تم التوافق البشري بوجود مؤثرات مناخية فرضت بناءات عمرانية، حافظت على تصاميم رائعة وزخارف بسيطة، تعكس مدى تقارب ثقافة سكان القطرين، والحقيقة أنه لولا الدعامات الأساسية التي مهد لها العلماء والتجار، لما توصلنا لهذا الكم من الشواهد التاريخية لتحديد درجات التأثير والتأثر، وبالتالي الوقوف عند مجالات حضارية من شأنها أن تزيد العلاقات أكثر عمقا واندماجا، ولم لا التشبث بأفكار وقدرات أحد أو كلا طرفي التواصل الحضاري.

## الفصل الثاني: الروابط العلمية والدينية بين الأعلام التواتيين

### والشناقطة

- المبحث الأول: الاشعاع الحضاري للمراكز الثقافية
- المبحث الثاني: الرحلة رافد حضاري للتواصل العلمي
- المبحث الثالث: حركة التأليف وآثارها في تبادل الأفكار والمعارف
- المبحث الرابع: جهود العلماء في خدمة المذهب المالكي

يكتب تاريخ الأمم والشعوب بمداد أعلامها، وما تسطره أقلامهم، فالعلماء سبيل الأمة للتقدم والازدهار، وأيُّ إهمال لدورهم الاجتماعي والتربوي - الإصلاحية، ينتج عنه اضمحلال المجتمع وتفكك خلاياه المتينة؛ لذلك يسعى العلماء والفقهاء من خلال الانغماس في دواليك المصنفات، إلى إيجاد الدواء الذي يضيء الطريق للمجتمع بمختلف أشكاله وأجناسه، وعندما يجد العالم البيئة المناسبة، فإنه يكافح لتبليغ ميراث الأنبياء والرسول الذي خلق من أجله، ولو كلفه ذلك طي الأرض وقطع المسافات الواحدة تلوى الأخرى؛ بهدف تحصيل كنوز علمية، تصبح في يوم أساس براعة الطلاب وتوجهاتهم، ومما يزيد الأمر عزيمة تخصيص محفزات معنوية للمجدين والمتفوقين، وهو جوهر الحركة العلمية لتحريك عجلة التعلم وفسح مجال التنافس المعرفي، بعيدا عن التشنجات والزلات التي تحدثها النعرات القبلية، فيصبح العلم سراج تقادم المجتمعات، وسيبلا أمثل لتواصل شعوبها، خاصة إذا كان الهدف المرجو تحقيقه يشترك فيه أبناء المنطقتين المعنيتين بالدراسة، توات وشنقيط.

## المبحث الأول: الإشعاع الحضاري للمراكز الثقافية

### 1. المراكز الثقافية في توات وشنقيط

إن توات في نظر الكثيرين هي الزاوية، والزاوية هي توات؛ وتتكشف الحقيقة للعيان من كثرة اشتقاق مسميات قصور الإقليم من اسم الزاوية<sup>1</sup>. وللاسم علاقة بحركة المرابطين الذين اعتنوا بالإسلام ومجدوا ثقافته العربية، حيث رافق دعوتهم انتعاش الحركة العلمية في أغلب البلاد الخاضعة لسطوتهم، ولأن بلاد شنقيط ارتبط اسمها في بعض الفترات بقبائل المثلثين؛ شملها الذي مسّ مناطق نفوذهم، من نفضة فكرية وإنتاج علمي، بواسطة مراكز ثقافية أنشأوها منفصلة عن المساجد.

**1.1. تسميات المراكز:** يطلق على مراكز التعليم العربي القرآني مسميات عديدة، ولعل أشملها في المراحل الأولى الكتاب أو المسيد أو المحضرة، ومعناه لاقریش في المصطلح التواتي الخاص<sup>2</sup>؛ وتتغير المسميات في مراحل تعليمية أعلى، فيطلق عليها في توات "الزاوية"؛ بينما تعرف في شنقيط بـ"المحضرة"، وهي غير المحضرة المعروفة في العالم الإسلامي، لأنها تعني بمستويات ومهام أكبر من وظيفة الكتاب.

<sup>1</sup> محمد باي بلعالم: المرجع السابق، ج1، ص 343.

<sup>2</sup> أحمد أب الصافي جعفري، اللهجة التواتية، المرجع السابق، ج1، ص 391.

وعلى اعتبار أننا صورنا الزاوية بمفهومها الصوفي الروحي، سنحاول في هذا الفصل تقديم الجانب التعليمي لها، بعد تعريف موجز لمراكز الثقافة الشنقيطية المشهورة باسم المحاضرة أو المحطرة.

المحطرة جمعها محاضر، مشتقة من الفعل حظر، أي منع الشيء وحبسه، فيقال: حبست الماشية في حظيرة أو حضيرة، ومنعت الحكومة موظفيها من الانتماء إلى أحزاب<sup>1</sup>. وللكلمة دلالة مادية مرتبطة بميكل البناء المحيط بخيمة شيخ المحطرة، ومصلاه، وعرائش طلبته، لحمايتهم من المخاطر؛ وأخرى معنوية قاعدتها قانون المحطرة الداخلي، الذي يلزم الطالب خلال فترات التكوين المعرفي الانقطاع عن مشاغل الحياة وملذاتها، والانغماس في كنف المحطرة بين أعرشة الطلبة، بعيدا عن الأهل والمعارف، بغرض تحصيل علم ينتفع به، وينفع غيره مستقبلا<sup>2</sup>.

أما المحاضرة بهذا اللفظ، فهي مشتقة من الفعل حضر أي قدم، فيقال: حضر فلان لملاقة فلان، وقدم الشهود بين يدي القاضي<sup>3</sup>، ويشتمل المعنى -أيضا- الحضور المادي والمعنوي لمحاضرة الشيخ أو الأستاذ، من خلال حضور الطالب الدروس جسديا، وتجرده من هموم الحياة ومشكلاتها معنويا، بإقباله على التعلم والتعليم لمرضاة الله تعالى<sup>4</sup>؛ وقد ورد اسم المحاضرة في نوازل الونشريسي على أنها إحدى المرافق الضرورية التابعة للمسجد، مهمتها تعليم الطلاب<sup>5</sup>.

أورد الخليل النحوي تعريفا جامعاً للفظين -المحطرة والمحاضرة- بالاعتماد على خصائصهما ومميزاتهما المشتركة، التي تجعل منهما جسدا واحدا لا يتجزأ، وعرفهما على أنهما "مؤسسة تعليمية من مؤسسات التربية العربية الأصيلة، تحمل بعض خصائص وسمات النظام التربوي الذي نشأ وترعرع في

<sup>1</sup> - أنطوان نعمه وآخرون، المرجع السابق، ص 240.

<sup>2</sup> - محمدو أمين، مدخل إلى تاريخ البداوة (عناصر من الثقافة الحسانية)، تقديم، عبد الودود ولد الشيخ، ط1، وزارة الثقافة والصناعة التقليدية والعلاقات مع البرلمان، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، 1440هـ/2018م، ص 113.

<sup>3</sup> - أنطوان نعمه وآخرون، المرجع السابق، ص 237.

<sup>4</sup> - محمدو أمين، المرجع السابق، ص 114.

<sup>5</sup> - أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م، ج7، ص 155.

أحضان الثغور، وحواضر الخلافة والثقافة، ولكنها تمتاز بخصائصها المستنبطة من واقع الحياة البدوية، أو هي خالصة لها دون غيرها من مؤسسات التربية العميقة<sup>1</sup>.

**2.1. مرحلة التأسيس:** يصعب الخوض في غمار ماضي تأسيس مراكز الثقافة التواتية والشنقيطية، بحكم أن الإسلام وصل حواضرهما مع الرعيل الأول من أحفاد عقبة بن نافع الفهري، فأنشئت مساجد ألحقت بها كتاتيب<sup>2</sup>؛ وتتضح الصورة أكثر عندما يتعلق الأمر بالزوايا والمحاضر، فيرجح الشيخ محمد باي بلعالم أن زاوية سيدي الحاج لحسن الشريف بقصر جنتور، تعتبر ضمناً أولى زوايا توات تأسيساً<sup>3</sup> في القرن (8هـ/14م)<sup>4</sup>، قابل ظهورها في مطلع القرن الموالي توافد العديد من العلماء من مختلف أقطار المغرب الإسلامي<sup>5</sup>، للاستقرار بأرض توات، ومنهم الإمام المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني على وجه الخصوص.

يفهم من كلام الشيخ باي بلعالم، أن زاوية جنتور من حيث التأسيس والعطاء المعرفي سابقة لنزول المغيلي بأرض توات، هذا الذي أخذت الحركة الفكرية معه منحى تصاعدياً متسارعاً بداية من القرن (9هـ/15م)، بوضعه حجر الأساس لإنشاء زاويته الكائن مقرها بزاوية الشيخ من قرى زاوية كنته، والتي حملت اسمه الشخصي "زاوية الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي"، وتخطى تأثيرها القطر التواتي، ليلبغ صداها المناطق الواقعة جنوب الصحراء من بلاد السودان.

وعن تواريخ تأسيس بعض المراكز المشهورة في توات<sup>6</sup>، نذكر مركز البلباليين بملوكة عام 1010هـ/1602م؛ ومركز زاقلو لسيدي علي بن حنيني في القرن (11هـ/17م)؛ ومركز بادريان بتيميمون عام 1004هـ/1596م؛ ومركز تيليلان عام 1058هـ/1648م؛ والزواوية البكرية في بداية

<sup>1</sup> - الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 53.

<sup>2</sup> - بول مارتى، كتنة الشريقيون، المصدر السابق، ص 15.

<sup>3</sup> - المعلوم أن الزوايا التواتية أسست في منطلقها للإطعام، ثم ما لبثت أن تبنت وظيفة التعليم فوق الدور الرئيسي؛ وبقى متحفظين من أن زاوية سيدي الحاج لحسن الشريف بجنتور أول الزوايا تأسيساً؛ لأن مولاي سليمان بن علي الذي استوطن أولاد وشن في القرن (6هـ/12م) أسس زاويته بها عام 580هـ/1184م؛ ينظر، عبد الله بابا، المرجع السابق، ص 37-39.

<sup>4</sup> - محمد باي بلعالم: المرجع السابق، ج1، ص 439.

<sup>5</sup> - محمد بن عبد الكريم البكري، المصدر السابق، ص ص 18-19.

<sup>6</sup> - لمعلومات أكثر حول تأسيس مراكز الثقافة التواتية؛ ينظر، الصديق حاج أحمد المغيلي، التاريخ الثقافي لإقليم توات.

القرن (12هـ/18م)؛ وزاوية الركب النبوي بأقبلي في القرن (12هـ/18م)؛ بالإضافة لمركز الزاوية الرقادية والزاوية الرقانية، صاحبتا الأثر العلمي والروحي في توات وشنقيط.

إذا انتقلنا إلى الجانب الشنقيطي، فالمعطيات المتداولة ترجح سبق المراكز الثقافية لحركة المرابطين؛ فإذا وضعنا في الحسبان دخول الإسلام بلاد غرب أفريقيا أواخر القرن (1هـ/7م)، بواسطة التجار والدعاة المغاربة، حاملين سلع وثقافة الشمال الإفريقي مروراً بالمدن الشنقيطية<sup>1</sup>، فإن المرابطين أكملوا المسيرة الإصلاحية عن طريق تطوير المناهج، وتحديث الخيارات التعليمية، بانتقاء خيرة المعلمين، للانتقال بالطلاب من مرحلة تحفيظ قصار السور، وتهجي الحروف، وأداء الصلوات الخمس، إلى مرحلة الإلتزام بالواجبات المفروضة على المسلم البالغ المكلف<sup>2</sup>.

أعقب تعمير المدن تأسيس مراكز تعنى بتدريس المتعلمين، ومن أعرق المدارس الشنقيطية تأسيساً: مدرسة وادان وتشيت حوالي عام 536هـ/1142م؛ ومدرسة شنقيط حوالي عام 660هـ/1262م، ومدرسة ولاته صدر القرن (8هـ/14م)، ومدرسة تجججة أسسها إدواعلي القادمون من شنقيط حوالي 1070هـ/1660م<sup>3</sup>، حيث انبثق عن كل مدرسة فروع، انتشرت في أرجاء البلاد إثر النزوح الجماعي نتيجة الصراعات القبلية، أو من أجل بث دائرة المعارف بين أبناء البلاد.

**3.1. الخصائص والمميزات:** تتضلع مراكز الثقافة التواتية والشنقيطية بأدوار مهمة تساعد في نهضة المجتمع، وبناء صرحه العلمي الحضاري، فقد حافظت على نهجها الأخلاقي القويم منذ نشأتها، لتوعية الأفراد وتعبئتهم فكرياً وأخلاقياً، بما يعود عليهم بالفائدة؛ وعلى المجتمع عموماً، عن طريق لمّ الشمل ومحاربة أشكال التطرف الديني، وانكب أعلامها في المحافظة على ثوابت الأمة ومقوماتها، والسهر على صيانة عقيدة المسلم وحمايتها من الزيغ والانحراف، بواسطة نشر الوعي الديني في القرى والجبال والمداشر<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - زاهر رياض، الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، د ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968، ص 301.

<sup>2</sup> - أبي عبيد عبد الله البكري، المصدر السابق، ج2، ص 352.

<sup>3</sup> - المختار بن حامد، الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص 198-199.

<sup>4</sup> - صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ج1، ص 301.

من أجل تحقيق هذا المقصد النبيل، أصبحت الزوايا قبلة طلاب العلم، يقصدونها من كل فج عميق، لجني ثروات معرفية يضاهاون بها فطاحلة العلم والأدب في البلاد المجاورة، ويشيدون بواسطتها روابط متينة؛ بارسال البعثات العلمية؛ وتقديم الضيافة لعابري السبيل؛ وكذا تنظيم حركة القوافل الصحراوية العابرة لمجالها. فكان لهذا الحرص في تنويع المهام، أثره في تحول مراكز توات الثقافية من طور استقبال العلماء إلى طور تكوين الطلاب، وتخرجهم أعلام مؤثرين في شتى الأصقاع<sup>1</sup>.

لم تكن مراكز الثقافة الشنقيطية أقل شأنًا من نظيرتها التواتية، باعتبار محاضرها مدارس شعبية متنقلة، تدرس مختلف الفنون المعرفية الموروثة، فهي مرتبطة بتنقل واستيطان خيمة المعلم بين الصحاري والفيافي، حيثما توفرت ظروف التوطن من كلاءٍ وماء، لسقي ورعي مواشي الشيخ وطمأنينة طلابه<sup>2</sup>، وتحصيل مادة العلم بشتى الطرق المتاحة ولو على أكباد الإبل، كما تعطي الطالب حرية اختيار المحاضرة التي تواكب رغباته، للتعمق في الدروس التي تنوق نفسه النبوغ والتوسع فيها<sup>3</sup>.

لذلك، تستهوي المحاضر الطلاب، فيتوافدون عليها حاملين الزاد والمؤونة على قدر الاستطاعة، وربما يصل عدد طلاب المحاضرة الواحدة أحيانا لما يقارب 400 متمدرس، في عملية تشاركية تلتئم فيها المحاضرة بمعية المحسنين والآباء، لتغطية نفقات ومستلزمات المتدربين ذوي الدخل الأسري المحدود<sup>4</sup>، كما تعتبر محاضرة أهل سيدي عثمان التي تأسست أواخر القرن الثالث عشر مثالا للمحاضر الولائية القائمة بشؤون طلاب العلم؛ فبعد وفاة مؤسسها شيخنا محمد بن عثمان، وكلت زوجته عيش بنت الحاج الحسن أنجب تلامذة زوجها للقيام بمهام التدريس، متكفلة من مالها الخاص بكل مصاريف الطلاب المترتبة عن ذلك، حرصا على استمرار عطاء المحاضرة العلمي<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - عبد السلام بلعالم الأسمر، أعلام فقه النوازل بمنطقة توات خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، الملتقى الوطني الرابع "إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية إبان العصر الحديث (1500م-200م)"، يومي: 19-20 أبريل 2010م، جامعة أحمد دراية، أدرار، ص 16.

<sup>2</sup> - Etienne RICHET، La Mauritanie، Emile Larose، Libraire-Editeur، PARIS، P 119.

<sup>3</sup> - الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 56.

<sup>4</sup> - Etienne RICHET، Op. Ci، P 119.

<sup>5</sup> - أنبوي ولد الداه ولد أيد، من المعالم الولائية، ولاتة بطاقة تعريفية نشر ضمن أعمال مهرجان المدن القديمة، النسخة الرابعة، ولاتة، 2014، منشورات مركز البحوث والدراسات الولائية، 2014، ص 30.

وهكذا، أصبحت المحاضرة حلقة وصل بمنزلة المسجد<sup>1</sup> تناقش في أروقتها المشاكل والقضايا التي تعصف بأفراد المجتمع؛ ويهرع إليها الخائف؛ ويستتر تحت سقفها الضال وعابر السبيل؛ وترفع الغبن عن الفقراء والمساكين.

وما يمكن استنباطه من خصائص ومميزات مراكز الثقافة التواتية والشنقيطية، أنهما تشتركان في الأسس القاعدية، والأهداف المرجو تحقيقها من النشأة، فهي نابعة من بيئة صحراوية صرفه، قائمة على أساس التعليم الشرعي، والإصلاح الاجتماعي، لنشر قيم السلم، ومبادئ العدالة الاجتماعية، وإن ظل الاختلاف شكليا مقتصرًا على هيكل البناء، فالمحاضر ثقافتها نابعة من الظعن والسير، متخذة من العيس مدرسة، عكس الزوايا المرتبطة بالحضر ومكان انتجاع القبائل والمجتمعات.

## 2. ظروف الدراسة ووسائلها التعليمية

يعزز القائمون على تخريج المقررات والمناهج التعليمية، إدراج مواد من شأنها تهذيب الطلاب، وبواسطتها يمتلكون زاداً معرفياً كمًا وكيفا، يؤهلهم لمقارعة أقرانهم في مراكز الحضارة الإسلامية المجاورة والبعيدة، وذلك وفق مراحل تعليمية مختلفة، لكل مرحلة مقرراتها الخاصة.

**1.2. المراحل التعليمية:** تشكل مقاييس التعلم في مضمونها رابطة مشتركة بين المراكز الثقافية في توات وشنقيط، وذلك حسب أولويات مناهج الدراسة وترتيب الفئات العمرية. حيث تمثل علوم القرآن، والحديث النبوي، والفقه، والعقيدة، واللغة العربية وآدابها أولويات الاهتمام، يتوجب على كل طالب تعلمها، والإلمام الجيد بها حفظًا وتفسيرًا عبر مرحلتين أو ثلاثة مراحل، يراعى خلالها كفاءة المتعلم، ورغبته، وقدراته المادية والمعنوية من أجل إكمال المسيرة التعليمية، إما بالانتقال إلى مناطق أخرى، أو الاكتفاء بما حصله من شيوخه<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> الطال أخيار ولد مامينه، المسجد وأثره في تربية الأمة الإسلامية، مجلة منارة الفتوى، مجلة علمية محكمة فصلية، المجلس الأعلى للفتوى والمظالم، العدد 03، رمضان 1436هـ/يوليو 2015م، نواكشوط، موريتانيا، ص ص 14-29.

<sup>2</sup> مبارك جعفري، العلاقات الثقافية، المرجع السابق، ص 129.

### 1.1.2. مرحلة تعليم القرآن وعلومه

أ. **التدرج في اكتساب المعارف:** تبدأ رحلة الطالب في حدود خمس سنوات الأولى من العمر، في الكنتاتيب الملحقة بمساجد البلدة، تحت إشراف ومراقبة المعلم أو الوالد مباشرة، ينصب الاهتمام على تعلم مخارج الحروف، وأبجديات الخط العربي الأصيل، ومن ثمة قراءة القرآن الكريم بالتلقين بمقرئ الإمام ورش عن نافع أو قالون، زيادة على بعض المعارف الأخرى المتماشية مع قدرات المتعلم الإدراكية، ولايسمح الانتقال من مرحلة إلى أخرى، إلا بعد تحصيل ثروة معرفية تؤهل الطالب لمواصلة المشوار، واستيعاب المقررات التعليمية المقرونة بالمرحلة اللاحقة<sup>1</sup>.

من عوائد الأمهات أن ينتهجن قواعد رياضية، قبل تأهيل أبنائهن لدخول المدارس القرآنية، "فإذا بلغ الصبي خمس سنين يمتحنونه، بأن يعلمونه من الواحد إلى العشرة، فإن تابعها من غير تقديم ولا تأخير يعلموا أنه صار ينجح تعليمه، وإن لم يعلم كيفية العد يتكونه، ثم يبدأون في تعليمه، وأكثر من يتولى تعليمه إذ ذاك النساء، ثم بعد معرفة الحروف الأبجدية، يعلمونه كل شكلة يقولون فتحة أو نصة؛ كسرة أو جرة؛ ضمة أو رفعة؛ جزما أو سكونا..."<sup>2</sup>.

يبدأ التعليم بالتهجي، وذلك بكتابة معلم القرآن الحروف الألفبائية للصبي في اللوح، وبعد استيعابها ينتقل بالمتعلم إلى فاتحة الكتاب، ثم المعوذتين، وهكذا يواصل التنقل بين السور، حتى يحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، ويتم خلال الدراسة التدرج في ملء اللوح، كلما انتقل المتعلم إلى سورة أعلى، بداية من السطور، ثم الثمن، فالربع، على حسب نجابة الصبي وموهبته، بينما يخصص يوم في الأسبوع لتكرار السور المقروءة<sup>3</sup>، عملا بقاعدة من ترك التكرار لا بد أن ينسى<sup>4</sup>.

ب. **تداخل المعارف التعليمية:** يبرز من خلال مقررات التعليم ملامح التواصل العلمي التواتي والشنقيطي، فإن تداخلت الموارد التعليمية يظل القرآن مع الخط عمدة المرحلة الابتدائية، حيث يسوق أحمد شلبي هذه الحقيقة: "وأما أهل إفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب،

<sup>1</sup> - أبي عبد الله الفلاني القبلاوي، المصدر السابق، ص 1.

<sup>2</sup> - أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص ص 517-518.

<sup>3</sup> - محمد بن عبد العزيز البلبالي، المصدر السابق، ص 3.

<sup>4</sup> - أبي علي بجد القلمي الشنقيطي، المرجع السابق، ص: 55.

ومدارسة قوانين العلوم (العلوم الدينية)، وتلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان إياه، ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر، وعنايتهم بالخط تبعاً لذلك<sup>1</sup>.

يورد المختار بن حامد الديماني بعض الموارد التي عنيت المدارس الشنقيطية تلقينها لتلاميذها في الفقه المالكي، وذكر في غمرتها المرشد المعين لابن عاشر، ورسالة أبي زيد القيرواني، إضافة لمختصر الأخصري في العبادات<sup>2</sup>، أما في النحو فتكون البداية بمختصر ابن أجروم، ثم منظومة عبيد ربه لمحمد بن أب المزمري التواتي، ثم ملححة الإعراب للحريري، ثم ألفية وكافية ابن مالك<sup>3</sup>؛ كما طابعت الزوايا التواتية النمط الشنقيطي، بتثقيف طلابها الموارد السابقة إلى جانب قراءة خليل، والرسالة، والعاصمية، وبعض قواعد المذهب المالكي المشهورة<sup>4</sup> في مرحلة تمهيدية، قبل أن يلج الفتى عالم الطواف والترحال للبحث والاستكشاف.

## 2.1.2. مرحلة تعليم الشريعة واللغة

أ. أهم موارد المرحلة التعليمية: ينتقل المتعلم بعد حفظ القرآن الكريم أو قسطاً منه، إلى مرحلة أكثر شمولية وأدق من سابقتها، يُستخدم فيها أساليب ومقررات جديدة، تسير مهارات المتعلم المكتسبة سابقاً، فيركز المشائخ على تدريس وتحفيظ المتون والشروح الفقهية المتداولة في بلاد المغرب الإسلامي، خاصة مدونات الفقه المالكي والشروح والمختصرات<sup>5</sup>. وفي هذا الصدد تذكر الكتابات أن الغلام من قبيلة المدلش الشنقيطية كان يحفظ المدونة قبل سن البلوغ؛ وفي تحكّات في قرية تنيكي من قرى آدرار تحفظ الجوّاري موطأ مالك<sup>6</sup>، فضلاً عن غيره من المتون الفقهية.

1- أحمد شلبي، التربية الإسلامية نظامها - فلسفتها - تاريخها، ط6، جامعة القاهرة، مصر، 1978، ص 57.

2- المختار بن حامد، المرجع السابق، ص 6.

3- الحسن بن محمد الأمين الشنقيطي، الجهود الدعوية في منطقة شنقيط وتأثيرها في غرب إفريقيا من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر، رسالة ماجستير، إشراف، محمود محمد الحنطور، قسم الدعوة والإحتساب، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة طيبة، المدينة المنورة، 1425هـ/2004م، ص 285.

4- أبي عبد الله الفلاني القبلاوي، المصدر السابق، ص 1.

5- أحمد الحمدي، المختار الكبير الكونتي، المرجع السابق، ص 51.

6- المختار بن حامد، الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص 5.

تعتبر مدن شنقيط التاريخية أبرز حواضر البلاد فاعلية، وأجزؤها عطاء معرفيا، فهي عمادة المراكز الحضارية الصاعدة، ولها مرجعية ريادة الحركة الفكرية منذ قرون خلت، بالمحافظة على تقاليد مرعية مشتركة، تبرز واقعية الاهتمام بالعلم، وترسيخه للطلاب، واتباع تنظيم موروث عنت به باقي المحاضر والزوايا؛ وذلك بقراءة صحيح البخاري والشفاء للقاضي عياض بانتظام بين الظهر والعصر أو بعد العصر مباشرة، وتخصيص الفترة ما بين صلاتي المغرب والعشاء، لقراءة القرآن الكريم وتفاسيره للنسفي والجلالين والخازن والساوي، مع بعض التقديرات والتأخيرات حسب المراكز<sup>1</sup>.

**ب. ثقافة الترحال:** يلزم طالب هذه المرحلة الابتعاد عن مقر سكنه، بحثا عن أسانيد علمية من مشايخ فضلاء، مستغلا خدمات الإطعام والإيواء، التي عادة ما توفرها المراكز للطلبة الوافدين، وفق قانونها الداخلي المتبع<sup>2</sup>، ومن ذلك أن الشيخ عبد الله الفلاي، تنقل بين القصور التواتية عام 1133هـ/1721م، بعدما قرأ فنونا شتى على مشايخ بلده، آخرها جمع الجوامع لابن السبكي، فاستأذن والده السفر من أقبلي مسقط رأسه إلى قرى توات الوسطى، للقراءة على يد جم غفير من العلماء، في قصور زاجلو، وتيمي، وأولاد وشن، وأدغاغ، وأولاد ونقال...<sup>3</sup>

تعتبر الزاوية الرقادية من أكبر زوايا توات استقطابا للأفارقة، بفعل الوصلة العلمية التي ربطت مؤسس الزاوية الشيخ أحمد الرقاد بهم، وهو الذي أدرك في حاضرة فاس رجالات كانوا أجلاء أوقاتهم، وفضلاء زمانهم من مدينة ولاتة، أخذ عنهم علوم الحديث وقواعد التفسير وعلوم القرآن<sup>4</sup>، ولا شك أن هذه الرابطة تعد مفسرا منطقيا، لتأويل بعض الكتابات التاريخية تلقي عائلة الحاج أحمد الغلاوي التواتي تعاليمها الأولى بالزاوية الرقادية، على يد أحد أبناء المؤسس المباشرين.

تقوم طريقة تعليم الزاوية على تقسيم الدروس إلى ثلاث مراحل: المبتدئين والمتوسطين وأهل النهاية، يخاطب فيها كل متعلم بما يناسب عقله ويوافق مقامه؛ والذي شد انتباهنا في مرحلة أهل النهاية، تدريس

<sup>1</sup> محمد بن عبد العزيز البلبالي، المصدر السابق، ص 3؛ الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 75.

<sup>2</sup> عبد الله عماري، واقع تعليم اللغة العربية في الزوايا القرآنية بمنطقة توات الجزائرية، مجلة آفاق علمية، العدد 3، 2019م، ص ص 387-398.

<sup>3</sup> أبي عبد الله الفلاي القبلاوي، المصدر السابق، ص 1.

<sup>4</sup> مولاي التهامي الغيتاوي، المرجع السابق، ج 1، ص 69.

شرح لامية الزقاق للقاضي النجيب الزاهد عبد الله بن أحمد الولاقي المحجوبي<sup>1</sup>؛ بالإضافة إلى شرح شواهد ابن أحمد الأعمش في المساند؛ وألفية السيوطي وألفية العراقي؛ وشرح ورقات إمام الحرمين في الأصول والموافقات للإمام الشاطبي؛ وفي النحو تكميل المرام في شرح شواهد ابن هشام البسط والتعريف للمكودي؛ ومختصر البرادعي في الفقه المالكي<sup>2</sup>.

أضفت الزاوية الرقانية على نفسها طابعا تعليميا تربويا، فهي من الزوايا التي أنشئت صوفية المشرب، ثم ما لبثت أن استقطبت طلبة العلم من خارج القطر التواتي، بواسطة تلقين مختلف المعارف الدينية واللغوية، الهادفة لتحسين مستويات الطلاب، وتأهيلهم علميا وأديبا وأخلاقيا، حتى يتصدروا مناصب الإمامة والتدريس والقضاء، لنشر تعاليم الدين السمحة بين أفراد المجتمع<sup>3</sup>. وما وفود الزاوية الشناقطة في طليعتهم ابن المحضري الجكني<sup>4</sup>، خير شاهد على تنوع مشاربها، خاصة وأن شقيقه محمد الأمين المحضري وابن خالتهما البرتلي - صاحب الفتح - أجلّ علماء شنقيط في عصرهما.

**2.2. يوميات طالب العلم:** يصور الشيخ محمد بن عبد الرحمن البلبالي<sup>5</sup> جانبنا من رحلة طالب العلم اليومية، التي تمتد من طلوع الفجر إلى وقت صلاة المغرب، يتنقل خلالها بين مشائخ مختصين في علوم محددة؛ حيث درس خليل، والقلصادي، والألفية، والتجويد برواية ورش وقالون على يد العلامة أبي زيد عبد الرحمن بن عمر التنايني؛ أما الأجرومية فقرأها على يد محمد بن عبد الله الأدغاني، وقرأ مختصر خليل والتفسير والصغرى للسنوسي، والبردة والهمزية على يد شيخه عبد الله بن إبراهيم البلبالي.

بالإضافة إلى ذلك، تسهر المراكز الثقافية على تقديم دروس في المنطق والحساب والجبر، لحاجة الفرد والمجتمع إليها في أمور العبادات والمبادلات. وصفة التقديم أن يجتمع الطلبة في هيئة دائرة حول الشيخ أو المرابط الذي يتوسطهم في صحن الزاوية أو المسجد، بحيث يحضر كل متعلم لوحه وكتبه للقراءة والاستماع للشروح والتفاسير المختلفة، وتقسم فترة الدراسة اليومية إلى مرحلتين: صباحية إلى غاية

<sup>1</sup> تعرف بفك الوثائق على لامية الزقاق للقاضي أند عبد الله بن أحمد الولاقي المحجوبي المتوفى عام 1172هـ/1759م؛ ينظر، محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 299.

<sup>2</sup> مولاي التهامي الغيتاوي، المرجع السابق، ص 76-77.

<sup>3</sup> مولاي الشريف الرقاني، المقابلة الشفوية السابقة.

<sup>4</sup> محمد بن الأمين المحضري ومحمد عبد الله بن أبي بكر الصديق البرتلي، الوثيقة السابقة.

<sup>5</sup> محمد بن عبد العزيز البلبالي، المصدر السابق، ص 4.

منتصف النهار؛ ومسائية تبدأ عقب صلاة العصر حتى يحين وقت صلاة المغرب؛ وهكذا، خلال كل أيام الأسبوع، عدا يومي الخميس والجمعة والأعياد الدينية<sup>1</sup>.

**3.2. الوسائل التعليمية:** تجري التقاليد على كتابة الآيات والسور القرآنية والمتون في اللوح، إلا أن هناك وسائل أخرى لا تقل فاعلية عنها، مثل القلم والحبر والورق والصلصال<sup>2</sup>، وعن أدوارها نذكر:

**1.3.2. اللوح الخشبي:** يتراوح طوله بين 30 و50 سم، أما عرضه فيتراوح بين 15 و23 سم، ويتخذ الطفل في الكتاب لوحا من الحجم الصغير، إلى أن يتقدم في دراسة القرآن فيتخذ لوحا كبير الحجم، وفي العادة يملأ اللوح من الجهتين، فكلما ملاً جهة، عاد ومحي الأخرى ليكتب درسا جديدا محلها<sup>3</sup>، ولا يتم ذلك إلا وقد أتقن حفظ الدرس القديم، وكثيرا ما يتبرك الطلاب به، فيقومون بكتابة الدروس عليه عوض الأوراق معتقدين أن نصوصه أيسر حفظا وأرسخ في الذاكرة<sup>4</sup>.

**2.3.2. القلم:** تصنع الأقلام عادة من أعواد القصب الجافة أو أعواد النخيل، يختار منها ما استقام واستوى وجف فنذت رطوبته، وغالبا يكون طول القلم دون الشبر ما بين 12 و16 سم، يقومون بيري رأسه بموس أو شفرة حادة، ثم يشق في النصف شقا خفيفا دقيقا به ليسهل انسياب الحبر<sup>5</sup>.

**3.3.2. الحبر التقليدي:** ينجز بوضع قليل من القطن أو الصوف في أنبوب زجاجي أو بلاستيكي يسمى الدواة، يضاف إليه قليل من صمغ الشجر، ثم يذاب في الماء ويخلط مع القطن ليشكل مدادا أحمر أو أسود أو أصفر بحسب لون الصمغ<sup>6</sup>؛ واستخدام الحبر الأسود هو السائد في الكتابة، بينما يلجأ للأحبار الأخرى في رسم الختمات على الألواح، أو في المصاحف لتزيينها، أو لضبط

<sup>1</sup> - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 86؛ الحسن بن محمد الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 56.

<sup>2</sup> - أبي القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954م)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ج3، ص 36.

<sup>3</sup> - نفسه والصفحة

<sup>4</sup> - عمر محمد صالح، الثقافة العربية الإسلامية في الغرب الإفريقي، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1413هـ/1993م، ص 82.

<sup>5</sup> - الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 147.

<sup>6</sup> - عبد الله عماري، المرجع السابق، ص ص 387-398.

رسم القرآن، أو في الكتب لإبراز عنوان أو علم من الأعلام، ويعتبر الحبر الأحمر أكثر ما يستخدم بعد الحبر الأسود، وذلك لتوضيح الإضافات في شروح المتون وروؤس المسائل الفقهية في النوازل<sup>1</sup>.

**4.3.2. الصلصال الأبيض:** ونقصد به الطين الأبيض، الذي يستخدمه المتعلم لمسح لوحه استعداداً لنسخ كتابة جديدة عوض القديمة، ولا يتم المسح إلا بعد حفظ ما خط فيه، وتسميحه على المعلم.

**5.3.2. الورق:** لم يكن الورق دعامة أساسية في حلقة الدرس لندرته وصعوبة تحصيله، فالوصول إليه كان يتطلب ضرب أكباد الإبل عبر الصحاري، لارتداد أسواق الوراقة في بلاد المغرب أو المشرق للظفر بالقليل؛ ولكن هذا، لم يمنع استعماله لتدوين المتون والكنائش واستنساخ المصنفات<sup>2</sup>، فكان رغم محدوديته مادة مهمة في الحياة الثقافية في كلا القطرين التواتي وشنقيطي.

#### 4.2. مخرجات المراحل التعليمية:

يكرم طالب الكتاب في نهاية المرحلة التعليمية بهدف تحفيزه، لمواصلة المشوار وإنماء رصيده المعرفي، فبعد قطع أشواط المذاكرة يجتاز اختباراً انتقائياً في مواد الدراسة: القرآن الكريم، والتجويد، ومبادئ الدين واللغة؛ فإذا نجح في المران، يرتقي لمنزلة ولد الزوايا أو الفتى<sup>3</sup>.

وبهذه المناسبة تقيم الأسرة حسب الأعراف التقليدية المحلية حفلة عظيمة، يشارك فيها المعلم الذي يقوم بتزيين لوح المتعلم بآيات قرآنية، وفي الوقت نفسه يجهزه أقاربه للحظة التكريم، بطلي يديه ورجليه بالحناء، ثم يلبس حلة جديدة ويجلس في مكان عال، يأتيه المهنتون بالهدايا القيمة، ترميناً لمجهوداته، ونضاله السرمدي لبلوغ هذه المكانة المرموقة<sup>4</sup>.

قد يحظى بعض الطلبة المتفوقين في المراحل التعليمية المتطورة بثقة شيوخهم، فيقدمونهم لتعليم التلاميذ، وإلقاء الدروس في حضرهم وغياهم، مقابل عطايا تسرهم، لحفظ رابطة الود بين الطالب

<sup>1</sup> - الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 148-149.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 150

<sup>3</sup> - الحسن بن محمد الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 51.

<sup>4</sup> - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 86.

التميز والأستاذ<sup>1</sup>، وغالبا ماتكون هذه العطايا مادية معنوية، كإقرار المرابط شيخ الزاوية أو المحظرة بأحقية الطالب في نيل شهادة التدريس<sup>2</sup> في أحد الفنون العلمية، التي لمس قدرته الفائقة على فهم إشكالاتها ومضامينها، وإن لزم الأمر تكليفه بمهام دعوية أو إصلاحية داخل الحدود الإقليمية للزاوية، أو خارجها موثقة بتصريح الشيخ لقيام الطالب بالمهمة الموكلة إليه<sup>3</sup>.

### 3. البعثات العلمية جنوب الصحراء

إن إشعاع المراكز الثقافية امتد للمناطق الموعلة جنوب الصحراء، بواسطة دعاة تجشموا الصعاب، وامتطوا الرواحل لتبليغ رسالة المرسلين، فأكرمهم الوطنيون الأفارقة بالحفاوة والترحاب، ساعدهم في ذلك حسب بليدن Blyden "احترامهم للعادات والتقاليد المحلية التي لم يحتقروها، والامتزاج مع الزنوج بالمصاهرة والاختلاط للذوبان في المجتمع الأفريقي"<sup>4</sup>، فخدموا الدين والتجارة في آن واحد، بمعاملاتهم الإنسانية المشحودة بالحكمة والموعظة والأسوة الحسنة، فكانت سببا مباشرا في تحول آلاف الوثنيين إلى الإسلام طواعية دون قهر.

يعتبر الداعية محمد بن عبد الكريم المغيلي التواتي (9هـ/15م)، والإمام ناصر الدين الشنقيطي (11هـ/17م)، رائدا الفكر الإصلاحية في منطقة غرب أفريقيا؛ حيث اجتمع الأول في حواضر كانو وغادس وغاو بسلاطين هذه الإمارات، وعرفهم بالإسلام الحقيقي الخالي من التقاليد والأساطير الوثنية<sup>5</sup>؛ أما الآخر فهو مؤسس الفكر الإمامي في بلاد التكرور، الممهد لما سيعرف مستقبلا دولة الأئمة في منطقة فوتا تور وفوتا جالون ما بين القرنين (11-13هـ/17-19م).

نسج الجوار الجغرافي خيوط ألفة في تذليل عمليات التواصل الحضاري، حيث واصل العلماء تقاليد العمل الدعوي على درب الأسلاف، فكان للفقهاء العلامة علي بن حنيني رحلات تجارية وعلمية

<sup>1</sup> - محمد بن عبد العزيز، المصدر السابق، ص 3.

<sup>2</sup> - شمس الدين أبي الخير السخاوي الشافعي، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، دراسة وتحقيق، عبد الكريم الحضيري ومحمد آل فهيد، ط1، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، 1426هـ/2005م، مج2، ص ص 488-489.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص 40.

<sup>4</sup> - إبراهيم علي طرخان، دولة مالي الإسلامية دراسة في التاريخ القومي الأفريقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973، ص 58.

<sup>5</sup> - أحمد الحمدي، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي، المرجع السابق، ص 138-139.

لبلاد السودان، مرفقا ببعض الطلبة والمريدين، يذكرون الله تعالى على طول امتداد الطريق، ويدارسون كتابه<sup>1</sup> بمن اجتمع بهم من بربر وعرب وزنوج؛ بينما استثمر الشيخ محمد بن أحمد الفلاني نجاته لعقد محاورات ومراسلات فقهية ونحوية مع علماء التكرور، وهو الذي قضى حياته متنقلا بين تنبكتو وأقبلي، لتلقي فنون العلم وتحصيل شتى أنواع الإجازات<sup>2</sup>.

ومن أجل بثِّ ثقافة الأخلاق الفاضلة داخل المجتمعات، وتقوية اللحمة بين أفرادها، تتحدث المصادر المحلية عن سفريات لبلاد التكرور، قام بها مؤسس زاوية مولاي هيبية بمقاطعة تدكلت، الشيخ أبو الأنوار التلاني، برسم التجارة والاشتغال بالتدريس، لحذق الأفارقة أمور دينهم<sup>3</sup>، وعادة ما كان يخصص شطرا من أرباح السفرية للتكفل بشؤون طلاب الزاوية، وإكرام ضيوفها مرتادي المسالك الصحراوية، من حجاج وعابري سبيل تقطعت بهم السبل والأفاق<sup>4</sup>.

مع تفشي خبر الزاوية الرقادية، قصدتها الوفود من كل فج؛ فأسس الشيخ أحمد الرقاد فرعا من زاويته بتنبكتو لتقليل عبء سفر الأفارقة، وأرسل إليها ابنه علي، الذي أقام ما يزيد عن ثمانية عشر عاما يعلم الأهالي أمور دينهم، ثم امتثل لأمر والده بتركها للعودة إلى الديار، وخلافته في تسيير أمور الزاوية الأم، وفيما بعد أرسل علي ابن أخيه أحمد بن عمر بن أحمد الرقادي، عندما جاءته وفود جماعة تنبكتو، تسأل عن معلم مرشد وناصح معين<sup>5</sup>.

كما شاركت الحواضر الشنقيطية في مد جسور الحركة الفكرية، من خلال علاقاتها التاريخية المتداخلة مع الحواضر السودانية، فكانت مدينة ولاتة حصن العلماء بعد تأزم الأوضاع السياسية في تنبكتو، إلى جانب مدن أخرى لعبت دورا منوطا في تنشئة جهاذة العلم الأفريقي. وترجع المصادر التاريخية أصول عائلة آقيت لمدينة وادان، بل أن العلامة أحمد بابا التنبكتي تلقى بعض تعاليمه بالمدينة ذاتها، على يد فطاحلة علماء امتد تأثيرهم لملوك السودان<sup>6</sup>.

1- محمد بن عبد الكريم البكري، المصدر السابق، ص 44.

2- مولاي التوهامي الغيتاوي، المرجع السابق، ج2، ص 266.

3- محمد عبد القادر بن عمر التلاني، المصدر السابق، ص 4؛ Martain, Op, Cit, P 127.

4- Gaston Donnet, En Sahara, A Travers Le Payes Des Maures Nomades, Socityé Français D' éditions D'Art, L-Henry MAY, Paris, P 33.

5- مولاي التهامي الغيتاوي، المرجع السابق، ص 85.

6- الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 260.

وعن تأثر الزوج الأفاقة بعلماء المسلمين، ينقل الرحالة بيرلابات "Perlabate" مشاهدات رحلته لبلاد السودان في الفترة ما بين 1670-1690م أن "المرابطين البيضان (العلماء) هم الذين نقلوا المحمدية (الإسلام) إلى الزوج، ولهذا كان لهم نفوذ قوي على هذه الشعوب التي تنظر إليهم كأساتذة مرشدين في كل ما يتصل بالدين، وتستشيرهم في غالب شأنها"<sup>1</sup>.

وقد أثمر استيطان العلامة جعفر بن محمد المهدي النعموي البلحاجي<sup>2</sup>، بمدينة كالا المالية مركز تسيير قوافله التجارية، في ربط وشائج الاتصال المباشر مع الأمراء والسلاطين، وساعد في تحول مدينة كيري الوثنية إلى الإسلام، بمساعدة حاكمها المسلم "ماسيري كيتا"، ولم يكتف بذلك؛ بل خلصت جهوده الدعوية إلى أسلمة أمير "مركبوكو" و "مماري جوابا" المعروف قبل إسلامه "أنضوا جرا"، والتوسط بين أطراف النزاع في أقاليم سطوته لإخماد لهيب الفتن والحروب المشتعلة<sup>3</sup>.

ومن تلك السفريات سفارة الفقيه محمد يحيى الولاقي، للأمير أحمد بن الحاج عمر سعيد تال الفوتي، فبعد أن وفق الولاقي في استمالة الأمير للتفاوض، وكسر الحصار الاقتصادي المفروض على ساكنة ولاتة، جراء موالاتهم الكنتيين في صراعاتهم الحربية ضد الفوتين، تفرغ الفقيه فترة للدعوة، يؤوم المصلين وينشر العلم داخل الإمارة التجانية<sup>4</sup>.

صفوة القول؛ إن حياة المراكز الثقافية وشحّت بملامح حضارية، أثار دروبها طائفة علماء مخلصين، أحسنوا انتحال المواد المتوافقة وقدرات المتعلمين كمّاً وكيفاً، وتمديد دوائر الاتصال المعرفي، التي لم تقتصر على الجانب التربوي التثقيفي فقط، بل غدت تلك المراكز مستأنس الغرباء، ومقصد المسافرين، ومستراح قوافل الصحراء، ومنارة دعوية لإعلاء كلمة الحق، وجمع الألفة بين أبناء الملة الواحدة، دون تعصب لرأي أو تحيز لأفكار هدامة.

<sup>1</sup> - محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 200؛ الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 260.

<sup>2</sup> - توفي عام 1311هـ/1894، وهو من خيرة أبناء العائلات التواتية المهاجرة، عالماً فقيها ومؤرخاً نساباً، ذو كرامات ومكاشفات؛ ينظر، سيدي محمد ولد جعفر، تواريخ الهجرات، كتاب الندوة الثانية، المرجع السابق، ص 15-16.

<sup>3</sup> - نفسه، ص 16.

<sup>4</sup> - محمد بن أحمد بن المحبوبي، أدب الرحلة في بلاد شنقيط خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجري (20/19م) - مقارنة وتنظير، د د ن، د س ن، ص 250.

## المبحث الثاني: الرحلة مؤثر حضاري للتواصل العلمي

إن ازدهار الأمم مرتبط بمدى ثقافة شعوبها، ولا يتأتى ذلك إلا بتفعيل دور الحواضر العلمية، انطلاقاً من تأثيراتها المادية والمعنوية على حياة الفرد والمجتمع، وإظهار طرق وأساليب تواصل شعوبها العلمي، للرفعي بعلاقتها إلى مصاف الحضارة في شتى المجالات والميادين.

## 1. تراجع أبرز أعلام التواصل المعرفي

تعتبر فئة الأعلام قاعدة خلفية لتواصل الشعوب، فعلاقة علماء توات وشنقيط تخطت منطق الجغرافيا المحلية لتشمل حواضر المنطقتين، دعامتها الرغبة في تحصيل الجديد المكمل لما هو رائج داخل البيئة الواحدة، وسنوجز في هذا العنصر أبرز أعلام التواصل المعرفي في السطور الآتية:

## 1-1- محمد المختار بن الأعمش العلوي الشنقيطي (ت 1107هـ/1696م): مفتي الديار

الشنقيطية وعلامتها الشهير، أخذ العلم عن علماء أجلاء ذكرهم في سياق إجازاته<sup>1</sup>، أمثال عبد الله البوحسني المغربي، وأحمد بلقاسم اليعقوبي الوداني<sup>2</sup>، وعمر الوالي بن عبد الله الولاقي المحجوبي... إلخ، وبالمقابل أخذه عنه آخرون، وهو يعتبر أحد أبرز الوجوه العلمية خلال عصره في شنقيط<sup>3</sup>، يمثل مرجعية البلاد الدينية ورائد تصنيف نوازها الفقهية<sup>4</sup>، ومن الغريب أن صاحب فتح الشكور لم يخصه بترجمة تليق بمقامه العلمي، رغم ثنائه المتكرر عليه في تضاعيف كتابه، فأسانيده العلمية الأكثر تداولاً في شنقيط

<sup>1</sup> - محمد بن المختار بن الأعمش، نوازل بن الأعمش لأبي عبد الله محمد بن المختار الأعمش المالكي، دراسة وتحقيق، الطالب الهادي حواس، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية تخصص فقه وأصول، إشراف، د/ عبد الحفيظ هلال، قسم الشريعة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة 1، الجزائر، 2020/2019م، ص 42 وما بعدها.

<sup>2</sup> - سيد أحمد بن القاسم بن سيد أحمد بن علي بن يعقوب الوداني الحاجي اليعقوبي، توفى عام 1086هـ/1675م، له فتاوى في الفقه، سلك فيها طريق الإختصار؛ ينظر، محمد بلعراف التكني، المصدر السابق، ص 90.

<sup>3</sup> - عبد الله بن محمد الصغير بن أنبوجه العلوي الشنقيطي، ضالة الأديب ترجمة وديوان سيدي محمد بن محمد الصغير بن أنبوجه العلوي الشنقيطي (ت 1275هـ/1858م)، تحقيق ودراسة، أحمد ولد الحسن، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، مطبعة ديدبكو، سلا، المملكة المغربية، 1414هـ/1996م، ص 117.

<sup>4</sup> - أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 578.

وما جاورها من أقاليم الصحراء والسودان خلال القرنين (11 و12هـ)، له نوازل فقهية في غاية الإبداع، وشرح على إضاءة الدجنة للمقري، وعلى الفريدة للسيوطي في النحو<sup>1</sup>.

**1-2- الحاج أحمد بن الأمين التواتي الغلاوي (ت 1157هـ/1743م):** يكنى التواتي بصفته قائد ركب الحج الشنقيطي إلى توات، وهناك استلم المشعل نيابة عنه أبو نعامه القبلاوي؛ ينتمي لقبيلة الأغلال العاملة التي تصدر أبنائها نشر العلم في شنقيط وما جاورها من بلاد السودان؛ ومما قال فيه صاحب فتح الشكور: "كان رحمه الله تعالى من العلماء العاملين، قائما بالمعروف والنهي عن المنكر، تمابه اللصوص وتخافه الظلمة، وانتفع على يديه كثير من المهاجرين التائبين من المغفرة..."; ومن مؤلفاته: كاشف الغمة في نفع الأمة على شرح نظم ابن سعيد السوسي، والمفيد على شرح الأخضري؛ توفي رحمه الله وهو قادم من الحج في مدينة فزان الليبية، وبها قبره<sup>2</sup>.

**1-3- أبو زيد عبد الرحمن بن أبي إسحاق الجنتوري (ت 1160هـ/1740م):** عالم توات المتبحر في فنون العلم ومعرفة الأحكام؛ تتلمذ على يد والده وثلة من الفضلاء ذكروا في معرض نوازله؛ شد عصا الترحال بحثاً عن العلوم العقلية والنقلية، فوجد ضالته بحضرة الفقيه عمر بن عبد القادر التنلاي التواتي<sup>3</sup>؛ من جملة طلبته النجباء أبو زيد عبد الرحمن التنلاي، ومحمد الفقيه التنكرامي...؛ أثنى عليه أعلام الإقليم ووضعه بمنزلة المرجع الفقهي في فتاوي الأفضية والأحكام؛ أفصحت نوازله عن مؤلفاته: النوازل المسماة الفائح النسيم، وحاشية للزرقاني على المختصر، ومنظومتان في علم الكلام، ومنظومة الغريم في قضاء دين الغريم، ولامية العقائد مع شرحها في كلام السنوسي...<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 527.

<sup>2</sup> - محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 95 وما بعدها بصفحات؛ محمد بلعراف التكني، المصدر السابق، ص 84 - 94

<sup>3</sup> - عرف عن عبد القادر بن عمر التنلاي (ت 1151هـ/1739م) قوة الذاكرة والتبحر في العلوم، فما من عالم تواتي إلا ويقر بجميل صنيعه عليه، رحل لمدينة فاس وجلس للإقراء بمدارسها الشهيرة، قال عنه تلميذه عبد الرحمن الجنتوري أنه أختبر علماء ديار الإسلام فلم يجد عالم بحجم شيخه أبو حفص إلا واحد في علم الحديث لقيه بمكة؛ ينظر، عبد الرحمن بن عمر التنلاي، المصدر السابق، ص 126.

<sup>4</sup> - عبد الرحمن الجنتوري، الفائح النسيم في فتاوي سيدي أبي زيد عبد الرحمن الجنتوري (نوازل الجنتوري)، مخطوط، جمعها، محمد بن أحمد المسعودي الجاري، خزانة بن عبد الكبير، المطارفة، ولاية تميمون، الجزائر، ص 1.

**1-4- أبو زيد عبد الرحمن بن عمر التتلائي (ت 1189هـ/1765م):** عَلم من أعلام توات الذين ساهموا في مد جسور التواصل بين مراكز الثقافة التواتية وحواضر الصحراء والتكرور؛ ذاع صيته في أرجاء الإقليم قاطبة بملازمته العلماء؛ تكوّن على يد فطاحلة العلم من شاكلة عمر بن عبد القادر التتلائي، والجتتوري، والحاج أحمد الأمين الغلاوي، وصالح بن محمد الغماري...<sup>1</sup>؛ شرب من منهله ابنه محمد بن عبد الرحمن، والقاضي عبد الحق بن البكري وآخرين؛ له مؤلفات رائقة الجمال، منها: فهرسة سير وتراجم شيوخه، ومختصر السمين في إعراب القرآن الكريم، إضافة لعقده مشاركات عديدة في النوازل التواتية؛ توفي رحم الله بمصر قادماً من البقاع المقدسة، ودفن بمقبرة المنوفي<sup>2</sup>.

**1-5- محمد بن أبّ بن أحمد المزموري التتواتي (ت 1160هـ/1740م):** عالم توات المشهور بكثرة التنقلات والتجوال بين حواضر الإقليم العلمية؛ عاش مدة طويلة في الزاوية الرقادية، أخذاً عن علمائها أمثال: محمد بن عبد المؤمن السباعي، والشيخ محمد صالح بن المقداد؛ ثم انتقل إلى تينلان ليأخذ عن الشيخ عبد القادر بن عمر التتلائي؛ ليحط الرحال بتيميمون التي توفي بها. وبين تلك المحطات كانت له سفريات لبلاد التكرور<sup>3</sup>؛ وقد امتاز هذا العلامة التتواتي بجودة التأليف المنظوم والمنثور خدمة للإسلام وقرينته العربية، فمؤلفاه نظم مقدمة ابن أجزوم الصنهاجي في النحو، والعقري في أحكام الصلاة، يعتبران ضمن مقررات التعليم الحضري الأساسية في مناطق الصحراء<sup>4</sup>.

**1-7- محمد بن المبروك البداوي الجعفري (ت 1198هـ/1760م):** أحد أعلام توات الجعفرين ممن جمعوا في تكوينهم شتى أنواع الفنون؛ أخذ عن شيوخ أفذاذ أمثال: محمد بن عبد الله الونقالي، والفاضلان عمر بن عبد القادر وعبد الرحمن بن عمر التتلائي؛ يشهد له بعلو الكعب في اللغة والأدب، واليد الطولى في الفقه والمديح النبوي<sup>5</sup>؛ خلف ديوانا شعريا ضخما، منه: مرثية في وفاة شيخه عبد الرحمن بن عمر التتلائي، وقصيدة في وصف الزمان، وتخميسة اللطيفة...، مما جعل أشعاره تحظى باهتمام

<sup>1</sup> عبد الرحمن بن عمر التتلائي، المصدر السابق، ص 29.

<sup>2</sup> نفسه، ص 39.

<sup>3</sup> ضيف الله بن محمد بن أب المزمري، المصدر السابق، ج2، ص 110.

<sup>4</sup> محمد بلعراف التكني، المصدر السابق، ص 120.

<sup>5</sup> محمد عبد القادر بن عمر التتلائي، المصدر السابق، ص 7.

الأكاديميين من خارج الجزائر، فأجريت دراسة ماجستير حول شعره الملحون بالمغرب الأقصى<sup>1</sup>، وقد ربطته صداقة وثيقة بالشاعر الشنقيطي سيدي محمد الإدواغلي، نزيل توات.

**8-1- الشيخ محمد بن بكو الإدواغلي العلاوي الشنقيطي (ت ق س 1198هـ):** من الأعلام الشناقطة الذين جاءت بهم قوافل الحج للإقامة داخل قصور توات، والتأثير العلمي في حواضرها؛ صاحب الشيخ محمد أبو نعامة القبلاوي، بعد أن نزل ضيفا بزوايته قاصدا أرض الحجاز، وهناك عدل عن رغبته، وقرر التجوال بين مراكز توات الثقافية؛ انتقل في بادئ الأمر إلى تمنطيط، وعقد صحبة مع العلامة البكري بن عبد الكريم، قبل أن ينتشر خبره، لتتسارع وفود القرى المجاورة للظفر بحضرته، فكان حظ قاطنة أعباني فيه؛ خلّدت له الكتابات المحلية العديد من القصائد الشعرية؛ توفي رحمه الله في تنبكتو قبل عام 1198، وصلى عليه جمع غفير أمّهم محمد بن المبروك البداوي<sup>2</sup>.

**9-1- الشيخ البكري بن عبد الكريم (ت 1133هـ/1721م):** توارثت عائلته الإمامة ورئاسة القضاء في توات؛ فكان رحمه الله تعالى شيخا عارفا عالما عاملا متفنا في فنون شتى، قاضي الصحراء وحامل لواء المحبة الغراء<sup>3</sup>؛ أخذ مقدمات العلوم عن أخيه الحاج أحمد القاضي بن عبد الكريم، وعن علماء آخرين، أمثال: أحمد بن علي النحوي الوقروتي، وسعيد بن قدورة الجزائري؛ أسس علاقات مع علماء أجلاء خارج توات، أمثال: محمد الخرشبي مفتي المالكية في مصر، ومحمد بن بكو الشنقيطي السالف الذكر، والذي يعتقد أن علاقتهما مبعثها بعض سفريتهما للصحراء، إذ كان كثير الأسفار بين الأقطار المغاربية والمشرقية؛ خلف ديوانا شعريا منه مراسلاته في المدح والثناء مع بن بكو وغيره<sup>4</sup>؛ وإليه ينسب تأسيس الزاوية البكرية في توات عام 1112هـ/1701م<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - مولاي التهامي الغيتاوي، المرجع السابق، ج1، ص 131.

<sup>2</sup> - أحمد أبا الصابي جعفري، الشيخ سيدي محمد إدواغلي، المرجع السابق، ص 6 وما بعدها.

<sup>3</sup> - محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، جوهرة المعاني في تعريف ما ثبت لدي من علماء الألف الثاني، مخطوط، الناسخ، الطيب بن عبد الله البلبالي، خزانة سيدي عبد الله البلبالي، قصر كوسام، ولاية أدرار، الجزائر، ص 1.

<sup>4</sup> - عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى الرابع عشر، ط2، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ص 168.

<sup>5</sup> - عبد الله بابا، المرجع السابق، ص 57.

**10-1- الشيخ محمد البكري بن عبد الرحمن التتلائي (ت 1339هـ/1921م):** سمي الشيخ باسم البكري تبركا ونسبة للدوحة البكرية، وبأخواله البكرين من أحفاد الشيخ محمد البكري؛ ولد سنة 1262هـ/1846م؛ درس بالزاوية البكرية؛ ثم انتقل إلى بلدة كالي بضواحي تيميمون، للأخذ عن الشيخ مولاي عبد الحاكم بن عبد العالي<sup>1</sup>، فكان البكري رحمه الله عالما متضلعا في علوم الفقه واللغة والنحو والعروض وعلم المواييث، يخير سائل المسألة كيف يريد جوابها نظما أو نثرا؛ له قصائد مدحية ومؤلفات عديدة، منها: أرجوزة في التوحيد والفقه والأخلاق سماها "الأولويات"، وضع عليها الشيخ باي شرحا "المباحث الفكرية شرح على الأرجوزة البكرية"<sup>2</sup>؛ عقد مشاركات شعرية مع علماء من خارج توات، من بينهم العلامة محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي.

**11-1- الشيخ عمر بن المصفي الرقاد الكنتي (ت 1157هـ/1743م):** هو الفقيه الأديب الأريب الحلیم النزیه، عمر بن الشيخ محمد المصطفى بن الفقيه أحمد بن الرقاد الكنتي<sup>3</sup>؛ نال حظا وافرا من الفقه، والنحو، والفصاحة، والبلاغة، والأدب، ورجاحة العقل؛ وبالمختصر اجتمعت فيه مواصفات أهل الكرم والفضل وطيبة الأخلاق<sup>4</sup>؛ كان كثير الترحال والأسفار العلمية لبلاد التكرور وما جاورها، خرج من زاوية جده الشيخ أحمد الرقاد، بعد أن حصّل مختلف فنون العلم والمعرفة الدينية واللغوية، فأصبح يُسْتَدَلُّ بفتاويه في النوازل التواتية، على غرار نوازل الزجاجاوي وغنية المقتصد، للإجابة على المسائل الفقهية؛ توفي رحمه الله تعالى في الرحلة نفسها التي توفي فيها الحاج أحمد بن الأمين الغلاوي بفزان الليبية، وهما قافلان من الحجاز بعد أداء مناسك الحج<sup>5</sup>.

**12-1- الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي (ت 1322هـ/1905م):** هو محمد محمود بن التلاميذ التركزي نسبة لقبيلة تركز الأموية التي تسكن آفطوط وتكانت<sup>6</sup>؛ قرأ على والده التجويد والصرف واللغة والقواعد والفقه والبلاغة والأصول؛ ثم أكمل تعليمه في بلاد الكبلة جنوب

<sup>1</sup> - أحمد أبا الصافي جعفري، من تاريخ توات أبحاث في التراث، ط 1، منشورات الحضارة، بئر التوتة، الجزائر، 2011، ص 533.

<sup>2</sup> - محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج 1، ص 199.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن بن عمر التتلائي، المصدر السابق، ص 127.

<sup>4</sup> - ضيف الله بن أب المزموري، المصدر السابق، ج 1، ص 64.

<sup>5</sup> - نفسه، ج 1، ص 88.

<sup>6</sup> - ماء العينين ولد محمد فاضل القلومي، المرجع السابق، ص 61.

غرب موريتانيا؛ كان قادري الطريقة، أخذها عن العالم الصوفي كمال الدين بن المختار بن الهيبة<sup>1</sup>؛ كان كثير الرحلات لزيارة أقطار العلم، إذ أقام مدة بتندوف الجزائرية عند العالم بن بلعشم الحكيني؛ وكان في طبعه كثير المشاحنات أينما حل وارتحل، فدخل في مشادات مع علماء مكة والأزهر والمدينة المنورة وحتى سلطان أسطنبول<sup>2</sup>؛ راسل الشيخ محمد البكري التلاني في أبيات شعرية للأخطل لم يفهم مدلولها؛ توفي رحمه الله بأرض المهجر بالقاهرة، ودفن بها.

## 2. اللقاءات العلمية عن طريق الرحلات

تعتبر الرحلة بمختلف صورها وأشكالها أداة حضارية تعرف الإنسان بالنظم الاجتماعية خارج بيئته الجغرافية، مما قد يهيئ مجال التقارب العلمي بواسطة تنقلات العلماء بين الأمصار، واندماجهم بأقرانهم، للاستفادة من خبراتهم، والوقوف على ثقافتهم، لتمكين معارف فكرية يجهلون بها.

**1.2. الرحلات الحجازية عبر توات:** إن الرحلات الحجازية عبر توات رغم بواكير تنظيمها، لم تكتمل ملامحها الحضارية إلا مع الحاج أحمد بن الأمين الغلاوي، مُقَدِّم ركب الحج الشنقيطي في القرن (12هـ/18م)، ثم مواطنه الحاج البشير البرتلي في نهاية القرن، عند نزولهم ضيوفا بزواية الشيخ أبي نعامة القبلاوي<sup>3</sup>، التي وضعت تحت تصرف الحجاج والعلماء للالتقاء والاستراحة، ثم مواصلة السير كتلة منظمة عبر غدامس وفزان، ثم القاهرة وصولاً لأرض الحجاز، سالكين طريقاً واحداً ذهاباً وإياباً<sup>4</sup>.

تعتبر شنقيط المدينة منذ النصف الأخير من القرن (17م)، ملتقى حجاج منطقة غرب أفريقيا، للالتحاق بالركب الفاسي المتوجه نحو توات<sup>5</sup>، لدرجة أن كنية شنقيطي رحب مدلولها المكاني، فصارت

<sup>1</sup> حمّاه الله ولد السالم، حجاج ومهاجرون علماء بلاد شنقيط (موريتانيا) في البلاد العربية وتركيا من القرن التاسع إلى القرن 14هـ، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012، ص 182.

<sup>2</sup> أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص ص 381-397.

<sup>3</sup> الحاج محمد البشير البرتلي، المصدر السابق، ص 95.

<sup>4</sup> محمد الراضي ولد صدفن، رحلات الحج وآثارها الثقافية في بلاد شنقيط خلال القرنين 12 و13هـ، (رحلة سيدي عبد الله ولد

الحاج إبراهيم نموذجاً)، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، دورية علمية محكمة تعنى بالقضايا التاريخية والاجتماعية، ع1، 2013م، جامعة نواكشوط، موريتانيا، ص ص 51-61.

<sup>5</sup> نفسه، ص ص 51-61.

تعريفه موسوعية عند المشاركة، تشمل جميع سكان منطقة الساقية الحمراء وبلاد السودان<sup>1</sup>، لكثرة مرافقتهم موكب الحاج الشنقيطي واندماجهم فيه، وحقق هذا التمازج قفزة نوعية على الصعيدين الثقافي والاقتصادي للمدن الواقعة على طريق الرحلة.

عادة ما يخصص منظمو الرحلة لكل مرحلة قائدا كفوًا، يجمع بين سمو الأخلاق، ومعرفة خبايا المسالك الصحراوية الوعرة، حيث تمتد المرحلة الأولى من أرض شنقيط إلى توات؛ ثم من توات إلى أرض الحجاز في مرحلة أخرى؛ وعن انتقال إمارة الركب من الحاج أحمد بن الأمين الغلاوي، يقول البرتلي: "وكان رحمه الله تعالى من أهل الهمم العالية، حج مرات بيت الله الحرام، وهو شيخ الركب الطالع من أرضنا حتى يصل إلى توات، فيكون الأمر لأبي نعامة رحمهما الله تعالى"<sup>2</sup>.

في واقع الحال يعهد المسؤولون عن تنظيم شؤون الرحلات، توريث عُرف القيادة في أحد أبنائهم<sup>3</sup>؛ ولهذا عبر الشيخ عبد الرحمن بن عمر التتلاي أثناء رحلته الحجازية عام 1188هـ/1774م، عن مداومة تقلد أبناء الشيخ أبي نعامة قيادة الركب الحجازي، ومن ذلك أنه ورد عليهم في مدينة مرزوق ركب الشيخ أحمد البكاي هابطا من الحج رفقة جماعة عين صالح، ثم أردف في موضع قريب إلى أن التحق بهم في مدينة فزان ركب الشيخ محمد الأمين الكنتي الذي كانوا ينتظرونه<sup>4</sup>.

وتعتبر رحلة الحاج أحمد بن الأمين الغلاوي التواتي من أهم الرحلات الحجازية التكرورية عبر توات، لكنَّ شح معلوماها التاريخية المدوّنة لمساراتها وأحداثها، حرمتنا الغوص في تفاصيل جوانبها الحضارية، خصوصا وأن صاحبها من القلة الذين حظي بهم أعلام توات إفادة واستفادة، بالتزود من منهله العلمي، وتبادل المعارف معه، بصورة أوهمت الباحثين أن دواوين الفهارس التواتية، السبيل الأنجع للعثور على جديد دقائق سيرته الخفية، ومراحل رحلاته المختلفة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي، المصدر السابق، ص 12-13.

<sup>2</sup> - محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 95-96.

<sup>3</sup> - Capitaine M. CORTIER, Reconnaissance Ouallen-Achourât, rouat d'In-Salah à Tombouctou, par Ouallen et Achourât, Emile Larose, LIBRAIRE ÉDITEUR, PARIS, 1903, P 6.

<sup>4</sup> - عبد الرحمن بن عمر التتلاي، الرحلة الحجية ذهابا وأيابا، مخطوط، خزنة قصر باعبد الله بتوات، ولاية أدرار، الجزائر، (1188-1189هـ/1774-1775م)، ص 10-11.

<sup>5</sup> - الطالب المجتبي عنكر، المرجع السابق، ص: 5.

بالعودة إلى رحلة الحاج البشير البرتلي سنة 1204هـ/1789م، فقد أعطى شروحا مفصلة ضبطها بعدد أيام كل مرحلة، من لحظة خروجه من ولاتة إلى يوم رجوعه، في الطريق الذي كان الركب الولاتي يصل فيه شمال عقفة نهر النيجر بمنطقة تدكلت التواتية نزولا في محل زاوية أبي نعامة الكنتي<sup>1</sup>، ومن بين المحطات الرئيسية التي ذكرها: بوجييهة، وتنبكت، والمامون، والمبروك، وتنزروفت، وأقبلي، وعين صالح، وفزان، وأتساوة، ووجلة، والقاهرة، ومكة المكرمة؛ بحيث ترتبط الحواضر السابقة بمحطات أخرى عريقة، تطرق إليها الشيخ عبد الرحمن بن عمر التتلاي في رحلته الحجازية انطلاقا من توات<sup>2</sup>.

يمثل الجمل وسيلة سفر حضارية لتخطي الممرات الصحراوية المستعصية، فالمراحل بين أزواد والصحراء المصرية، مجدبة وشاقة، محفوفة بالمخاطر. ومما ذكرته الحوليات ضمن حوادث سنة 1247هـ/1831م موت حجاج تيشيت بإزاء توات<sup>3</sup>، ومبعث هذه الحوادث المأساوية المتكررة، انعدام الأمن وقلة الإمكانيات بطول المسافة، فالمتنقل عبر الصحاري والفلات، عرضة في أي لحظة لهجمات اللصوص قطاع الطرق، وآفات الأوبئة العابرة مع التقلبات الموسمية والرياح.

تماشيا مع ما تم ذكره، فإن مدة سير الركب في المعدل تصل إلى ما يقارب عامين بين الذهاب والإياب؛ وبالرغم من توفر خيارات أخرى أقل تكلفة وأكثر أمنا، إلا أن الطرق البرية الصحراوية المتاخمة لمنطقة الغابات الإستوائية، وكذا الطريق الموازي للبحر المعروف بالدرب المصري<sup>4</sup>، مثلاً الخيار الأفضل للحجاج، فكانت الفرصة مواتية للتزود بضروريات السفر من زاد ومؤونة، والتجهز بالسلع السودانية الثمينة، والالتفاف بجهاذة العلم والتقوى أهل الولاية والصلاح<sup>5</sup>.

**2.2. القيمة العلمية للرحلات الحجازية:** تمثل الرحلات الحجازية حدثا إنثوغرافيا لتقارب الشعوب؛ فكان الحج فرصة سانحة لشد عصا الترحال، وتشمير الساعد لتحقيق المراد الذي تتوق النفس البشرية

<sup>1</sup> - إبراهيم أحمد فال، المرجع السابق، ص 112.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن بن عمر التتلاي، الرحلة الحجية، المصدر السابق، الصفحة 1 وما بعدها بصفحات.

<sup>3</sup> - حماد الله ولد مايبابا، أرجوذة سيدي محمد بن أحمد بن سيدي أحمد البلاوي التيشيتي في أحوال الطرق إلى الحج، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة نواكشوط، موريتانيا، ع، ص ص 52-60.

<sup>4</sup> - سميرة فهمي علي عمر، إمارة الحج في مصر العثمانية (923-1213هـ/1517-1798م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001م، ص 247.

<sup>5</sup> - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج1، ص 79؛ سميرة فهمي علي عمر، المرجع السابق، ص 247.

إليه، وهو أداء الركن الخامس من أركان الإسلام، والانزواء بالأعلام في أرض الحجاز، أو خلال استراحات القوافل.

### 1.2.2. عقد الصلات والمعارف مع الأعلام: لم يفوت الأعلام الفرص المواتية لتكثيف

المعارف، وعقد الصلات في طريقهم إلى مكة المكرمة مروراً بالقاهرة، أين تعقد الاجتماعات، وتدرّس العلوم لتكملة النقائص، وقد تشبث علماء توات وشنقيط بهذه السنة الحميدة، فتوافدوا جماعات للقاء عمدة المذهب الحنفي بمصر، عالم الأنساب محمد مرتضى الزبيدي الذي جمعته صلة وثيقة بحجاج الآفاق، كانت فيها جوانب غير يسيرة من التعلم وتبادل الفوائد مع المصنفات والإجازات.

من أهم الأعلام الذين أجازهم الزبيدي، الشيخ أحمد بن محمد أبو نعامه القبلاوي التواتي أثناء وروده عليه حاجاً سنة 1197هـ/1783م، ومما قال الزبيدي بشأن ذلك "...وسمع مني أشياء، وكتبت له الإجازة، ودعا لنا بخير، وعاد لبلاده، ولا تنقطع عني مراسلاته وهداياه بارك الله فيه"<sup>1</sup>.

كما تذاكر بمسكن الزبيدي بالقاهرة، عالمان تواتيان آخران من العائلة التتلانية العاملة سنة 1196هـ/1784م، هما: إدريس بن عمر بن عبد القادر وعمر بن عبد الرحمن بن عبد القادر، أجازهما في كراسة عمم فيها أولاد إدريس بن عمر - أيضاً -، بعدما قرأ عليه الأخير أشياء من دلائل الخيرات في الصلاة على النبي ﷺ، وبعض الأحزاب الشاذلية في التصوف، ومن شدة صلاح العلامة المستجاز، وفيض مخزونه العلمي، لقبه الزبيدي بالشيخ الصالح العالم، وتجدرت تلك الصحبة، وأوغلت برسائل وديّ أبانت عمق الأخوة وصفاء السريرة بينهما<sup>2</sup>.

كما سلك الشناقطة نهج أتراجهم التواتيين في مجالسة العلامة الزبيدي، إذ دَوّن في مختصره علماء أردف أسمائهم بكنية "الشنقيطي"، أثنى عليهم بالإجماع ونوه برصانة عقولهم وقوة ملكتهم الحفظية<sup>3</sup>، جعلت البعض يفتخر بقدراتهم اللامتناهية، على استحضار عشرات المتون والشروح دون زيادة أو

<sup>1</sup> - الحافظ محمد مرتضى الزبيدي، المعجم المختصر، تحقيق، نظام محمد صالح يعقوبي ومحمد بن ناصر العجمي، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1427هـ/2006م، ص 118.

<sup>2</sup> - نفسه، ص ص 157-590.

<sup>3</sup> - نفسه، ص 125.

نقصان، في حالة ضياع إحدى المكتبات في أعماق البحار<sup>1</sup>؛ ولا شك أن هذا نتاج جهد شيوخ الحضرة، الذين ما فتئوا يصدرون علماء ذاع صيتهم في الأقطار المشرقية والمغربية.

من أبرز الأعلام الذين أشاد الزبيدي بذكائهم المفرد، الشيخ الحبيب بن المختار العلوي الناصري الشنقيطي الذي ورد عليه حاجاً سنة 1192هـ/1778م، فلازم مجلسه أياماً يستمع البخاري وعلوم أخرى، ويتبادلان المنافع والفوائد الشعرية<sup>2</sup>؛ ويعتبر العلامة العارف عمر بن المختار الشنقيطي الذي حج سنة 1174هـ/1760م من العلماء المؤثرين في حياة الزبيدي العلمية، من خلال سماع الأخير قصيدة علي وفا السكندري [الشاذلي الطريقة] بقراءة الشنقيطي أولاً، ثم أعادها ثانياً، من طرف الزبيدي لتحصيل الإجازة، وهذه القصيدة المدحية في شخص النبي محمد ﷺ كثيراً ما يداوم الشناقطة قراءتها وتحفيظها لطلبة الكتاب<sup>3</sup>.

كما لا يخفى علينا أن العلامة الحاج البشير البرتلي، كان من الأعلام الشناقطة الذين زاروا الزبيدي في إياب رحلته من الحج أواخر سنة 1205هـ/1791م، فكتب له إجازة مسلسلة إلى مظانها، في صحيح البخاري والشفاء للقاضي عياض، ومرد عدم إدراج اسم البرتلي ضمن قائمة الأعلام الذين دونهم الزبيدي في مختصره؛ لأن الفترة التي نزل عنده، كان قد خلص من تأليف مؤلفه، وهي السنة نفسها التي توفي فيها العالم الشريف الحسيني رحمه الله تعالى<sup>4</sup>.

استخلاصاً لما سبق؛ فقد أخذت تلك اللقاءات أبعاداً علمية وروحية، مفادها أن من تمام مراسم الحج زيارة عالم الأنساب الزبيدي "وربما اعتقدوا فيه القبطانية العظمى، حتى أن أحدهم إذا ورد إلى مصر حاجاً، ولم يزره، ولم يصله بشيء لا يكون حجه كاملاً، فإذا ورد عليه أحدهم سأله عن اسمه ولقبه وبلده وخطته وصناعته وأولاده"<sup>5</sup>، وفي سؤال الزبيدي زواره عن أقاربهم ووظائفهم وجيرانهم، خير شاهد على عمق رابطة الأخوة، وصدق نوايا الحجاج فيه، لمداومة المرور عليه ذهاباً وإياباً.

<sup>1</sup> محمود بن محمد المختار الشنقيطي، لماذا الشناقطة يفظون؟، مجلة البيان، مجلة دولية غير محكمة تصدر عن المنتدى الإسلامي بالشارقة، الإمارات العربية المتحدة، مج13، ع135، 1999م، ص 100-109.

<sup>2</sup> مرتضى الزبيدي، المصدر السابق، ص 125-126-127.

<sup>3</sup> نفسه، ص 594-595.

<sup>4</sup> الحاج البشير البرتلي، المصدر السابق، ص 175.

<sup>5</sup> عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، المصدر السابق، ج2، ص 309.

### 2.2.2. التجوال بين الأقطار العلمية: يجعل العلم طالبه دائم البحث والترحال رغبة في

الاستزادة والتفقه في الدين، وإن لزم الأمر اختزال المسافات إلى أقطار بعيدة، لتمكين هذا المبدأ الشرعي الإنساني، وتحصيل الواجب الديني الذي لا غنى عنه؛ عملاً بقول المصطفى (ص): {مَا مِنْ خَارِجٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنِحَتَهَا، رِضًا بِمَا يَصْنَعُ}<sup>1</sup>؛ ومن هذا المنطلق كافح العلماء لبلوغ أعلى المراتب، فأصبح يشار لهم بالبنان حيثما حلوا وأينما ارتحلوا. ومن المراكز التي شكلت ملتقى أعلام القطرين:

أ. مركز سجلماسة: إن التنقل للأمصار بغرض التوسع المعرفي غاية كل طالب علم يترك أقرابه وذويه لملاقاة عالم يشفي غليله، وتعتبر مدينة سجلماسة إلى جانب فاس واحدة من الحواضر المغربية المعطاءة، بما زخرت به من علماء متخصصين في مجالات علمية متشعبة، ظلت لقرون خلت متنفس علماء الصحراء تشد إليها الرحال، ومثالهم في ذلك ما قاله الشعبي: "لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى، ما كان سفره ضائعاً"<sup>2</sup>.

إذا تتبعنا سيرة نوابغ الأعلام التواتيين والشناقطة، نجدها حافلة بأسماء أعلام تدرسوا على يد مشائخ متمرسين، كانت الحواضر الصحراوية مسترسلاً لهم، ومن بينهم قطب سجلماسة أبو العباس أحمد اللمطي، الذي توافد عليه العلماء للإقراء، وتحسين رصيدهم الفقهي، حيث سافر العلامة عبد الله بن أبي بكر التنواجيوي الملقب بتاج القراء، وانتهت إليه رئاسة الإقراء ببلاد التكرور في زمانه، لأخذ فنون القراءات مباشرة عن الوالي الصالح المقرئ أحمد الحبيب اللمطي<sup>3</sup>.

كان العلامة الحاج أحمد بن الأمين الغلاوي التواتي من تلامذة التنواجيوي المجتهدين، حسب ما نقله العلامة عبد الرحمن بن عمر التنايني في فهرسته: "ومنهم شيخنا الإمام، العالم، العلامة، الفقيه، المشارك، أبو العباس سيدي أحمد بن الحاج الأمين القبلي ثم الغلاوي...أخذ العلم في بلاده عن الفقيه

<sup>1</sup> ابن ماجة، حديث رقم (226)، المصدر السابق، ج1، ص 82.

<sup>2</sup> أبي حامد الغزالي (ت 505هـ/1112م)، إحياء علوم الدين، ط8، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1438هـ/2017م، ج2، ص 304.

<sup>3</sup> محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 368-369.

سيدي المصطفى البيان الغلاوي وغيره، والقراءات عن الأستاذ المشهور التناوجيوي من تلامذة الإمام المشهور سيدي أحمد الحبيب اللمطي انفعنا الله به"<sup>1</sup>.

كما انتفع العلامة أبو زيد عبد الرحمن بن عمر التتلاي من الفقيهين محمد المكي وابن عمه أبي القاسم أثناء تواجدهما بتوات، سمع منهما أربعة أحزاب برواية قالون آزرته على زيادة قرأته تجويداً<sup>2</sup>، ثم جد السير لسجلماسة عام 1168هـ/1755م، لمباحثة الشيخ صالح بن محمد الغماري، والد محمد المكي وشقيق العلامة السجلماسي أحمد الحبيب، قصد ضبط ترتيل سلكة القرآن العظيم، بمقرأ الإمام نافع برواية ورش وقالون عن طريق أبي الأزرق والشاطبي<sup>3</sup>.

ب. مركز أروان: تقع أروان على سبعة مراحل من محل تبكتو، سكنتها قبائل أمغجرن (الطوارق) قبل بناء تبكتو في القرن الخامس الهجري<sup>4</sup>، ولعبت دور الوسيط في التواصل بين مناطق الصحراء، فالمدينة عبر مراحل تاريخها عرفت أجيالاً عديدة من الفقهاء والمشائخ الصلحاء، دعموا نشر العلم عن طريق تأسيس المدارس القرآنية لتعليم الناس، وبذلوا من أجل ذلك قسارى جهودهم لتبليغ الرسالة الحممدية، فساهموا بفاعليتهم في نمو الحركة الثقافية بإقليم أزواد، مما وضع المدينة في مصاف مراكز العلم الشهيرة، شمال وجنوب الصحراء الإفريقية الكبرى التي يؤمها النبلاء<sup>5</sup>.

كانت أروقة المدينة العلمية يديرها علماء من شتى الأقطار، فساهمت بوجه أو بآخر في احتكاك الفقهاء، حيث تناولت الكتابات التاريخية اللقاء المحتمل الأول بين الشيخ عبد الرحمن بن عمر التتلاي والعلامة الحاج أحمد بن الأمين الغلاوي بحاضرة أروان، وقبل هذا التاريخ كانت العلاقة بينهما مقتصرة على ما استجيز به الجنتوري؛ فلم يحظ التتلاي خلال تلك الرحلة بأي محصلة علمية من الغلاوي، بسبب انشغاله (أي الغلاوي) تهيئة مراسم السفر لبلاده<sup>6</sup>. وخلال تنقلات الفقيه محمد بن أب المزمري

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بن عمر التتلاي، الفهرسة، المصدر السابق، ص 154.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن بن عمر التتلاي، الفهرسة، المصدر السابق، ص 186.

<sup>3</sup> - نفسه، ص 189.

<sup>4</sup> - محمد محمود الأرواني، المصدر السابق، ص 33.

<sup>5</sup> - أبي الخير بن عبد الله الأرواني، تاريخ أروان وتاودني، جمع وتعليق، أبناء الشيخ أبي الخير بن عبد الله، مؤسسة البناء المعرفي، الجزائر، 2020م، ص 30.

<sup>6</sup> - عبد الرحمن بن عمر التتلاي، الفهرسة، المصدر السابق، ص 154.

الموسمية لبلاد أزواد، كانت الفرصة مؤاتية لبعض علماء التكرور للنهل من معينه، فيذكر صاحب فتح الشكور أن من الذين قرأوا لامية الأفعال في الصرف على الفقيه النحوي بن أب المزمري، العالم الشنقيطي الحاج أبوبكر بن الفقيه البرتلي؛ والعلامة أحمد بن صالح الوافي الأرواني<sup>1</sup> أستاذ الشيخ عبد الرحمن بن عمر التتلاي.

مما لا يخفى علينا أن بيت الغلاوي والأرواني مثالا للبيوتات العلمية المساهمة في نهضة شعوب الصحراء وجمع شتاتها، فيذكر رحالة توات عبد الرحمن بن عمر التتلاي ضمن شيوخه القاضي سننير طالب بن الوافي بن الصالح الأرواني<sup>2</sup>، الذي قرأ خليل على شيخ قضاة الشناقطة الفقيه أبي بكر بن عيسى الغلاوي؛ وبذلك جمع العالمان في تكوينهما مكارم الأخلاق واستحضار دقائق العلوم، ونالا بها نصيباً من الإطراء في مؤلفات سير وتراجم أعلام الصحراء والتكرور<sup>3</sup>.

ج. مركز أقبلي: تعتبر زاوية الركب النبوي من مراكز الحضارة المغربية، المتفتحة على الأقاليم المتاخمة لتوات من جهة الغرب والجنوب الأفريقي، فالمركز اشتهر بحركيته الدؤوبة طيلة قرون من الزمن، نتيجة إكرامه الحجيج ومرور القوافل عبر مقاطعة تدكلت<sup>4</sup>، وذلك بما زخر به من مرافق وقرت خصيصا لراحة المسافرين، وكذا استقباله الأعلام المخضرمين في المواسم والمناسبات الدينية؛ فهو في منظور الأجداد أمانة يستلزم رعايتها والحفاظ عليها لتوريث هذا الخلق الأسمى للأحفاد<sup>5</sup>.

تبرز مكانة المركز العلمية من خلال حلقات التدريس والذكر اليومية داخل أروفته، بحضور شخصيات عالمة مشهود لهم بالأمانة والتبحر العلمي، دفعت المشرفين عليه إلى الاستعانة بخبراتهم لتقديم الإضافات اللازمة للطلاب، والإصغاء لوجهات النظر المتعددة أثناء شرح وتفسير المتون الكبرى وفق تنظيم محكم<sup>6</sup>، وكان التقليد المتبع فيه تلاوة الحزب الراتب الوقف والحذر على عادة أهل فاس، وهو ما

<sup>1</sup> - محمد بن أبي بكر بن الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 144.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن بن عمر التتلاي، الفهرسة، المصدر السابق، ص 107.

<sup>3</sup> - محمد بن أبي بكر بن الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 374.

<sup>4</sup> - Gaston Donne, En Sahara (Atravers Le Pays Des Maures Nomades), Société Française D'éditions D' Art, L. Henry May, Paris, P 35.

<sup>5</sup> - مرتضى الزبيدي، المصدر السابق، ص 118؛ محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، المرجع السابق، ج1، ص 347.

<sup>6</sup> - ضيف الله بن أب المزمري، المصدر السابق، ج1، ص 221-222.

استعاض حفيظة واستغراب نزلاء الزاوية الشناقطة، لأن تقليدهم المتبع التلاوة بالترتيل على عادات المشاركة، الذين يتقنون مخارج الحروف بشهادة الجنتوري<sup>1</sup>.

من الشخصيات المهمة في تاريخ الزاوية الحضاري، الشيخ أحمد الحبيب بن محمد أبي نعامة الكنتي العالم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كان من الساهرين على مداومة حلقات الذكر بين أروقة الزاوية، بعدما ورث عن والده شؤونها والقيام بضيوفها من علماء وحجاج وعابري سبيل، وهو الذي اجتمع به الحاج البشير البرتلي بين رحلتي الذهاب والأياب من البقاع المقدسة (1204-1206هـ/1789-1791م)، فأثنى عليه كثيرا واصفا أياه بالرجل العالم الكريم ابن كريم<sup>2</sup>.

استنادا لما سبق عرضه؛ مثلت الرحلات بشقيها العلمي والحجازي وصلة مهمة، في ظل الدور الإيجابي الذي لعبته بعض الأسر العاملة لازدهار الحياة العلمية؛ وما عائلات البرتلي والغلاوي في شنقيط، وكننة والتلاني والجنتوري في توات، إلا خير شاهد على تلك النهضة الفكرية، بالموازاة مع فاعلية المراكز الثقافية، وأدوارها المنوطة لتحقيق التمازج المعرفي في شتى المجالات.

### 3. الإجازات والأسانيد العلمية

**1.3. الإجازة:** يشتق اسم الإجازة لغة من الفعل جوز، فيقال جاز الموضوع جوزا وجؤوزا... ومنه استجاز أي طلب الإجازة بالإذن والتفويض<sup>3</sup>؛ وتكون الإجازة عن طريق إذن الشيخ لأحد طلابه المبرزين أو عالم ثقة بمنزلته، لرواية مصنفاته أو مروياته، بصفة مباشرة أو غير مباشرة، في علوم الحديث والفقهاء والقراءات والتصوف...، فيصبح مؤهلا لتولي مهام دينية أو اجتماعية حسب اقتضاء الحاجة ودرجة التفويض<sup>4</sup>. ولإن تعددت أنواعها، واختلفت حسب مادتها العلمية، لا تخرج عن صنفين:

<sup>1</sup> عبد الرحمن بن عمر التلاني، الفهرسة، المصدر السابق، ص 126-155.

<sup>2</sup> الحاج البشير البرتلي، المصدر السابق، ص 50-177.

<sup>3</sup> مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تعليق، أبو الوفاء نصر الهوريني المصري الشافعي، مراجعة، أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، د ط، دار الحديث، القاهرة، 1429هـ/2008م، ص 311-1273.

<sup>4</sup> فوزية لرغم، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية (1518-1830م)، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، 2011، ص

**1.1.3. الإجازة المقيدة:** تخص علما واحدا قرأه المستجاز عن شيخه في علوم الفقه، أو النحو، أو الحديث، أو التصوف؛ وذلك باتباع أقوال الجائز وحفظها، واستذكار النصوص، ومعرفة شروحها مع إثبات سلسلة رجال السند الذين أخذ عنهم، وقد تكون سماعية متعلقة غالبا بالمصنفات التي تقدم كمواد دراسية للطلبة، أو تم استيعابها من عند أحد العلماء النابغين في علم محدد<sup>1</sup>؛ ومن أدلتها في التواصل العلمي التواتي - الشنقيطي، إجازة الفقيه النحوي محمد بن أبي المزمري للعلامة أحمد بن الطالب عمر البرتلي في الصرف<sup>2</sup>؛ وكذا تلقين الشيخ علي بن أحمد الصوفي للعلامة محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الأوراد القادرية؛ وتفويض الشيخ مولاي زيدان العالم نفسه (البرتلي) التقديم في الطريقة الرقانية، لتلقين أورادها وساطة عن الشيخ مولاي عبد الملك الرقاني<sup>3</sup>، والراجح أن التفويض الثاني جاء بعد الأول؛ باعتبار أن الورد الرقاني الذي سيصبح البرتلي مقدم طريقته في بلاد التكرور، لم يعرف طريقه للشهرة إلا مع النصف الأخير من القرن (12هـ/18م).

**2.1.3. الإجازة المطلقة:** تأتي بعد مسيرة شاقة، تحتتم بتحصيل كل ما عند الشيخ المستجيز من علوم تقريبا، فيصبح المستجاز قادراً على ذكر الأسانيد، وإرجاعها إلى مظانها الأولى بمعرفة رواياتها<sup>4</sup>، مما يفسح المجال للبعث في دراسة علوم أكثر دقة، كعلم المكاشفات مثلا (التصوف)، والتفكير في تأسيس صرح علمي جديد نابع من مركز أحد شيوخه الدائمين.

**أ. تحصيل الإجازة المطلقة بين العلماء:** يحكم هذا الصنف من الإجازات الثقة المتبادلة، فكثيرا ما نجد عالما يجيز عالما آخر في علوم لم يدرسها عنه، فقط كونه سمع بموسوعيته العلمية، أو اطلع على بعض تصانيفه، أو جمعته صلة تلمذة بعالم آخر ذائع الصيت أو كان من طلابه النجباء، حسن الخلق، طيب العشرة والمقام.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بن عمر التتلائي، الفهرسة، المصدر السابق، ص 60

<sup>2</sup> - محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 144.

<sup>3</sup> - محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 180-356.

<sup>4</sup> - الهادي المبروك الدالي، التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، ط2، مطابع الوحدة العربية، الزاوية، ليبيا، 2001م، ص 169.

ويمكننا القول؛ أن هذه الإجازة هي وسيلة تواصل بين العلماء الذين بلغوا مقامات عليا من فطانة العقل، وحنافة الذهن، وحسن التأليف عند التحرير والتحقيق بعزو الأقوال لمصادر<sup>1</sup>؛ فهذا الطالب عبد الله بن أبي بكر البرتلي الولاقي، يجيز العلامة أحمد بن حمى الله التشيتي إجازة تامة عن جميع مروياته، ومطالعاته للكتب، وشروح نصوصها المروية، في الفقه والرسالة وعلوم التوحيد والتصوف والنحو والبيان والعروض<sup>2</sup>، وقد ارجع سبب الإجازة وقوفه على جودة تأليفه، وتنوع عباراته، في مؤلفه ممن العلي الكبير، الذي كان غاية في الدقة، وحسن الفصاحة والتعبير؛ ومما قاله عند تقرير المؤلف "... وإنه لتأليف عجيب، وما كنت أحسب أن أحدا من أهل زماننا اليوم فيمن رأيت من أهل العلم يقدر على مثل ذلك، وما هو إلا فتح من الكريم، وتعليم من لدن عليم حكيم، يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم..."<sup>3</sup>.

**ب. إجازات الغلاوي لعلماء توات:** جاءت إجازة اللبيب الحاح أحمد بن الأمين الغلاوي للشيخ الفاضل أبي زيد عبد الرحمن الجنتوري، بتفويض حرية التصرف في جميع مقروآته ومسموعاته بأسانيدھا التامة دون نقصان، عقب مدارس بينهما في مقاطعة عين صالح التواتية، وهما قافلان من البقاع المقدسة؛ أين وقف الشيخ الغلاوي على فصاحة وذكاء الجنتوري، وتبحره العلمي الممزوج بالورع والتواضع، الذي أهله للإجازة الشاملة في علوم كانت غاية كل طالب علم<sup>4</sup>.

كما اجتمع - أيضا - بالغلاوي في زاوية الركب النبوي بأقبلي، الشيخ عبد الرحمن بن عمر التلاني، راغبا في تحصيل إجازة يضمها لإجازات شيوخه، فلازمه مدة سبعة أيام لا ينقطع عنه، يقرأ عليه ويسمع مروياته، وخلص اللقاء بإذنه إياه ما أجاز به الجنتوري، وهذا جزء من الإجازة "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم: الحمد لله وحده، هذا وأن أحمد بن الأمين...، أجاز السيد عبد الرحمن بن عمر الوانكالي...، في كل ما أجازة السيد الأجل سيدي عبد

<sup>1</sup> - أحمد الصغير بن حمى الله التشيتي، ممن العلي الكبير في الفقه، مخطوط، 01، ش، ب، الرقم 353، الملف 19، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ص 8.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 7.

<sup>3</sup> - أحمد الصغير بن حمى الله التشيتي، ص 8.

<sup>4</sup> - عبد الرحمن بن عمر التلاني، الفهرسة، المصدر السابق، ص ص 98-115.

الرحمن بن إبراهيم الجراري عني لما استجازني طلبا لتقصير السند، فأجزته ذلك بالشرط المألوف عن أهل الإجازة في جميع ما روى عنه الشيخ المذكور عني سيدي عبد الرحمن بن إبراهيم...<sup>1</sup>.

من هذا المنطلق؛ يمكن القول إن إجازة العلامة الحاج أحمد بن الأمين الغلاوي التواتي للشيخ عبد الرحمن بن عمر التتلائي، اكتست طابعا علميا أخلاقيا، لما قرأ عليه مفاتيح السور القرآنية وبعض المتون الفهية، في حين أنها لم تهمل جانب الثقة والصحة التي ربطت الغلاوي بالجتوري<sup>2</sup>، فمباشرة بعدما ناوله كتاب إجازته إياه، لم يتوان في التثبيت والإقرار بالقبول، وفوق ذلك ضمنها عبارات ثناء بقدر مكانة الشيخ الجتوري عنده (أي الغلاوي).

**2.3. الأسانيد العلمية:** ترتبط الأسانيد العلمية بالإجازة، وهي تركز على مرويات المشايخ المتواترة بغية الوصول إلى مصدر المتن، أو بمعنى آخر حكاية طريق المتن لنسبة المصنف إلى مؤلفه الأصلي<sup>3</sup>، واشتركت بعض إجازات الأعلام التواتيين مع الشناقطة، فيما ارتفع من أسانيد العلمة العلمية إلى القائل نفسه، إذ يعتبر العلامة المختار بن الأعمش مُجْمَعُ أسانيد علماء توات الذين حصلوا إجازات من شناقطة في شتى الفنون، كيف لا؟! وهو الذي تبوء كرسي رئاسة العلم في الديار الشنقيطية.

جاءت هذه الرابطة بواسطة الأجلين الحاج أحمد بن الأمين الغلاوي، ومواطنه محمد بن الحسين القبلاوي؛ فقد عرض التتلائي في فهرسته مجموع مواد إجازة شيخه الجتوري بأسانيدها عبر سلسلة مشايخ، أمثال عمر بن بابا بن عمر الولاقي عن الفقيه المصطفى بن بيان الغلاوي عن الحاج الحسن بن عبدو عن شيخه محمد بن المختار بن الأعمش العلوي إجازة عن محمد بن المحجوب الحكني... وهكذا، حتى نهاية الإسناد<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بن عمر التتلائي، الفهرسة، المصدر السابق، ص 155.

<sup>2</sup> - نفسه والصفحة.

<sup>3</sup> - أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الحديث، تحقيق وتعليق، عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض، 1422هـ/2001م، ص 37.

<sup>4</sup> - عبد الرحمن بن عمر التتلائي، الفهرسة، المصدر السابق، ص 99.

والملاحظ، تركيز الفهرسة على شخصية بن الأعمش رائد علوم الفقه<sup>1</sup> والحديث والقراءات والتصوف في عصره، فاسمه غطى على باقي رواد سلسلة الإسناد الشنقيطية، من خلال تكرار التلاني عبارة: "أجازة القبليان (الغلاوي وابن الحسين)، بسندهما إلى محمد بن المختار بن الأعمش"<sup>2</sup>؛ وقد تم إحصاء قرابة 15 مروية بأسانيدھا عن طريق بن الأعمش في مصنفات الموطأ، وشفاء القاضي عياض، وحرز الأمازي ووجه التهاني (الشاطبية)، والدرر اللوامع، وصحيحي مسلم والبخاري، وجوهرة التوحيد للقباني، وتصانيف السنوسي، وابن الحاجب، وشيخ الإسلام أبو زكريا الأنصاري، وإضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة، ورسالة أبو زيد القيرواني، وأسانيد الفقه المالكي عموماً، ومختصر خليل خصوصاً، والحكم العطائية، والحديث المسلسل بالأولية، ودلائل الخيرات وشوارق الأنوار<sup>3</sup>.

### المبحث الثالث: حركة التأليف وآثارها في تبادل الأفكار والمعارف

انطبعت الحركة الفكرية التواتية - الشنقيطية بطابع مغربي، محاط في شطر جوانبه بالثقافة الأندلسية والمصرية، وقد انعكس النبوغ العلمي على حركة التأليف، مما آزر العلماء على خوض الغمار بمؤلفات فريدة، هيأت المجال لتبادل الأفكار والمعارف في شتى الميادين العلمية.

#### 1. المؤلفات التواتية والشنقيطية

تعتبر علوم الشريعة واللغة العربية وآدابها في مقدمة الاهتمام تدريسا وتأليفاً<sup>4</sup>، إذ أن سفر الحجاج عبر شمال وجنوب الجزائر، ومصر وغيرها من بلاد الإسلام؛ أتاح للعلماء والمشائخ التزود بمتون فقهية ولغوية، تعهدوها بالتعليق أو الاختصار، وإن لزم الأمر محاذاتها بمصنفات منتثرة أو منظومة لتسهيل الحفظ والاستيعاب<sup>5</sup>، مما ساعد على إبراز ملكة التدوين والتأليف، بمؤلفات تعدى تأثيرها الدائرة المحلية، لتشمل المناطق المجاورة من الصحراء الكبرى والسودان الغربي.

1- أحمد الحمدي، المختار الكبير الكونتي، مرجع سابق، ص: 57.

2- عبد الرحمن بن عمر التلاني، الفهرسة، مصدر سابق، ص: 99.

3- نفسه، ص: 99-119.

4- أحمد الحمدي، المختار الكبير الكونتي، المرجع السابق، ص: 52.

5- المختار بن حامد، الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص: 6.

**1.1. الفقه الإسلامي:** يأتي الفقه الإسلامي وأصوله في طليعة الاهتمامات، لارتباطه بفرائض العبادات من صلاة وزكاة وصيام ومعاملات... إلخ، مما يستلزم الإحاطة الواسعة بخصايها، ولكثرة المصنفات وتشعبها؛ سنكتفي بعرض نماذج من شراح خليل في القطرين التواتي والشنقيطي، فهو الذي كان عليه اعتماد أغلب المؤلفين، وإليه مستند علماء النوازل في ترجيح الأفضية والأحكام.

ومن ضمن المهتمين بدراسة مختصر خليل في البلاد التواتية، العلامة عبد الرحمن الجنتوري، شرح من باب الخطبة إلى النكاح<sup>1</sup>؛ وتقييد شيخه عمر بن عبد القادر التنلاي<sup>2</sup>؛ وما دونه الزجلاوي من تعليقات ومتابعات على شرح السنهوري، لم يبق منه إلا بعض الإشارات في نوازه<sup>3</sup>؛ وشرح آخر سماه "الوجيز"<sup>4</sup>؛ إضافة إلى شرح العلامة محمد بن علي الوقروتي، عرضه على الفقيه المصري محمد الخرشبي في القاهرة، فأثنى عليه الأخير، وكتب عليه مطالعة<sup>5</sup>.

اقتصر شرح القاضي الطالب أبوبكر بن الحاج المحجوبي الولاتي، على فتح نص المختصر إلى باب الحج، وشرح خمسة عشر قفا من البيع؛ كما صنف القصري مؤلفه فيض الجليل في أربعة مجلدات؛ وخصَّ المصطفى بن محمد فال العلوي أبواب الأنكحة بشرح التحفة؛ وقسم محض بابه الديماني شرحه بين ميسر الجليل في أربع مجلدات، واختصار الميسر الصغير في مجلدين... إلخ؛ إضافة إلى بعض التعليقات في هوامش النصوص في شرح المختصر، منها طرة العلامة أشفع الخطاط البرتلي<sup>6</sup>.

في واقع الحال؛ بلغ نبوغ الشناقطة في المختصر مستويات متقدمة، لدرجة مناقشة فطاحلة المذهب المالكي، فناقشوا العلامة الخرشبي في بعض شروحاته التي ظلت محل شكوك<sup>7</sup>، منها مسألة انفصال البغاة

<sup>1</sup> - أبي زيد عبد الرحمن الجنتوري، المصدر السابق، ص 1؛ ضيف الله بن أب التواتي، المصدر السابق، ج 1، ص 419.

<sup>2</sup> - محفوظ بن ساعد السطيفي، المرجع السابق، ص 137.

<sup>3</sup> - محمد بلعالم الزجلاوي، نوازل الزجلاوي، دراسة وتحقيق، محمد جرادي، إشراف، سعاد سطحي، شهادة دكتوراه في الفقه وأصوله، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسم الفقه وأصوله، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، (2010-2011م)، ص 87-88.

<sup>4</sup> - محمد بلعالم الزجلاوي، المصدر السابق، ص 86

<sup>5</sup> - محمد بن عبد الكريم البكري، المصدر السابق، ص 29.

<sup>6</sup> - محمد بن أبي بكر بن الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 149؛ المختار بن حامد، الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص 9-10-11.

<sup>7</sup> - نفسه، ص 12.

عن قتلى لا يدري قاتلهم من الفريقين، وهنا جاء جواب الخرشى بهدر دم القتل؛ خلاف رأي الجمهور، أن عقل القتل أو الجريح في ذمة منازعيه؛ واستفسره بشأن القضية الشريف حمى الله التشيتي عند جامع الأزهر بالقاهرة، فلم يذكر الخرشى مسند جوابه ولا حجة يعتمدها ترجح فتواه<sup>1</sup>.

**2.1. القرآن الكريم وعلومه:** تخطى الاهتمام بالقرآن الكريم سقف الحفظ والأداء إلى التأليف والتفسير، فقد نظم الشيخ محمد بلعالم الزجاجاوي التواتي تفسيراً سماه "غريب القرآن الكريم"<sup>2</sup>؛ وعلى شاكلته نظم العلامة الشنقيطي محمد الأمين الجكني "الرجز المفيد في غريب لغة القرآن"؛ كما ألف التواجيوي مؤلفاً فريداً في مخارج الحروف، تناول فيه إشكالية نطق الجيم المنعقدة عند الشناقطة؛ كما نظم عبد الرحمن الغلاوي نظماً في القراءات السبع...؛ وتصانيف أخرى في ضبط علوم القرآن من تجويد، ووقف، ومتشابه، وناسخ ومنسوخ<sup>3</sup>.

كثيراً ما كان يعزف العلماء عن تفسير القرآن الكريم، فالشيخ محمد العالم بن محمد الجوزي كان حجة ضابطاً فيه؛ لكنه استثقل تفسيره إلا بعد إلحاح طلبته وأعيان المدينة عليه، فاستخار الله تعالى وراسل شيخه عبد العزيز البلبالي، الذي أذن له شرط الرجوع إلى التفاسير والتثبيت والتدقيق<sup>4</sup>، ولهذا جعل العلامة محمد اليدالي خدمة القرآن من أجل القربات على الإطلاق، بواسطة التدبر والتفكير في الدلالات والمعاني، وعدم الاكتفاء بالحفظ والاستظهار، فكان مؤلفه الضخم "الذهب الإبريز في كتاب الله العزيز" من أجود ما ألفه الشناقطة غاية في الدقة والبرهان<sup>5</sup>.

**3.1. النحو العربي:** يرجع الاهتمام باللغة العربية وآدابها، كونها مطية لإدراك علوم الشريعة؛ عملاً بقاعدة ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب<sup>6</sup>؛ ومن ذلك أن علماء توات وشنقيط اهتموا بالفروع العربية من بلاغة، وصرف، وعروض، ونحو بدرجة خاصة، فالمنطقة عرفت أقدم المتون العربية، مثل:

<sup>1</sup> - المختار بن حامد، الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص 14.

<sup>2</sup> - عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص 59.

<sup>3</sup> - المختار بن حامد، الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص ص 36-46.

<sup>4</sup> - عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص 211.

<sup>5</sup> - محمد بن سيدي محمد مولاي، التفسير والمفسرون في بلاد شنقيط خلال ما يربو على أربعة قرون، ط1، دار يوسف بن تاشفين ومكتبة الإمام مالك، العين، الإمارات العربية المتحدة، 1429هـ/2008م، ص 236.

<sup>6</sup> - أحمد الحمدي، المختار الكبير الكنتي، المرجع السابق، ص 63.

ملحة الإعراب للحريري، والألفية والكافية والتسهيل لابن مالك، ولامية الأفعال لابن مجراد، والفريضة للسيوطي، والأجرومية لابن آجروم؛ وهي متون ضمن أساسيات المحاضرة تدريسا وتأليفا.

يعتبر العالم النحوي محمد بن أب المزمري التواتي أحد أعمدة النحو العربي في توات خاصة، وبلاد الساحل عامة بما فيها بلاد شنقيط، إذ أن نظم مقدمته أجرومية النحو تخطى الحدود المكانية، ليجد إقبالا واسعا من الدراسة لدى الشناقطة، حيث قام بشرحه كلا من عيسى بن أحمد الجعفري الولاقي، ومحمد يحيى بن سليمة اليونسي الولاقي، والشيخ محمد حبيب الله بن ماياي الجكني، تحت مسمى شرح نظم بن أب الغلاوي التواتي المعروف بنظم عبيد ربه محمد<sup>1</sup>.

من الأعلام التواتيين الآخرين الذين ساهموا في إثراء الساحة التواتية، الشيخ عبد الكريم بن أحمد البكري التمنطيبي بمؤلفه "غاية الأمل في إعراب الجمل"، وهو شرح على لامية ابن المجراد<sup>2</sup> التي وضع لها ابن أب المزمري شرحا سماه "شرح على لامية ابن المجراد في إعراب الجمل" للمؤلف؛ وحاشية للقاضي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري على شرح السيوطي على ألفية ابن مالك؛ ومختصر عبد الرحمن بن عمر التتلاي الدر المصون في إعراب القرآن الكريم... إلخ<sup>3</sup>.

عندما شاع عند الشناقطة استحالة تخطي الألفية وشروحها، ثم عجز الطلاب عن إعداد خطة تستحضر ما هو مخزن في أذهانهم عند الحاجة؛ تصدى المختار بن بونة الجكني لهذه المعضلة، ونظم ألفية في النحو جمعت بين الخلاصة والتسهيل، ألصق فيها كل شذرة بما يناسبها، وخلل بها ألفية ابن مالك، مميزا الزيادة على الخلاصة بالحمرة المسماة احمرار بن بونة، وطرة مفيدة غدى كل مسائلها بشواهد من كلام العرب، كما نشر تلامذته منظومته في البلاغة المسماة تبصرة الأذهان<sup>4</sup>.

كان الطالب أحمد بن الحاج أبو بكر البرتلي مدرسا لأصول القواعد والفقهاء والعقيدة، وله شرح لطيف على لامية الزقاق<sup>5</sup>، وتفنن عبد الله بن حمى الله القلاوي العالم في علوم اللغة العربية وأصول

<sup>1</sup> - المختار بن حامد، الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص 65.

<sup>2</sup> - عبد الله بابا، المرجع السابق، ص 97.

<sup>3</sup> - محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج 1، ص 255.

<sup>4</sup> - أحمد ولد الحسن، الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر مهامة في وصف الأساليب، ط 1، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية الليبية العظمى، 1424هـ/1995م، ص 115.

<sup>5</sup> - محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 135؛ محمد بلعاف التكني، المصدر السابق، ص 84-85.

الدين<sup>1</sup>، إضافة للعلامة الفقيه عبد الله بن الحاج إبراهيم العلاوي، الذي مثلت مؤلفاته رافدا متميزا في مسار الدرس اللغوي الشنقيطي، خاصة مؤلفه البلاغي نور الأقاح، وشرحه فيض الفتح للشريبي، وفيهما استفاد من مصادر لم تكن متاحة لسابقه بن بونه، كما يعد كتابه البلاغي نور الأقاح أكثر كتب البلاغة انتشارا، خاصة وأن تلامذته تفرقوا به في الآفاق<sup>2</sup>.

**4.1. علم التوحيد:** كانت عقائد السنوسي والمقري من مقررات التعليم الأساسية، التي دأب العلماء على شرح ونظم متونها؛ فنظم الشيخ محمد بن آب المزمرى شرحا على اختصار متن أم البراهين (صغرى الصغرى) سماه "معونة القراء"<sup>3</sup>؛ وعقد الفقيه المحدث الطالب محمد بن أبي بوبكر الصديق البرتلي شرحا على أصل المتن (الصغرى)؛ وعلى شرح محمد بن أحمد الديباني (الوسطى) نظم الشيخ محمّد بن حنبل نظما سماه "حلية الألباب"؛ بينما سمي العلامة محمد بن المختار الأعمش شرحه لعقائد المقري "فتوحات ذي الرحمة والمنة في شرح إضاءة الدجنة"<sup>4</sup>.

ولا يفوتنا أن ننوه عن وجود نظم في عقيدة التوحيد موضوعه التعريف بمعنى "لا إله إلا الله"، ينسب شرحه للعلامة الشنقيطي محمد يحيى بن المختار الولاقي<sup>5</sup>، فالنظم لا يحمل إشارة لاسم كاتب محدد بعينه؛ ولكن يتضح من خلال توسل ناظمه بالشيخ مولاي عبد الله الرقاني، وابنه الشيخ مولاي عبد المالك، أن الناظم من أتباع أو مريدي الطريقة الرقانية. وخلال الشرح اضطر الشارح - الولاقي - إلى تحويل جميع مصطلحات النظم العامية إلى العربية الفصحى قبل تخريج الشروحات، واستعمل في ذلك تقاليد النصوص المخطوطة: الأحمر لمفردات النص الأصلي، والأسود لشروحه المختصرة.

يقع النظم في كناش صغير حدود 9 صفحات، بدأ بالبسملة والصلاة والسلام على الرسول (ص)، وبعدها بأشرف في الموضوع "... اسمع مني الإفادة، وافهم معنى الشهاداتين، تنال بها غدا، رحمة من عند الله...". ثم انتقل لذكر صفات الله تعالى الواجبات وضدها المستحيلات، واختتم النظم بتوسيلة

1- محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 305.

2- أحمد ولد الحسن، المرجع السابق، ص 116.

3- محفوظ بن ساعد بوكراع السطيفي، المرجع السابق، ص 403.

4- المختار بن حامد، الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص 28-29.

5- حسب ما ذكره الباحث الموريتاني الدكتور محمد الأعطف ولد الداه، كما توجد نسخة من النظم ناقصة مع شرحها الكامل في مكتبة الطالب بيكر المحجوبي الولاقي.

لمولاي عبد الله الرقاني وابنه عبد المالك: "... ما يخفى مولى البرهان، سلطاني مولاي الرقاني، ولي قطب الزمان، ناصر لدين الله... ونختم هذا الكلام بالصلاة والسلام على سيد الأنام"<sup>1</sup>.

**5.1. التصوف:** تعتبر كتابات الغزالي، والسهروردي، والشعراني، والشيخ زروق، وابن عطا الله وغيرهم، من أولويات اهتمام فقهاء وأعلام توات وشنقيط، وقد نظم حكم عطا الله وشرحها ثلة من علماء الشناقطة؛ بينما بقيت مؤلفات الشيخ المختار الكنتي الكبير، الأكثر عناية ورواجا في خزائن القطرين، مثل: جذوة الأنوار في الذب عن أولياء الله المختار، والجرعة الصافية والنصيحة الكافية، والكوكب الوقاد في فضل المشائخ والأوراد...<sup>2</sup>.

وقد نظم أحمد بن محمد الحاجي منظومة في "أصول طريق التصوف"، وكذلك محمد مولود بن محمد فال اليعقوبي "مطهرة القلوب من قتر الرجس والذنوب"، كما نظم البشير البخاري الغلاوي نظما في "حقوق شيخ الطريقة"... إلخ<sup>3</sup>؛ وبالمقابل اعتنى علماء توات بهذا الفن الروحي من علوم الدين، فنظم محمد بن آب المزمرى نظم السلسلة في ذكر مشائخ مولاي عبد الله الرقاني صاحب التوسيلة الرقانية، وألف عبد الرحمن الجنتوري مؤلف في أحوال أرباب القلوب<sup>4</sup>.

**6.1. العلوم الإنسانية والرحلات:** تجري العادة في البلاد الصحراوية، حفظ السنين بالحوادث المشهورة، فتظل الحادثة لصيقة الذاكرة الشعبية كلما ذكر تاريخها، كسنوات الحروب والجدوب والأوبئة والجراد، وموت الأعاضم، فمثلا يقول أهل غبلة شنقيط: كان ذلك سنة غدره محمد لحبيب؛ أو سنة شر بني فلان وبني فلان، أي حروبهم؛ أو سنة خير بني فلان وبني فلان، أي صلحهم؛ أو سنة أكبيض الشمس، بمعنى قبضها، أي كسوفها؛ وسنة حواطة، وهي سنة مجدبة لا أمطار فيها<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - مجهول، نظم في العقيدة، مخطوط، مكتبة الطالب بوبكر المحجوبي، ولانة، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، دت، ص 9.

<sup>2</sup> - المختار بن حامد، الحياة الثقافية، المرجع السابق، ص: 35.

<sup>3</sup> - نفسه، ص: 34.

<sup>4</sup> - أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص: 67.

<sup>5</sup> - أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص: 525.

من الأحداث المهمة التي خلدتها رحلة ضيف الله بن آب المزمرى، حادثة وفاة قاضي ركب الحج عالم القبلة ببلاد السودان الحاج أحمد بن الحاج الأمين الغلاوي بقربة أتساوة من عمالة فزان<sup>1</sup>؛ كما اعتنى البرتلي في فتح الشكور بتراجم أعلام تواتيين كانت لهم صلوات بالشناقطة، أمثال محمد بن آب المزمرى ومولاي زيدان وعلي بن أحمد الصوفي... إلخ؛ وهو نفس ما ذهب إليه جدو بن الصغير البرتلي في تاريخه، ثم زاد عليه بإدراج وفيات العديد من أحفاد أولاد حمو بلحاج في ولاتة، وهم الذين خصهم المحجوبي بتراجم وافية حملت الكثير من المدح والثناء الجزيل.

في مقابل ذلك؛ كتب الشيخ عمر بن محمد المصطفى بن أحمد الرقاد رسالة في الأنساب، لجواب أهل تيشيت الذين راسلوه أولاً، بشأن تحقيق نسب قبائل: بني هند نسلهم، وإديعقوب من إيدولحاج، وقبيلة المختار الدراوي زلامطة تجكانت، فجاء جوابه مستندا على تصريح إمام مسجد وادان الطالب أحمد بن القاسم اليعقوبي الواداني، والذي كان قد أخبر الشيخين أحمد الخليفة وأخيه المختار [ولدا الشيخ عمر بن أحمد بن الرقاد أبو الجماعة]، أن تكتل القبائل - السابقة - يجتمع مع الكنتيين في يعقوب بن العاقب بن عقبة المستجاب<sup>2</sup>.

**7.1. العلوم العقلية:** لم تلق علوم العقل الاندفاع مثل سابقاتها من علوم النقل، فالعطاء ظل مقتصرًا على ما يدرس في المحاضر والزوايا؛ غير أن هذا لم يمنع خوض مضممار التأليف، ومن ذلك أن العالم الحيسوبي الحاج أحمد الأمين التواتي، نظم شرح ابن سعيد السوسي في علم الفلك، سماه "كشف الغمة في نفع الأمة"، وعليه أشتق لقبه "الحيسوبي" لخبرته في علم الفلك والحساب، فهو الذي وضع لأشياخ ولاتة وما جاورها الضابط المشهور في أوقات الصلاة، ولما قدم من المشرق قام بجد مسافة قصر السلام باستعمال الجبل، على ما ذكره فتح الشكور في ترجمته<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ضيف الله بن محمد بن آب المزمرى، المصدر السابق، ص ص: 87-90.

<sup>2</sup> - عمر بن محمد المصطفى الرقاد الكنتي، رسالة إلى أهالي تيشيت حول نسبة بعض القبائل للعاقب بن عقبة بن نافع الفهري، وثيقة مخطوطة، مكتبة أحمد بابا التنبكتي، تنبكتو، ص 1-2.

<sup>3</sup> - محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 96؛ الطالب المجتبي عنكر، المرجع السابق، ص 13-14.

من الفوائد الفلكية التي حصلها الشيخ ضيف الله بن آب المزمرى التواتي، في مذاكرة مع سيدي محمد بن المبروك البداوي أثناء تواجدهما بأقبلي، كيفية تحديد الجهات الأربع التي كانت تشكل لبسا على المزمرى ، فنظمها له البداوي في أبيات شعرية حتى زال عنه الغموض<sup>1</sup>.

من مطلع الشمس ذاك الشرق فافهم إلى بنات نعش هداك الله للسبل  
والجوف منهن للغروب ثم إلى سهيل الغرب ذاك عنه لا تمل  
وما بقي قبلة يا رب صل على محمد ذو النوال خاتم الرسل

## 2. تنوع الأغراض الدلالية للشعر

يحتل الشعر حيزا مهما في مصنفات علماء توات وبلاد شنقيط، فنوعوا في استخدامه بنسج قصائد شعرية مختلفة الأغراض، تحكمتها رقابة فقهية فرضها الفقهاء على الشعراء، فكان الاعتقاد السائد أنه سفه كله؛ إما غزل ونسيب يدعو إلى الريبة؛ أو هجاء يأكل لحوم الإخوة في الدين، فيؤجج نار الفتن والحروب بين القبائل، فمثلا: قبائل الزوايا الشنقيطية في أوائل القرن (11هـ/17م) كانوا يرون أن احترافه أمر غير محمود<sup>2</sup>. واستخدمه الشعراء لأغراض عدة، نذكر منها:

**1.2. شعر المديح النبوي:** يردد الشعراء القصائد متوسلين بالرسول ﷺ، يقينا راسخا أن تمام الإيمان لا يكون إلا بحبته عن سائر المخلوقات؛ استحضارا لقوله: {لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وُلْدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}<sup>3</sup>؛ فمثلت توات وشنقيط خزانة أدبيا، وصدرتا لمختلف الأقطار الإسلامية شعراء ترمسوا الشعر الرصين، وأعادوا القارئ لغابر أيام العرب وشعرها الأصيل.

ومن ذلك؛ أن الفقيه محمد بن الحاج المسلمي التشيبي، وضع نظما على ديوان العشرينيات للفازاوي الأندلسي في مدح المصطفى ﷺ؛ بينما سطر الطالب الحاج البشير البرتلي نظماً على تخميسات ابن المهيب المغربي لديوان العشرينيات، فهو أحد ستة الذين عرفوا بالمدح في ولاتة، والوحيد بينهم الذي أطلق عليه لقب المداح، لخبرته بضروب قصائد العشرينيات للفازاوي الأندلسي<sup>4</sup>؛ كما قام الطالب بوبكر

<sup>1</sup> ضيف الله بن آب المزمرى، المصدر السابق، ج1، ص 223-224.

<sup>2</sup> محمد المختار ولد اباه، المرجع السابق، ص 38.

<sup>3</sup> ابن ماجة، المصدر السابق، "المقدمة باب في الإيمان"، حديث رقم (67)، ج1، ص 26.

<sup>4</sup> الحاج البشير البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 28.

بن علي الشيخ المحجوبي بنسج قصيدة دالية على حروف العجم؛ وحاك على منواله محمد بن المختار اليدالي الديماني قصيدة ميمية عجيبة من أحسن قصائد المدح النبوي<sup>1</sup>.

حري بنا هنا، التطرق للشاعر محمد إداو علي، لكونه واحدا من الشعراء الشناقطة الذين احترفوا الشعر في ديار المهجر؛ فاسمه ظل محفورا في الذاكرة التواتية، بما جادت به قريحته من درر عنت بالشمائل المحمدية، مثل قصيدة "ألف ابتداء الكائنات"، التي جاءت مرتبة حسب حروف الأبجدية العربية؛ وأخرى نظمها عند مفارقة ركب الحج مطلعها عليك صلاة ربي... إلخ؛ ولتشابه قصائده المدحية مع خله بن المبروك البداوي الجعفري التواتي، أوعز بعض نسخ المخطوطات التواتيين نظم الأول للثاني والعكس، لالتحادهما في المعاني وأهداف النظم المرجو<sup>2</sup>، مما يبرز مدى تمازج أفكار شعراء القطرين الأدبية وتجانسها، بصورة جعلت هذا الفن مطية لاختزال المسافات التي فرضتها الجغرافيا.

غير أن الملفت للانتباه أن الشاعر محمد بن بكو الإداو علي ظل مغيبا في دفاتر المترجمين الشناقطة، عكس أترابه ممن تركوا أثرا طيبا في بلاد الإسلام، فقد ترجم صاحب "الوسيط في تراجم أدباء شنقيط" - وهو ابن قبيلته - لما يربو عن العشرين شاعر من قبيلة إداو علي<sup>3</sup>، دون أن يشير ولو عارضا لاسمه، وقد نعزو سبب التغييب لعاملين أساسيين:

**أولهما:** انقطاعه عن البلاد عكس أبناء جلدته؛ وذلك أن وفاته كانت خارج شنقيط في تنبكتو سنة 1198هـ/1784م، في حين أن هناك شعراء آخرين رغم صولاتهم وجولاتهم، قذفت بهم أمواج الترحال بمسقط رأسهم آخر المطاف، أمثال: شاعر المجالس السلطانية عبد الله بن رازكه العلوي؛ صاحب فائفة مدح نعل الرسول (ص)، التي عارض بها فائفة أبي الحسن الشامي الفاسي، حتى صدح اسمه الآفاق، فأصبح من مداح مولاي محمد بن مولاي إسماعيل<sup>4</sup>.

**ثانيهما:** ربما يكون راجح الإغفال، أن فترة مجده وعطائه الأدبي أي القرن (12هـ/18م)، المعروفة في الدراسات الأدبية المحلية بمرحلة تأسيس شعر المداح؛ لم يكن الشعر الشنقيطي واسع القبول فيها، لدواع

<sup>1</sup> - محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص ص 224-236.

<sup>2</sup> - أحمد أبا الصافي جعفري، الشيخ سيدي محمد إداو علي، المرجع السابق، ص ص 34-35.

<sup>3</sup> - أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص ص 1-94.

<sup>4</sup> - نفسه، ص ص 4-23.

أخلاقية وتربوية ذكرناها سابقا، مقارنة بالقرن الموالي (13هـ/19م) الذي يمثل مرحلة اكتمال أركان الأسس الشعرية، وإطباق شهرتها الآفاق<sup>1</sup>.

بالمقابل، غصت الساحة التواتية بالشعراء المداح، أمثال: الشاعر سيدي محمد بن المبروك البداوي، الذي وظف البحر البسيط والمنسرح في قصيدة "صلوات الإله تترى"، ثم افتتح قصيدة مدحية أخرى بالغزل على عادة الأدباء؛ إضافة لقصائد محمد بن آب المزمرى، لاسيما التي مزج في كل شطر من أبياتها شطرا من ألفية ابن مالك؛ وكذا قصيدة حمزة بن الحاج أحمد الفلاني القبلاوي المدحية الخالية من الحروف المعجمة<sup>2</sup>؛ كما نظم سيدي البكري التلاني قصيدة في مدح المصطفى (ص) خالية من الألف، والذي هو أكثر الحروف دوران في الكلام، ومنظومة أخرى خالية من حروف العجم<sup>3</sup>.

**2.2. شعر المدح والثناء:** شاع هذا الصنف من الشعر بين الشعراء، وأدلة توظيف ضروبه كثيرة؛ حيث سمحت إقامة الشاعر محمد بن بكو الإداعلي الشنقيطي بأرض توات، التعرف على جميع رجال الولاية والصلاح، فجاء ذكرهم جميعا دون استثناء في نظم "أصلاح توات"، ابتداءه بأولياء منطقة قورارة شمالا وصولا إلى تدكلت جنوبا مروراً بتوات الوسطى، طالبا استيفاء حق النازل على المنزل حسب الأعراف الإسلامية، الذي أوصى به المصطفى ﷺ في حديث إكرام الضيف<sup>4</sup>.

كما استحضر في مرثية الغوثية، مكارم أخلاق أبناء الشيخ أحمد الرقاد الكنتي، سائلا نفسه كيف يهنأ البال بعد فراق من ألف جوارهم<sup>5</sup>؛ وعند سماع فاجعة وفاة صديقه العلامة البكري بن عبد الكريم، سارع ونظم أبياتا نعاها فيها، متأسفا حال توات بعد رحيل عضده، كيف لا؟! وقد جمعتهما صداقة، ترجمتها المراسلات الشعرية المتبادلة، فقصيدته "زر من هويت" عدت الخصال الحميدة للعلامة البكري،

<sup>1</sup> محمد فاضل ولد أحمد، المديح النبوي في الشعر الموريتاني الفصيح (النشأة ومراحل التطور)، رسالة ماجستير في الآداب، إشراف،

أ. د محمد الحسن الأمين، قسم اللغة العربية، كلية الدراسات العليا، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، د ت، ص 22.

<sup>2</sup> محمد باي بلعالم، المرجع، السابق ج1، ص 164-265.

<sup>3</sup> نفسه، ص 204.

<sup>4</sup> أحمد أبا الصافي جعفري، الشيخ سيدي محمد الإداعلي، المرجع السابق، ص 12.

<sup>5</sup> يحيى ولد سيد أحمد، ديوان الصحراء الكبرى والسودان الغربي المدرسة الكنتية والقصائد النيرات (جمع وتحقيق وتقديم)، دار المعرفة،

الجزائر، 2009، ج1، ص 140.

وعلموه الغزيرة التي زادته تواضعا ووقارا، وجاءت ردا على أبيات سبق البكري بها صديقه ابن بكو يمتدحه بأحسن الأوصاف المحمودة<sup>1</sup>.

ومن ذلك أيضا؛ أبيات الفقيه الشنقيطي محمد الأمين بن أحمد المحضري، في مدح أقطاب التصوف الرقاني، فجاءت المقطوعة الشعرية في أربعة عشر بيتا، تأكلت بعض أطراف أشطرها، إلا أن مغزاها الأسمى تبرزه هيئة شيوخ الولاية والصلاح، وبالضبط الشيخ مولاي المالك الرقاني وأبوه الشيخ مولاي عبد الله، وانتقال أسرار الطريقة الرقانية من الوالد إلى الولد<sup>2</sup>.

لم تقتصر إشادة الأعلام الولايتين بإطراء أحفاد حمو بلحاج قيد الحياة، بل استمر الأمر على الوتيرة نفسها بعد وفاة فضلائهم؛ حيث نعى أنبويه بن باب أحمد المحجوبي ولاته بمرثية، عددت خصال المنفق الأمين مولاي عبد الله شيخ العافية<sup>3</sup>؛ كما استحضر القاضي أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي أبياتا شعرية، تنعي رحيل فاعل الخير أبو الإيتام مولاي عبد المالك المعروف بملوك؛ ولما توفي السخي فتى الدهر العباس بن الخليفة رثاه الإمام أبوبكر بن محمد أسره المحجوبي بأبيات شعرية، استحضرت مكارم أخلاقه، وجوده، وتقواه، وتصدره الدائم لدفع معضلات الأمور<sup>4</sup>.

**3.2. شعر الألغاز العلمي:** لما كان الشعر سليقة تلهجه الألسن؛ استخدمه العلماء في مراسلاتهم، فعرضت المصادر التاريخية نماذج شعرية على هيئة ألغاز تحتاج تفاسير، ومن ذلك؛ مراسلة عبد الله بن رازكه علماء فاس يستفسر حول قول الله تعالى ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾<sup>5</sup>، فجاء الجواب على لسان العلامة الشيخ محمد اليدالي، بأبيات شعرية مماثلة توحى دقة الأسلوب القرآني، وفطنة علماء الشناقطة بإتقانهم خبايا العلوم وفنون رد الأجوبة<sup>6</sup>.

لعل أبرز المحاورات العلمية في هيئة مناظرات شعرية، تلك التي جمعت الشيخ البكري بن عبد الرحمن التواتي بالشيخ محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي، فهي تعكس ثقافة علامة توات ومكانته بين

<sup>1</sup> - عبد الله بابا، المرجع السابق، ص 55-56.

<sup>2</sup> - محمد بن الأمين المحضري ومحمد بن أبي بكر بن الصديق البرتلي، الوثيقة السابقة، ص 1.

<sup>3</sup> - Mahdi Ould Moulay El Hassan, Op. Cit, P 265.

<sup>4</sup> - أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي، المصدر السابق، ص 117-171.

<sup>5</sup> - سورة يوسف، الآية رقم 76.

<sup>6</sup> - أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 9.

أقرانه؛ وقصة المناظرة تدور حول سؤال واستفسار عن كلمتي هاشم ونوفل: أيقصد بهما جنسين أم شخصين أم غير ذلك؟<sup>1</sup>، أوردهما الشاعر الأموي الشهير الأخطل في قصيدة مدحية شهيرة، وسمى الشنقيطي القصيدة "اختبار كل عارف من أبناء المعارف بقول الشيخ محمود ملغزا"، فجاء الرد من الشيخ البكري التواتي في واحد وثلاثين بيتاً<sup>2</sup>، فك لغز الشنقيطي بعد توبيخ وعتاب، لأنه سبق سؤال الأعاجم أصحاب اللكن عن العرب أهل الفصاحة والعقل، وخلص الجواب أن هشام ونوفل ليسا بجنسي علم، إنما المقصود بنوفل "نوافل الخير"، وهشام المدح من "هشم الخبز"<sup>3</sup>.

وربما تأخذنا هذه المناظرة المهمة، للتساؤل عن عدم إدراج المصنفات الشنقيطية فحوها في مؤلفاتهم، سواء المتقدمين أو المتأخرين الذين ترجموا لابن التلاميذ، فصاحب الوسيط قدم ترجمة وافية، عرض فيها جميع رحلاته لأرض الحجاز والأنضول ومصر، ولم يذكر هذه المحاورة -ولا من باب الإشارة- في المبحث الذي سماه "أغلاط ابن التلاميذ في رحلاته"<sup>4</sup>، وتحدث فيه كثيرا عن مغالطاته في الأدب والنحو، ومعارضة أعلام العصر له في شتى مجالات علوم اللغة والتفسير والفقه.

### 3. مكانة تسهيل ابن آجروم عند الشناقطة

حظيت المؤلفات التواتية بمكانة مميزة لدى الشناقطة، وتعددت أشكال الاعتناء بها، بين التدريس والمطالعة تارة، والشرح والاختصار تارة أخرى، لجزالة عباراتها، وقرب معانيها من قدرة الطلاب حفظا وفهما، فجاء "نظم تسهيل منشور ابن آجروم" لمحمد بن أب المزمري التواتي في الطليعة، بحجة أن ناظمه شنقيطي الأصول من قبيلة الأغلال العاملة.

قطع الأستاذ الدكتور أحمد أبو الصافي جعفري الجدل القائم حول نسبة الناظم لمحمد بن أب المزمري التواتي، وليس عبید ربه الشنقيطي المتداول في الدراسات الموريتانية، حيث نوه إلى حضور 64 نسخة مخطوطة من النظم في الخزائن الموريتانية، موزعة بين نظم (54 نسخة) وشرح على النظم (12 نسخة)، معتمدا إحصائيات مكتب الدراسات "أتاسكو" بمساعدة الاتحاد الوطني لرابطات أصحاب

<sup>1</sup> - أحمد أب الصافي جعفري، من تاريخ توات، المرجع السابق، ص 535.

<sup>2</sup> - محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج 1، ص 201.

<sup>3</sup> - نفسه، ج 1، ص 203؛ أحمد أب الصافي جعفري، من تاريخ توات، المرجع السابق، ص 536.

<sup>4</sup> - أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 383.

المخطوطات، والمعهد الموريتاني للبحث العلمي<sup>1</sup>، في صورة تحيلنا إلى أهمية النظم العلمية؛ إذ هو مادة أولية تدرس لطلاب المدارس الابتدائية عبر كامل أرجاء بلاد شنقيط.

تأتي جدلية الخلاف من افتتاحية النسخ الموريتانية بقول الناظم: "قال عبيد ربه محمد"، عكس النسخ الأصلية المبتدئة بقوله: "قال ابن أب واسمه محمد"، وراجع التغيير الذي فتح باب تأويلات الاسم لأعلام شناقطة، أن الناظم رحمه الله تعالى، من باب التواضع، سمى نفسه "عبيد ربه"، أي "عبيد الله" تصغيراً لاسم "عبد" فكلنا "عبيد لله تعالى"<sup>2</sup>؛ لذا ارتينا أثناء الدراسة تقديم رأي محايد، رغم اليقين بما لا يدع مجالاً للشك، صدق الطرح المتطرق لموضوع الناظم جملة وتفصيلاً.

صادفتنا أثناء البحث نسخة مخطوطة منسوبة لمحمد بن أب المزمري، لمالكها شيخنا بن محمد الأمين اللمتوني، وهي عبارة عن شرح على لامية الطغرائي المسماة "أصالة الرأي صالتي عن الخطل"؛ وما يهمننا في الشرح تقديمه؛ حيث يذكر الناسخ: "يقول الشيخ الفقيه النحوي العروضي العلامة أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن عثمان، المزمري نسباً، الكنتاوي انتماء، التواتي منشأ وداراً، نفعنا الله ببركته آمين..."<sup>3</sup>.

فهذا الشرح في تقديمه، إضافة لما وقفنا عليه في النسخة الموريتانية المحققة من فتح الشكور، يحملان في طياتهما دلائل كثيرة عن نسبة الناظم، ومكانة منظومته عند الشناقطة، نذكر منها:

**أولاً:** تأكيد الموطن التواتي لمحمد بن أب المزمري، من خلال عرض موجز ومفصل عن نسبه، مما يسقط فرضيات الانتماء الغلاوي التواتي أو الشنقيطي، فكنية أبو عبد الله محمد المدعو بها، فتحت باب تأويل "نظم تسهيل منثور ابن أجروم" لمحمد عبد الله بن أحمد بن حماد الله الغلاوي، الذي ينسب إليه المحققون النظم، وراحوا ينسجون استنتاجات وهمية<sup>4</sup> بعيدة عن الأمر الواقع.

<sup>1</sup> - أحمد أبا الصافي جعفري، نظم "تسهيل منثور ابن أجروم" الشهير بين عبيد ربه الشنقيطي الموريتاني ومحمد بن أب التواتي الجزائري من الناظم؟ ولماذا وكيف، مجلة رفوف (محكمة)، جامعة أحمد دراية، ولاية أدرار، ع1، مج9، 2021، ص ص 24-55.

<sup>2</sup> - نفسه، ص ص 24-55.

<sup>3</sup> - محمد بن أب المزمري، شرح قصيدة أصالة الرأي صالتي عن الخطل على لامية الطغرائي، مخطوط، بحوزة محمد شيخنا بن محمد اللمتوني، نواكشوط، ص 1.

<sup>4</sup> - محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 145.

ثانياً: ارتقى المزمري بتضلعه علوم اللغة العربية وآدابها منزلة الفقيه النحوي الصيرفي، الذي يُرجع إليه الفقيه أحمد بن سيدي بن إيجل الشنقيطي توريث مسائل النحو والصرف لمن جاء بعده في الديار الشنقيطية<sup>1</sup>، بصورة حزت في نفوس علماء البلاد للتهافت على شرح منظومته بالفصحى العربية والحسانية<sup>2</sup>.

ثالثاً: جزالة ألفاظ المنظومة المزمرية وسلاستها على اللسان، جعلتها أنيسة العلماء مقارنة بغيرها من المتون الأجرومية، المستعصية التفكيك على طلاب النحو المبتدئين، ولذلك لم يكن لعلماء شنقيط عناية إلا بهذه المنظومة؛ فتجدهم يهتمونها في السنة الواحدة أكثر من ألف مرة<sup>3</sup>.

### المبحث الرابع: جهود العلماء في خدمة المذهب المالكي

يقتفي علماء الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها نهجاً، يهدف إلى زرع تعاليم الشريعة السمحة بين أبناء جلدتهم، وقد احتدى الفقهاء التواتيون والشناقطة هذا المسلك الشرعي، بحرصهم الشديد على خدمة مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى، خاصة وأنه المذهب الرائد في بلاد المغرب الإسلامي وجنوب صحراءه الأفريقية الكبرى.

#### 1. العمل بالمذهب المالكي واختصاصاته

ذكر القاضي عياض عن انتشار المذهب المالكي، وتفرد الساحة المغاربية والسودانية، فيقول بهذا الشأن: "وأما إفريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين إلى أن دخل علي بن زياد، وابن أشرس، والبهلول بن راشد، وبعدهم أسد بن الفرات، وغيرهم، بمذهب مالك،

<sup>1</sup> محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 225.

<sup>2</sup> محمد المختار ولد اباه، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1429هـ/2008م، ص 439.

<sup>3</sup> محمد بن آبه التواتي القلاوي، منظومة عبید ربه علی المقدمة، الأجرومية، ضبط وتحقيق، أبو عبد الرحمن بن عبد القادر صالح العوامي، ط1، دار الصفا والمروة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2007م، ص 5.

فأخذ بكثير من الناس، ولم يزل يفتشو إلى أن جاء سحنون فغلب في أيامه، وفض حلق المخالفين، واستقر المذهب بعده في أصحابه، فشاع في تلك الأقطار إلى يومنا هذا"<sup>1</sup>.

بناء على ذلك؛ حظيت المؤلفات المالكية بالعناية والفحص الدقيق، فتناقَسَ الفتيان على حفظ المدونة قبل سن البلوغ، والجواري في حفظ الموطأ عن ظهر قلب، إشارة واضحة وعميقة لمكانة المذهب وأعلامه في نفوس الصحراويين، غير مكترئين بنوع الجنس ولا الفئة العمرية المحددة؛ دافعهم في ذلك ملاءمته لحياتهم الاجتماعية، عن طريق جمعه بين البساطة والأصالة، والاقتناس من الحديث الشريف، لأن صاحبه مالك تعلم في مدينة رسول الله ﷺ، ويعتبر ثقة في نقل النصوص من الكتاب والسنة، فهو شديد الورع عند الفتوى، ينفر من أقوال الرأي والتأويل<sup>2</sup>.

يبرز هذا التفاضل برجع أعلام الفتاوى إلى أمهات المصادر المرتبطة بالموطأ والمدونة، مثل: مختصر الشيخ خليل بمختلف شروحه؛ ومختصر ابن حاجب الفرعي وشروحه؛ ومختصر ابن عرفة؛ وجامع ابن يونس لمسائل المدونة؛ وتهذيب المدونة للبراذعي؛ وكتب الوثائق والأحكام<sup>3</sup>. وبين هذه الأصول والفروع المتقدمة، يُعَلِّبُ بعض الفقهاء آراء الشيخ خليل، لدرجة التعصب، فكان الطالب أحمد بن محمد رارة التنوажوي مقتدياً بما قاله خليل، ولا يلتفت إلى شرح ولا نص غيره<sup>4</sup>.

وعلى مقولة اللقاني<sup>5</sup> المنسوبة لأحمد بابا التنبكي "نحن قوم خليليون فإن ضل ضللنا"؛ ينطبق العمل الجاري به في بلاد المغرب وجنوبه السوداني، والتي تكشف مدى التعلق بالمختصر وشروحه واختصاراته، والحرص على ترتيب فصول النوازل الفقهية بحسب أبوابه، وهذا التفضيل والاهتمام الزائد يترجمه أو يوجزه المثل المغربي "اسيدي خليل والألفية ثمة الحكمة مخفية".

<sup>1</sup> - القاضي عياض بن موسى السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1403هـ/1983م، المملكة المغربية، ج1، ص 25-26.

<sup>2</sup> - الحسين بن محمد شواط، مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير، إشراف، أحمد عبد الكريم، كلية أصول الدين، جامعة الرياض، السعودية، 1407-1408هـ، ص 93.

<sup>3</sup> - محمد بن المختار الأعمش، المصدر السابق، ص 65 وما بعدها.

<sup>4</sup> - محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 118.

<sup>5</sup> - عبد الودود ولد عبد الله (ددو)، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط حتى نهاية القرن (18م)، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2015م، ص: 77.

## 2. قضايا الخلاف الفقهي عند العلماء

يأمل الفقهاء من اتباع أصول الشرع وقواعده الفقهية المذهبية، إيجاد حلول توافقية لقضايا مستجدة، وكثيرا ما ترقى خلافتهم لمنزلة المساجلات الأقرب إلى المراجعة العلمية العامة، منها إلى المناظرة بمفهومها المحدد<sup>1</sup>، والهدف من ورائها معالجة مسائل عالقة تحتاج تحليلا مركزا، دعامة تبادل الأفكار والمعارف، وقد تثنى أحد طرفي الخلاف التسليم بأقوال وآراء الطرف الآخر.

قبل عرض شئى من قضايا الخلاف الفقهي، لابد من الإشارة أن لفظ النوازل أو الأجوبة أو الفتاوى أو المسائل جنس واحد، لكونها تعالج القضايا الدينية والدينية التي حلت بمنطقة ما، فيتصدى علماء الشريعة من قضاة وفقهاء ومؤلفين لحلها؛ وقد صنفت الدراسات النوازل الفقهية إلى قسمين<sup>2</sup>، سنضفي عن طريقها الزيادات المتوافقة مع موضوع دراستنا:

• **القسم الأول:** نسبتها إلى عالم واحد؛ كما يقال: أجوبة محمد بن سحنون، وفتاوى عليش، ونوازل البرزلي، وأحكام ابن سهيل، ومسائل قداح؛ وعلى نسقها شاع مثل هذه النوازل في توات وشنقيط، كنوازل بلعمش، ونوازل الجنتوري، ونوازل عبد الله ولد الحاج إبراهيم العلوي، ونوازل محمد بن عبد الرحمن التلاني، ونوازل الزجاجاوي، ونوازل القصري، ونوازل حماد الله التشتيتي... إلخ.

• **القسم الثاني:** نسبتها إلى علماء شملهم انتماء البلد الواحد فاشتركوا فيما يخصهم؛ كما يقال: فتاوى علماء غرناطة، ومثلها الغنية البلبالية التي جمعت مجموع القضايا والمسائل المطروحة على علماء توات؛ أو انتسابهم إلى شريط من البلدان المتقاربة، كفتاوى علماء أفريقيا والأندلس والمغرب، ومثلها مجموع فتاوى نوازل علماء التكرور؛ أو نسبتهم لمحل معين كأجوبة فقهاء القرويين.

وفي كتب النوازل المحلية نماذج لقضايا فقهية، اختلف فيها العلماء التواتيون والشناقطة على حد سواء؛ فرغم الحرص على التزام مشهور المذهب، والبعد عمَّ شدَّ من الآراء<sup>3</sup>، إلا أن فرضية الاختلاف

<sup>1</sup> عبد الودود ولد عبد الله (ددو)، المرجع السابق، ص 170.

<sup>2</sup> عبد السلام الأسمر بلعام، المرجع السابق، ص 15-28.

<sup>3</sup> محمد بلعام الزجاجاوي، المصدر السابق، ص 28.

تبقى مطروحة بين فقهاء المذهب، باختلاف الاجتهادات، وتنوع الأدلة؛ فالبعض كان حريصا على النظر في أصول المسائل، بينما حرص البعض الآخر على النظر في خصوصيات النوازل<sup>1</sup>.

وهو ما استوقفنا مع مسألة تيمم الجنب للفريضة وجلوسه لتلاوة القرآن، التي وردت على العلامة الشنقيطي محمد الأمين الحضري: هل يكون بمقدوره صلاة النافلة بذلك التيمم أم لا؟<sup>2</sup> وهذه المسألة شبيهة بأخرى في النوازل التواتية، أفتى بها العلامة بلعالم الزجلاوي<sup>3</sup>، وكان جوابه مخالفا لنظرة الحضري وجمهور علماء العصر، ممن أفتوا بالجواز استنادا لمقاربة الموطأ، وما ذهب إليه الإمام الأجهوري والشريف محمد الفاسي<sup>4</sup>؛ بينما قضى العلامة الزجلاوي بإعادة التيمم، موافقا رأي الخرشبي في كبيره، على حد قول الزجلاوي الابن: "إلا أني قد كنت طالعت على ذلك كبير الخرشبي، فرأيتة نقل الخلاف فيه، ورجح ما للوالد..."<sup>5</sup>؛ وقد أدرجنا القضية من زاوية تشابه مسائل الخلاف الفرعي بين علماء المنطقتين، سواء من ناحية الشكل (الطرح) أو تنوع مصادر الفتوى.

في الغالب تتطور المناقشات لمراسلات كتابية، إزالة لغموض أو تصحيحا لبعض المفاهيم الشرعية؛ حيث ردَّ العلامة جعفر بن المهدي النعموي عام 1299هـ/1882م، على فتوى بطلان صلاة الجمعة بولادة، بمؤلفٍ عنوانه: "الرد على فتوى بطلان الجمعة في قرية ولات"، ضمَّنه حجج وبراهين مشروعية الجمعة في البلاد السائبة، إذا توفرت شروط الإقامة بها، لأن نصوص المالكية لم تول اعتبارات لمسألة المصر والسوق والسلطان<sup>6</sup>.

جاء رد جعفر بن المهدي النعموي بعد خطاب وصله من أهالي ولاتة، بواسطة باب حسن بن مولاي عبد الله ومولاي عبد الرحمن بن مولاي إسماعيل<sup>7</sup>، يرغبون توضيحا بشأن رسالة الفقيه محمد بن

1- أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 152.

2- محمد المصطفى بن سيد أحمد الغلاوي، العمل المشكور في جمع نوازل علماء التكرور، تحقيق ودراسة، حماد الله ولد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014م، ج 1، ص 112.

3- محمد بلعالم الزجلاوي، المصدر السابق، ص 148.

4- محمد المصطفى بن سيد أحمد الغلاوي، المصدر السابق، ج 1، ص 102.

5- محمد بلعالم الزجلاوي، نفس المصدر، ص 134.

6- محمد جعفر بن المهدي النعموي، الرد على فتوى بطلان الجمعة في قرية ولات، تقديم، سيدي محمد ولد جعفر، د د ن، د ت، ص 4.

7- نفسه، ص: 1.

يحيى الولاقي المسماة: "النصح لمن أسلم من التعصب والإعنات وتحكيم العادات في بيان بطلان صلاة الجمعة في قرية ولات"، والتي طرحت إشكالا أصوليا قديما، ربطه الفقيه محمد يحيى الولاقي بواقع مفهوم ولاتة ضمن إطار المدينة أو القرية أو المصر، في ظل انعدام المقومات الحضارية، التي ترقى بها لمرتبة الأمصار المخول لها إعلان الجمعات؛ بسبب غياب الأمن المؤدي إلى استئثار الحكم عنوة، واحتكار الإمامة وراثية في أحد المجموعات المحلية دون غيرها من القبائل<sup>1</sup>.

يمكن إدراج المناقشة السابقة ضمن باب التأثير الحضاري للعائلات التواتية في منطقة الحوض الشرقي، فالعلامة جعفر بن المهدي النعماني واحد من أبناء البيوتات التواتية المهاجرة إلى شنقيط، ممن تركوا أثراً طيباً في الحياة العلمية في حاضرة النعمة ومدينة كالا التي استقر بها فيما بعد، ساهم بواسطتها في إثراء نهضة البلاد الفكرية بمؤلفات أدبية وفقهية وتاريخية متنوعة، طيلة النصف الثاني من القرن (13هـ)، ومطلع القرن (14هـ)، ولا تزال تنتظر الدراسة والتحقيق.

### 3. تخريج الفتاوى على المسائل الفقهية:

إن المدقق في مصادر تشريع النوازل التواتية والشنقيطية ضمن السياق العام، يلاحظ الاستدلال المتكرر بفتاوى ابن رشد، والبرزلي، والونشريسي، والشيرختي، والزرقاني، وميارة ابن عاشر، والقرافي، والأجهوري، والفشتالي، والتنبكتي... إلخ، وذلك باللجوء لقياس ما سئلوا عنه بما سبق أن أجيب عنه لوجود كثير الشبه<sup>2</sup>، وهذا يتفق جملة مع معظم مصنفات المالكية شمال الصحراء وجنوبها.

كان مبدأ القياس في تخريج فتاوى النوازل الفقهية، إلحاق الفرع بأصل العلة الجامعة أو الشبه، فالمسألة تقاس باعتبار الأشباه وضروب الأمثال، ومن ذلك قياس فقهاء توات إعطاء جزء من الفقارة الميتة للعمل بها مع جهل ما فيها من الماء، على نحو ترخيص علماء الأندلس كراء السفن بجزء مما يحمل فيها<sup>3</sup>؛ وعندما سئل العلامة حماد الله التشتيتي، عن حكم الشرع في قوم يتراءون بالإسلام، ويتطبعون

<sup>1</sup> عبد الودود ولد عبد الله (ددو)، الفقيه والمجتمع في الحواضر الصحراوية محمد يحيى "الفقيه" ولاتة نموذجاً، مجلة رفوف\* مخبر المخطوطات الجزائرية في أفريقيا\* جامعة أدرار، الجزائر، ع 8، ديسمبر 2015م، ص ص 155-183.

<sup>2</sup> محمد بلعالم الزجاجاوي، المصدر السابق، ص 27.

<sup>3</sup> محمد بن عبد العزيز البلبالي، المصدر السابق، ص 503.

بأخلاق الكفار والمنافقين، جاء جوابه قياس ما ذهب إليه علماء بجاية، أن هؤلاء القوم كالمجوس عباداتهم باطلة، يجوز مصادرة أموالهم شرعاً إلى بيت أموال المسلمين<sup>1</sup>.

لما كان تعاطي التبغ أو التعامل به محل خلاف الفقهاء، جاءت أجوبة الفقهاء التواتيين والشناقطة يشوبها الاضطراب بين التشريع الذي يشوبه الغموض والتحفظ في الحكم<sup>2</sup>، ومنها الذي ذكره العلامة المختار بن الأعمش بشأنها: "وأما التبغ فمذهب الأكثرين التحريم، والمحققين التحليل، واستعمالها والتجر فيها مفرّج على القولين، والله تعالى أعلم"<sup>3</sup>؛ وقد فسر ضيف الله المزمري جواب العلامة الجنتوري، فيما يخص جواز أو تحريم التبغ "من رأيت يشربها لا أحرمها عليه، ومن لم يكن بدأ فيها أحرمها عليه"، مخافة الإسكار على الداخل عليها، لأن عادة من بدأ فيها أن تجبل عليه أولاً، والجواز بالأمن منه لمن ألف تعاطيها<sup>4</sup>.

تأخذ المسائل مجرى آخر باعتماد علماء القطرين فتاوى الطرف الآخر، فتوجد في نوازل القصري إشارات متفرقة لأعلام تواتيين استدل بهم عند تحريج أحكام المسائل، ومن ذلك ما ذهب إليه في مسألة قضاء دين الغريم، عن رجلين جمعهما دين، كلاهما معترف بحق الأول على الآخر، ولكن عند بلوغ الآجال، أصّر المدين إحضار الدائن وثيقة الإثبات؛ فمن بين الدلائل التي ذكرها، جواب العلامة التواتي محمد بن المصطفى الرقادي الكنتي، حين أعطى الحق للغريم في امتناع السداد، لأن حقه بعد القضاء تقطيع موضع شهادة الشهود من الوثيقة<sup>5</sup>.

حرصاً على ترسيخ ثقافة التواصل المعرفي بين القطرين، تناول القصري في إحدى نوازل القضاء "قضية صدرت مني واعترضها عليّ بعض الطلبة"، مسألة عدم أهلية نفقة الزوجة المطلقة، إن حدثت وطلبت التعويض من الزوج المطلق، لعسر حاله واغترابه عن البلاد، أثناء مدة الحمل وبعد الوضع<sup>6</sup>،

<sup>1</sup> - الشريف حمى الله بن أحمد التيشيتي، نوازل حمى الله التيشيتي، جمع وتحقيق وتقديم، محمد المختار ولد السعد، ط1، دار القلم للطباعة والنشر، دمشق، 1431هـ/2010م، ص 75-76.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 262؛ ضيف الله بن آب المزمري، المصدر السابق، ص 364.

<sup>3</sup> - محمد بن المختار بن الأعمش، المصدر السابق، ص 182.

<sup>4</sup> - ضيف الله بن آب المزمري: المصدر السابق، ج1، ص 346.

<sup>5</sup> - القصري بن محمد المختار، المصدر السابق، ج3، ص 235.

<sup>6</sup> - نفسه، ج4، ص 260.

ومن الآراء التي ذكرها على مقياس الترجيح بشأن المسألة، ما وافق عليه العلامة محمد بن محمد التواتي أصلاً الشبكشاوي وطناً<sup>1</sup>، خلاف ما ناقضه فيه شطر من علماء البلاد<sup>2</sup>.

تماشياً مع ما تم ذكره في مجال تخريج الفتاوى؛ لقد رجع العلماء التواتيون لنظرائهم الشناقطة؛ فنجد الفقيه النحوي محمد بن أب المزمري يستدل في موضعين، بتخريج العلامة محمد بن الأعمش الشنقيطي<sup>3</sup>، للإجابة على نازلة «تحلية القرطاس بالكلام عن مسألة تضمين الخماس»، التي وردته عن طريق الفقيه عمر بن المصطفى الرقاد الكنتي<sup>4</sup>، لتوضيح مواضع تضمين أو إعفاء الخماس، في ظل تشابه مقاصد المسائل الشرعية، وقواعدها الأصولية رغم اختلاف أزميتها وحيثيات قضائها.

على منوال ابن آب المزمري؛ أدرج علماء توات في نوازل الغنية أجوبة محمد بن المختار ابن الأعمش<sup>5</sup>، والتي تعتبر مادة مصدرية مهمة في تخريج مسائل الفقه المالكي، حيث ورد اسمه في تقييد أجوبة على مسائل مختلفة في نوازل النكاح وتوابعه، لاسيما ما تعلق بتشديد أحكام الفتوى؛ فذكروا من أجوبة ابن الأعمش ما نصه: "وقد قال المتفق على إمامته وجلالته أبو عبد الله سفيان الثوري (رض)؛ إنما الفقيه من يسهل على العامة ويرخص لهم، وأما التشديد فيعرفه كل أحد"<sup>6</sup>.

كما استند الفقيه أبو زيد عبد الرحمن الجنتوري في أجوبته، لمسائل وردت على أعلام شناقطة من أجل التحقيق وتنويع مصادر الفتوى؛ ومن ذلك رجوعه في بعض مسائل الطلاق غير المتعمد إلى نوازل الفقيه النحوي المحدث محمد بن الحاج الحسن الزيدي التيشيتي عن استرعى في الطلاق زوجته؛ وكذلك

<sup>1</sup> - لم أقف على ترجمته.

<sup>2</sup> - القصري بن محمد المختار، المصدر السابق، ج4، ص 291.

<sup>3</sup> - محمد بن أب المزمري، جواب نازلة تحلية القرطاس بالكلام عن مسألة تضمين الخماس، مخطوط، خزنة سيدي عبد الله البلبالي، قصر ملوكة، ولاية أدرار، الجزائر، د ت، ص ص 4-8.

<sup>4</sup> - محمد بن أب المزمري، جواب نازلة تحلة القرطاس، المصدر السابق، ص 1.

<sup>5</sup> - هرباش زاجية، الوضع الاقتصادي في إقليم توات من خلال مخطوط العنية في القرنين 12 و 13 الهجريين 18 و 19 الميلاديين، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف، أ. د. عبد المجيد بن نعيمة، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 1432-1433هـ/2001-2012م، ص 321.

<sup>6</sup> - محمد بن عبد العزيز البلبالي، المصدر السابق، ص 59.

في باب الوصية إذا استفى آجال الدين، وجاء به المدين ناقصا، فرجع إلى مسألة وردت على الفقيه الأمين بن أحمد بن محمد بن محمد بن تاشفين الواداني، فألحق بالسؤال جوابه<sup>1</sup>.

#### 4. النزعة الصوفية عند الفقهاء

تمتج دعوة الفقهاء المغاربة والسودانيين بالمسحة الصوفية التي اجتذبت قلوبهم، واتجهوا لبيت أربطتها في أرجاء البلاد حتى ملأت شهرتها الآفاق، وأصبحت نتيجة لذلك مؤهلة لتوجيه السكان واستنهاضهم وتأجيج مشاعرهم، إما خوفا من تأثير غضب الأولياء المقيمين بها، أو طمعا في الاستفادة ببركاتهم عن طريق الاتباع والتقليد والانصياع لأوامرهم الباطنية<sup>2</sup>.

وأهم شيء يمكن ملاحظته، أن العلم الشرعي عند علماء الصحراء مرتبط بالولاية<sup>3</sup>؛ مسلكتهم فيه المذهب المالكي في الفتوى؛ والاعتقاد الأشعري في العقيدة؛ وطريقة الجنيد السالك في التصوف<sup>4</sup>، ومكمن الفرق بين الخطاب الفقهي والخطاب الصوفي حسب أحمد بابا التنبكتي، أن الأول علم يجر به صاحبه نفعا إلى عامة الناس، في حين أن العلم الآخر - التصوف - حتى ولو وصل بصاحبه إلى أقصى المراد وهو مقام الولاية، فإن منفعته خاصة بالسالك نفسه لا غير<sup>5</sup>.

لهذا، من النادر الفصل بين العالم الفقيه والعالم الصوفي، فكلاهما يحصّل علم الظاهر قبل خوض علم الباطن، والخلوة بنفسه يوميا لقراءة أورد المشيخة، أو المداومة على قراءة بعض الشمائل المحمدية، مثل كتاب دلائل الخيرات، والشفاء للقاضي عياض، فقد انتشر سرد هذه المؤلفات في المساجد الصحراوية تبركا بها، وبما فيها من استحضر لصفات الرسول (ص)، وتذكير بحقوقه<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> عبد الرحمن الجنتوري، المصدر السابق، ص 92-130.

<sup>2</sup> الناني بن الحسين، الخلفية التاريخية للتواصل الثقافي بين المشرق والمغرب العربيين، ندوة التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب العربيين ودور موريتانيا فيه، 29-30 جوان 1999م، جامعة نواكشوط، منشورات دائرة الثقافة والأعلام، الشارقة، 1999م، ص 55.

<sup>3</sup> أحمد الحمدي، المختار الكبير الكونتي، المرجع السابق، ص 60.

<sup>4</sup> مولاي أحمد الطاهري، المصدر السابق، ص 59.

<sup>5</sup> عبد الودود ولد عبد الله (ددو)، المرجع السابق، بتصرف، ص 77.

<sup>6</sup> المرجع نفسه والصفحة

وإذا قلبنا في سير وتراجم الفقهاء فالأدلة والبراهين كثيرة لا يمكن حصرها، ومنها: أن القاضي عبد الكريم البكري كان رحمه الله تعالى أديبا سخيا؛ أربيا للحقوق الشرعية موفيا؛ وفي الحقيقة صوفيا مهيبا، يخضع لقوله الحكماء؛ وينصت لموعظته الجهال والعلماء<sup>1</sup>؛ وقد مال مفتي توات وعلامتها الشيخ عمر بن عبد القادر التنلاي في آخر عمره لطريق التصوف والاحتجاب عن الناس، فكان أهل الطريقة يزورونه كل يوم خميس يجتمعون في حضرته<sup>2</sup>.

نلاحظ أن الاتجاه الصوفي لا يكتنفه غموض عند الفقهاء التواتيين، الذين وقَّفوا في نهجهم الدعوي بين اتجاهات فكرية عديدة، واختلفوا في بعض فروعها مع أعلام الفقه المالكي الشنقيطي، لأن بلاد شنقيط عرفت تيارات فكرية حديثة العهد خلال القرنين (13هـ/19م)، نافست المنهج الصوفي الذي ظل هو الراجح، ومن تلك المناهج الدعوية في مجال الاعتقاد والسلوك، نذكر<sup>3</sup>:

أ. المنهج الأشعري العقلاي الذي يؤمن بالمنطق اليوناني وعلم الكلام المنطقي، وتمثله مدرسة المختار بن بونه الجكني المتوفى عام 1220هـ/1708م.

ب. المنهج السلفي الإصلاحية النصي الذي يعادي علم الكلام، وتمثله مدرسة المجيدري بن حبيب الله اليعقوبي المتوفى عام 1204هـ/1790م، وهو متأثر في منهجه الدعوي بالفكر الوهابي.

ج. المنهج الصوفي، وأبرزه الاتجاه القادري، وتمثله مدرسة الشيخ المختار الكبير الكنتي في منطقة أزواد والمتوفى 1226هـ/1811م؛ ولكن الذي يلاحظه الباحث في تاريخ التصوف الشنقيطي، أن البلاد كانت مسرحا لتيارات فكرية أخرى، شاركت القادريين الأهداف ونافستهم التأثير.

من الفقهاء الشناقطة الذين آثروا المنهج الصوفي الشيخ عمر الخطاط، الذي رحل لسجلماسة للتعلم والتبرك بالعالم الصوفي أحمد الحبيب اللمطي، فوجده معتكفا لا يخرج للناس، وحين سمع بمقدمه إليه، قطع عزلته، وامتلح حاجة ضيفه دون مجلس اقتراً<sup>4</sup>، وهو ما يضعنا أمام فرضية تلقي الشيخ عمر الأكبر التنلاي مبادئ التصوف في سجلماسة أو فاس؛ فالفترة التي قضاها يجول بين فقهاء الحاضرتين

<sup>1</sup> محمد بن عبد الكريم البكري، المصدر السابق، ص 5.

<sup>2</sup> عبد الرحمن بن عمر التنلاي، الفهرسة، المصدر السابق، ص 86؛ محمد بن عبد الكريم البكري، المصدر السابق، ص 14.

<sup>3</sup> أحمد شيخي، المرجع السابق، ص 109.

<sup>4</sup> محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، المصدر السابق، ص 329.

ونحاتها وصالِحها حوالي 13 سنة<sup>1</sup>، وهي فترة سانحة للاعتراف من كل إناء، وذلك بما حَقَّت به حواضر المغرب الأقصى من علماء شريعة، وحقيقة كان الناس يؤمّونهم كل حين.

بالتالي؛ شكل المذهب المالكي رابطة وثيقة بين علماء توات وشنقيط، ساعد في ذلك تغلغل الفقهاء في أصوله وفروعه، وشاب هذا الاهتمام انطواء بعضهم وانزواءهم للتعلم في أمور الشريعة، حتى أصبحت المشيخة رديفة التصوف في مواطن كثيرة، ويبقى رأي العلامة التنبكتي أحمد بابا قائماً بذاته رغم عقلائيته، لأنه كما رأينا في فصل سابق تعدى تأثير التصوف الحيز الخاص به، وكان رابطة مؤثرة روحيا واجتماعيا في علاقات الشعبين الصحراويين المتجاورين.

ما يمكن استخلاصه في خاتمة هذا الفصل؛ أن الحياة العلمية والدينية في توات وشنقيط، توشحت بروافد مشتركة مهدت الطريق لتوافقها وتجانسها؛ إذ جمعت في جوهرها بين التقارب الفكري، والاعتقاد الديني الراسخ ببركات المشائخ، فلعبت المراكز الحضارية وأعلامها دورا منوطا في اتحاد المقررات التعليمية، ساعد في ذلك إنالة بعض المصنفات الفقهية الذائعة الصيت فسحة كبيرة، سواء تدريسا أو شرحا، وتكليفها مع خبرات المتعلمين المحلية، ولم لا خلق تجانس ثقافي مباشر، من شأنه أن يقوي الصلات والروابط المعرفية بين الأقاليم، وهذا الذي تهدف الرحلات الموسمية لإحرازه بشكل أساسي، في ظل توفر المقومات المادية والمعنوية المساعدة على تنظيمها وحسن تدبيرها، عن طريق خلق نوع من الاندماج الروحي بين الأعلام المثابرين، لدرجة أن حياة الحواضر أضحت محنطة بغلاف صوفي، انطلاقا من المؤثرات الروحية البشرية المرتكزة أساسا على الهجرة السكانية وليدة الطواف والترحال، وبالتالي استطاعت هذه المراكز وأعلامها كتابة تاريخ جديد في علاقات الشعوب الصحراوية، والتي كانت في نظر الكثيرين مبنية على التطاحن والتقاتل، وقلة العطاء العلمي نتيجة الابتعاد عن مراكز الحضارة.

<sup>1</sup> - مبارك جعفري، علماء توات في حضرة القرويين بفاس خلال القرن 12هـ/18م، الملتقى الوطني الأول المشترك للعلاقات الحضارية بين توات وحواضر المغرب الإسلامي المنعقد بجامعة أدرار أيام 14.15.16 أفريل 2009م، ص 137.

الفصل الثالث: الوضع الاقتصادي في توات وشنقيط وانعكاساته على

### التبادل التجاري

- المبحث الأول: النشاط الفلاحي في توات وشنقيط
- المبحث الثاني: الحرف والصناعات التقليدية
- المبحث الثالث: المبادلات التجارية بين توات وشنقيط

يمثل الاقتصاد سبيل المجتمعات للتقدم والتطور في مختلف المجالات والميادين، عن طريق تسيير برامج تنمية تشارك فيها جميع الفئات الشعبية، ولما كانت الحياة الصحراوية تحتاج صبورا زائدا، واستغلال كل آلية بسيطة، تساعد على تخفيف الأعباء بعيدا عن مراكز العمران؛ سعى المواطن التواتي والشنقيطي من خلال موقعه على ضفتي الصحراء، لخلق ثقافة تعتمد أساسا على ما توفره الطبيعة المحيطة به، ولم لا النهوض بمجتمعه من دماسة العزلة البشرية إلى الاندماج الاقتصادي مع الأقاليم المجاورة، من بوابة الاستفادة من الثروات المتاحة، وهذا يتطلب جهدا عضلي يحتم على الشخص العامل، تجريب شتى أنواع الطرق والأساليب للرقي بنفسه أولا، ومجتمعه ثانيا، لكي يصبح مجتمعه مؤثرا في مناطق الجوار، ولا يكتفي بما تغذيه القوافل الذاهبة والآية على صحرائه المترامية الأطراف.

### المبحث الأول: النشاط الفلاحي في توات وشنقيط

سعى الفرد التواتي والشنقيطي من خلال ارتباطه بموطن أرضه أن يؤمن مصدر قوته، لذا فإن من الضروري البحث عن وسائل كفيلة لخدمة هذه الأرض، خاصة مع توفر بعض المناطق على كميات هائلة من المياه، لاستغلالها في أنشطة فلاحية مختلفة مرتبطة أساسا بالسقي والرعي، وهذا يحتاج مجهودات مضاعفة لتحقيق نوعا من الإكتفاء الخاص، وبالمقابل هناك مناطق تكاد تختفي فيها مقومات النشاط الفلاحي، قد يكون فيها العمل أكثر صعوبة وعسرة.

#### 1. وسائل السقي الزراعي

إن الزراعة في المناطق الصحراوية ليست بالأمر الهين، فقساوة المناخ الجاف وملوحة التربة وافتقارها لعناصر النبات العضوية، كلها عوامل لا تساعد على قيام زراعة نشيطة، ورغم ذلك تحدى الإنسان الصحراوي معوقات الطبيعة، واستطاع بين عشية وضحاها التعايش مع بيئته الفقيرة، وإحداث ثورة زراعية تغطي حاجاته الضرورية لتأمين سبل العيش<sup>1</sup>، وجاء هذا التكيف وفق نظم حضارية تمايزت بين بساطة أدوات العمل وإبداعات العقل البشري.

لهذا، عرف نظام السقي في توات وشنقيط عدة طرق وأساليب، حاول الإنسان خلالها تكيف رقعته الزراعية مع أوضاع الطبيعة ومتغيراتها، خصوصا وأن ثلثي المساحات المأهولة، أصبحت تفتقر إلى

<sup>1</sup> - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 54.

المجاري المائية الدائمة، التي كانت تجري منذ ما قبل التاريخ، من الأطلس حتى النيجر أو على الأقل حتى الحوض البحيري لتاودني<sup>1</sup>، وعليه يمكن تقسيم السقي الزراعي إلى قسمين:

**1.1. الزراعة المطرية والفيضية:** يرتبط هذا النوع من الزراعة بمستويات هطول الأمطار، لذا فإن أيّ تذبذب سوف ينعكس على الإنتاج الزراعي والمساحات المزروعة، وتعتبر منطقة النهر والجزء الشرقي<sup>2</sup> من أهم مناطق الزراعة المطرية في شنقيط، بفعل تساقط الأمطار الموسمية في شهر يوليو وقتها المعتاد، فإذا تأخرت عن موعدها نقص ذلك من خصب السنة، كما أن هناك أمطار أخرى متفرقة تغطي باقي الشهور تسمى "أمطار النكطة"<sup>3</sup>، يكون نزولها بأثر نقص مطر الصيف، فيعوض بها الفلاح ما فلت من خصب السنة، مما يؤدي إلى سمن المواشي أكثر من سمن أمطار الصيف<sup>4</sup>.

رغم تذبذب مياه التساقط؛ بسبب انخفاض معدلات الأمطار لما يقل عن 100 ملم، وانتشار بعض الآفات الأخرى التي تسببها الطيور والجراد<sup>5</sup>، يجسد الشناقطة هذا النوع من الزراعة المطرية في سقي مزروعاتهم، بحكم التأثير الجغرافي بمناخ المحيط الأطلسي ونهر السنغال، فهذا المحصول الزراعي لا زال يدر على أصحابه أرباحا طائلة في وادان، التي حفظت مزارعها هذا الشكل من السقي في سهول تعرف محليا بلكرير، وأهمها: أقاليت، ولگديم، وأزالال، ولمبيديع، وباميره، وانتمادي؛ ومزارعها تنتج عدة محاصيل أهمها: الشعير، والقمح، والحنطة، والفاصوليا (فندي)<sup>6</sup>.

**2.1. الزراعة بالمياه الباطنية:** يركز هذا النوع من الزراعة على المياه الباطنية، بواسطة القنوات المغذية لها من الوديان والبحيرات الجوفية، ولاحظنا كيف اقتصر القسم الأول المطري على مناطق شنقيط دون

<sup>1</sup> - محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج1، ص 78.

<sup>2</sup> - محمد أحميد ولد أسلم، القطاع الزراعي في موريتانيا: الواقع والأفاق، منظمة المجتمع العلمي العربي، [متاح على الخط]، <https://arsco.org/article-detail-713-4-0>، تاريخ الإطلاع: 27-09-2022م، الساعة: 15:23.

<sup>3</sup> - تسقط منتظمة خارج وقتها المعتاد الصيفي، وتعرف بشهور تساقطها، أغشت، النيسان، المارسية، أكتوبرية، كبد الشتاء (بوتة)، وأغزرها مطر أغشت؛ ينظر، المختار بن حامد، الجغرافيا، المرجع السابق، ص 11.

<sup>4</sup> - نفسه والصفحة.

<sup>5</sup> - محمد أحميد ولد أسلم، المرجع السابق.

<sup>6</sup> - محمد الأمين ولد الكتاب، وادان إحدى أقدم حواضر بلاد شنقيط، تقديم، سيدي أحمد ولد الدي، ط1، وزارة الثقافة والصناعة التقليدية والعلاقات مع البرلمان، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، 1442هـ/2020م، ص 146.

توات؛ لذا فإن هذا القسم الآخر من السقي الزراعي عمّ مناطق القطرين، بل كان هو السائد والمتحكم في نمو الاقتصاد المحلي، وتتمثل تقنياته السقوية فيما يلي:

### 1.2.1. الوديان والمجاري المائية: تنمو على حواشي الوديان والمجاري المائية نباتات متعددة،

لذلك يتخذ الإنسان من ممراتها مقرا للسكن والإقامة، وهذه النباتات تكون إما عشبية طفيلية أو من غرسة البشر، نتيجة تنقلاتهم واستقرارهم بالقرب من الأودية؛ فمدينة الرشيد مثلا قامت بأرض تكانت على واد كثير النخل لا يحتاج إلى السقي، لقرب الماء من عروق النخلة؛ وكذا مدينة البركة التي اشتق اسمها من وادي البركة؛ ووادي تالمست الذي به نخل جيد ووادي أرمجي ... إلخ<sup>1</sup>.

المتبع لتسلسل الواحات التواتية وتوقعها الجغرافي، يلاحظ تكتل القصور من الجهة الشرقية لوادي مسعود أو سبخة تيميمون، كما أن الزراعة لا تتم إلا على ضفة واحدة من هذا الوادي والسبخة، أين تنتشر على طول الضفة اليسرى (الشرقية) للوادي جنوب توات ثلاثين واحة، على مسافة ثلاثين مرحلة أو أكثر، وكذلك الشأن شمال الإقليم، حول سبخة تيميمون على امتداد خمسة عشر واحة<sup>2</sup>، مما يسهل عملية الحرث والغرسة بأقل تكلفة وأخف الأضرار.

وإن كانت السباخ بملوحتها الفارطة، لا تصلح للزراعة إلا ما اتصل بغرس النخيل، يوجد وسط الكتبان الرملية في واحات آدرار شنقيط وشروين قورارة توات، مجاري مائية تتوفر على تقنية غريبة في استنباط المياه الباطنية، حيث يتخير صاحب البستان المواقع المنخفضة قبل الشروع في الحفر، الذي لا يتعدى غالبا المتر لكي تظهر بقع الماء الحلو، فعندها يغرس فسائل النخيل، ثم يزرع الجبوب مع الخضر والفواكه، وهذا المكان يسمى "الباردة"، لاقترابه من الماء؛ وهكذا، طوال مدة الحرث لا يسقى أبدا، بل يترك على حاله حتى تنضج ثماره، فيأتي الفلاح نهاية الموسم لحصاد المنتوج (الغلة)<sup>3</sup>.

### 2.2.1. السقي بالدلاء: تعتمد تقنية السقي بالدلاء على العمل اليدوي، حيث يشرع في

جلب الماء من البئر قليلة العمق، بواسطة ربط الدلو في خيط، والاعتماد على الجهد العضلي لاستنباط الماء، وهذه التقنية من أقدم الطرق التي عرفها المزارعون والرعاة، وفي شأنها وردت نازلة على العلامة حمى

<sup>1</sup> - أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 448.

<sup>2</sup> - عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق، ص 73؛ محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ص 79.

<sup>3</sup> - أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 435.

الله التيشيتي، حول ضمان دية متعلم في رقبة معلم صبيان، له نحيالات يأمر تلامذته بسقيهن من بئر قصيرة، وحدث أن أحدهم مات وسط البئر، لما همَّ بإخراج دلو السقي دون إذن المعلم<sup>1</sup>.

**3.2.1. أشيلا أو أشيلاي<sup>2</sup>:** تعتبر هذه التقنية من طرق السقي المعروفة في توات وشنقيط، وهي تقوم على خاصية استخراج مياه الآبار عن طريق نظام يسمى أشيلا، باستخدام رافعة مصنوعة من جذوع النخيل أو الشجر<sup>3</sup>، تثبت على عارضتين تصلهما دعامة عرضية في الأعلى؛ ويوضع في طرف الرافعة السفلي وزن أثقل من حجم الماء المراد استخراجها؛ بينما يعلق في رأسها حبل طويل، يربط في حاوية مصنوعة من الجلد أو سعف النخيل، والجهد المطلوب هو إنزال الحبل إلى قاع البئر، حتى تغمر الحاوية في الماء، ثم يرفع الحبل بواسطة الوزن الذي وضع في أسفل الرافعة لتعود الأخيرة إلى الخلف؛ وبالتالي ترفع الحاوية المليئة بالماء فوق فتحة البئر، وتصب في حوض مجاور<sup>4</sup>.

تكمن مشقة تقنية السقي "أشيلاي" في روتين العمل اليومي، لما يأخذه من وقت وجهد عضلي ملء الحوض، مما يحتم توزيع السقي على مرحلتين صباحية ومساءلية؛ ففي مناطق آدرار الشنقيطية ذات الموارد المائية (الأودية) والينابيع الباطنية، يوجد في أغلب قصورها مزارع بها آبار، أين يقوم الملاك أو العاملون بالسقي مرتين في اليوم، وذلك بفتح فوهة الأحواض المملوءة، بهدف تزويد القنوات (السواقي) المنتشرة بين أشجار النخيل بالماء الكافي<sup>5</sup>.

**4.2.1. السواني:** مفردها سانية؛ ويقصد بها الساقية أو الناعورة<sup>6</sup>، وهي تقنية سقوية تستخرج مياه الآبار بواسطة الدواب (النوق مثلا)، ويستند عملها على عجلة خشبية تسمى الدولاب، يدور حولها إلى داخل البئر حبل متين، يُربط في سافلته دلو مصنوع من جلد الأبقار سعته تقريبا ما بين

<sup>1</sup> - حمى الله التيشيتي، المصدر السابق، ص 351.

<sup>2</sup> - تعرف في تدكلت "كركاز" وفي مناطق شروين في توات وبلاد شنقيط "أشيلاي" أو "أسيلاي"، وفي مناطق أخرى مثل وادان تدعى "أشيلاي".

<sup>3</sup> - أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 435؛ محمد الأمين ولد الكاتب، المرجع السابق، ص 144-145.

<sup>4</sup> - Gullaume De Champeaux, Op. Cit, P 23-24.

<sup>5</sup> - Georges Poulet, Op. Cit, P 128.

<sup>6</sup> - مجد الدين الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص 816.

150 إلى 200 لتر، وحبل آخر خارج البئر يتحكم في ذهاب الدابة ومجيئها، وتخرق هذه العجلة أداة صلبة معلقة في أعمدة خشبية فوق البئر من أجل الحفاظ على توازنها الطبيعي<sup>1</sup>.

جاء العمل بالسواني نتيجة تضاؤل منسوب المياه الباطنية، لتخفيف الأعباء على المزارعين والرعاة، وهذه التقنية منتشرة في الصحاري، ويتسق ذلك باستحداث الشناقطة مسميات خاصة بأدواتها، فيعرفون الدولار بـ: "الكركاره" أو "التكركاره"؛ والحبل "أقان"؛ والدلو "الكرفة"؛ والعود الذي يخترق العجلة "جركنة"<sup>2</sup>. علاوة على ذلك، فإن أكبر البحيرات الجوفية في الجهة الشرقية من بلاد شنقيط "بحيرة الظهرة"، تقع في منطقة الحوض شرق مدينة ولاتة والنعمة، يستفاد من مخزونها المائي في أعمال السقي للمناطق المروية بواسطة الآبار، وفق تقنية السواني في مدن الحوض الشرقي والغربي معا<sup>3</sup>.

### 5.2.1. الفقارة<sup>4</sup>: نظام سقي تقليدي عرفته توات، يقوم على أساس اختيار أعلى نقطة ممكنة

لندفق المياه، تبعد عن مكان السقي - متغير غير ثابت - ما يقارب ثماني كيلومترات (8 كلم)، ثم يشرع في الحفر بالتدرج عبر أنفاق (أروقة) أرضية تتبع المنحدرات، ويراعى خلال الحفر تحديد مسافة ثابتة بين البئر والآخر تقدر بحوالي خمسة عشر مترا (15 م)، فكلما اقتربت السلسلة من مكان تفجير المياه على سطح الأرض، يتناقص الحفر مقابل تزايد كمية الماء، بفعل التسربات التي تحدثها الآبار الوسيطة المرتبطة بالقنوات الموصلة؛ وبالتالي فالماء المتدفق تجتمع فيه كل الآبار المغذية للفقارة<sup>5</sup>.

بعد تفجر مياه الآبار على وجه الأرض، يتم ربطها بالبساتين والقصور عبر قناة كبيرة مغطاة تسمى الساقية، توجد بها فتحات تهوية متباعدة لتحصيل مياه الاستعمال المنزلي، وينتهي ماء الساقية المشترك إلى القصرية، وهنا يأتي دور كيال الماء، ومهمته توزيع الأنصبه بالتساوي، عن طريق استخدام

1- إزيديه سيدي اجيد، التسجيل الصوتي السابق

2- نفسه.

3- نفسه.

4- الفقارة أو إيفلي باللسان الزناتي، واشتق الاسم من الفقر وقيل من تفجير الماء، ويرى البعض أنها مأخوذة من الفقار أي فقاقير الظهر، بينما يربطها آخرون بالفقر الذي هو الحفر؛ ينظر، مولاي عبد الله سماعيل، الفقارة وآليات توزيع الماء بتوات النشأة والتطور، ط1، دار الكلمة، الجزائر، 2017، ج1، ص 29.

5- Gullaume De Champeaux, Op. Cit, P 24.

صفيحة نحاسية مثقبة تسمى الشكفة أو الحلافة<sup>1</sup>؛ وهكذا، يتحول الماء إلى سواقي صغيرة خاصة، ثم يصب في الحوض (الماجن)، ومنه يمر في التابوت لسقي نخيل البستان والحقول (لگمامين).

ولابد من الإشارة إلى تخصيص حصص من مياه الفقارات لمصلحة مهاجري توات من الشناقطة، ويتضح ذلك من خلال الحبس الذي عقده مولاي عبد الله وصنوه مولاي عبد الكريم، حيث ذكر في نص العقد عدد البساتين (جنانات)، بالإضافة إلى حبات المياه التي تغذي النخيل والمزروعات، ومن تلك الفقاقير: فقارة بوموسي، وفقارة تفرافت، وفقارة عمرو بن يوسف، وفقارة ارحيل، وفقارة سالم...<sup>2</sup>، ولا زال يستفيد ملاك بساتين ولانة - المسماة باسمهم - من حصة مياه فقارات المنطقة<sup>3</sup>.

## 2. المحاصيل الزراعية

يولي سكان توات وشنقيط أهمية قصوى للزراعة، فهي تمثل عصب الحياة، لتحقيق الاكتفاء الغذائي للأسر والمجتمعات في حاضر وغابر عصورها، مثلما رأينا سابقا كيف اهتدى الأهالي إلى تقنيات سقي حكيمة؛ ولخدمة البساتين استعان المزارعون بالزواج الأفارقة، فهم يوظفونهم بشكل أساسي خماسين نظير حصة من التمور أو الحبوب، أو عمال دائمين يخضعون لتوجيهات كبار الملاك دون اعتراض، وهذا بدوره ينعكس إيجابا على ازدهار المنتج الزراعي<sup>4</sup>.

**1.2. غرس النخيل:** تمثل التمور شريان الأمن الغذائي الصحراوي، فلكونه الغذاء الرئيسي للغني والفقير، وشجرته تتأقلم مع المناخ الصحراوي الجاف، أخذت النخلة عند الشناقطة والتواتيين اهتماما زائدا مقارنة بغيرها من المزروعات؛ فلأجل إدراك المحصول الزراعي يسارع الفلاح إلى تخصيص الأعراس

1- Gullaume De Champeaux, Op. Cit, P 24-25.

2- عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر، الوثيقة السابقة، ص 2.

3- مولاي أحمد ماموني، مقابلة شفوية، صاحب خزانة محلية ومهتم بتاريخ بأولاد السي حمو بلحاج في قصور زاوية كنتة، تمت المقابلة بمنزله يوم: 2022/06/29م، الساعة السادسة والنصف مساء، قصر أغرماملال، زاوية كنتة، ولاية أدرار، الجزائر.

4- Deporter, Op. Cit, P 18.

خلال شهر فيفري ومارس<sup>1</sup>، عن طريق تعليق دعامة مفروشة بأزهار ذكرية تسمى "الذكار" في عذق العرش، ونتيجة ذلك تفتح الأعراش المخصبة بظهور البلح الممهد لإنتاج التمر<sup>2</sup>.

غالبا، ما تستمد النخيل المثمرة سمادها مما يزرع حولها، عن طريق تمدد جذورها إلى حقول الحبوب والخضروات<sup>3</sup>، وبغرض الحفاظ على منظرها وجودة ثمارها؛ تقلّم بين الفينة والأخرى الأوراق الذابلة والسفلية؛ وكذا، تقطع الأعراش التي تثقل كاهل النخلة وتؤثر في منتوجها، ثم يوجّه البلح -غذاء أساسي- لمواشي المزرعة؛ وهكذا، مع نهاية شهر يونيو وبداية شهر يوليو تنضج الثمار<sup>4</sup>، ومن ذلك الحين يصبح في المقدر قطفها يوميا لتلبية احتياجات الغذاء اليومي.

من الملاحظ مدى التفاوت الحاصل بين فترات جني الثمر داخل القطر الواحد، ومن ذلك أن واحات تجكجة الواقعة على هضبة تكانت، تزود آبارها -عمق 4 أمتار- بالماء الصافي والوفير خلال موسم الجفاف الصيفي، نتيجة توسطها سهلا تغمره المياه خلال موسم الأمطار، مما يجعل خريف نخيلها يتأخر قليلا حتى بداية شهر أغسطس<sup>5</sup>، ومرد ذلك رطوبة الجو جراء قرب المياه من السطح، بصورة تتحكم في تقديم أو تأخير الإنتاج، وهذه الخاصية تنطبق على واحات قورارة، التي تتخلف ثمارها عن منطقة تدكلت وتوات الوسطى قرابة الشهر.

يعتبر دخول فصل الخريف بداية موسم حصاد التمر، الذي يستمر إلى غاية شهر نوفمبر على أكثر تقدير، وخلال هذه العملية يتم فصل التمر الجيد عن الرديء، فيوجه الأول بعد تجفيفه وتكسيه إلى الأكل فيما يعرف "السفوف"<sup>6</sup>؛ بينما يحول الرديء منه "الحشف" إلى حيوانات المزرعة الأليفة، وزيادة على شهرة غذاء التمر، وسلعته التجارية الراجعة مع شمال وجنوب الصحراء، يستعمل للدواء أيضا، فهو نافع للبلغم والهضم، وهو أجود ما يصنع منه الرب لزقاق السمن<sup>7</sup>. وفيما يلي هذه بعض

<sup>1</sup> - المختار بن حامد، الجغرافيا، المرجع السابق، ص 13.

<sup>2</sup> - A-G-P. MARTIN, *Les Oasis Sahariennes (Gourara-Touat-Tidikelt)*, édition De L'Imprimerie, Amgerienne, 1908. P 292.

<sup>3</sup> - Ip. Id, P 292.

<sup>4</sup> - Ip. Id, P 292; ص 13. المختار بن حامد، الجغرافيا، المرجع نفسه، ص 13.

<sup>5</sup> - Georges Poulet, Op. Cit, P 78.

<sup>6</sup> - ضيف الله بن أب المزمرى، المصدر السابق، ج1، ص 162.

<sup>7</sup> - المختار بن حامد، الجغرافيا، المرجع نفسه، ص 13.

أنواع التمور ذات الأهمية الغذائية والتجارية، التي اكتسحت الأسواق الداخلية والخارجية؛ بفعل جودتها والطلب المتزايد عليها:

- **التمور التواتية:** ومنها: تينقور، وتنهودة، وأحيطان، وتيلمسو أو لحميرة، والدكلة، وتاقرناف، وتاقربوش، وتنمليحة، وترزاي، وتيناصر، ووركلية، وتقازة، ولعضم، وبالمخولف، وتينجوهرت، والورقلية، وانفال، ومسعودية، ودقلة الجدير، والشيخ أحمد، وترزاي ... إلخ
- **التمور الشنقيطية:** ومنها: وسكان، وتوازيد، وتاكت، والخواره، وتنترل، وتانكمط، وتنظام، وويتزل، وتنكذر، وتمنيحه، وانينهاوه، وأكافي، وآجب اندبكر، وقمر الحمر، ومعریش، وتنترل، وتنجدفت، وتيجب، وتيكيدرت، والفالحة، واتنصر، وتنكذر، وتمنيحه، وانينهاوه، واحبويه ... إلخ<sup>1</sup>.

**2.2. الزراعات المعاشية:** ينقسم هذا النوع من الزراعات إلى قسمين: صنف يستهلكه الإنسان، ويدخل ضمنه القمح والشعير والخضر والفواكه؛ والصنف الثاني يقدم كعلف للحيوانات الأليفة، التي يعتمدها الإنسان في غذائه، ولباسه، وأسفاره، وقضاء حوائجه اليومية، ويدخل ضمنه: التافسوت، والدخن، ومخلفات القمح والشعير.

لهذا تستغل ظلال أشجار النخيل والمساحات المحيطة بها، لزراعة أنواع الخضر والفواكه ذات الاستهلاك المحلي، فالكمية المحدودة جدا لا تسمح بتغطية الأسواق الخارجية، لذا فإن المحصول منها لا يتخطى حدود المنزل والأسواق الداخلية؛ ورغم ذلك دأب المزارع التواتي والشنقيطي على حرث مختلف الخضروات والفواكه، ومنها: المشمش، والخوخ، والتفاح، والسفرجل، والقرنبيط، والبصل، واللفت، والفاصوليا، والجزر، والقرع، والبطيخ، والطماطم، والباذنجان، واللوبيبا<sup>2</sup>.

إلى جانب المنتجات المتقدمة؛ يزرع الشناقطة القمح والشعير في شهر نوفمبر، سواء في: المناطق الوسطى والشرقية، التي يعتمد سقيها على مياه الآبار (آدرار، وتكانت، وودان، وشنقيط)؛ أو مناطق الغبلة الغربية المتشعبة بمياه الأمطار والفيضانات؛ أو "شمامة" التي تزرع بمياه نهر السنغال؛ أو "الركيز"

<sup>1</sup> - المختار بن حامد، الجغرافيا، المرجع السابق، ص 13؛ محمد الأمين ولد الكاتب، المرجع السابق، ص 144.

<sup>2</sup> - Deporter, Op. Cit, P 19; Étienne Richet, Op. Cit, P 157.

الذي ترويه مياه بحيرة الركيذ، ولعكيات وكرگل ودمان والبراكنة؛ على أن يتم الحصاد بعد أربعة إلى خمسة أشهر من الحرث، فتكون البداية بالشعير في شهر فيفري، ثم القمح في شهر مارس<sup>1</sup>.

لا تختلف العادات التواتية عن مثيلاتها الشنقيطية، فالموسم الفلاحي التواتي الذي يعرف باسم "توبر"، يبدأ في غشت ويستمر إلى حدود شهر نوفمبر أو ديسمبر، ويحدد محليا تاريخ 14 أكتوبر من كل عام إنطلاق الموسم الفلاحي، ليختتم بالحصاد والدرس المصادف لشهر مارس وأفريل؛ ولهذا، قبل البذر يُسبَق الفلاح تهيئة الحقول بداية من شهر غشت. عن طريق إضرام النيران في المساحات الفارغة؛ بغرض القضاء على الحشائش وتنظيف التربة من الطفيليات، وهو بذلك يعمل على تسميد التربة ببقايا الأعشاب والأشجار<sup>2</sup> والحيوانات خصوصا الأغنام.

وهناك حملتان موسميتان لزراعة الحبوب ومشتقاته<sup>3</sup>؛ حملة شتوية: أهم محاصيلها القمح والشعير؛ وحملة صيفية - خريفية: يزرع فيها الدخن والذرة<sup>4</sup>؛ ورغم هذا، يبقى خيار الاستيراد واردا، ففي توات يغلب عند ساكنة بودا وتوات السفلى زراعة القمح والشعير، عكس مناطق قورارة وعين صالح وأولف، الذين يغرسون النخيل أكثر من القمح والشعير<sup>5</sup>، مما يجعل الإنتاج المحلي غير كاف، والاستعانة بمناطق الجوار أمر لازم، إما بواسطة تبادل السلع محليا بالقمح والشعير، أو استيراده من أسواق الجنوب الوهراني أو تافيلالت؛ وحتى من السودان الغربي بالنسبة لبلاد شنقيط<sup>6</sup>.

من الزراعات المعاشية التي توسعت حراحتها في مناطق القطرين، محصول الذرة الشامية مع الدخن بأصنافه المختلفة، وبالأخص؛ البشنة التي تدرك في حدود ثلاثة إلى أربعة أشهر؛ والتنافسوت؛ والسرغو؛ والشركاش (اللب أو الفول السوداني)، الذي كان يزرع في مناطق الكبلة؛ ومنه نوع اسمه "افندي" يزرع في واحات آدرار وتگاننت ووادان؛ و"متری" الذي يزرع في المنخفضات الرطبة على الضفة الشمالية

<sup>1</sup> - المختار بن حامد، الجغرافيا، المرجع السابق، ص 22؛ محمد الأمين ولد الكاتب، المرجع السابق، ص 145.

<sup>2</sup> - مبارك جعفري، الأزواد، المرجع السابق، ص 262.

<sup>3</sup> - محمد الأمين ولد الكاتب، المرجع السابق، ص 145.

<sup>4</sup> - Martain, Les Oasis Sahariennes, Op. Cit, P 306.

<sup>5</sup> - Deporter, Op. Cit, P 49

<sup>6</sup> - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 58؛ حماد الله ولد السالم، بلاد شنقيط، المرجع السابق، ص 271-272.

لنهر السنغال في وكرقول والبراكنة بالقرب من القرى<sup>1</sup>. ومن ضمن هذه المنتجات، ما يكون في الغالب علفا للحيوانات، مثل: البشنة والسرغو والتافسوت، فيتم حرثهم عقب تمام موسم الحصاد والدرس (شهري مارس وأفريل)، على طول ساقية المياه التي تسقي النخيل، أو تخصص حقولا خاصة بهم، وهي تعتبر من المنتجات التي يكثر الطلب عليها في أسواق أفريقيا الجنوبية، لاسيما وأن لها نسبة من الحلاوة في مذاقها<sup>2</sup>.

**3.2. الزراعات التسويقية:** ويقصد بها المنتجات الموجهة للسوق، نتيجة الطلب المتزايد عليها، ومنها النباتات الزراعية الآتي ذكرها:

**1.3.2. الحناء:** تنمو على شكل شجيرات صغيرة بارتفاع 40 أو 50 سم، لها جذور وتدية حمراء، وساق كثيرة الفروع والأفرع، زاهية الاخضرار قبل النضج، وبنية اللون بعد النضج، أما أوراقها الناعمة الشكل، فهي تستعمل بعد حصادها للصبغة، عن طريق خلط الأوراق المجففة مع قليل من الماء، لتشكيل عجينة فضفاضة، توضع على الشعر أو الجلد أو الجسم المراد صبغه، كما تستخدم -أيضا- في العلاجات الطبية لتكميد جراح الرجال، وحتى الحيوانات<sup>3</sup>.

عن طريق تعقب أماكن نمو شجيرة الحناء، يتضح أنها من النوع المتكيف مع بيئات خاصة، لاسيما أن رواجها في توات منحصر على المنطقة التي تحمل اسمها "توات الحناء"<sup>4</sup>، ومن ثمة يبدأ محصولها في التراجع كلما انعطفنا شمالا أو جنوبا، وكذلك اقتصارها على مناطق شنقيطية محدودة: كآدرار والعصابة والشمامة وتحكجة<sup>5</sup>، وعليه يمكن القول إن الطابع الفيزيولوجي للنبته، قائم على أساس التكيف مع تربة معينة، تتأثر بكل طارئ لا ينسجم مع الشروط البيئية المحيطة بها.

**2.3.2. التبغ أو الشمّة:** عبارة عن نبات سنوي تزرع بذوره في مشاتل، ثم يعاد نقل شتلاته إلى الحقول والبساتين، فتوضع في مربعات منخفضة محاطة بخزان صغير يحتفظ بالمياه، ويراعى أثناء الغرس

<sup>1</sup>- Exposition Coloniale Internationale, La Mauritanie, Société D'éditions Géographiques, Maritimes Et Coloniales, 184, Boulevard Saint-Germin, Paris, 1931, P 29.

<sup>2</sup>- زاجية هرياش، المرجع السابق، ص 213.

<sup>3</sup>- Martain, Les Oasis Sahariennes, Op. Cit, P 308.

<sup>4</sup>- Ip. Id, P. 308.

<sup>5</sup>- المختار بن حامد، الجغرافيا، المرجع السابق، ص: 18.

تباعدا الشتلات (مسافة 30 أو 40 سم بين كل قدم). يبدأ موسم حصاد التبغ في شهر يونيو، ومن علامات نضج أوراقه، تغير لونها من الاخضرار الداكن إلى الاخضرار المصفر، حيث تربط بعد الحصاد في حزم صغيرة بغرض الاستهلاك أو المتاجرة، لتصبح جاهزة للتناول بعد أن تحول مكوناتها إلى مسحوق، كما تدخن معظم الأحيان في أنابيب صغيرة<sup>1</sup>.

رغم تكيف التبغ مع مجموعات متنوعة من الأتربة، إلا أن التربة الطمية الرملية والطينية هي الأنسب لزراعته، إذ تعد زاوية كنتة في توات الوسطى سوقه الرئيسي<sup>2</sup>، ولكون عشبته لا تكابد مياه تساقط يزيد هطولها عن 100 سم؛ كان من العسير تأقلمه مع الأجواء الشنقيطية، لأن تحفيف الأوراق بعد الحصاد يتطلب طقسا جافا وأشعة شمس ساطعة<sup>3</sup>، وبلاد شنقيط تعرف أمطارا غير منتظمة خلال السنة، مما يؤثر في محصوله حال النضج، خلاف توات فالأمطار شبه منعدمة.

في استشهد العلامة القصري بالتواتين ومغاربة الأقصى، لمعرفة أحوال الشمة جيدها من رديتها، إشارة ذات دلالة لمحدودية الإدراك الشنقيطي بجبايا هذه العشبة، وإقرار بمدى احترافية أهالي توات ومدن الجنوب المغربي في إنتاج وتصدير مادة التبغ، ومما قاله في شأن ذلك: "شهدت لدى جماعة من أهل سلجماسة ودرعة وأتوات، ولا يبعد عندي استحالة تواطئها على الكذب، وهي من أهل المعرفة بالشّم وأحواله من حصد وتجهيز، وما يؤدي لفساده وغير ذلك من شؤونه..."<sup>4</sup>.

كما يشير المهدي ولد مولاي الحسن في السلسلة الصحراوية، أن مؤسسي النعمة الجدد كانوا يغرسون نبتة الشمة، وذلك عند حديثه عن الآبار التي تغذي الحاضرة بالمياه، حيث يتراوح عمق البئر الواحدة ما بين 5 و10 أمتار، مياهها ممتازة، ويوجد قرب كل بئر حقول تبغ كثيرة<sup>5</sup>. وهذا الأمر ليس بالمستبعد، فهي تمثل المنتج الرئيسي لمنطلقهم في زاوية كنتة من إقليم توات.

<sup>1</sup>- Martain, *Les Oasis Sahariennes*, Op. Cit, P 309.

<sup>2</sup>- Ip. Id, P 309.

<sup>3</sup>- سيلفا غانم، زراعة التبغ: طريقة زراعته وتخزينه وأخطر 4 آفات تصيبه، منصة فهرس، متاح [على الخط]، <http://faharas.net/tobacco-cultivation>، تاريخ التحميل، 2 أكتوبر 2022م، الساعة، 23:00.

<sup>4</sup>- القصري بن محمد المختار، المصدر السابق، ج3، ص 178.

<sup>5</sup>- Mahdi Ould Moulay El Hassan, Op. Cit, P 244.

**3.3.2. القطن:** يعيش في متوسط درجة حرارة تفوق 40°صيفاً، وتنخفض إلى حدود 0°شتاءً، ينمو على شكل شجيرة يصل ارتفاعها المترين، بحيث تثبت جذوره على حافة ساقية الري، وبعد أن تزهر أوراقه تعطي كبسولات بحجم حبة الجوز الصغيرة، تحتوي عموماً على خمسة بذور، مغطاة بطبقة رمادية يوجد بداخلها قطنه بيضاء، شبيهة بتلك المتواجدة في بلدان المناطق الاستوائية المجاورة<sup>1</sup>. وعلى الرغم من نمو الشجرة في أغلب المقاطعات التواتية، وكذا في تكانت أين تنمو بشكل عفوي، تبقى ثقافة القطرين الإنتاجية الموجهة للتصدير ضعيفة، بسبب المنافسة الشديدة التي يفرضها القطن الشمالي، وعدم توظيف المحلي بشكل أوسع في الصناعات النسيجية<sup>2</sup>.

**4.3.2. الصمغ العربي:** يعرف بأيروار أو العلك، ومن أنواعه المنتشرة في شنقيط "الأكاسيا"، يصمغ في أكتوبر ويستمر إلى مايو، إلا أنه يقل في الأربعين ليلة الأولى من الشتاء بسبب الكريس، وصمغه أهم ما في مناطق الغبلة لكونه سلعة تجارية رئيسية<sup>3</sup>، توجد أشجاره في أفطوط الشرقي على بعد 30 إلى 40 كلم شمال إكيدى؛ لكن الغابات الكبيرة التي يمكن للمرء السير فيها عدة أيام متتالية دون انقطاع، توجد في الجهة الشرقية: الركيبة، وأفولة، والحوض، هذا بالإضافة إلى وجود أعداد قليلة من الصمغ الرديء في تكانت، إذا ما قورنت بغيرها من أشجار المناطق الأخرى<sup>4</sup>.

زاد من أهمية هذه المادة ارتفاع قيمتها في الأسواق الأوروبية، تحت تأثير تطور صناعة النسيج والأدوية، فكانت الشركات التجارية المتمركزة على السواحل، تضمن استمرارية التبادل التجاري في مجال العلك بواسطة اتفاقيات مع أمراء القبائل، يتحصل بموجبها الأمير على إتاوات سنوية عند بداية كل موسم، ومن ذلك اتفاقية 10 مايو 1875م بين أمير البراكنة محمد ولد المختار، والقنصل الفرنسي "جون بابتيست ليونارد دوران" (Jean Bptise Leonard Durand)، حددت في مادتها العاشرة مجموع الإتاوات السنوية التي يستفيد منها الأمير البراكني<sup>5</sup>.

<sup>1</sup>- Martain, *Les Oasis Sahariennes*, Op. Cit, P 310.

<sup>2</sup> - Ip. Id, P. 311; Georges Poulet, Op. Cit, P 77.

<sup>3</sup>- المختار بن حامد، *الجغرافيا*، المرجع السابق، ص 13.

<sup>4</sup> - Georges Poulet, Op. Cit, P 79.

<sup>5</sup>- محمد الراضي بن صدفن، *السياسة الإستعمارية الفرنسية في موريتانيا وأثرها على الأوضاع الاقتصادية والإجتماعية بين 1900-1969*، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف، د، خليفة شاطر، كلية تونس للعلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة تونس، 1992-1993، ص 47.

ينبغي أن نشير إلى وجود شجرة الصمغ قديما في توات، حسب ما نقله الضابط مارتان بشأن العثور على بقايا صنفين من أشجار الصمغ بأعداد كبيرة؛ أحد الصنفين متحجر يتراوح طوله بين 40 و60 سم؛ والآخر عبارة عن جذوع أشجار قطرها أكثر من 30 سم، كما حدد مكان تواجدهما في بلدة تاوريرت التابعة لمقاطعة رقان جنوب توات<sup>1</sup>.

### 3. الرعي وتربية المواشي

إن الاعتناء بالحيوانات الأليفة يكون بالحفاظ على حياتها، ونظرا للخدمات الكبيرة التي تقدمها للإنسان؛ يسعى الرعاة جاهدين للبحث عن الكلاء بين المراعي، ولو كلفهم ذلك قطع المسافات الطويلة للوصول إلى مظان الانتجاع.

**1.3. المناطق الرعوية:** اعتاد الرعاة التواتيون والشناقطة البحث عن مناطق الرعي، في ظل ندرة الأمطار وعدم انتظامها، مما ينتج عنه عدم توفر مراعى جيدة، غير أن هناك مراعى تواتية تكثر حيث تطفو بعض المياه الجوفية أو مجاري الوديان بعد جفافها، فتنمو بعض الحشائش والشجيرات، كالرقيق، والرتم، والعزل، والحض، والعاندة، والباقل، والمرخ، والقطف، والدرين، ومن ثمة تصبح أماكن صالحة لرعي الحيوانات، ومثال ذلك المرعى الذي يطلق عليه أهالي تدكلت اسم "الغابة"<sup>2</sup>.

تختلف المناطق الرعوية في شنقيط حسب تقسيمات السطح<sup>3</sup>؛ إذ تعتبر منطقة تيرس زمور غربي آردار، أرضا واسعة تكثر فيها الإبل بموجب توفرها على مناخ ملائم لتنميتها، مما يجعل منمين الجنوب ينتقلون نحو الشمال خلال فترة التساقط، والتي غالبا ما ينجر عنها وجود بعض المستنقعات في المناطق الجنوبية، وما يصاحب ذلك من انتشار البعوض، وبالتالي تفشي الأمراض الفتاكة نظرا لغزارة الأمطار، وبالمقابل هناك حركة معاكسة للمنمين في فصل الحرارة (الصيف)، بسبب قلة مصادر الكلاء، فيضطر رعاة الشمال إلى التنقل صوب الجنوب وذلك طلبا للانتجاع<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - Martain, Les Oasis Sahariennes, Op. Cit, P 347.

<sup>2</sup> - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 58.

<sup>3</sup> - محمد الراضي بن صدفن، المرجع السابق، ص 22.

<sup>4</sup> - نفسه، ص 37. محمد خميس الزوكة، جغرافية العالم العربي، ط2، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2000، ص: 318.

من خلال تتبع أنماط المراعي الطبيعية (الحارة، والمعتدلة، والصحراوية)<sup>1</sup>، يمكننا إدراج المراعي التواتية والشنقيطية ضمن إحدى المجموعات الكبرى، فتوات بطابعها الصحراوي الصرف عرفت نوعاً واحداً، عكس شنقيط التي تأثرت بمناطقها بالتيارات الساحلية الخارجية؛ لذا ينصب اهتمام الرعاة على تربية الإبل والأبقار والأغنام والحمير في أماكن مخصصة تسمى "الزربية"، وينتجعون بها من حين لآخر بين المساحات الخضراء عند البرك والمستنقعات والأودية المترعة بمياه الأمطار<sup>2</sup>.

نظراً لما تدره المواشي من أرباح طائلة في الحياة الاقتصادية البدوية، يشارك جميع أفراد القبيلة في رعايتها، لدرجة أن بعض الأهالي يمنعون أبناءهم من التعليم بحجة الرعي<sup>3</sup>، وقد تصدرت قبائل زوايا المرابطين هذه الحرفة عن طريق حفر الآبار وصيانتها ورعاية المواشي<sup>4</sup>، ويشارك النساء أزواجهن في الرعاية، وهذا ما لاحظته "كاوبولاني" أثناء تواجده في شنقيط أواخر القرن (19م)، أن النساء يتجهن بقطعان الماشية من الأغنام والإبل والأبقار نحو المراعي، غير آبهين بالمخاطر من نهب وسلب في كثير الأحيان بسبب التنقلات الدائمة وغياب الأمن<sup>5</sup>.

**2.3. تربية الحيوانات:** تعد تربية الحيوانات سمة بارزة عند المجتمعات البدوية والصحراوية؛ ولهذا يتجه السكان إلى خيار تربيتها أمام وفرة بعض المراعي الخضراء، سواء في البساتين أو على ضفاف الأنهار والمحيطات والسهول ومجاري الوديان، ومن أهم أنواع الحيوانات في توات وشنقيط نجد:

**1.2.3. الإبل:** تكتسي تربية الإبل أهمية خاصة فهي وسيلة انتقال وتغذية، فالناقة مثلاً تعطي من أربعة إلى ثمانية لترات حليب في اليوم، وتقل هذه الكمية عند آخر الرضاعة إلى اثنين أو ثلاثة لترات؛ وفضلاً عن ذلك فالإبل توفر الوبر اللازم لنسج الملابس وصنع الزرابي وتشبيد الخيام، التي تعتبر

<sup>1</sup> - محمد خميس الزوكة، جغرافية العالم العربي، المرجع السابق، ص 318.

<sup>2</sup> - الرائد أفيرير جان، قصص مغامرات وجولات وحروب في بلاد البيضان (موريتانيا) 1903-1911، تقديم وتعليق وترجمة، جنيف ديزيري فيمين، حقوق النشر والطباعة محفوظة للناشر، د د ن، د ت، ص 455.

<sup>3</sup> - مبارك جعفري، الأزواد، المرجع السابق، ص 270.

<sup>4</sup> - الرائد أفيرير جان، المصدر السابق، ص 233؛ الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 35.

<sup>5</sup> - إيمان رجب زكي تمام، أضواء على الأنشطة الاقتصادية في بلاد شنقيط (موريتانيا) من خلال النوازل الفقهية القرنين (12-13هـ/18-19م)، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، مجلة علمية نصف سنوية محكمة، جامعة الأزهر، المجلد 34، العدد 2،

أبريل 2021، ص 1885.

المسكن الرسمي للغالبية العظمى من الرحل، وتقدر الإحصائيات أن مادة الوبر المتحصل عليها من الجمل الواحد، قد تصل إلى أربعة كيلوغرامات عند جزه في فصل الربيع<sup>1</sup>.

ترعى الإبل في أغلب المقاطعات التواتية بدرجات متفاوتة، وبالرغم من كونها حيوانا صبوراً يتكيف مع الطبيعة الجافة، إلا أن تربيتها تقتصر على قبائل محدودة، مثل قبيلتي أولاد زنان وكننة في تدكلت؛ ولهذا يصنف سلكة عبد الرحمان (Selka Abderrahmane) منطقة توات ضمن أضعف الأقاليم الصحراوية تربية للإبل؛ بسبب إهمال السكان الذين يتحججون بمصاريفها الباهضة أمام انعدام المراعي القريبة، في حين أنهم لا يكلفون أنفسهم المشي مسافة يوم أو يومين للوصول إليها، وبالتالي فإن مصير أغلب الإبل المتاحة الذبح أكثر من التملك الخاص<sup>2</sup>.

إذا انتقلنا إلى منطقة الحوض الموريتاني منفذ التواصل التواتي - الشنقيطي، فإن الاعتناء الجيد بتربية الإبل تأخر حتى أواخر القرن التاسع عشر<sup>3</sup>، فالجمال كانت تربي بكثرة في المناطق السهلية في كل من سهول أوكار بمنطقة الجنوب الشرقي؛ وكذلك سهول تيرس وتازيازت في الشمال الغربي؛ بالإضافة إلى منطقة الركببية التي تقدر بعض الإحصائيات عدد جمالها بـ 30 ألف رأس؛ بينما تبقى أفضل الإبل تلك المتواجدة في تلال آدرار سطوف على حدود ريو دي أورو<sup>4</sup>.

إن كانت قبائل زوايا تندغا، وباريك الله، وأولاد بييري، وإداوعللي، أصحاب ثروة هائلة من الإبل، فقطعائهم عرضة بين الحين والآخر لمدهامات قبائل المحاربين، الذين يعيشون على الإغارات ولا يكرسون أنفسهم للعمل الرعوي، فهناك بعض القبائل الحسانية ممن يملكون جمالا كأولاد دليم والترارزة، إذ تمثل

<sup>1</sup> - محمد الصالح حوتية، آل كننة دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، ط1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 89؛ محمد الرازي بن صدفن، المرجع السابق، ص 36.

<sup>2</sup> - Selka Abderrahmane, Notic sur le Touat, Bulletin Société De Geographie D'Alger Et De L'Afrique Du Nord, Vingt-septième année, 3e trimestre 1922, n° 90, P 551.

<sup>3</sup> - إزيديه سيدي إبيد، التسجيل الصوتي السابق.

<sup>4</sup> - Étienne Richet, La Mauritanie, Préface, De Paul Painlevé, Membre de l'Institut, Ancien président du Conseil. Émile Larose, Libraire-Éditeur 11, Rue Victor-Cousin, 11, Paris, 1920, P 149-150.

الإبل مصدر رزق وتجارة عند التراززة، الذين يراعون جمالهم بعيدا عن مناطق انتشار أوبئة الجرب، والحشرات التي تحدث لدغتها خسائر في صفوف القطعان<sup>1</sup>.

اعتبارا أن منفعة الماشية تنتقل من مالكيها الأصليين إلى الورثة، تطرق العلامة القصري إلى مسألة اغتصاب الإبل، ومن يشتري بعيرا من اللصوص وهو عالم أنه مغصوب<sup>2</sup>، إضافة إلى قضية ضمان الوكيل السابقة، في شأن تقديم جماعة الرقادة سيدي محمد بن الحسن الرقاد، تقويم متاع مولاي علي بن مولاي الشيخ عام 1207هـ/1171م، فالملاحظ أن محرر النازلة وطد عدد الجمال التي خلفها مولاي علي أكثر من الأموال التي تركها في ذمم الوكلاء<sup>3</sup>.

**2.2.3. الأغنام:** تعتبر الأغنام من المواشي التي تملكها جميع العائلات، حيث تربي كل عائلة تواتية حسب ثروتها عددا قليلا من الأغنام أو النعاج تسمى "الدمان"، وهي عبارة عن سلسلة هجينة، تُسْتَمَدُّ من تزاوج الأغنام العربية مع السيداون، ويكون استخدامها عائليا خاصا، ولا تعرض للبيع إلا في الحالات القصوى، أما شكلها فهي بدون صوف ولا قرون، طويلة الساقين كبيرة الحجم ذات لحم لذيذ، توفر إناثها كميات كبيرة من الحليب تتناسب ودرجة خصوبتها<sup>4</sup>.

أما عن الأغنام المنشرة في شنقيط؛ فهي كثيفة الشعر، عالية الأرجل، تشبه إلى حد ما مظهر الماعز، ترعى في ربوع البلاد قاطبة خاصة سهول تيرس في الشمال، وإلى حد ما بين قبائل أولاد دليم المحاربة والركبية والتراززة، وقرب خليج ليفريه نواحي نواذيبو، بالإضافة إلى زوايا تكانت وآدرار عند قبائل كنتة وإدواعلي وإديشلي وسماسيد أوجفت، وباريك الله في إنشيري، كما أن قبائل زناغة في غرب شنقيط تكرر نفسها لتربية الأغنام والماعز<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - Étienne Richet, Op, Cit, P 147.

<sup>2</sup> - القصري بن محمد المختار، المصدر السابق، ج3، ص ص 446-470.

<sup>3</sup> - محمد بن عبد الله بن الحسن الرقادي، الوثيقة السابقة.

<sup>4</sup> - Selka, Op. Cit, P. 550; Gullaume, Op. Cit, P 12

<sup>5</sup> - Georges Poulet, Op. Cit, P 78; Étienne Richet, Op. Cit, P 153.

### 3.2.3 الحمير: تستعمل في المناطق النائية لتوفير ضروريات الحياة، وتنمية الاقتصاد المحلي<sup>1</sup>،

وذلك لسهولة اقتيادها واقتنائها، بمعدل حمار واحد لكل عائلة، فهي رفيقة الإنسان في المسافات القصيرة والمتوسطة، وقد خصص ضيف الله بن آب المزمري خلال رحلته بين القصور التواتية صائفة عام 1160هـ/1747م فصلا سماه "فوائد تتعلق بالحمار"، عدّد خصاله وأقوال العلماء فيه، كيف لا وهو أنيسه بعدما انقطع عن الجماعة في أحلك الظروف، فور سماع خبر وصول ابن عمه، فبدّل الوجهة قافلا لموطنه زاوية كنتة، على أمل إيجاد تركة أبيه مع ابن عمه العائد من تميمون<sup>2</sup>.

كما أورد الرائد أفير جان طرائف قافلة حمير بلغ تعدادها حوالي 217 حمارا، انطلقت محملة بالبضائع من سواحل شنقيط تجاه آدرار في 04 نوفمبر عام 1904م، فكانت في نظره خير رفيق في الرحلة، التي عوضت الحمير فيها الجمال الهالكة جراء المطر، ومما قاله في ذلك: "لا بد من الاعتراف بأن هذه القافلة على غرابتها تمتاز بإيجابيات عديدة، فهي سهلة التجميع، سهلة المراقبة وسهلة الإقنياد للسير... كما أن سرعتها منسجمة مع سرعة الرماة الراجلين"<sup>3</sup>.

### 4.2.3 حيوانات أخرى: تربي الدواجن بأعداد قليلة جدا في المزارع التواتية والشنقيطية، إضافة

إلى الثيران والخيول ذات الاهتمام المتفاوت بين رعاة الأقاليم<sup>4</sup>، ولأن الخيول تستعمل غالبا للزينة والحروب، انحصرت حيازتها عند العائلات الثرية، أو الشخصيات المشهورة، وفي الحروب، ومن ذلك أن الشيخ سيدي يدر التيطافي كان يمتطي فرسا، عندما تصادف مع الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم في السبخة الموجودة ما بين تمنطيط والمنصورية<sup>5</sup>.

على الرغم من قلة تربية الخيول في الصحراء؛ هناك سلالة مرغوبة بشدة في منطقة الحوض الموريتاني طويلة القامة تختلف عن الخيول الشنقيطية القصيرة<sup>6</sup>، بالإضافة إلى سلالة الحصان العربي الأصيل في

<sup>1</sup> - ت. أبونجا، المصادر والتقنيات الخاصة بالتاريخ الإفريقي (لمحة عامة)، تاريخ إفريقيا العام المنهجية وعصر ما قبل التاريخ في إفريقيا، إشراف، ج. كي-زيربو، منظمة اليونيسكو، 1980، مج1، ص 93.

<sup>2</sup> - صيف الله بن آب المزمري، المصدر السابق، ج1، ص 182-183.

<sup>3</sup> - الرائد أفير جان، المصدر السابق، ص 476.

<sup>4</sup> - Exposition Coloniale Internationale, Op. Cit, P 35; Gullaume, Op. Cit, P 12.

<sup>5</sup> - عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص 160.

<sup>6</sup> - تنتشر الخيول القصيرة في سائر أقاليم التكرور بما فيها شنقيط؛ أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق، إسماعيل العربي، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970، ص 90.

تكانت وآدرار، يصل سعر الواحد منها حوالي 1200 فرنكا. ويمكن القول إن الاعتماد على الجمال في المناطق الرطبة يتحول لصالح الثيران، التي عادة ما يتم توظيفها على ضفاف الأنهار في أوقات الحصاد، فهي تقاوم الأوبئة الخطيرة وتتأقلم أكثر في المناطق غير الرملية<sup>1</sup>.

## المبحث الثاني: الحرف والصناعات التقليدية

### 1. المواد الأولية للصناعات والحرف

ترتبط بالنشاط الفلاحي أنشطة أخرى لا تقل أهمية عنه، فالحرف والمهن اليدوية مكمل حيوي لما تنتجه البساتين، وما تنعم به الطبيعة من خيرات جمّة، ولتوفير متطلبات الحياة، أتجه الإنسان التواتي والشنقيطي لاستغلال خيرات أرضه الظاهرة والباطنة المتوفرة على مواد أولية مهمة، ومنها:

#### 1.1. المعادن: وتتمثل في:

**1.1.1. الملح:** يعتبر معدن الملح من المعادن الموجودة بكثرة في بلاد شنقيط، حيث يتم الحصول عليه بشكل أساسي من السباخ التي تغمرها المياه بشكل دوري<sup>2</sup>، ومن أبرزها "سبخة إجيل"، التي تبعد عن مدينة شنقيط بنحو خمسة أو ستة أيام<sup>3</sup>، ويبلغ طولها حوالي ثمانية عشر ميلا وعرضها سبعة أميال، وتحتوي على أربع طبقات من الملح ذات الجودة متفاوتة أفضلها الطبقة العلوية، وهذه الملاحه يستغلها الشناقطة مقابل رسوم تدفع لملاكها من قبيلة كنتة<sup>4</sup>.

أفادت إحدى الحملات الاستكشافية الأوروبية عام 1908م، والتي قادها المستكشفان "گروفيل" (Gravel)، و"تشيدو" (Chudeau)، عن وجود مقال ملحية أخرى نواحي التراززة، تصنف محليا في المرتبة الثانية بعد سبخة إجيل من حيث الأهمية الاقتصادية، استثمرتها قبائل البيضان على نطاق واسع، وقدر إنتاجها السنوي حوالي 124000 طن من الملح الناصع والخليط، ومن أهم ملاحاتها: نثيررت (N'Terert)، وتويدرمي (Tuidermi)، وتنجران (Tin-Jemaran)<sup>5</sup>.

1- Étienne Richet, Op. Cit, P 152.

2- Exposition Colonial Internationale, Op. Cit, P 39.

3- أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 522.

4- Georges Poulet, Op. Cit, P 108.

5- Exposition Colonial Internationale, Op. Cit, P 40.

تجدر الإشارة إلى أن ملاحظة أوليل التي تحدث عنها الجغرافيون العرب في العصور الوسطى، باعتبارها أكبر مزود للسودان بهذا المعدن الثمين<sup>1</sup>، الذي يدخل ضمن تشكيل كثير من الحرف والصناعات كالدباغة، وتجفيف اللحم والسّمك، وصناعة العقاقير الطبية<sup>2</sup>، تقع على وجه التقدير بين تويدرمي (Tuidermi) شمالاً، وسكّمت (Sokmat) جنوباً، وليس بعيداً أن يكون الأمر متعلقاً، بصفة خاصة بنتيررت (N'Terert)، وهي أهم ملاحظات الترازرة<sup>3</sup>.

من السباح التي اشتهرت بها توات، سبخة تيميمون، فهي خطيرة خلال فصل الشتاء لارتفاع منسوب المياه بها، تكون أرضها رطبة وطينية من الصعب اجتيازها أو العمل فيها، وبالتالي فإن أحسن الأوقات لحصاد ملحها فصل الصيف، أين تصبح الأرض صلبة وجافة، ويمكن عبورها والعمل فيها دون مخاطر<sup>4</sup>؛ وهناك منجم الملح بأقبلي جنوب شرق توات، والذي يعتبر من أكبر مقالع الملح بالمنطقة، يستعمل ملحه في تجارة المقايضة مع بلاد السودان الغربي<sup>5</sup>.

**2.1.1. الحديد:** هو من المعادن القليلة الانتشار في القطرين؛ رغم الحاجة الماسة إليه في صنع السيوف والخنجر والفؤوس، فما كان متاحاً منه عبارة عن خام غير مستغل في تكانت وإجيل<sup>6</sup>، أو كبريت يستخدم لصبغ الجلد بالأسود في منطقة تدكّلت؛ فهناك وسط طبقات الحجارة، يستخرج الزنوج "الطملة"<sup>7</sup> بواسطة ضرب الحجر الذي يحتويها بحجر كبير حتى يتفتت، ثم يقومون بفرز وعزل الطملة عن الحجارة، ويجمعونها ويهرسونها بعناية، وبعد ذلك تخلط بالماء، وتدور بين الأصابع حتى تصبح عجينة كروية متماسكة، ثم تترك لتجف يوماً كاملاً، وعندئذ تباع بـ 0.10 فرنك للوحدة<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> - أبي عبيد عبد الله البكري، المصدر السابق، ج2، ص 385.

<sup>2</sup> - مبارك جعفري، الأزواد، المرجع السابق، ص 286.

<sup>3</sup> - محمد بن عميرة، معدن ملح أوليل واستغلاله في العصر الوسيط، مجلة الإتحاد العام للأثريين العرب، مجلة علمية سنوية محكمة تعني بنشر البحوث والدراسات المتخصصة في مجال آثار الوطن العربي وحضارته، إصدارات الإتحاد العام للأثريين العرب، العدد التاسع، القاهرة، 1429هـ/2008م، ص ص 115-132.

<sup>4</sup> - Deporter, Op. Cit, P 24.

<sup>5</sup> - الحاج البشير البرتلي، المصدر السابق (هوامش التحقيق)، ص 89.

<sup>6</sup> - Exposition Colonial Internationale, Op. Cit, P 39.

<sup>7</sup> - الطَّمْلُ أو الطَّمِيلَة: من خلال المعاني الكثيرة التي تحملها الكلمة، يعتقد أن المقصود منه القلادة الدائرية التي توضع في عنق الرقبة؛ ينظر، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص 1018.

<sup>8</sup> - Louis Voinot, Op. Cit, P 27.

حسب المختار بن حامد "الطملة" نوع من أنواع الونكل (طين أصفر صلب)، تتولد في حيطان كهوف الجبال، سوداء اللون لا تحتاج إلى الحرق، يوجد منها في الترازة "ونكل الذهب" لصفرتها، ويستعمل الونكل في أدوية الصفار؛ واللبن المتجمد في المعدة؛ وأمراض العين؛ ودبر الحمولة؛ وإنبات الشعر - محروقا مفتوتا - في السمن؛ ولصباغة الجلود - محروقا مفتوتا - في الماء<sup>1</sup>.

**3.1.1. النحاس:** إن الدلائل الأولى لاستعمال النحاس في إفريقيا الغربية تأتي من شنقيط، نتيجة استغلال الموارد المحدودة للنحاس حول مناجم أكجوجت الغنية، حيث تم اكتشاف 130 إناء نحاسيا مستوردا من شمال القارة، أرخت بالكربون 14 إلى القرن الخامس قبل الميلاد<sup>2</sup>، يجلب من خارج المدينة ويسبكه العبيد والخدم في الدور، فيصنعون منه قضبانا صغيرة بطول شبر ونصف، منها الرقيقة والغليظة، ثم يبيعونها<sup>3</sup>؛ ولقلة تواجده كان من المعادن الغالية الثمن في الصحراء وجنوبها.

**4.1.1. الكبريت:** تتعدد موارده في شنقيط مقابل تضاؤله في توات، فتوجد معادنه في بلاد الترازة، في كل من تاركة وتافلي، يستعمل كدواء لجرب الإبل؛ ولكثرته يقال: إنه لا تتمرغ جرباء في جنوب تافلي إلا برئ جربها كناية على كثرة الكبريت هناك<sup>4</sup>. وهو من المعادن القليلة جدا في توات، كانت تحضره القوافل التجارية إلى المنطقة، بغرض الحصول على الفحم الذي يستفيد منه السكان عن طريق قطع شجرة "الكرنكة" وحرقتها، فهذه الشجرة تغرس بكثرة في الحدائق التواتية<sup>5</sup>.

**5.1.1. الطمي أو الطين:** يستخرج من باطن الأرض، ويستعمل لمختلف الأغراض كبناء الدور أو سمد البساتين في المناطق الطينية، ومن أنواعه: الأصفر والأبيض والأحمر وتمتكة، ويعرف الطين الأبيض في ولاتة بـ "طين أعلي" نسبة إلى مكتشفه "علي"، وهذه الطيون في أربعتها تستعمل لصباغة الحيطان في ولاتة والنعمة وتيشيت، وفي نواحي ولاتة - أيضا - توجد "تراب مامه" نسبة إلى امرأة اسمها

<sup>1</sup> - المختار بن حامد، الجغرافيا، المرجع السابق، ص 27؛ إبراهيم طرخان، إمبراطورية غانا، المرجع السابق، ص 90.

<sup>2</sup> - ثورستان شاو، إفريقيا الغربية فيما قبل التاريخ، تاريخ إفريقيا العام، المرجع السابق، مج 1، ص 636.

<sup>3</sup> - ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 406.

<sup>4</sup> - المختار بن حامد، الجغرافيا، المرجع السابق، ص 26.

<sup>5</sup> - Gullaume, Op. Cit, P 16.

"مولاة" اكتشفتها قديما، وهي تراب شديدة البياض، ينقلها أهل ولاية إلى بيوتهم<sup>1</sup>، وما ينطبق على استعمال الطين والتراب يوظف بدرجات كبيرة في القصور التواتية.

**6.1.1. الحجارة:** تعتبر الحجارة أقدم المعادن استخداما في العالم، فالإنسان البدائي اعتمدها في صنع أغراضه واحتياجاته الأساسية في عصور ما قبل التاريخ، ورغم التطور الذي شهدته البشرية على مرّ العصور ظلت صلته بها وثيقة؛ ومن ذلك، أن الإنسان التواتي والشنقيطي كغيره من البشر حافظ على تقاليد استخداماتها البسيطة؛ فبنى بالحجارة مسكنه؛ وجعلها شواهدا لمداخن موتاه؛ وسنده في بعض الصناعات المحلية، كصناعة الرحي لطحن الحبوب وتفتيت علف المواشي ... إلخ.

**2.1. المستخلصات الحيوانية:** استغل المواطن التواتي والشنقيطي الحيوانات لجميع مشاغله، فإلى جانب استئناسه بها، كانت مصدر قوته وراحته، ومستفاده من ثرواتها في الحرف والصناعات، ومن أهم استعمالاتها:

**1.2.1. الجلود:** كانت مناطق البلدين تنتج كميات معتبرة من الجلود، لكونهما منطقتين رعويتين تعيش بهما مختلف أنواع الحيوانات الأهلية والمفترسة، وتستخدم الجلود في الكثير من الصناعات اليدوية كالخيام، والملابس، والنعال، والقروب، والمزاود، ومحافظ النقود، وأغماد السيوف، والسكاكين، والحقائب؛ وإلى جانب جلود الماشية الأهلية هناك جلود بعض الحيوانات المفترسة والزواحف، مثل: النمر، والأسود، والأفاعي، واللمط<sup>2</sup>، وبالدرجة الأولى يتم استغلال جلود الأغنام والأبقار والإبل التي يربها السكان أو يجلبوها من البلدان المجاورة.

**2.2.1. الحليب:** يستغل الحليب إلى جانب لحم المواشي، إذ يعتبر في الوقت نفسه مصدر غذاء وتجارة عند سكان البادية، وربما ينفذ عمر أحدهم دون أن يرى خبزا أو يأكله<sup>3</sup>، ومن الحليب تستخرج مشتقات كثيرة كالزبدة والسمن، والجبن الصلب المعروف محليا (لكليلة)، وفي أغلب المنازل تقريبا يوجد

<sup>1</sup> - المختار بن حامد، الجغرافيا، المرجع السابق، ص 27.

<sup>2</sup> - مبارك جعفري، الأزواد، المرجع السابق، ص 288.

<sup>3</sup> - أبي عبيد عبد الله البكري، المصدر السابق، ج2، ص 351.

كيس جلدي يعلق في الخيام أو البيوت يعرف "الشكوة"، يستخدمونه لرج الحليب واستخراج مشتقاته، وكانت النساء تقدمن على هذه الحرفة، بصفة خاصة<sup>1</sup>.

**3.2.1. المواد الحيوانية العضوية:** بقي المزارع التواتي والشنقيطي كغيره من المزارعين الأفارقة، بمعزل عن التطورات التي عرفها قطاع الزراعة، بالموازاة مع ظهور ما يعرف بالانقلاب الصناعي في بريطانيا عام 1820م، وانتقال شرارته إلى فرنسا في العقد الموالي عام 1830م<sup>2</sup>، وما أعقب ذلك من تحول صناعي في مختلف القطاعات، أدى إلى استحداث الأسمدة المصنعة عوض الأسمدة الطبيعية، المرتكزة أساساً على المخلفات البشرية أو الحيوانية، وهذه الأخيرة بدرجة أعلى خلال موسم الحرث، إما كوسيلة حرث لخدمة البستان أو مادة عضوية لتغذية التربة بالسماذ<sup>3</sup>.

**4.2.1. مواد متنوعة:** توجد مستخلصات حيوانية أخرى مستوردة زيادة على ما ذكرناه سابقاً، ولعل أهمها العاج الذي يؤتى به من المناطق الاستوائية والغابات، أين تكثر الفيلة، وفرس البحر، ووحيد القرن، فهو يستخدم عادة في صنع أدوات الزينة كمقابض السيوف والأسنان، بالإضافة إلى ريش النعام الذي يستخدم في صناعة المراوح والأرائك، وكذلك بيضه الذي تصنع به بعض العقاقير والأدوية لبعض الأمراض الموسمية مثل: البرد والروماتيزم<sup>4</sup>.

**3.1. الثروة النباتية:** يشكل النبات مكسباً اقتصادياً ثميناً، يدخل ضمن الموارد الأساسية لحياة الكائنات الحية، لذلك غرس الإنسان الأشجار ونثر البذور، وأحسن استغلال نباتات نشأت قرب منابع المياه أو في البراري، ومن تلك النباتات: الطلح، وأمور، والتامات، وتيشيط، والسدر (النبق)، والصدرة الخضراء، والحلفاء، والقصب، وزيطة، وضومران، والفرسيق، والسبب، والعقاية... إلخ<sup>5</sup>، حيث تكثر مثل هذه الأشجار في المناطق الصحراوية بأعداد متباينة من منطقة إلى أخرى وتتفاوت استعمالاتها.

<sup>1</sup> - مبارك جعفري، الأزواد، المرجع السابق، ص 288.

<sup>2</sup> - جمال حمدان، استراتيجية الإستعمار والتحرر، ط1، دار الشروق، بيروت، 1403هـ/1983م، ص 103.

<sup>3</sup> - Martain, Les Oasis Sahariennes, Op. Cit, P: 291; Georges Poulet, Op. Cit, P 77.

<sup>4</sup> - مبارك جعفري، الأزواد، المرجع السابق، ص 289.

<sup>5</sup> - Louis Voinot, Op. Cit, P 23; 28 المختار بن حامد، الجغرافيا، المرجع السابق، ص 28

وفي العادة تستغل مكوناتها للتداوي من أمراض الجروح والمعدة والحروق، ومن ذلك يستعمل ليف الطلح لترطيب معدة الرضيع، ولمعالجة مشكل الغثيان وضعف الهضم ينقع أمور في الماء مع الملح، ويستعمل كدواء للحروق وتضميد الجروح - أيضا - هو ونبات التامات وتيشط، وتجمع أوراق الصخرة الخضراء (آتيل)، وتغلى في السمن لتلحيم الجراح وإزالة الغثيان، ويعتبر الآتيل من النوع الذي لا تأكله الإبل والغنم إلا نادرا، عكس الطلح والتامات والسبب فهي أغذية مفضلة للإبل<sup>1</sup>.

زيادة على ذلك، تستخدم بعض مكونات شجرة زيتة المتواجدة في غابة تغبارة نواحي تدكلت كغذاء للأغنام والإبل في أوقات محددة من السنة، بينما يتجنبونها عند دخول شهر أفريل، ويستفاد من جذوعها الغليظة في أعمال التدفئة المنزلية، فهي تصلح مثل الفرسيق لتكون حطبا ممتازا للتدفئة، وصنع مقابض المعاول والهراوي، أما شجرة السدر (النبق) المثمرة، فتستعمل ثمارها كما هي، أو مطحونة إما لوحدها أو مع الذرة والشركاش، فتكون مغذية نافعة للمحرورين، بينما يستخدم فحم خشبها مخلوطا بالخل لعلاج لدغة الثعابين، وفوائد أخرى طبية كثيرة<sup>2</sup>.

غير أن أكثر استعمالات هذه المستخلصات النباتية يكون في الصناعات اليدوية؛ حيث تستعمل قشور الطلح في دباغة الجلود؛ وليفه في صنع حبال وشمائل الإبل؛ ومن خشبه وأغصانه تصنع الأدوات والأواني المنزلية وتطوى جوانب الآبار؛ كما يستعمل خشب أمور في صناعة القتود والهواذج والتوابيت؛ ويتاجر بحطبه أهل الزوارق في نهر السنغال؛ ومن شجر تيشط تصنع أكثر الأدوات والأواني كالمدكة، والأنصبه، وأعمدة البيوت، وبكرة البئر؛ ويستعمل القصب في أعمال البناء وتسقيف سطوح المنازل؛ ومن سعف الحلفاء تعمل الأطباق والحبال والشمائل للإبل.. إلخ<sup>3</sup>.

## 2. المهن والحرف اليدوية

ساعد توفر المادة الأولية الحرفيين على امتهان حرف تساير طبقاتهم الاجتماعية، وتلائم قدراتهم المهنية، فلم يكن النشاط الحرفي مقتصرًا على فئة الخدم الأحرار، الضالعين بحرفة النجارة والحدادة

<sup>1</sup> - أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 441؛ مبارك جعفري، الأزواد، المرجع السابق، ص 289.

<sup>2</sup> - Louis Voinot, Op. Cit, P 23; 29. المختار بن حامد، الجغرافيا، المرجع السابق، ص 29.

<sup>3</sup> - نفسه، ص 33؛ مبارك جعفري، الأزواد، المرجع السابق، ص 285.

والخرافة<sup>1</sup>؛ بل تعداه ليشمل أبناء القبائل المحاربة والزوايا، فيذكر محمد الطيب بن عبد الرحيم<sup>2</sup> أن "أولاد دوود بن عمر كانوا أهل شماخة وأنوفة وعزة ورياسة، بنوا الحمام وضربوا السكة، ولم يبق منهم إلا بقية ضعافا، وقصورهم الآن هي قاعدة أسواق تمنطيط...".

وإن صح القول؛ فإن هناك حرفا يدوية تحتكرها نساء البيضان لأنفسهن، تمنع على فئة العبيد والخدم ممارستها نظرا لفائدتها المعاملاتية<sup>3</sup>، حيث يشير الحسن الوزان<sup>4</sup> في معرض حديثه عن ممالك نوميديا، أن نساء تشيت يواظبن على تدريس الأولاد وغزل الصوف، الذي يعتبر ضمن المنتجات المصدرة لبلاد السودان، ومن بين الحرف التي برع فيها حرفيو توات وبلاد شنقيط نذكر:

**1.2. النجارة:** تمارس حرفة النجارة على صعيد واسع، فتستند أغلب الحرف اليدوية إلى مكونات الأشجار، ومن ذلك: أشجار أقار، والطلح، والرمان، و الحنة التي يصنع منها عود كحلة العين (المكحل)، والنخيل، والفرسيق، والتلا، وآكال، وتيتارك، والقصب... إلخ، وتتناثر هذه الأشجار قرب المنابع المائية من مكان لآخر، فيقتطع الحرفي ما يحتاج إليه من خشب لصناعة الأبواب والنوافذ والمهاريس، ويترك الباقي لحين آخر، لتجهيز مستلزمات أخرى كالحصير والحبال والأطباق والأواني<sup>5</sup>.

**2.2. البناء:** اعتاد آباء كتنة توريث الحرف إلى أبنائهم، ومن ذلك أن قصبة زاوية كتنة التي بناها الشيخ أحمد الرقاد، تعد شاهدة على براعة البناء التواتي، فهي مستطيلة الأضلاع، يأخذ مظهرها الخارجي طابعا دفاعيا، متمثلا في السور العالي، وأبراج مراقبة لتأمين المحيط الداخلي<sup>6</sup>، وقد ورث ابن عمه أحمد أباجد حرفة البناء، فبنى قصر البركة فوق تل يشكل ما يشبه أنف الجبل، نحت فوقه أكواخا مكعبة من الحجارة الحمراء الجافة، محمية جوانبها بأسوار دفاعية متينة<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين 1493-1591، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د س ن، ص 120.

<sup>2</sup> - محمد الطيب بن عبد الرحيم، المصدر السابق، ص 18.

<sup>3</sup> - Exposition Colonial Internationale, Op, Cit, P 40.

<sup>4</sup> - الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 115.

<sup>5</sup> - المختار بن حامد، الجغرافيا، المرجع السابق، ص 19؛ عبد العزيز جعفري، المرجع السابق، ص 252.

<sup>6</sup> - محمد حوتية، آل كتنة، المرجع السابق، ص 132.

<sup>7</sup> - الرائد افرير جان، المصدر السابق، ص 243.

**3.2. التجارة:** إن حرفة التجارة لم تمس كل القصور والفئات الاجتماعية، مما يجعل ممتهنيها قلة مقارنة بغالبية السكان الذين لا ناقة لهم فيها ولا جمل، ومن القبائل التي احترفت التجارة في القرن (13هـ/19م)، قبيلة تجمكانت التي تعيش أكبر مجموعاتها ضواحي الساقية الحمراء، إذ يمارس أبناؤها التجارة عن طريق مقايضة المنتجات المغربية بالمنتجات السودانية<sup>1</sup>، وكذلك شرفاء توات من أولاد حمو بلحاج، الذين أسسوا شركات تجارية بين محور توات - ولاتة - تنبكتو.

**4.2. الحدادة:** يندرج هذا التشكيل ضمن قبائل اللحمة في المجتمع الشنقيطي<sup>2</sup>، وهم ينتشرون في قصور توات في كل من تمنطيط، وتيطاوين، وأولاد وشن، وأولاد إبراهيم<sup>3</sup>، يجلسون عند مداخل الأسواق أو أمام مساكنهم أو خيمهم، واضعين أدواتهم أمامهم ومنهمكين في حرفتهم، يأتيهم سكان الحي لسن سكين، أو إصلاح مقبض سيف، أو غطاء إبريق، ويعتمدون في ذلك على مجموعة من الأدوات منها: الكير، والكور، والسندان، والمطرقة، والقدم، والمبرد، والمشخذ، والزبرة<sup>4</sup>.

**5.2. الصيد:** تعرف المناطق الشنقيطية الصيد بنوعيه البحري والبري، ويتعلق الأول بمياه الأنهار والمحيطات على سواحل الأطلسي ونهر السنغال، حيث توجد على طول الساحل الرابط بين نواكشوط والممغر قرى إيمراقن (الصيادين)، وهم قبائل غارمة لأولاد أبي السباع من آباء بيض وأمهات زنجيات، يزودون سوقا مهما نسيبا بالأسماك الجافة، يصطادونها ويرسلونها إلى قبائل الداخل، مقابل تزويدهم بالمياه العذبة التي تجلبها الإبل، وإلى جانبهم قبائل مرابطية أخرى تمارس هذه الحرفة أمثال: أهل باريك الله، وأهل الغزال، وزناجة أولاد أحمد، وحراطين أهل بوجيني<sup>5</sup>... إلخ.

أما النوع الثاني من الصيد (البري)؛ تشترك فيه المناطق والقبائل التواتية والشنقيطية، وهو يعتمد على عدة وسائل، أهمها: القوس لاصطياد الحيوانات الأليفة والمتوحشة كالغزلان، والطيور، والأرانب، والذئب، والكلاب المتشردة، إضافة إلى الضباع، والأسود، والنمور، والحيات، التي اختفت بنزول الشيخ أحمد البكاي بين ظهرائي أهالي ولاتة، وينطبق الأمر نفسه على الأرض الموحشة بين فونغيل وزاوية كنتة

<sup>1</sup>- Georges Poulet, Op. Cit, P 138.

<sup>2</sup>- حماد الله ولد السام، بلاد شنقيطي، المرجع السابق، ص 432.

<sup>3</sup>- Selka, Op. Cit, P 549.

<sup>4</sup>- مبارك جعفري، الأزواد، المرجع السابق (بتصرف)، ص 297.

<sup>5</sup>- الرائد افير جان، المصدر السابق، ص 62؛ Étienne Richet, Op. Cit, P 166

قبل أن يعمرها الشيخ أحمد الرقاد عجز القرن (10هـ/16م)، فكانت تقطنها حيوانات مفترسة اختفت بنزوله<sup>1</sup>.

**6.2. دباغة الجلود:** ساهم في انتشار حرفة الدباغة، تعدد مصادر الثروة الحيوانية من أغنام وأبقار وجمال، واستغلال جلودها في الصناعات المحلية، حيث يتم تنقيع الجلد في حوض مائي حسب حداثة أو قدم سلخه، فإذا كان حديث العهد يترك في الماء لمدة يومين أو ثلاثة أيام، أما إذا كان قديم السلخ تم حفظه بالملح أو التجفيف، فهنا ينقع من ثمانية إلى عشرة أيام، وخلالها تكرر عملية الإغماس والطفو، حتى يصبح الجلد لينا من السهل إزالة شعره، ولا تنبعث روائح كريهة من الماء بسببه<sup>2</sup>.

وكانت تستعمل للدباغة بذرة شائكة متوفرة في تكانت تسمى "الصالحة"، ثم تصبغ الجلود باللون الأسود مع التيميليا، حيث ينقع العامل التيميليا في الماء ويفرك الجلد من جانب الشعر، بعدها يقوم بفرك الأجزاء المطلية ببعضها البعض، ليكتسي الجلد اللون الأسود في غضون ساعة، وبعد انتهاء هذه العملية يتم تمريره إلى أداة التلميع، التي بدورها تمنح الجلد صبغة جميلة غير لامعة، وغالبا ما كانت تزخرف الجلود بأنماط هندسية مختلفة ثم تطلّى بالصباغة الحمراء<sup>3</sup>.

**7.2. الغزل والنسيج والخياطة:** تقتصر هذه الحرفة غالبا على سواعد النساء، اللاتي يقمن بغزل الصوف والكتان، وتحويل خيوطه إلى قماش، ويمتاز الحروف الشنقيطي عن الدمان التواتي بوفرة الصوف، فهناك بعض الأغنام يجز شعرها مرتين أو ثلاث مرات في السنة<sup>4</sup>، ومما ساعد على انتعاش حرفة الغزل والنسيج خلال القرن التاسع عشر الميلادي ازدهار تجارة الأقمشة، خاصة قماش النيل الذي تنتجه بعض سهول آدرار؛ ولهذا أصبحت بيضة الكتان عملة تجارية يتداولها الشناقطة، كما انتشرت في البوادي حرفة صناعة الستائر، والخيام، والحصير، والسجاد، والمفروشات<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - مولاي التهامي بلغيثي، المرجع السابق، ج1، ص 73.

<sup>2</sup> - جمال سليمان علي عامر، الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في حضارات الشرق الأدنى القديم، إشراف، عبد المنعم عبد الحليم السيد ومحمد عادل محمد عبد المنعم، قسم شبه الجزيرة العربية، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم، جامعة الزقايق، مصر، 2006/2005، ص 118.

<sup>3</sup> - Exposition Coloniale Internationale, Op. Cit, P: 40, Louis Voinot, Op. Cit, P 140.

<sup>4</sup> - Exposition Coloniale Internationale, Op. Cit, P 36.

<sup>5</sup> - أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 523؛ مبارك جعفري، الأزواد، المرجع السابق، ص 300.

### 3. الصناعات التقليدية

عرفت الصناعة التقليدية طريقها إلى توات وبلاد شنقيط منذ عهود قديمة، تعود إلى ما قبل ميلاد المسيح عيسى عليه السلام نتيجة توفر مؤهلاتها، والصناعة التقليدية هي عبارة عن مجموعة من الأنشطة المختلفة الأسس والأنماط، كانت تمثل الركيزة التي يعتمد عليها المجتمع البيضاني في كل حياته<sup>1</sup>، بمشاركة العنصر الزنجي الوافد على المنطقة عقب سقوط مملكة سنغاي، وهي تعتمد في الأساس على المستخلصات السابقة من المواد المعدنية والنباتية والحيوانية.

**1.3. الصناعات الجلدية:** يحترف هذه الصناعة الرجال والنساء، وتختلف باختلاف مادة الصنع المستخلصة من جلود الحيوانات التي يربيه الإنسان، أو التي يجلبها التجار من السودان، سواء من الأغنام أو الأبقار أو الإبل، حيث عرف الإنسان من خلال استئناسه للحيوان، كيف يهيئ جلده لتوفير دفء لقرّ الشتاء، واتفاء قيظ وحر الصيف<sup>2</sup>، مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمَنْعًا إِلَى حِينٍ﴾<sup>3</sup>، ويشترط استعمال الجلد بعد الدبغ للصناعة، لأن الدباغة تزيل ما يعلق به من نجاسة ودماء.

من أهم الصناعات الجلدية التي كانت تصنع في توات وحواضر شنقيط: التمام، وأغمدة السيوف والخناجر، وأكياس التبغ، والأحذية<sup>4</sup>، والحبال، والدلال، والوسائد، والفروة، وهي على شكل قبة؛ كما اتخذ الصناع أوعية من الجلود لحفظ الحبوب، وأخرى للسفر كالمزود، والتاسفرة؛ ومن جلود الغنم المدبوغة غير المنتوفة تصنع القرب<sup>5</sup>، حيث تتم عملية الخياطة باستعمال خيوط مصنوعة من الأعصاب الحيوانية أو الجلود البيضاء، التي يأتي بها صناع تدكلت من توات الوسطى<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - إبراهيم أحمد فال: المرجع السابق، ص 129.

<sup>2</sup> - عز الدين جعفري، المرجع السابق، ص 249.

<sup>3</sup> - سورة النحل، الآية 80

<sup>4</sup> - Devors, Le Touat Etude Géographique Et Médicale, Archives De L'Institut Pasteur D'Algérie, Tome XXV, N. 3-4, sept – déc. 1947, P 144.

<sup>5</sup> - إبراهيم أحمد فال، المرجع السابق، ص 130.

<sup>6</sup> - Louis Voinot, Op. Cit, P 140.

**2.3. الصناعات الخشبية:** إن توفر توات وشنقيط على ثروة هائلة من الأشجار، انعكس على تطور الصناعة الخشبية بها، حيث استغل الحرفيون أجزاء النخلة لصناعة القفف بمختلف أشكالها؛ والأطباق والحبال؛ والحصير؛ كما استعملت جذوعها في تسقيف البيوت وصناعة الأبواب والأقفال الخشبية<sup>1</sup>؛ وبواسطة خشب الأشجار المحلي، تصنع أدوات الخيمة من أعمدة وأوتاد؛ وأدوات الطحين من مدقة (مدق) ومهراز؛ وكذلك أدوات ركوب الجمال والأحصنة، مثل السروج، والرواحل، والهودج؛ وأدوات الكتابة والقراءة، مثل: القلم واللوح؛ والأدوات الموسيقية التقليدية<sup>2</sup>.

**3.3. الصناعات الطينية:** تدخل الطين ومشتقاتها (الفخار) في مختلف الصناعات اليدوية، فمنها تصنع الأفران والأطباق<sup>3</sup>، وأوعية البخور التي تستخدم في الاحتفالات والمناسبات؛ كما تبنى المظمورات لتخزين محصول القمح والشعير خوفاً من التلف والضياع<sup>4</sup>؛ وقبل أن يتحصل الصانع على بضاعة جاهزة، يخطو عدة مراحل لاستخلاص إناء متماسك صلب، يبدأ بعجن الطمي بالقدمين واليدين لتشكيل أشياء بسيطة، ثم يعرض المصنوع المحضر لأشعة الشمس، ليأتي دور الصقل عن طريق حك سطح الإناء بحصاة أو شيء أملس، وفي الأخير يتم حرق الإناء الفخاري، لتتحول الطين من حالتها الأصلية الهشة إلى الحالة الصلبة المتماسكة<sup>5</sup>.

**4.3. الصناعات النسيجية:** تظهر براعة الحرفيين التواتيين في صناعة الأبسطة والأغطية والملابس كالبرانس والكسي والحايك، ويعتبر بساط الدكالي المتميز بالمتانة والذوق الرفيع والألوان المتناسقة من أجود المنتجات المحلية، ولذلك اكتسى دكالي تينركوك مكانة متميزة، خلاف دكالي تيميمون وتوات الوسطى<sup>6</sup>؛ ويبقى أكبر عائق يعترض عمال الصناعة النسيجية، قلة الصوف والقطن، نظراً لعجز المقاطعات التواتية تغطية فائض هذين المنتجين، فيلجأ الصانع إلى شراء جزات الصوف وغزل القطن من قوافل الشمال المتوافدة على تراب الإقليم<sup>7</sup>.

1- محمد حوتية، آل كنتة، المرجع السابق، ص 94؛ محمد الأمين ولد الكتاب، المرجع السابق، ص 147.

2- إبراهيم أحمد فال، المرجع السابق، ص 129.

3- مبارك جعفري، الأزواد، المرجع السابق، ص 307.

4- إبراهيم أحمد فال، المرجع السابق، ص 140.

5- جمال سليمان، المرجع السابق، ص 134-135-136.

6- فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 60.

7- نفسه والصفحة.

تبرز بالمقابل مهارة الحرفي الشنقيطي في صناعة الملاحف، كملحفة النيلة الكحلاء الخاصة بالنساء، بينما يطرز للرجال نوع خاص من هذه الملاحف يعرف بملحفة النيلة البيضاء، وخياطة هذه الأزياء التقليدية من إبداعات النسوة، عن طريق تصاميم وزخارف رائعة الدقة والجمال، تعبر عن عمق وثراء العادات والتقاليد الولائية<sup>1</sup>، وأهم لباس يشترك في عمله صناع القطرين: الشاش والدراعة المغربية أو السودانية، التي يكتم ذراعيها إلى الكتفين، حيث أن حرفيي توات يجلبون مادتها الخام من بلاد الساحل الإفريقي<sup>2</sup>.

**5.3. الصناعات الحديدية:** تعتبر من الصناعات القليلة الانتشار في توات وشنقيط، ويقع على عاتق ممارسيها إصلاح السكاكين والفؤوس والخناجر وحدائد الحرث، وإعادة تركيب بندق كاملة باستعمال قطع قديمة<sup>3</sup>، وقد كان البيضان صانعي حلي موهوبين في بوتلميت، وأصبحوا ماهرين في النجارة والصناعات المتنوعة، وبعتمادهم على طرق الأسلاف ووفائهم للأنماط التي توارثوها؛ تمكنوا من صنع مختلف الحلي المزركشة من الذهب والفضة، وعلب ومسابع من خشب الأبنوس مرصعة بالفضة، وأساور معدنية وخشبية وعاجية مزينة - أيضا - بالمرصعات نفسها<sup>4</sup>.

خلاصة القول؛ لم ترق الصناعة في توات وشنقيط لمستوى الاستقلالية وتحقيق الاكتفاء الذاتي، حيث بقي الفرد التواتي والشنقيطي رهين التبعية الخارجية، فالمنتجات المحلية لم تف بالغرض المطلوب، أمام قلة اليد العاملة وشح المادة الخام، والاتكال على العمالة الأجنبية المتمثلة في العنصر الإفريقي، وهو ما لخصه أحمد بن الأمين الشنقيطي بقوله أن أرض شنقيط فقيرة صناعيا، لا يوجد فيها من ينسج ثوبا ولا يصنع سيفا، وكل ما يقوم به الخياطون والحدادون هو تصليح الأشياء فقط<sup>5</sup>.

### المبحث الثالث: المبادلات التجارية بين توات وشنقيط

أسهم ازدهار النشاط الزراعي والحرفي بتوات وشنقيط في تصدير الفائض خارج البلاد، سواء المنتجات المحلية، أو إعادة تدوير المستورد من الشمال تجاه الجنوب والعكس؛ وساعد على ذلك انفتاح

<sup>1</sup> - إبراهيم أحمد فال، المرجع السابق، ص ص 134-138.

<sup>2</sup> - Devors, Op. Cit, P 245.

<sup>3</sup> - Louis Voinot, Op. Cit, P 140.

<sup>4</sup> - Exposition Coloniale Internationale, Op. Cit, P 41.

<sup>5</sup> - أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 524.

حواضر البلدين على مناطق الجوار، وبصورة أدق الاندماج التواتي-الشنقيطي في الحياة الإفريقية، وتمثلت مقومات هذا التبادل التجاري في الآتي:

## 1. الأسواق ومناطق التبادل الجهوي

**1.1.1. الأسواق:** تقوم الأسواق حيث توجد التجمعات العمرانية، فيخصص السكان مكانا للتبادل التجاري والتزود بما يحتاجونه من السلع؛ ولهذا كان لكل قبيلة أو قبائل متجاورة سوق محلي يجتمعون فيه، فيختارون أقربها للمحطات التي تقع على الطرق الرئيسية الرابطة بين المدن، بالإضافة إلى الأسواق التي تقام حولها الحواضر أو تقوم هي في المدن فيما بعد<sup>1</sup>، وقد لعبت الأسواق دورا هاما في حياة السكان وتواصل الأقطار، فهي<sup>2</sup>:

✓ مركز تجاري داخلي لعقد الصفقات والمبادلات التجارية، إلى جانب تلبيتها حاجيات السكان من المواد الاستهلاكية أو الخدماتية.

✓ المكان المفضل لخارج البلاد، الذي يقصده أصحاب القوافل التجارية القادمة من مناطق الجوار، بغرض استبدال بضائعها بالسلع التي في حوزة تجار البلدة.

ويرجح أن أغلب المقاطعات الشنقيطية لم تشهد أسواقا مستقرة بالمفهوم العصري، نظرا لطابع البداوة والترحال، ولا يمكن تفسير هذا بانعدام الأسواق في المناطق الحضرية، فالمدن العتيقة قامت بدور مماثل لما قامت به الأسواق التواتية وربما أكثر، حين استطاعت التحكم في الأسواق الإفريقية والمغربية على حد سواء، ومن أهم الأسواق التواتية والشنقيطية نذكر الآتي:

### 1.1.1.1. الأسواق التواتية: من أهم الأسواق التواتية، نجد:

• **تيميمون:** يعتبر سوق تيميمون ضمنا أقل الأسواق التواتية تعاملًا مع الشناقطة، بحكم تواجده في طريق غير الذي يربط القطرين، إلا أن رسالة مولاي علي بن مولاي العايش إلى صديقه مولاي هيبه الله بن مولاي السعيد الرقاني - المتزدد على ولادة وتمبكتو - تؤكد مكانة هذا السوق في العملية التجارية

<sup>1</sup> جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-

10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1992، ص 134.

<sup>2</sup> فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص: 63.

بين توات والساحل؛ فذكرت خبر قدوم رجلين من قبيلة أكدوع إلى أروان، وإخبارهم تعرض قصور تيميمون وأولاد سعيد لهجوم البرابر ونشوب فتن كبيرة<sup>1</sup>؛ مما يؤثر على نشاط السوق، بامتناع القوافل التوافد عليه خوفا من المخاطر المترتبة عن ذلك.

• **زاوية كنتة:** لم تكن ضمن الأسواق المشهورة في توات، وهي عبارة عن نقاط متفرقة في المناطق التي عرفت ارتكاز أولاد السي حمو بلحاج، الذين كانت لهم تجارات مع منطقة الساحل الإفريقي، فالمنطقة كانت تدعم أسواق الشمال بمنتجات محلية - الشمة - عن طريق سوق تيميمون<sup>2</sup>، كما تشحن في الوقت نفسه حملات باتجاه الجنوب عبر أسواق تدكلت (أقبلي وعين صالح)؛ ومن ذلك أن محمد المهدي بن مولاي عبد الله شيخ العافية المقيم بالنعمة، كان يستغل مناسبات تردده على توات، فيجهز الشمة من بستانهم في قصر بوعلي<sup>3</sup>، لبيعهما في الأسواق التواتية والإفريقية.

• **رقان:** يقام سوقها بمدينة تيمادين مركز المقاطعة شمال غرب رقان، وبرزت أهميته خلال القرن (13هـ/19م)؛ كونه يستقبل القوافل القادمة من السودان الغربي، بالإضافة إلى أنه السوق الرئيسي الذي تؤمه قبائل تاودني والمبروك وأهميدان وآدرار إيفوغاس، فتبادل فيه سلعها من الإبل وخراف الدمان مقابل الشاي والمنتجات القطنية والسكر والتمور<sup>4</sup>، وهذه المبادلات لا يستبعد مشاركة الشناقطة فيها، لاسيما وأنها صادفت فترة نزول فقرة الدويهنة الولاتية بالزاوية الرقانية، وما تحمله من تمور وأطعمة ولحوم مجففة وذهب وريش النعام<sup>5</sup>، وبالتالي يتم الاحتفاظ بما يسد الرمق ويغطي احتياجات نزلاء الزاوية وزوارها، بينما يوجه الفائض إلى سوق تيمادين القريب أو سوق تدكلت.

• **تدكلت:** تحتل تدكلت مكانة هامة في تجارة الصحراء، فيوجد بها مركزين أساسيين تمر عبرهما القوافل الصحراوية في كافة الاتجاهات: معبر أقبلي للحجاج وقوافل السودان؛ إضافة إلى قصر العرب الكبير في

<sup>1</sup> - مولاي علي ولد مولاي العايش، رسالة إلى مولاي هبة الله بن مولاي السعيد الرقاني، وثيقة مخطوطة، جمعية مسجد ومدرسة مولاي عبد الله الرقاني، دائرة رقان، ولاية أدرار، الجزائر، د ت، ص 1.

<sup>2</sup> - Martain, Les Oasis Sahariennes, Op. Cit, P 309.

<sup>3</sup> - محمد المهدي بن مولاي عبد الله، الوثيقة السابقة، ص 1.

<sup>4</sup> - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 66؛ إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 48.

<sup>5</sup> - سيدي محمد الرقاني، المقابلة الشفوية السابقة.

عين صالح، أين تضع القوافل حمولاتها بقصر العرب الكبير، إما لبيعها أو لاستئناف السير بها إلى أسواق أخرى<sup>1</sup>. ونتيجة لحيوية السوق، تقصده قوافل الشمال عن طريق غرداية، والمنيعه، وورقلة، وتوات، لتلتقي بالقدمة من السودان وبلاد الطوارق، فتبادلها السلع والبضائع المحلية والأجنبية من سلال، وقفاف، وزرابي، وسروج، ونعال، وتمور، وطباق، وحناء، وخراف، وخدم<sup>2</sup>.

• **تمنيط:** تحدثت الكتابات عن مكانة سوق تمنيط الإقليمية، فالسوق شهد آخر مراحل انتعاشه في النصف الثاني من القرن (13هـ/19م)؛ وسبب ذلك انكماش دور التجارة الصحراوية لصالح انتعاش التجارة الأطلسية. وقد أشاد الرحالة الألماني جيرهارد رولفس (Gerhard Rohlfs) عام 1284هـ/1868م بأهمية السوق، واعتبره إلى جانب سوق تيمي وتيميمون من أهم أسواق توات<sup>3</sup>، من خلال نظامه، الذي وضع لأصحاب الحرف والتجارات محلات ثابتة يعرضون فيها سلعهم، أو يأخذون أماكن آمنة داخل السوق، يلزمونها إلى المساء ليعودوا في غدّهم<sup>4</sup>.

### 2.1.1. الأسواق الشنقيطية: من الأسواق الشنقيطية، نذكر:

• **ولاتة:** يعتبر سوقها من أقدم وأعرق الأسواق الإفريقية، التي حافظت على اجتذاب القوافل العابرة للصحراء، ويتجلى ذلك من ثناء الرحالة والمستكشفين على حيوية سوقها خلال حكم مملكة مالي الإسلامية، فكانت قوافل سجلماسة والسودان الغربي، تحط الرحال بسوق إيولاتن وبودة محملة بالبضائع والسلع الثمينة<sup>5</sup>؛ ورغم سلسلة الاضطرابات التي عرفتها البلاد، حافظ الباعة الولاتيون على العلاقات والروابط التجارية مع بعض المراكز الجهوية، وفي مقدمتها منطقة توات<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 66-67.

<sup>2</sup> - Louis Voinot, Op. Cit, P 37.

<sup>3</sup> - Gerhard Rohlfs, Reise durch Marokko, Uebersteigung des grossen Atlas, Exploration der Oasen von Tafilet, Tuat und Tidikelt und Reise durch die groose Wust uber Rhadames nach Tripoli, Verlg von J. Kuhtmann's Buch handlung, U.L.Fr, Kirohhof Nr. 4, Bremen, 1868, PP 102-104.

<sup>4</sup> - الطيب بن عبد الرحيم، المصدر السابق، ص 18؛ جودت يوسف، المرجع السابق، ص 146.

<sup>5</sup> - ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 407.

<sup>6</sup> - محمدو بن محمدن، المرجع السابق، ص 396.

وفي النوازل الفقهية ما يشير إلى توافد تجار تواتيين على أسواق الحوض الموريتاني خلال القرن (13هـ/19م)؛ ومن ذلك ما نقلته نازلة تواتية عن حكم حمولة من الشمة مقدارها سبعون مثقالا، ذهب بها محمد بن مولاي العربي بن مولاي العباس الرقاني لولاته؛ ولأنه توفى بالمدينة قبل بيع الحمولة، اختلف في فائدة الأرباح المحصلة، أعود لورثة الهالك، أم يستفيد منها القارض المحتج - صاحب رأس المال - مولاي هيبة الله بن مولاي السعيد الرقاني<sup>1</sup>!

• تيشيت: تعتبر مركز عبور رئيسي للقوافل الصحراوية، من خلال توقعها على الطريق التجاري الرابط بين وادان وولادة<sup>2</sup>، وقد عرج العلامة القصري على مكانتها الاقتصادية، المتمثلة أساسا في نقل حمولات الزرع من ولادة إلى تيشيت على أن يعطى حاملها عديلتين، وكذلك عن رفقة خرجت من وادان قاصدة تيشيت بغرض الإتجار، فضلت لها أبعرة أثناء الطريق<sup>3</sup>؛ كما تحدث المستكشف الفرنسي بول بلانشي عام 1900م عن دور تيشيت في المبادلات التجارية، فذكر أن صادراتها من الذهب والفضة والعبيد المجلوبين من بلاد السودان إلى أسواق آدرار تعوض بمعدن الملح<sup>4</sup>.

• وادان: لقد شكل موقع وادان عامل ازدهار وتطور اقتصادي خلال القرون من الرابع عشر إلى الثامن عشر الميلاديين، مما وضعها محل أطماع وتدخلات خارجية، باعتبارها وسيطا تجاريا بين شمال إفريقيا وجنوبها السوداني<sup>5</sup>، فالقوافل تخرج من وادان إلى واد نون محملة بالبضائع كريش النعام والتمور والحيوانات، وتعود بالقطائف والألبسة والسكر والشاي والأرز، كما ساهم الوادانيون في توجيه القوافل نحو تنبكتو وأنورو عبر مدن ولادة وتيشيت وشنقيط، مصدرين عن طريقها الملح والتمر والحصير، مقابل استيراد الأنصاف والدرار والمطلع والزرع والفسق والأواني<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، جواب حول قضية الأموال التي أنفقها مولاي محمد بن مولاي العربي في الشمة وحوها إلى ولادة، وثيقة مخطوطة، جمعية مسجد ومدرسة مولاي عبد الله الرقاني، دائرة رقان، ولاية آدرار، الجزائر، د.ت.

<sup>2</sup> - Liste Du Patrimoine Mondial, Op, Cit, P 128.

<sup>3</sup> - القصري بن محمد المختار، المصدر السابق، ج3، ص 59-537.

<sup>4</sup> - محمدمو بن محمذن، المرجع السابق، ص 399.

<sup>5</sup> - Liste Du Patrimoine Mondial, Op, Cit, P 128.

<sup>6</sup> - محمد الأمين ولد الكتاب، المرجع السابق، ص 139.

• **شنقيط:** استفادت المدينة من مركزها كمنطقة لعبور القوافل القادمة من المغرب ومنطقة الساحل الموريتاني المارة إلى تنبكتو<sup>1</sup>؛ وهذا ساعد على امتلاء الأسواق المحلية والمجاورة بمختلف البضائع والسلع. بلغت المدينة أوج ازدهارها الاقتصادي في القرن (18-19م)، ومما يعكس أهميتها كمحطة تجارية كبرى؛ تطرق النوازل الشنقيطية إلى نماذج شراكات تجارية، فكان لتجار الحوض وتيشيت وأرگيبة وتكانت وآدرار وتحكجة وكلاء رسميون، يبيعون حمولاتهم من الملح بأثمان غالية<sup>2</sup>.

• **آدرار:** تحكمت في حركة القوافل الصحروية والأطلسية، لذا كانت هدفا مباشرا للرحالة والمستكشفين الأوروبيين من أجل مهمات استطلاعية، وتكللت بعثة أبي المقداد السنغالي بتوقيع اتفاقية في 8 أوت 1892 مع الملك أحمد ولد سعيد عيدة، تعهدت فرنسا بموجبها عدم التدخل في الشؤون الداخلية لآدرار، وكذا تقديم مساعدات لملكها في حالة طلب ذلك، لتأمين القوافل القادمة من آدرار إلى السنغال، يتحصل الملك بموجب المعاهدة على 500 عملة غينيا عن كل بضاعة تمر بمنطقة نفوذه، ثم تضاعفت الفائدة إلى 800 قطعة في عام 1898م<sup>3</sup>.

تحدث المستكشف الفرنسي روني كاي، عن التبادل الداخلي الذي كانت آدرار طرفا فاعلا فيه، فذكر أن تجار البراكنة الذين يشرفون على جمع الصمغ العربي، ومبادلته بالبضائع الأوروبية وخاصة القماش الغيني الأزرق والبنادق، كانوا غالبا ما يتوقفون في آدرار التي تبعد عن بحيرة ألاك مسيرة سبعة أيام؛ كما يضيف بلانشي أن سكان تكانت، كانوا يجلبون إلى آدرار الذرة والشعير لمبادلتها بالتمور والملح والجمال<sup>4</sup>، وهو ما فعله -أيضا- سكان ولاتة وتيشيت مع تجار آدرار.

• **النعمة:** لم تكن بذات الشهرة التي عرفتها سابقا الأسواق الشنقيطية، غير أنه بعد استقرار أولاد السي بلحاج بها سنة 1223هـ/1808م، عرفت المدينة قفزة نوعية، لاسيما وأن مؤسسيها من التجار؛ وتحفظ الكتابات التاريخية أن العلامة جعفر بن المهدي النعموي كان صاحب تجارة في منطقة كوش

<sup>1</sup> - مبارك جعفري، الأزواد، المرجع السابق، ص 348.

<sup>2</sup> - سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي، فتاوى العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، جمع وتحقيق، محمد الأمين بن محمد بيب، ط1، د د ن، 1423هـ/2002م، ص 332؛ إيمان رجب زكي تمام، المرجع السابق، ص 1888.

<sup>3</sup> - Georges Poulet, Op, Cit, P 133.

<sup>4</sup> - محمدو بن محمدن، المرجع السابق، ص 398-399.

الواقعة بين بلاد السودان ومسقط رأسه<sup>1</sup>، كما كان والده محمد المهدي تاجر تبغ وملابس من توات إلى النعمة؛ وهذا يعطينا فكرة واضحة عن الأهمية التجارية للمدينة داخل وخارج شنقيط.

**2.1. مناطق التبادل الجهوي:** إن التواصل الحضاري التواتي-الشنقيطي لم يكن ليكتمل لولا تواجد مراكز جوارية، كانت بمثابة الواسطة بين ضفتي الصحراء، فهذه المراكز مثلما لعبت دور الوسيط الثقافي بين القطرين، تزلعت بمكانة اقتصادية مهمة في العلاقات التجارية التواتية-الشنقيطية.

• **سنسند<sup>2</sup>:** تقع جنوب غرب تنبكتو على ضفة نهر النيجر الشمالي، وهي تعتبر ممر ومركز تجارة حيوي، تنافست على إخضاعه قبائل كنتة والباشبارا وفولبه (الفولان) ماسينا خلال القرن (13هـ/19م)؛ وقد سبب هذا التنافس إلحاق الضرر بتجارة جني، فحال دون اتصال جني بمستودعات الرقيق في مناطق نيامينا وسانساندنغ وبامكو وبوره<sup>3</sup>، وظلت سنسند رهينة التبعية حتى حررها الشيخ عمر بن سعيد الفوتي التجاني من قبضة البامبارا الوثنيين عام 1277هـ/1860م<sup>4</sup>.

لم يسلم تجار توات من الصراعات الطرقية داخل أسوار المدينة، فحدث أحد الوثائق أن محمد بن مولاي الشريف الرقاني أطلع عمه مولاي هيبه الله، نقلا عن مولاي عبد الكريم بن محمد الوافد إلى تمبكتو من سنسند، أن مغاربة المدينة تعرضوا لهجمات عنيفة من أهل فوتة (فوتا تور)، بفعل ولائهم للشيخ أحمد البكاي بن المختار الكبير الكنتي، إلا أن أهالي سنسند أبلوا البلاء الحسن، وانتفضوا من أجل استرجاع أموال تجار توات المنهوبة<sup>5</sup>.

ربما كان دافع التقدير الذي حظي به البيضان، سببا في توافد التواتيين والشناقطة على المراكز السودانية، بغرض الإتجار والاستقرار؛ فذكر البرتلي أن المال الذي كان في رقبة مولاي هيبه الله، هو لصاحبه فاطمة بنت الحاج محمد البارودي المقيمة بسنسند<sup>6</sup>؛ وكذلك تفتيش أحمد بن الحاج التيشيتي

<sup>1</sup> سيدي محمد ولد جعفر، من أعلام أبناء سيدي حمو، كتاب الندوة الثالثة 2018م، المرجع السابق، ص 37.

<sup>2</sup> تقع في دولة مالي الحالية، وتعرف حاليا بمدينة سان، وعاصمة سيركل سان في منطقة سيغو، تطلق عليها الكتابات التاريخية العربية اسم "سنسند" والكتابات الأجنبية اسم "سانساندنغ"؛ ينظر، مولاي الشريف الرقاني، المقابلة الشفوية السابقة.

<sup>3</sup> م. لي - تال، ماسينا وأميرطوية التورودبه (تكرور) حتى عام 1878، تاريخ أفريقيا العام، المرجع السابق مج 6، ص 682.

<sup>4</sup> أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي، المصدر السابق، ص 172.

<sup>5</sup> محمد بن مولاي الشريف الرقاني، الوثيقة السابقة.

<sup>6</sup> محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، الوثيقة السابقة، ص 1.

في سنسند عن أصحاب الورد الرقاني، يفسر تحويل بعض العائلات التيشيتية من تجارتها إلى إقامة بالمدينة؛ زيادة على ذلك ذكر الرحالة الفرنسي روني كاييه (René Caihié) عام 1243هـ/1828م، بعض تجارات الولايتين والمغاربة مع سانسندغ ويمينة وسيگو، فكانت قوافلهم تأتي محملة بالملح وتبغ توات وتافيلالت، مقابل العاج والذهب والعبيد والأقمشة السودانية<sup>1</sup>.

هناك قرائن مشابحة عن تواصل تجار تواتيين بالمركز السوداني، من بينها حمولة التبغ التي ذهب بها سيدي محمد بن مولاي العربي لولاتة، وتمَّ بيعها من قبل ابن عمه مولاي هيبه الله في سنسند<sup>2</sup>؛ ولهذا المدينة تاريخ حافل مع آل الرقاني، فقبر مولاي العباس متواجد بها، إذ أنه وبعد انقضاء زمن من وفاته، وفد على المدينة مولاي عبد الكريم بن سيدي محمد عام 1275هـ/1859م، ليسأل عن حمولة شمة كانت محفوظة لأبيه، باعها ابن عمه مولاي أمبارك بن مولاي هيبه الله، واعترف الشاهد بصدق المدعي، لكن طول الزمن أنساه القدر المباع منها<sup>3</sup>.

• **تنبكتو:** تأسست في القرن (5هـ/11م) من طرف قبائل الطوارق، وتقع في مكان استراتيجي يطل على الصحراء الكبرى من جهة، ونهر النيجر من جهة أخرى<sup>4</sup>. لم تخضع المدينة لأي سلطة حقيقية بعد سقوط سنغاي أمام ضربات الرماة ثم الطوارق والبابابارا، ونجحت في الحفاظ على ازدهار تجارتها بفضل حماية قبيلة كنتة لها، وبعد سقوطها في يد فولبة ماسينا سنة 1241هـ/1826م، استنجد التجار البيضان بالكنتيين، لأن حملة الفولان لم تقتصر على الأقوام الوثنية (الماندي والموشي والسنغاي)، بل شملت إخوانهم في الدين تجار توات وغدامس، وغيرهم من المغاربة<sup>5</sup>.

هياً موقع تمبكتو الاستراتيجي التحكم في تجارة القوافل، فوجد تجار الشمال والجنوب الأسواق مثخنة بالسلع والبضائع؛ لأن مدن تمبكتو، وغاو، وجني، وولاتة، أصبحت تمثل مع نهاية القرن التاسع

<sup>1</sup>- René Caillié, Journal d'un Voyage à Temboctou et à Jenné dans l'Afrique centrale, Tome 2, Imprimé Par Autorisation Du Roi A L'Imprimerie Royale, Paris, 1830, PP 377-380.

<sup>2</sup>- محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، الوثيقة السابقة.

<sup>3</sup>- مولاي عبد الكريم بن محمد الرقاني، بحث في شأن أموال حمل وفردة الشمة المباعة في سنسند، وثيقة مخطوطة، الناسخ، أعلي بن سيدي محمد بن مولاي الشريف، جمعية مسجد ومدرسة مولاي عبد الله الرقاني، دائرة رقان، ولاية أدرار، الجزائر، 1275هـ/1859م.

<sup>4</sup>- محمد حوتية، توات والأزواد، المرجع السابق، ج1، ص 169.

<sup>5</sup>- م. لي - تال، المرجع السابق، ج6، ص 682.

عشر الميلادي آخر النقاط التجارية في السودان الغربي، التي تصلها قوافل التجار عبر توات والهقار، وقلما تتجاوزها إلى داخل البلاد السودانية<sup>1</sup> لسببين اثنين:

✓ أصبح تجار الشمال الإفريقي يجدون في المدن السودانية الساحلية التجار المحليين القادمين ببضائع الجنوب، خصوصا الذهب وريش النعام والرقيق السوداني، وهناك يقع الاتفاق بين الطرفين.

✓ تعتبر هذه المرحلة مفصلية في تاريخ إفريقيا الإسلامية، بظهور طرف ثالث في المعادلة التجارية، وهو العنصر الأوروبي، الذي أنشأ بواسطة وكلائه البحريين محطات تجارية على سواحل الأطلسي، مهدت لسقوط تمبكتو عام 1311هـ/1894م<sup>2</sup>، كما عمل جاهدا بواسطة مستكشفيه على تأمين الخطوط الداخلية لغرب أفريقيا، من أجل وضع يده على السلع السودانية الثمينة.

• **أروان:** تشكلت العلاقات التواتية - الشنقيطية عن طريق الأزواد، التي عبروها إما بداعي التجارة أو التوطن، كما هو الحال مع باعلي بن مولاي الطيب البريشي، الذي استقر في أروان مع أهل أحمد بن ءاد<sup>3</sup>؛ ولأن المدينة تعتبر محطة تجارية رئيسية للقوافل القادمة لتبكتو محملة بملح تاودني وذهب جني<sup>4</sup>، كان للتجار وكلاء ينوبون عنهم في استلام البضائع داخل أسوارها، ومن ذلك، أن محمد المهدي بن مولاي عبد الله أثناء تواجده في بوعلي، كاتب أخاه مولاي إسماعيل بشأن عقود الحبس التي تثبت ديون جدهم مولاي الصالح تجاه شرفاء زاوية كنتة، على أن ترسل العقود مع أحد الشرفاء المؤتمنين إلى أروان، حتى تصله وهو في توات<sup>5</sup>.

• **تاودني:** تعرف بمنجم الملح وخزانه في غرب إفريقيا، كانت تصلها القوافل من مختلف الاتجاهات للحصول على معدن الملح، الذي يبعد مسافة تستغرق أقل من نصف يوم عن آبار ثليج<sup>6</sup>؛ ومن هذه

<sup>1</sup> - عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص 196.

<sup>2</sup> - زهرة طموح، تنظيم القافلة خلال القرن 19م، أعمال ندوة التجارة في علاقاتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب، 1409هـ/1989م، ج2، ص 295.

<sup>3</sup> - Mahdi Ould Moulay El Hassan, Op. Cit, P 254.

<sup>4</sup> - مبارك جعفري، الأزواد، المرجع السابق، ص 340.

<sup>5</sup> - المهدي بن مولاي عبد الله النعموي، رسالة إلى مولاي إسماعيل في النعمة من أخيه محمد المهدي في بوعلي، وثيقة مخطوطة، بحوزة الباحث سيدي محمد ولد جعفر النعموي، نواكشوط، موريتانيا، د ت، ص 2.

<sup>6</sup> - René Caillié, Op, Cit, P 404.

المدينة الصغيرة يستخلص الملح الذي يستورد من تمبكتو إلى جني وباقي السودان، وكان الكنتيون ينظمون رحلتين مزدوجتين نحو تاودني، الأولى في شهر نوفمبر، والأخرى في شهر أبريل<sup>1</sup>، وفي بعض الأحيان يصبح منجم تاودني مسرحاً لتقاتل القبائل، كما حدث سنة 1292هـ/1875م، عندما أغار أركييات على رفقة أهل بوردة وأهل ولالة في السبخة، وقتلوا بعض الإبل<sup>2</sup>.

• **الهاوسا:** عزز إنشاء الخلافة الإسلامية في سوكوتو، انتعاش اقتصاد المناطق الواقعة شمالها، قرب كانو وكاتسينا وزاريا؛ وعلى إثرها ارتفعت الصادرات من ريش النعام وجلود الماعز المدبوغة<sup>3</sup>، وقد بلور ذلك الانتعاش، تخصيص محمد المهدي النعموي ممرا غير مباشر من النعمة الشنقيطية إلى الهاوسا عن طريق توات. فذكر لأخيه مولاي إسماعيل أنه باع زمالته من الشمة، وجعل واحدة منها في الزرع والتمر، والأخرى في الكسوة، وبعث بها إلى أرض الهاوسا مع أحد أبناء عمومتهم الشرفاء التواتيين<sup>4</sup>.

• **فزان:** تقع في الجنوب الليبي، وقد تحدثنا فيما مضى أنها مثلت ممرا دائما لركب الحج، فاستفادت المدينة من تمركزها في طريق الحجاج المغاربة والتكارة، وقربها الإقليمي من بلاد السودان، مما أدى إلى تضخم أسواقها بالسلع المغربية والمشرقية والسودانية، بصورة انعكست على اقتصاد الحواضر المحيطة بها، وبالأخص، غدامس التي كانت لها تجارة متواصلة مع توات وتنبكتو<sup>5</sup>.

## 2. نظام تسيير القوافل التجارية

تقدم حركة القوافل دافعا قويا للتبادل التجاري التواتي - الشنقيطي على الصعيد الثنائي والإقليمي، وقد ساعد في ذلك توسط حواضر القطرين الممرات التجارية عبر الصحراء، التي رسمت مسارات التواصل المباشر وغير المباشر بينهما.

**1.2. تنظيم القوافل التجارية:** اعتمدت تجارة القوافل حتى نهاية القرن 19م على وسيلة الجمل؛ فهو أكثر الحيوانات صبرا، وأقواها مقاومة، وأقدرها تحملا على اجتياز الصحراء؛ لذا انتهج المسؤولون خطط

<sup>1</sup> - بول مارتى، كنتة الشريقون، المصدر السابق، ص 167.

<sup>2</sup> - أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي، المصدر السابق، ص 207.

<sup>3</sup> - س. باير، الصحراء الكبرى في القرن التاسع عشر، تاريخ إفريقيا العام، المرجع السابق، ج6، ص 594.

<sup>4</sup> - المهدي بن مولاي عبد الله النعموي، الوثيقة السابقة، ص 1.

<sup>5</sup> - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 80.

سير تنظيمية فرضتها مخاطر الطريق، وحدد أساسياتها المشرفون المباشرون على القافلة (القادة والأعوان المساعدون)، وبلغ ذلك التنظيم مستويات متطورة، فكانت بمثابة مؤسسة اقتصادية متنقلة، أو كما وصفها روني كايي مدينة مكتظة بالسكان تتحرك في قلب الصحراء<sup>1</sup>.

أما بالنسبة للقوافل التي تربط الحواضر الصحراوية ببلاد السودان وتعرف باسم "أكبار"، فتجري في وقت معين من السنة خلال شهري ماي وأكتوبر، ويصل عدد القافلتين من ثمانية إلى عشرة آلاف جمل<sup>2</sup>؛ وعلاوة على ذلك، هناك قوافل استثنائية يقوم أصحابها برحلات خارج القافلة على مدار العام، وهي أقل أهمية وتشكيلا من القافلة الأولى، وربما لا يتخطى عدد جمالها في الغالب المائة أو المائتي جمل، وقد تسلك شعابا متنوعة تختلف عن الطرق المعتاد ارتيادها<sup>3</sup>.

يورد القصري في نوازله عام 1226هـ/1807م، شأن قافلة تجارية متجهة من بوعلي إلى النعمة، ونعتبرها من الإشارات القلائل المؤكدة على تنظيم قوافل استثنائية مباشرة بين القطرين، حيث قدم وصفا دقيقا لتشكيلها وأجزاء عن مراحلها الغامضة، ومن خلال حملاتها التي وصلت إلى ستة وأربعين حملا، يمكن تقدير عدد جمال القافلة بعدد الحمولات، وبواسطتها نستطيع إعطاء صورة عامة لنظام القوافل الصحراوية، خصوصا ما تعلق بمكوناتها الحضارية، وذلك فق التنظيم الآتي:

**1.1.2. المقدم:** يمثل أعلى هرم مكلف بمهام نظام القافلة وأمنها، وينوب عن أفرادها في مفاوضة القبائل الصحراوية التي يجتازون ترابها، عن طريق دفع ضرائب لشيخوخها مقابل الحماية والمرور بسلام، ولهذه القبائل لوازم على التجار من كل جمل وحمل، ومن الراجعين بالتبر من بلاد السودان<sup>4</sup>، ولتوثيق هذه الحماية، تبرم اتفاقية بين رؤوساء قبائل الطوارق وقائد القافلة تحت إشراف طالب المنطقة، يتعهد بموجبها الرؤساء حماية القافلة وتعويض أي ضرر قد يلحق بها على يد مواطنيهم<sup>5</sup>.

لتوضيح ذلك؛ نذكر أن أولاد حمو بلحاج قد تزلعوا بدور قيادة القوافل بين توات ومناطق السودان الغربي بما فيها شنقيط، فكان محمد المهدي قائد قوافل لخبرته بدروب الطرق الفرعية<sup>6</sup>؛ وقبله

<sup>1</sup>- René Caillié, Op, Cit, P 385.

<sup>2</sup>- Ip. Id, P 192.

<sup>3</sup>- زهرة طموح: المرجع السابق، ص 294 .

<sup>4</sup>- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 99.

<sup>5</sup>- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 49.

<sup>6</sup>- القصري بن محمد المختار، المصدر السابق، ج4، ص 359.

والده مولاي عبد الله شيخ العافية، الذي قاد رحلة البرتلي من ولاتة إلى أقبلي عبر صحراء تنزروفت؛ وكذلك الشأن بالنسبة لمولاي عمار بن مولاي فضيل أثناء تنقلاته لبلاد السودان، حيث كان يسير قوافله من تاخيفت إلى ولاتة<sup>1</sup>؛ ومولاي سنبار بن مولاي محمد المهدي الملقب بنقيب الأشراف، الذي قام بالدور القيادي نفسه<sup>2</sup>.

**2.1.2. الدليل (التكشيف):** وهو الخبر بالمسالك وتشعباتها، وعادة ما يسبق الدليل القافلة رفقة القائد لمعرفة أحوال الطريق ونوايا القبائل الصحراوية، فنجاح القافلة أو فشلها حسب دumas مقتصر على خبرة الدليل، وحنكته وذكائه، ومعرفته الطرق الآمنة الغنية بالمراعي والآبار، والبعيدة عن مسار اللصوص وقطاع الطرق<sup>3</sup>، ومن مهامه - أيضا - أنه يتقدم القافلة ليبلغ أصحاب التجار القادمين بقدومهم، من أجل اكتراء دور لهم طوال مدة إقامتهم، والخروج لاستقبالهم على أقرب مسافة<sup>4</sup>.

مما لا شك فيه أن خبرة الكنتيون بالشعاب والمفاوز، ساعدتهم على أن يكون منهم التجار والحراس والأدلاء في آن واحد، فيورد الرائد أفرير جان أثناء رحلته الاستكشافية إلى آدرار الموريتانية عام 1904م، أن رؤساء كنتة أعطوه مرشدا صحراويا، مطلعاً بأمور الطريق من نواكشوط إلى تكانت، وجاء اختيار الدليل الكنتي بناء على وصية كابولاني بأخذ دليل جيد لدى كنتة<sup>5</sup>.

**3.1.2. الحراس:** يمثل الحراس مصدر أمن القافلة في الحِلِّ والترحال، ولهذا كان التجار ينتقون من لهم دراية بفنون القتال، حتى تصل تجارتهم بسلام. وينقل النقيب "لو" عن أحد تجار أقبلي الكنتيين، أنه أرسل ضمن قافلة تجارية لبلاد السودان عام 1255هـ/1838م، حمولة من التمر والسكر والشاي والتبغ و50 قطعة قماش، ووفر لحراستها خمسة وستين رجلا مسلحين بالبنادق والسيوف<sup>6</sup>، وهذا العدد يتغير حسب ضخامة القافلة وعدد المشاركين فيها وطبيعة مسالكها.

<sup>1</sup> - الوثيق بن مولاي أحمد، المرجع السابق، ج 1، ص 52.

<sup>2</sup> - Martain, Quatre Siècles D'histoire Marocaine, Op. Cit, P 148.

<sup>3</sup> - زهرة طموح، المرجع السابق، ص 296.

<sup>4</sup> - ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 393.

<sup>5</sup> - الرائد أفرير جان، المصدر السابق، ص 228.

<sup>6</sup> - محمد حوتية، آل كنتة، المرجع السابق، ص 99.

وغالبا ما ينتدب أصحاب الإبل حراسا لمرافقة جمالهم، ومثاله أن أفراد قبيلة أعريب البرابشية عملوا كحماة قوافل على امتداد الخط الرابط بين توات وشنقيط<sup>1</sup>. والاسم "أعريب" في المفهوم الحساني يمتثل عدة تفسيرات، فكثيرا ما ارتبط ببعض القبائل المستضعفة من حسان وزوايا ولحمة، وهذا يرجع بنا لما ذكرناه في فصل الدراسة الأول، حول التقسيم الوظيفي للمجتمع الشنقيطي، الذي يمجّد الفرد حسب مهاراته القتالية والمعرفية، ويهمل صلة قرابته الأسرية.

#### 4.1.2. الاستراحات: تحتاج القافلة بعد قطع أشواط طويلة إلى استرداد الأنفاس، فبعدما ينال

التعب من أفرادها يخيّمون عند آبار المياه، لسقي القرب، ومراقبة الحمولات، وتبادل أخبار الطريق مع قوافل أخرى. وتعتبر نقطة الماء "إنزيرة" من أقدم محطات المياه التي تختلف إليها القوافل في المواصلات بين توات والسودان<sup>2</sup>، وهناك - أيضا - "بئر والن" الذي حفره الشيخ محمد أبو نعامة الكنتي، حيث أقام عنده الحاج البشير البرتلي ورفاقه مدة ثلاثة أيام قبيل دخول أقبلي<sup>3</sup>.

#### 2.2. الطرق والمسالك: لعبت شبكة الطرق الصحراوية طوال العصر الوسيط والحديث دورا بارزا في

ربط الصلات والعلاقات بين الشعوب، حتى قضى الأوروبيون على جميعها، واحدة تلو الأخرى خلال القرن التاسع عشر<sup>4</sup>، وقبل الوجود الإستعماري كانت الطرق الموصلة إلى توات وشنقيط هدفا مباشرا للتجار والحجاج الميامين، لموقعهما الجغرافي الممتاز، وعلاقتهما الحضارية بما وراء الصحراء. وما يهمننا من ذلك، الطرق الرئيسية الكبرى الرابطة بين القطر التواتي والشنقيطي، ومنها:

#### 1.2.2. طريق مراکش إلى تنبكتو: تمر هذه الطريق على تارودانت وتاوريرت وتيندوف؛ وتخترق

رمال إكيدي وعرق شاش، وتتجه إلى تاوديني؛ كما تخترق الجوف شرقا مرورا بأونان وأروان، لتتجه إلى تمبكتو، وهو الطريق الذي سلكه الألماني أوسكار لانز عام 1880م؛ ولهذه الطريق فرع من تندوف

<sup>1</sup> - القصري بن محمد المختار، المصدر السابق، ج4، ص 359.

<sup>2</sup> - الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 151؛ محمد حوتية، آل كنتة، المرجع السابق، ص 104.

<sup>3</sup> - الحاج البشير البرتلي، المصدر السابق، ص 87.

<sup>4</sup> - يحيى بوعزيز، تاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، د ط، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 38.

يتجه إلى الجرف الأصفر، وأوقلتا لعزل، وفرونة، وزمور... وغيرها؛ ومن هناك يتجه فرع منها إلى تمبكتو، وفرع إلى قصر البرشان وآطار وأوجفيت على سواحل الأطلسي<sup>1</sup>.

تكمن أهمية هذه الطريق كونها تربط بين توات وبلاد شنقيط عبر طرق عرق شاش شمالاً، وأهم مراحلها بئر الحجاج وبئر الذهب<sup>2</sup>، وكذلك انفتاحها في بلاد شنقيط على مجموعتين مروريتين، واحدة تقوم بربط محطات التبادل على نهر السنغال مع المركز الإداري الرئيسي في سان لويس؛ والأخرى تنقل المسافرين عبر واحات تكانت وكتبان آدرار، إما للتوجه إلى شنقيط، وتيشيت، ومنطقة الحوض، أو مواصلة السير حتى بلوغ السواحل الأطلسية والمراكز الفرنسية على النهر<sup>3</sup>.

### 2.2.2. طريق تمبكتو إلى فاس: تصل جنوب الصحراء بشمالها، ومن محطاتها الرئيسية: تمبكتو،

وزاغة، وكابره، وكارسخو - قرية على نهر النيجر -، وزاغري، ثم ولاتة، وتغازا - قرية معدن الملح -، وسجلماسة، وفاس؛ وهي طريق سلكها الرحالة ابن بطوطة خلال القرن الرابع عشر انطلاقاً من فاس مروراً بالمدن السابقة<sup>4</sup>، بينما اتخذ في طريق الرجوع ممراً آخر، انطلاقاً من تكدا، ثم الهقار، ثم بودا، ثم سجلماسة، وخلال تلك الفترة كانت بودا الواقعة في أقصى غرب توات، مجمع القوافل التي ينطلق منها التجار لولاية<sup>5</sup>.

### 3.2.2. طريق عين صالح تمبكتو - ولاتة: مجموع مراحلها ثلاث وثلاثون مرحلة، وأهم محطاتها:

عين صالح، واينغر، وتيط، وأقبلي، وزاوية حينون، والمالح، والشبلي، وتيمادين، وحاسي تيابين، ووالن، وعين رنان، ولمبروك، والمامون، وبوجبيهة، وتمبكتو؛ ومن المامون تذهب بعض القوافل لأروان، ومنها إلى تمبكتو<sup>6</sup>؛ وكان حجاج التكرور يرتادون هذه الطريق، وقد سجل أهم محطاتها البرتلي في رحلته الحجازية انطلاقاً من ولاتة، لكنه اهتم بمدة الإقامة في البلدان أكثر من ذكر المراحل.

<sup>1</sup> - يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 40-41.

<sup>2</sup> - إبراهيم أحمد فال، المرجع السابق، ص 112.

<sup>3</sup> - Liste Du Patrimoine Mondial, Op, Cit, P 128.

<sup>4</sup> - ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 392-407؛ مبارك جعفري، الأزواد، المرجع السابق، ص 331.

<sup>5</sup> - Deporter, Op. Cit, P 42.

<sup>6</sup> - مبارك جعفري، الأزواد، المرجع السابق، ص 329.

#### 4.2.2. طريق سان لويس تنبكتو عبر ولايات: تتصل في تمبكتو بطريق القوافل الرابطة بين

السودان الغربي وتوات؛ سلك "علي صل" مسارها الأول بين عامي 1860م-1862م، وهو مستكشف سنغالي انخرط في الجيش الفرنسي، فاجتاز في مرحلة أولية منطقة سنغامبيا، من سان لويس جنوبا إلى الضفة الشمالية لنهر السنغال نزولا في البراكنة؛ ومنها انتقل في مرحلة ثانية إلى مناطق آدرار وتكانت؛ ثم في مرحلة ثالثة إلى مدن: ولايت، والنعمة، وأروان، وباسكنو، وتبكتو<sup>1</sup>.

وخلال تلك الرحلة عمل "علي صل" كمبعوث للجنرال الفرنسي فيدهرب، لتحقيق ما عجز عنه الضباط الفرنسيين؛ فسعى جاهدا لاختراق أعماق الأراضي الموريتانية، واجتياز الصحراء لجمع المعلومات المساعدة على ربط الجزائر والسنغال بخط السكة الحديدية؛ لهذا كان يطمح من وراء السفر إلى تمبكتو للالتحاق بقافلة مغربية توصله إلى منطقة توات الجزائرية<sup>2</sup>.

#### 3.2. المخاطر الطبيعية والبشرية: يشكل السفر عبر الصحراء مشقة كبيرة، فبعد المسافة بين الحواضر

يعد عائقا جغرافيا يصعب تخطيه، أمام خطر شح مياه الآبار، وإن وجدت فأغلبها تعثره ملوحة، وما يزيد الأمور تأزما عدم الاستقرار على طرق ثابتة، فالرياح والزواجر الرملية تتسبب في جفاف مياه القرب ودرم الآبار التي اعتادت القوافل التزود منها؛ وبالتالي يتكر المسافرون طرق وأساليب للنجاة بأنفسهم، ومنها على سبيل المثال: ذبح الجمال وشرب مياهها في انتظار الوصول لمنابع الماء<sup>3</sup>.

إذا سلمنا أن المخاطر الأولى -الطبيعية- خارجة عن نطاق البشر، فإن هناك مخاطر أخرى تتولد من طبيعة الصحراء وغياب الأمن، وبالتالي انقراض عقد السلطة المدنية؛ وهذا ما جعل فرص التبادل التجاري التواتي - الشنقيطي ضئيلة جدا، ويصعب تحقيقها؛ فغياب نظام الدولة شكل هاجسا بعد الفترة التي أعقبت سقوط مملكة سنغاي، بما وضع تجار القوافل تحت رحمة قبائل الصحراء خاضعين لسلطانهم، بدفع إتاوات لفائدة رؤساء القبائل تسمى "حق الطريق"، ومضاعفتها كل حين بحجة توفير

<sup>1</sup> - محمد بن محمد، المرجع السابق، ص 172-175.

<sup>2</sup> - بول مارتى، القبائل البيضانية، المصدر السابق، ص 222؛ محمد بن محمد، المرجع السابق، ص 171.

<sup>3</sup> - هذه الطريقة نقلتها المصادر التاريخية، وقد وقف الرائد أفرير جان خلال رحلته بين نواكشوط وآدرار على جماعة قاموا بهذه الطريقة، وهو ما يفعله البيضان ولكن في اللحظة الأخيرة، لأن الجمل يمكن أن يوصل صاحبه إلى حيث يجد الماء؛ ينظر أفرير جان، المصدر السابق، ص 543.

الحماية اللازمة؛ ولهذا استفاد أحمد ولد عيدة حاكم آدرار ويوسف بن رحال البراييشي من خفر الطريق عن حمولات التبغ التواتية والشنقيطية والمغربية التي تمر بأرضهم<sup>1</sup>.

كثيرا ما كانت طرق القوافل التواتية عرضة لمباغرات اللصوص، خاصة وأن مرتاديها يمرون بمجالات قبائل تغذيتهم الفطرية مبنية على الغزو والنهب، بسبب ما يعانونه من حرمان وشظف عيش وهم على مشارف السودان<sup>2</sup>؛ فمثلا، لم تسلم قافلة الشيخ مولاي عبد الله بن مولاي عبد المالك الرقاني في طريقها لولادة من بطش اللصوص، بعد أن اعترض مسارها قبائل الطوارق، وجرّدوا مرافقيه من بضائعهم وأمتعتهم، لولا تدخل الحاج العابد الولاقي وسيطا لاسترجاع المنهوبات<sup>3</sup>؛ ومرد ذلك غياب الأمن والحساسية المفرطة بين الشعوب، بما أسهم في تشنج العلاقات بين القبائل البيضانية والسودانية، بصورة أثرت سلبا على سلامة قوافل التجار؛ ومن ذلك، الغارة التي شنّها الفولان على أبناء إعيش (أولاد إعيش) عام 1236هـ/1821م، فنهبوا أموالهم، وقتلوا منهم الخلق الكثير<sup>4</sup>.

بمرافقة مسار قافلة محمد المهدي عام 1226هـ/1807م؛ نقل العلامة القصري تجاوزات خطيرة أحدثتها الحراس، فالخطر البشري تخطى حدود لصوصية الطرقات، إلى ما يمكن تسميته اللصوصية الحراسية، والتي تجلّت في تزوير العقود المنسوخة بين الطرفين تحت طائل التهديد المادي والمعنوي، وترك بعض حمولات التجار في مكان معزول يسمى "بئر التهمة"<sup>5</sup>؛ وهكذا أصبح التاجر غير آمن على نفسه وماله، ممن يفترض أنهم مصدر حمايته وراحته من قطاع الطرق المجهولين.

### 3. البضائع والسلع وطرق التعامل التجاري

يساهم التجار في تنمية حركة القوافل الصحراوية، عن طريق نقل السلع وجلبها، وتحديد طرق تعاملاتها الاقتصادية؛ لذلك عمل تجار توات وشنقيط بمقولة ابن خلدون أن التجار لا ينقلون من السلع إلى المواطن البعيدة، إلا ما تعم حاجة الناس إليه على حسب الغني وقدر الفقير، كون التجارة مع

<sup>1</sup> - Étienne Richet, Op. Cit, P 135.

<sup>2</sup> - القصري بن محمد المختار، المصدر السابق، ج3، ص 406؛ Gerhard Rohlf, Op. Cit, P 106.

<sup>3</sup> - محمد سالم بن الحاج مسعود، رسالة جماعة ولادة إلى سيدي بله ولد مولاي عبد المالك الرقاني، وثيقة مخطوطة، خزنة مولاي العباس الرقاني، بني وازل، بلدية بودة، ولاية آدرار، الجزائر، ص 2.

<sup>4</sup> - جدو بن الطالب الصغير البرتلي، المصدر السابق، ص 39.

<sup>5</sup> - القصري بن محمد المختار، المصدر السابق، ج4، ص 360.

السودان خطرة على أصحابها، بما يحفها من مخاطر الطريق، عند اجتياز المفازات المخطرة بالخوف والعطش؛ ولهذا يتمتع التجار المولعون بها بقدر وافر من الرفاهية والمال<sup>1</sup>.

**1.3. الصادرات والواردات:** يمكن حصر سلع التبادل التجاري في: المواد المعدنية، والمنسوجات، وبعض المنتجات الزراعية والحيوانية، وريش النعام، والذهب، والعاج، واللحوم...<sup>2</sup>، ومن بين هذه المنتجات ما هو محلي، وما هو مستورد يعاد تصديره عن طريق الأسواق؛ إذ أن التجار التواتيين كانوا يقدون على ولادة محملين ببضائع صوفية مطلوبة في الأسواق، كالبرانس والأقمصة وجميع أنواع الأقمشة الحريرية، والنطاقات والأحزمة الجلدية والحريرية المتنوعة التي تستخدم لحفظ الأسلحة وحملها، ومثل هذا النوع من البضائع حسب "علي صل" يتنافس ويتسابق البيضان والسودان على شرائها<sup>3</sup>، ومن أهم السلع في المبادلات التجارية بين القطرين نذكر الآتي:

**1.1.3. التمور:** يشكل منتج التمر بشتى أصنافه أهم الصادرات التواتية والشنقيطية؛ ومن أجل ضمان ديمومة الاستيراد والتصدير مع العالم الخارجي، كان المواطن في حاجة إلى سلع خارجية مقابل التخلص من فائض التمر المحلي<sup>4</sup>؛ ولأن جودة تمور توات جعلتها محل طلب متزايد شمال وجنوب الصحراء، يورد سبائير أن التمور الخارجة من المقاطعات التواتية، كانت تصل إلى الأسواق المغربية في فاس ومكناس عن طريق فيجيج، مزاحمة بذلك تمور تافيلالت الكثيرة<sup>5</sup>.

رغم شهرة الواحات الشنقيطية بتصدير مختلف أنواع التمور لبلاد الزنوج، تبقى حسرة محمد المهدي من تراجع محصول التمر في بساتين بوعلي تحمل دلالات كثيرة، وقد تعطينا فكرة عن تبادل اقتصادي تم بتصدير التمر التواتي إلى أسواق الحوض الشرقي الموريتاني، لا سيما أن التجار التواتيين

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 495.

<sup>2</sup> - الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن 15 إلى بداية القرن 18م، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1420هـ/1999م، ص 318.

<sup>3</sup> - محمد بن محمد، المرجع السابق، ص 396.

<sup>4</sup> - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 69.

<sup>5</sup> - Camille Sabatier, Touat, Sahara Et Soudan, Etude Géographique, Folitique, Economique Et Militaire, Bibliothèque Générale De Géographie, 4 rue Antoine Dubois, Paris, 1891, P 192.

كانوا يبيعون تمرهم على شكلها الطبيعي الجاف، أو يقومون بتهذيبها من العلف والنوى، ثم يكسرونها قطع صغيرة بحجم حبات القمح تسمى "السفوف"<sup>1</sup>.

**2.1.3. الملح:** يعتبر الملح سلعة مهمة في تجارة الصحراء، نظرا لعدم توفره بكميات تكفي لسد متطلبات السكان داخل أرض السودان، حيث ينعدم جنوب الصحراء، إلا في بعض مناطق شرق النيجر حول حوض البنوي، حيث يستخرجه الأهالي من المستنقعات في فترة الجفاف<sup>2</sup>؛ لذلك كانت ملاحظة إيجيل التي يستغلها الحرارزة (عبيد كنتة) تزود معظم مدن الجنوب بالملح، فقدرت الدراسات حمولة الملح الخارجة من شنقيط في القرن (12هـ/18م)، بما يقارب اثنين وثلاثين ألف جمل؛ عشرون ألفا منها لأهل آدرار وضواحيها، واثنان عشر ألفا لأهل تيشيت<sup>3</sup>.

يقطع الملح بعد استخراجه على هيئة ألواح كبيرة، ثم يشد بالحبال، ليحمل على ظهر الإبل لكل جمل لوحين<sup>4</sup>؛ كما توجد إلى جانب ملاحه إيجيل ملاحات مصاوبة للسودان، من أهمها ملاحه تغازا وتاودني، هذه الأخيرة نالت شهرة كبيرة<sup>5</sup>، حيث أصبحت القوافل القادمة من توات وشنقيط تخيم عندها استعدادا للتجهز بالملح، خاصة وأن سباخ توات من النوع الذي لا يغطي الاحتياجات الخارجية، إضافة لتراجع منسوب ملاحه إيجيل خلال القرن (13هـ/19م).

**3.1.3. العبيد:** ظلت تجارة العبيد من المعاملات الاقتصادية المربحة حتى بعد مؤتمر فيينا عام 1807م، الذي ألغى الإتجار بهم بواسطة مراسيم وعقود. ويذكر أحمد بن الأمين الشنقيطي أن "العبد كان يباع بجذائه، أي نعله"<sup>6</sup>؛ وكثيرا ما تحدث مستكشفو أدغال أفريقيا عن هذا النوع من التجارة، لأن معظم العبيد يجلبون من جنوب النهر، ويباعون بأثمان مختلفة حسب فارق السن، والبنية الجسدية،

<sup>1</sup> محمد المهدي، الوثيقة السابقة، ص 2؛ مولاي هببة الله الرقاني، رسالة إلى محمد بن علي بن أحمد بشأن تمر دكلة مدقوق، وثيقة مخطوطة، جمعية مسجد ومدرسة مولاي عبد الله الرقاني، دائرة رقان، ولاية آدرار، الجزائر، د ت.

<sup>2</sup> الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 324.

<sup>3</sup> سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، صحيحة النقل، المصدر السابق، ص 14.

<sup>4</sup> ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 392؛ أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 521..

<sup>5</sup> محمد محمود الأرواني، المصدر السابق، ص 313؛ أبي الخير بن عبد الله الأرواني، المصدر السابق، ص 26.

<sup>6</sup> أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 521.

والجمال، ثم يعاد بيعهم مرة أخرى في أسواق جني، وتمبكتو، وغاو، كونها مناطق عبور تمثل نقاط تواصل بين تجار الشمال والجنوب<sup>1</sup>، بما فيهم التجار التواتيون والشناقطة.

وحسب الرحالة الألماني Oskar Lenz (أوسكار لانز)، فإن أعداد العبيد المتوافدين على الشمال الإفريقي كان ضخما جدا، بحكم أن القوافل التجارية تحط بالحواضر المغربية سنويا، محملة بمئات الرجال والنساء والأطفال من بلاد البامبارا<sup>2</sup>، وقد أصبحت مسألة جلبهم محل دراسة فقهية مع نازلة "معراج الصعود في حكم مجلوب السود"، وعليه تطرق العلامة القصري في مواضع متفرقة لأهمية هذه التجارة، بغرض تحديد مواطن العبيد ودياناتهم، حتى لا يعامل المسلمون منهم كالوثنيين<sup>3</sup>.

بناء على ذلك، ساعد اتساع تجارة الرقيق بين ضفتي الصحراء، على تحويل بعض العبيد للأسواق التواتية عبر محطات تجارية متنوع؛ مما جعل مولاي هيبة الله الرقاني يرسل عبيد مملوكين لأبناء مولاي هاشم ومولاي محمد الرقانيين، أحدهما مجلوب من نواحي تمبكتو والآخر من ولاتة، وطلب من مولاي علي بن العايش المتواجد بأروان أن يمسكهما، ثم يعيد توجيههما مع أحد الثقات، كما أوصاه بعدم إرسالهما مجتمعين، وإذا وصلا توات، فلا يبعان لأحدهما من أملاك عائلات خاصة<sup>4</sup>.

### 4.1.3. التبغ: كان يدخل ضمن المبادلات التجارية الأساسية التي ربطت توات بما وراء

الصحراء، رغم تضارب الآراء الفقهية بشأن تعاطي مادته، والحكم الشرعي في تعامل التجار بها<sup>5</sup>، إلا أن واحات توات متمثلة في منطقة زاوية كنتة، وواحات تافيلالت المغربية، كان لهما وزن اقتصادي مهم في توازن سوق التبغ<sup>6</sup>، وخلال تلك العملية لعبت الحواضر الشنقيطية دور المستورد - المصدر، بواسطة الاحتكاك بالتجار المغاربة والتواتيين المتزددين على أسواق الساحل الإفريقي.

<sup>1</sup> - مبارك جعفري، الأزواد، المرجع السابق، ص 352.

<sup>2</sup> - Oskar Lenz, *Timbouctou Voyage Au Maroc, Au Sahara et Au Soudan*, Traduit de L'Allemand, Pierre Lehautcourt, Librairie, Boulevard Saint-Germain, 79, Paris, 1886, P 395.

<sup>3</sup> - القصري بن محمد المختار، المصدر السابق، ج3، ص 162.

<sup>4</sup> - مولاي هيبة الله الرقاني، رسالة إلى مولاي علي بن العايش (بتصرف)، كتاب الندوة الرابعة، مرجع سابق، 2018، ص 119.

<sup>5</sup> - محمد بن المختار بن الأعمش، المصدر السابق، ص 183.

<sup>6</sup> - القصري بن محمد المختار، المصدر السابق، ج3، ص 178.

هكذا ساهم التجار بقسط وافر في تغطية الأسواق بمادة التبغ، عن طريق شحن عشرات الحمولات وتصديرها لمدن: أروان، وولاتة، والنعمة<sup>1</sup>؛ باعتبار سكان هذه الحواضر على تواصل مباشر بتوات؛ وكذا الانتشار الواسع للعائلات التواتية بها، وهذا دافع توافد مهاجري توات وتجارها اللا منقطع على الأسواق الإفريقية. وقد أورد الضابط مارتان تعهد أحد التجار أصحاب الإبل عام 1830م، بنقل عشر حمولات من التبغ لتاجر من شنقيط، وبيعها في أروان أو السودان<sup>2</sup>.

**5.1.3 المواشي:** تشتهر بلاد شنقيط بثروتها الحيوانية الكبيرة، فيصدر المتعاملون فائض الأغنام والإبل عبر محطات التجارة الأطلسية والصحراوية<sup>3</sup>، وجودة المواشي الشنقيطية جعلها محل طلب متزايد من التجار الأجانب. وخلال البحث لم نجد إشارات مباشرة عن تبادل تواتي - شنقيطي في هذا المجال، لكن من الطبيعي أن المتعاملين التواتيين بعد بيع سلعهم في الأسواق الشنقيطية، كانوا يشترون بدلها سلع أخرى قليلة التواجد بمناطق توات؛ وما تخصص فقرة الدويهنة للحم المففف مع كل وفادة للزاوية الرقانية<sup>4</sup>، إلا خير دليل على جودة اللحوم الشنقيطية، وحاجة التواتيين الملححة إليها.

حول أهمية تجارة الإبل في المبادلات الصحراوية، تحدث الأرواني عن توافد تجار توات وغدامس على أروان محملين بالشمة والتمر ولكحال مرتين في الشهر أو أكثر، بغرض بيعها أو استبدالها بالبخور والصمغ والعاج والريش والرقيق<sup>5</sup>؛ كما ذكر - أيضا - أن الشناقطة أصحاب ثروة هائلة من الإبل، يقدون على أروان بالسلع، ويدفعون لأمير البرابيش الحفر مقابل الحماية والمرور بأمان "حيث كان يأخذ من أهل شنقيط الواردين على أروان لبيع إبلهم كل وقت وحين، وهم الأغلال وأهل بوردة وإجمان وتنواجيو ومشظوف ووأولاد بله، وهم يأتون بالألوف من الإبل للبيع كل حين"<sup>6</sup>.

**2.3. سياقات التبادل التجاري:** تكاد تتفق أغلب الدراسات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين، حول قلة العملات النقدية في الممارسات التجارية بالمناطق الصحراوية والبلاد الواقعة جنوبها،

<sup>1</sup> - بول مارتني، القبائل البيضاوية، المصدر السابق، ص 237.

<sup>2</sup> - Martain, *Quatre Siècles D'histoire Marocaine*, Op. Cit, P 150.

<sup>3</sup> - Exposition Colonial Internationale, Op. Cit, P 125.

<sup>4</sup> - محمد الرقاني، المقابلة الشفوية السابقة.

<sup>5</sup> - محمد محمود الأرواني، المصدر السابق، ص 312.

<sup>6</sup> - نفسه، ص 313.

وغالبية المعاملات كانت مبنية على أساس المقايضة، من أجل تحقيق وحدة اجتماعية تزيد أفراد المجتمع لحمة وتقوية، وذلك وفق سياقات تجارية متعددة، نذكر منها الآتي:

**1.2.3. المقايضة:** تكون عن طريق تعويض فائض السلع بالمفقود، فكان تبادل الملح مقابل الذهب شائعا، ويشترط في المقايضة تعجيل البيع لا تأخيرها، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: {نحانا رسول الله ﷺ عن بيع الورق بالورق، والذهب بالذهب، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر - قال أحدهما: والملح بالملح، ولم يقله الآخر - وأمرنا أن نبيع البر بالشعير، والشعير بالبر يدا بيد، كيف شئنا<sup>1</sup>؛ وبناء على ذلك سادت مقايضة التمر بالزرع أو الملح في توات<sup>2</sup>؛ كما استخدم الشناقطة الإبل والغنم والبقر في المقايضة بأرض أولاد دليم؛ والثياب والغنم والبقر في بلاد الكبلة الشرقية؛ والغنم والإبل والبقر في الكبلة الغربية؛ وعوائل الملح والدوانق في بلاد الحوض الشرقية<sup>3</sup>.

ولعل حادث بيع عقار مولاي المامون عام 1247هـ/1831م، الذي اشتراه أبناء مولاي الحسن بن مولاي عبد الله مقابل ما أُخِذَ من حصة أبيهم في ولاية<sup>4</sup>، ألقى بظلاله على بيع أحد بساتين مولاي المامون في توات، وهو ما لمح إليه خطاب سيدي محمد بن مولاي المامون للشيخ سيدي محمد العيمش، بهدف إبطال -على ما يعتقد- جانباً من عقد جماعة ولاية، فهو يطالبه (بلعيمش) بصفته مشرفاً على تنفيذ عملية البيع والشراء، عدم تصديق ما ينقله شرفاء توات؛ لأن البستان المباع يدخل فيه ما يفوق العشرين وريثاً من نساء، وصبيان لم يبلغوا الحلم<sup>5</sup>.

**2.2.3. المثل الذهبي والفضي:** كان يمثل وسيلة تعامل لقرون خلت، ولم يكن مقتصرًا على التجارة بل شمل مجالات عديدة، وتطرقنا سابقاً لصدقات الزاوية الرقانية التي كانت تصلها من ولاية، سواء المرسله مع مولاي عمار، أو التي كان يجمعها الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، والمقدرة

<sup>1</sup> ابن ماجة، باب الصرف وما لا يجوز متفاضلاً يدا بيد، الحديث 2254، سنن بن ماجة، مصدر سابق، ص: 757-758.

<sup>2</sup> أبي زيد عبد الرحمن الجنتوري، المصدر السابق، ص 37.

<sup>3</sup> إيمان رجب زكي تمام، المرجع السابق، ص 1891.

<sup>4</sup> عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن أحمد بن هبت، الوثيقة السابقة.

<sup>5</sup> محمد بن مولاي المامون، رسالة إلى سيدي محمد بلعيمش في شأن بيع أحد بساتين توات، وثيقة مخطوطة، خزانة مولاي العباس الرقاني، بني وازل، بلدية بودة، ولاية أدرار، الجزائر، د ت.

بمقالين ذهباً سنوياً لكل فرد من مريدي الزاوية<sup>1</sup>، والشيء نفسه ينطبق على حمولات الجمال وأسعار المواد الغالبة الاستعمال، كالمواد الغذائية والمعدنية واللحوم وأدوات الزينة والعطور.

**3.2.3. الشراكة:** فرضت خطورة الطريق، وقلة الرواحل بين شمال الصحراء وجنوبها، هذا النوع من التعاملات التجارية، وتعتبر الشراكة من التعاملات الاقتصادية المنتشرة في توات، خصوصاً فيما يتعلق بماء الفقارات الموزع عبر السواقي<sup>2</sup>؛ ومن نماذجها الشراكة التي ربطت مولاي هيبه الله مع مولاي علي بن العايش، في تسيير تجارتهم بين توات والسودان الغربي، وكذلك شراكة محمد المهدي والمهدي بن مولاي أحمد، ومولاي دريس، ومحمد بن علي بن مولاي الوثيق، والعربي بن أحمد، في شأن حمولات التبغ الستة والأربعين، الموجهة من بوعلي توات إلى النعمة بشنقيط<sup>3</sup>.

**4.2.3. الكراء:** يستلزم التجار توفير عدد معتبر من الإبل لنقل البضائع، ولبعض التجار جمال كثيرة قد تصل عند الواحد منهم السبعين جملاً أو يزيد، وربما يعجز أحد التجار تحصيل هذا العدد الهائل من الجمال، مما يجعله مضطراً للبحث عن جمال لنقل بضاعته، فيجد أرباب الإبل، وهذه الفئة يقوم أفرادها بتربية الإبل واستئجارها، لتوفير وسيلة النقل الصحراوي للقوافل<sup>4</sup>.

ومن القبائل التي كانت تعمل برسم التجارة وتستأجر الإبل، قبيلة أولاد زنان في توات، وقبيلة تجكانت وأولاد دليم شمال شنقيط، وقبيلة أعريب شمال مالي. فيذكر الأرواني "أن رفقة كبيرة عظيمة من تجكانت جاءت باثنتي عشر ناقة من الإبل حاملة كلها الملح من تاودني إلا القليل"<sup>5</sup>؛ كما أن قبيلة أعريب العربية، كان أفرادها يكترون الإبل للتجار الوافدين على أسواق توات، فالقافلة التي قادها محمد المهدي، مجموع جمالها الستة والأربعون لمتعاملين من قبيلة أعريب أروان.

<sup>1</sup> - أحمد بن الحاج عمر، رسالة إلى أبناء الشيخ مولاي الله الرقاني (بتصرف)، مبارك جعفري، العلاقة الروحية، المرجع السابق، ص 366-382.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الجننتوري، المصدر السابق، ص 25

<sup>3</sup> - القصري بن محمد المختار، المصدر السابق، ج4، ص 359.

<sup>4</sup> - زهرة طموح، المرجع السابق، ص 300.

<sup>5</sup> - محمد بن محمود الأرواني: المصدر السابق، ص 313.

### 5.2.3. النقود: لم تكن في طليعة المعاملات الاقتصادية في توات وبلاد شنقيط، ومحدودية

التعامل بها لا يعني انقطاعها؛ فهناك نازلة عرضت على الفقيه أبي بكر بن عبد الله الملقب بـبانا التشيتي المتوفى عام 1209هـ/1795م، تؤكد أن رجلاً أعطى أحد الوكلاء دنانير يشتري بها تبراً<sup>1</sup>؛ وكذلك ما سجلته النوازل التواتية عن عقد نكاح، قدّر تعيين دنانيره بالمثقال، حيث عرضت نازلة على الجنثوري اشترط فيها ولي الزوجة على الزوج صداقاً، مبلغه ستون ديناراً، في كل دينار ثلث المثقال<sup>2</sup>.

### 6.2.3. الوكيل: أشرنا في العلاقات الاجتماعية لمثل هذا النوع من المعاملات بين التواتيين

والشناقطة، ولا بأس من إعادة عرض بعض صورته في الجانب الاقتصادي، ومنها النوازل التي كان فيها أبناء الرقاني وكلاء مؤتمنين؛ فالأولى تعتبر مولاي هيبة الله الرقاني وكيلا على مال فاطمة بنت الحاج محمد؛ والثانية والده مولاي السعيد الرقاني مؤتمناً في مائتي مثقال ذهباً، من مال مولاي علي بن مولاي الشيخ لتسديده للوكيل المباشر (مولاي عبد الرحمن بن مولاي السعيد)<sup>3</sup>.

### 3.3. وحدات الكيل والوزن والقياس: إن التاجر المسلم بصدقه وأمانته، يقدم صورة صادقة عن

الإسلام المحمدي، وكثيراً ما اعتبر المؤرخون التجار سفراء الإسلام في البلاد الوثنية، بأخلاقهم الفاضلة ونبيل سيرهم الحسنة، فخدموا الدين والتجارة في آن واحد. ويشترط في التاجر أن يكون تقياً صادقاً أميناً، وهي صفات أوصى بها الرسول ﷺ كل تاجر مسلم يرغب تحصيل بركة الرزق والفلاح في الدارين، فقال في الحديث الشريف: {إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً، إلا من اتقى الله وبرّ وصدق}<sup>4</sup>.

وحتى لا يعتري تلك المعاملات الاقتصادية شوائب، استخدمت مكايل وأوزان ومقاييس مختلفة:

القيراط، والعديلة، والبيصة، والصاع، والأوقية، والمزود، والحمل، والمد، والرطل، والمثقال، والحبة، والوزنة،

<sup>1</sup> - إيمان رجب زكي تمام، المرجع السابق، ص 1891.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن الجنثوري، المصدر السابق، ص 25.

<sup>3</sup> - محمد الحاج بن أحمد أبي نعامة، الوثيقة السابقة؛ محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، الوثيقة السابقة.

<sup>4</sup> - الإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (279هـ/893م)، سنن الترمذي وهو الجامع الكبير، تحقيق ودراسة، مركز البحوث وتقنية المعلومات، الحديث رقم، 1252 من باب البيوع عن رسول الله ﷺ، دار التأصيل، القاهرة، 1435هـ/2014م، مج2، ص 391.

والسرة، والزقن، والشبر، والقدم، والذراع، والشبر... إلخ<sup>1</sup>، ومن بين هذه الوحدات سنحاول تسليط الضوء على المكاييل والأوزان التي مثلت وصلة اقتصادية بين المتعاملين التواتيين والشناقطة.

**1.3.3 القيراط:** وحدة وزن تساوي تقريبا ثلاث حبات قمح، والبعض يقول ثلاث حبات شعير، وقياسه عند الحنفية خلاف جمهور العلماء<sup>2</sup>، وتقديره بالنسبة لواحد دينار هو أربعة وعشرون قيراطا<sup>3</sup>، ظل التعامل به محدودا جدا، لوفرة المعادن النفيسة ودقة وزنه، وقد ورد ذكره في عقد حبس آل مولاي صالح من فقارات توات المؤرخ عام 1196هـ/1782م، والذي يحدد عدد حبات الماء التي يستفيد منها ورثته من الأولاد وأبنائهم دون أبناء الإناث، ومن بينها عشر حبات وعشرة قيراط من فقارة ابن عين، وأربع حبات أخرى غير سبعة قيراط من فقارة تقرأفت<sup>4</sup>.

**2.3.3 العديلة:** قطعة من الملح تقاس بالشبر، تختلف أوزانها وأحجامها وأطوالها، غير أن سيدي أحمد ولد الأمير<sup>5</sup> قدر طولها بحوالي المتر، وعرضها 20 سنتيمترا، وسمكها 40 سنتيمترا، وتزن ما بين 20 إلى 40 كيلوغراما، وظل التعامل بها شائعا في مختلف أنواع البيوع ببلاد شنقيط وما جاورها، أما صفتها فهي قَطْعُ الملح قطعاً قطعاً، كل قطعة تسمى عديلة، وقد تناولها ابن بطوطة خلال القرن (8هـ/14م) دون تحديد اسمها، فذكر أن الملح بعد تقطيعه يعوض الذهب والفضة في الصرف، والمسافر في بلاد السودان تغنيه قطع الملح عن زاد الطريق من طعام وزاد ونقود<sup>6</sup>.

ولما كان تباع الشناقطة بالملح - كعملة تجارية - هو الغالب، تطرقت النوازل الفقهية في مواضع متفرقة لمعاملاتها، كونها وحدة تسويق متداولة، كبيع العدائل دون إذن صاحبها في السودان؛ أو بيع العديلة بزرع؛ أو إبدال عديلة رديئة بأخرى جيدة؛ أو شراء العديلة أو الزرع أو الملحفة من غير رؤية<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - الطالب المجتبي عنكر، المرجع السابق، ص 28؛ مبارك جعفري، الأزواد، المرجع السابق، ص 368-383.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 377.

<sup>3</sup> - عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي، المصدر السابق، ص 330.

<sup>4</sup> - عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن أبي بكر، الوثيقة السابقة، ص 2.

<sup>5</sup> - سيدي أحمد ولد الأمير، المجال الموريتاني: مقالات في التاريخ والثقافة، ط1، مركز الدراسات الصحراوية، الرباط، 2014، ص 65.

<sup>6</sup> - ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 392-395؛ محمد بن المختار بن الأعمش، المصدر السابق، ص 186.

<sup>7</sup> - نفسه، ص 182-196؛ القصري بن محمد المختار، المصدر السابق، ج3، ص 38-447.

كما برز تأثير التجار التواتيين بتعاملات أهل الساحل في تجارتهم، فيورد أعلي بن محمد البركة أن جماعة وفدت عليه من توات، وأخبرته حال السوق، مثل: ثمن الزرع عديلة ونصف العديلة<sup>1</sup>.

**3.3.3. البيصة:** وهي علم على ثلاثين ذراعاً قماش، فيقولون: بكم تباع هذا العبد، أو الجمل، أو البقرة؟ فيقول: بعشر بيصات؛ وقيمة البيصة تختلف حسب جودة القماش، أما سعرها فالأغلب أن يعلم برؤوس الغنم، فيقال مثلاً: كم ثمن البيصة من الغنم؟ فيقول: ثلاث جدعات، أو ربع أو نحو ذلك... إلخ من المقاربات بالمواشي<sup>2</sup>. وبينما غلب تعامل الشناقطة بالبيص، كان هذا النوع من التعاملات قليلاً جداً في توات، لكنه ليس منعدماً، بل دليل أن عبد الله بن بايش طلب من مولاي عبد الكريم بن مولاي عبد الرحمن الرقاني المتواجد في جني شراء جلود بالبيص<sup>3</sup>.

جدير بالذكر، أن العديلة والبيصة استعملتا كعملات إلى جانب عملات التبادل التجاري، فكان يتم بواسطة البيصة تسعير الحيوان، وبها تدفع الديات وتؤدى الغرامات، وقد شاع عند الشناقطة قماش النيل حتى صار من أبرز وأهم أنواع الأقمشة بالبلاد قديماً<sup>4</sup>، ويتضح ذلك من المكانة الاجتماعية والاقتصادية لهذا القماش الذي دخل ضمن ميراث الهالك، وكذا في تعجيل محمد المهدي من أخيه مولاي إسماعيل، إرسال غشابة قماش كبيرة مع أول قادم من النعمة إلى توات<sup>5</sup>.

**4.3.3. الصاع:** وحدة كيل تستخدم في كيل الحبوب، وهو يساوي أربعة أضعاف المد<sup>6</sup>، أي ما يعادل ثلاثة لترات تقريباً، وفي نوازل عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي، أن هز الصاع في الكيل وتحريكه باليد لا يجوز ادخاله في البيع، لما فيه من جهالة وغرر وتضليل المشتري<sup>7</sup>.

1- أعلي بن محمد البركة، رسالة إلى مولاي عبد الكريم بن سيدي محمد الرقاني، وثيقة مخطوطة، جمعية مسجد ومدرسة مولاي عبد الله الرقاني، زاوية الرقاني، دائرة رقان، ولاية أدرار، الجزائر، د ت، ص 1.

2- أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 523.

3- عبد الله بن بايش، رسالة إلى مولاي عبد الكريم بن مولاي عبد الرحمن الرقاني ومولاي أحمد حول سوق الملح في جني، وثيقة مخطوطة، جمعية مسجد ومدرسة مولاي عبد الله الرقاني، زاوية الرقاني، دائرة رقان، ولاية أدرار، الجزائر، د ت.

4- أحمد ولد الأمير، المرجع المرجع، ص 64.

5- محمد المهدي، الوثيقة السابقة، ص 2؛ محمد بن مولاي هاشم، الوثيقة السابقة، ص 1.

6- عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص 199.

7- سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي، المصدر السابق، ص 345.

### 5.3.3. الحمل: وهو الوحدة الكبرى المستخدمة في كيل التمر والحبوب، ولما كان يصعب تحديد

وزن الجمل بدقة، قدرت بعض الدراسات الأجنبية بناء على قدرة تحمل الجمل وصبره، حجم متوسط حملته ما بين (140-180) كيلوغرام<sup>1</sup>، وكان هذا النوع من القياس شائعاً، ومر معنا في عديد الأمثلة عن تعاملات تجارية بين التواتيين والشناقطة بهذا الشكل.

### 6.3.3. الحبة: وهي من وحدات قياس الماء في توات إلى جانب الشكفة أو الخلافة، والسعفة،

والعصا، والقيراط... إلخ، وصفتها عبارة عن حبة من القمح أو الشعير، قاعدتها الذهب الخالص أربعة وعشرون قيراطاً، استعملت كوحدة قياس من طرف مهندسي الفقارة، لتوزيع أنصبة المساهمين فيها بالتساوي، سواء بالحصة أو الشراء أو تحصيل ماء مقابل العمل بالفقارة<sup>2</sup>، ومن خلال الرجوع للوثائق السابقة، أظهرت وثيقة الحبس مجموع سقي جنانات عائلة آل مولاي صالح من فقارات توات المختلفة، والمقدر بثلاثة وأربعين حبة وسدس الحبة، وقيراطاً من ثلاث حبات<sup>3</sup>.

خلاصة القول، أخذ التبادل التجاري التواتي - الشنقيطي أوجه مختلفة، ساهم فيه تموقع القطرين على طريق القوافل، مما ساعد الأسواق الداخلية في عرض منتجات محلية، وإعادة تصدير الفائض منها إلى الأسواق الخارجية التي مثلت نقطة التمازج الاقتصادي، ورغم المخاطر التي كانت تواجه مرتادي الطرق؛ إلا أن حركة التبادل الثنائي ظلت منتظمة، حيث استطاع المتعاملون إلى جانب التصدير والاستيراد، التعريف بطرق ووسائل تعامل، نقلها التجار من بيئتهم إلى بيئة أخرى.

وفي الختام إن حالة الوضع الاقتصادي التواتي - الشنقيطي، ترجمها التشابه الحاصل بين فلاحي وحرفي وتجار القطرين في شتى الجوانب المهنية، فما رأيناه من طرق ووسائل تقليدية لخدمة الأرض وتنوع المحاصيل الزراعية، جدير بتحقيق وحدة اقتصادية أصبحت فيما بعد طريقاً للتبادل التجاري بينهما، فلم يُضعف المناخ وتقلباته عزيمة الفلاح ولا الحرفي ولا التاجر، لتوفير مستلزمات يكون الطرف الآخر في أمس الحاجة إليها، خصوصاً مع وجود بعض مسببات فرص الإنتاج، من مواد أولية خامة في مقدمتها المواد المعدنية والمستلخصات النباتية والحيوانية، والتي شكلت دافعاً لخوض الحرفيين مجالات صناعية رغم

<sup>1</sup> مبارك جعفري، الأزواد، المرجع السابق، ص 381.

<sup>2</sup> مولاي عبد الله سماعيل، المرجع السابق، ج 1، ص 52.

<sup>3</sup> عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن أبي بكر، الوثيقة السابقة، ص 2.

محدودية كفاءة ممارستها، إلا أنها أدخلت بعض أدواتها في قائمة الصادرات والواردات الرئيسية بينهما، إضافة لما كان يقوم به التجار من نقل وتوصيل السلع من أسواق إلى أخرى، إما عن طريق المقايضة -الغالبية- أو عن طريق معاملات اقتصادية، كان يتعامل بها إما على الصعيد المحلي الخاص أو العام، مما يجعلنا نؤكد أن الوضع الاقتصادي في توات وبلاد شنقيط، كان له الأثر الإيجابي في التواصل الحضاري بينهما، ومن ثمَّ الإنتقال عن طريقهما لباقي الأقطار.

الخاتمة

تتميز موقع توات وشنقيط على ضفتي الصحراء الإفريقية الكبرى بذات الأهمية والحيوية، والمتبع للتاريخ يلاحظ كيف أثرت حواضرهما في التنقلات والتعاملات؛ وقد وقفنا خلال فترة الدراسة أي القرنين (12-13هـ/18-19م) على دلائل كثيرة تقوي فرضيات التواصل الثنائي في أغلب عناصره المؤسّسة، والتي أبانت عمق العلاقات وتجذرهما عبر مراحل وحقب تاريخية، وبمساهمة خلايا نشطة أيعت ثمار التواصل في مختلف الميادين والأصعدة، لاسيما في المجالات التي يملئها طابع خصوصيات المنطقة، وتشابه المؤثرات التي تجعل الفرد مألوفاً أينما حل وحيثما ارتحل.

وعلى ضوء دراستنا للموضوع بناءً على ما جادت به المصادر والمراجع المتأصلة، وبعدها فصلنا في - أغلب - جوانب الدراسة المهمة، اتضحت لنا جملة من النتائج؛ أهمها:

- تعتبر الهجرات القبلية من وإلى توات وحواضر شنقيط خلال قرني الدراسة (12-13هـ/18-19م) استمرارية لهجرات سابقة قدمت من أحد مناطق البلدين للاستيطان بموطن الآخر، والتي أتخذت من صحراء أزواد مهبطاً لإختراق منطقة الحوض الشرقي ثم بلاد تكانت وما جاورها. ومن أهم تشكيلاتها قبائل إداو علي، والشرفاء أحفاد حمو بلحاج، والقبائل الكنتية بمختلف أصولها وفروعها (بني الرقاد على وجه الخصوص).

- تأثر الولايتين الا متناهي بأفكار شيوخ التصوف، فأصبح - مثلاً - كل شخص يحمل لقب الرقاني أو مبعوث بوسطة أحد وكلائهم مبعولاً مكرماً، كما تدعم ذلك التقارب باندماج أعلام ولايتين يشهد لهم بالموسوعية والتبهر العلمي في مشروع الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني الطرقي، أمثال الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي والطالب محمد بن عمر المحضري.

- لم يكن التواصل التواتي الشنقيطي أن يرقى لدرجات التحضر لولا تواجد مراكز حضارية ذات باع طويل في ترابط شعوب الشمال بالجنوب؛ فمثلت مدن: أروان، تنبكتو، سجلماسة، سنسند، أقبلي، مراكز جهوية بمنزلة أسواق عالمية، يقصدها علماء وسكان الحواضر المغربية والسودانية، للتعرف وتحصيل شتى ضروب العلم، وفي نفس الوقت أسواق تجارية لعرض مختلف السلع والبضائع الثمينة.

- المحافظة على نظام اقتصادي موحد، يعتمد في المقام الأول على ما تنتجه الأرض، وما تجلبه القوافل التجارية، فأضحت الأسواق التواتية والشنقيطية منفذاً لترويج السلع التي تجد الطلب متزايد عليها من طرف التجار السودانيين والمغاربة.

- تعد حاضرتا ولاتة والنعمة من أكبر المحطات الشنقيطية ارتباطا بتوات، حيث شهدت المدينتان توافد سكاني طيلة القرن (13هـ/19م)، تزعمته قبيلة أولاد السي حمو بلحاج، إضافة للفروع الكنتية من بني الرقاد والهمال مع بعض الهجرات الفردية الأخرى.

- أخذ التواصل الحضاري أوجه متعددة، بلوره تشارك العادات الاجتماعية والقيم الإسلامية، التي أتاحت فرصة التعرف على عادات وتقاليد متماثلة، رسخت ثقافات كانت شائعة بين شعوب تلك الفترة، في طريقة المعاملات وما يعترئها من ثقة بين الأفراد، كما برزت معالم هذا التواصل في الطابع العمراني المتميز بالبساطة والدقة والإحكام، استحضرت في بعض جوانبه إمكانات وقدرات كل طرف، ومدى تعلقه وارتباطه بموطنه الأصل، من بوابة نقل المهارات والكفاءات الخبراتية.

- أبرزت الرحلات الحجازية موقع توات كطرف محوري في طريق ركب الحج الشنقيطي، الذي إتخذ من نقاط الإقليم مرحلة مهمة لمسار رحلاته، ساعد في ذلك اهتمام شيوخ زوايا توات بهذه السنة الحميدة، عن طريق توفير المستلزمات الضرورية لراحة ضيوف زاوية الركب النبوي من الحجاج الشناقطة، فلقد ورث أحفاد الشيخ أبي نعامة القبلاوي هذا الدور الإنساني جيلا بعد جيل.

- دور مراكز الثقافة التواتية والشنقيطية في إرساء دعائم تعليمية تخصص لكل مرحلة مقررات تساير قدرات طلابها، تم خلالها تبني بعض المتون والمؤلفات في النحو، الفقه، العقيدة، الصرف ... إلخ، فأصبح تسهيل ابن آجروم مادة علمية متداولة بين العلماء، يتعهدونه بالتدريس والشروح والاختصارات لجزالة عباراته، زيادة على ذلك صدرت هذه المراكز علماء، قاموا بدور الدعاة المتنقلين بين الأقاليم، لا يزال ذكرهم محمودا في المصنفات بما قاموا به من أدوار جسورة، أمثال: الحاج أحمد الغلاوي، البرتلي، محمد بن بكو، أبي زيد عبد الرحمن الجنتوري والتلاني وآخرون.

- مضاعفة الأبحاث المرتبطة بكل ما يخص تواصل توات مع شنقيط، حتى يتم كشف النقاب عن أمور كثيرة تحتاج وقتا أكبر وتحليلا أدق، بتنوع نوافذ البحث من خلال التنقل بين المكتبات الأهلية سواء في توات أو شنقيط، وذلك لإضفاء حقائق كثيرة حول الموضوع لا زالت مجهولة؛ وسنحاول قدر المستطاع تكثيف الأبحاث مستقبلا - إن شاء الله - لسد الفجوات المتبقية من الموضوع.

وفي الختام إن المعلومات التي دونناها من المراجع أو استقينها من أفواه الباحثين، كفيلا بخلق تواصل حضاري بين شعبين جمعتهما روابط الدين والجغرافيا والماضي المشترك، لا زالت الكثير من مادته

العلمية دفيئة الذاكرة الشعبية، التي طال بعضها النسيان بفعل تقدم أصحابها في العمر، وما توصلنا إليه ما هو إلا عينات من أخرى لم يسعفنا المجال والوقت لإتمامها. وبهذا نظوي مجال الدراسة بمجموعة توصيات، عليها تجدد مستقبلا دراسات جادة تلم ما حجب عنا خلال البحث، أو تقدم نظرة أوسع حول موضوع التواصل الحضاري التواتي الشنقيطي؛ ومن جملة تلك التوصيات:

- إقامة ملتقيات دولية، وتخصيص محاور للتعريف بالشخصيات التي لعبت دورا بارزا في تواصل الحواضر التواتية والشنقيطية، ونخص بالذكر شخصية الحاج أحمد بن الأمين الغلاوي الملقب "التواتي"، حيث تجمع أغلب مؤلفات قبيلة الأغلال عن وجود ارتباط تاريخي - مؤكد - لعائلته بمناطق توات.

- تنويع الأبحاث التاريخية حول تواصل توات الحضاري مع مناطق الجوار الإفريقي، في ظل توفر العديد من المصادر التي تدون جوانب مهمة حول الموضوع، ولا يتأتى ذلك إلا بتظافر جهود الباحثين مع الملاك الخواص، حتى لا تبقى المخطوطات والوثائق عرضة للتآكل والتلف والضياع.

- تميم الدور التاريخي للمراكز الجهوية كمرکز أروان وأقبلي لتواصل الشعوب، باعتبارها واسطة حضارية نشطة في التواصل التواتي الشنقيطي، وعن طريقهما تأسست علاقات باقي الأقاليم المجاورة في شتى المجالات والميادين العلمية والاجتماعية والاقتصادية.

- توسيع الشراكة الجزائرية الموريتانية لمجال الأبحاث التاريخية، للتدوير عن ماضي الشخصيات التي كان لها ذكر في بعث علاقات توات بمناطق الجوار الإفريقي، ونعني بذلك الطالب أحمد التواتي، والمصلح التجاني محمد الأخضر؛ فلا يزال اسمهما نكرة في موطنهم توات، لأن الأبحاث الحالية لم تفصح الكثير عن حياتهما، فما يعرف عنهما سوء أنهما قدما شنقيط من نواحي توات الجزائرية.

نرجو من المولى العلي القدير أن نُحْمَلَ هذه التوصيات محل جد، لنكون قد وفقنا في إعطاء موضوع التواصل الحضاري التواتي الشنقيطي حقه من التنقيب، وبواسطته فتحنا شهية الباحثين لمزيد من الأبحاث في الموضوع، أو تخصيص دراسات جزئية تفوقه اتساعا، لتغطية ما عجزنا عنه أو لتصحيح مفاهيم فسرناها على حسب مفهومنا المحدود تحتاج دقة وتمحيص.

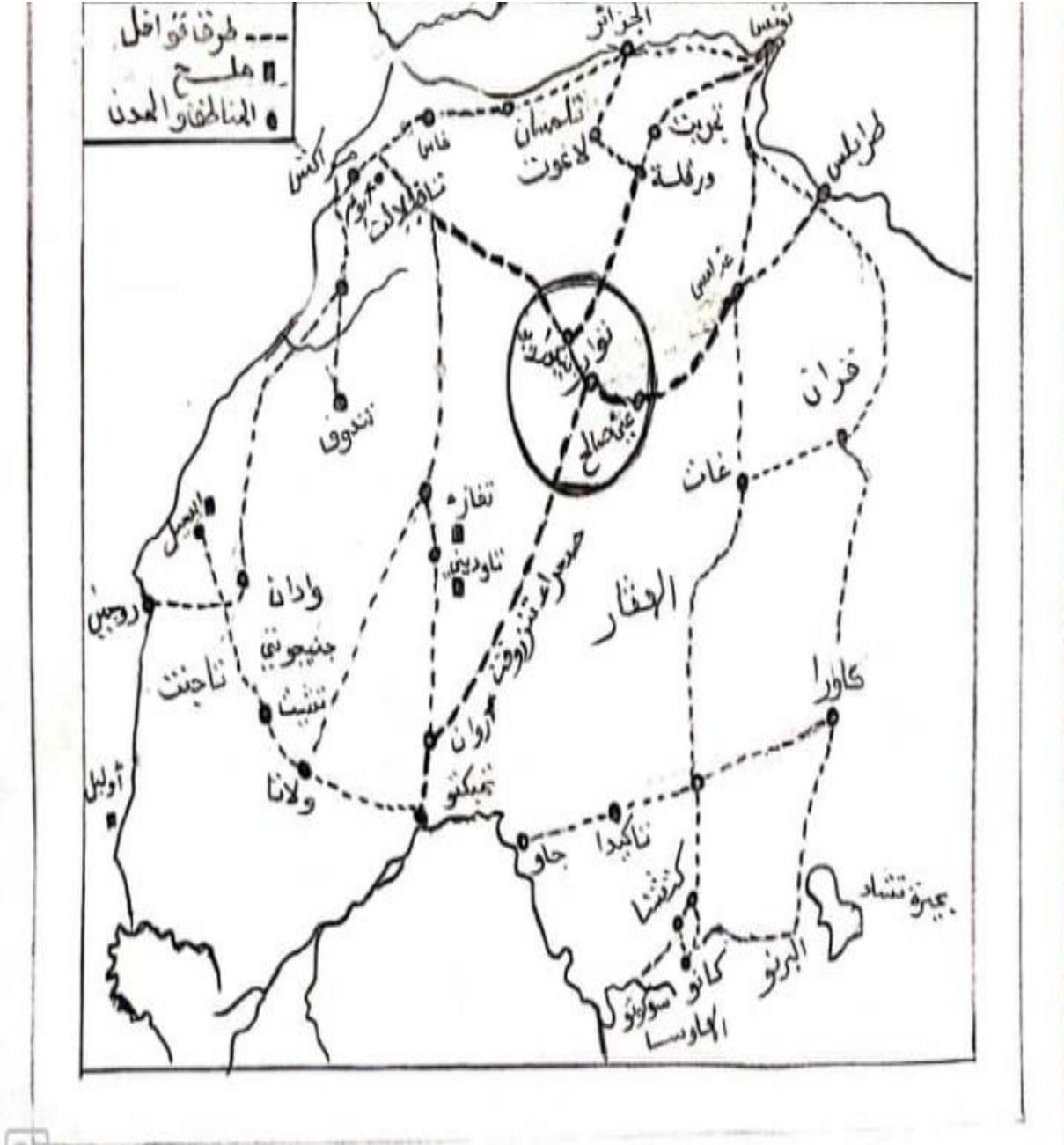
الملاحق

الملحق رقم 01: خريطة أهم محطات رحلة الحاج البشير البرتلي ذهابا وأيابا من ولاتة إلى سيوه الليبية عبر توات نزولا بزواوية الشيخ أبي نعامة الكنتي في أقبلي<sup>1</sup>



<sup>1</sup> - الحاج البشير البرتلي الولاقي، المصدر السابق، ص 211.

الملحق رقم 02: خريطة تبرز توسط إقليم توات طرق القوافل التجارية الكبرى بما فيها الطريق الرابط بين توات - ولانة عبر أروان وتمبكتو<sup>1</sup>.



<sup>1</sup> - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 76؛ أحمد أبو الصافي جعفري، من تاريخ توات، المرجع السابق، ص 395.

الملحق رقم 03: توزع عائلات أولاد حمو بلحاج المهاجرة بين توات ومناطق شنقيط<sup>1</sup>

أصول العائلات	الفروع التواتية	الفروع الشنقيطية
أولاد مولاي عبد المالك بن السي حمو بن الحاج	أولاد مولاي محرز بن مولاي فضيل بن هاشم بن سيدي محمد بن مولاي عبد المالك بن سيدي حمو بن الحاج في تاخيفت	أهل باعمار بن مولاي فضيل بن هاشم بن سيدي محمد بن مولاي عبد المالك بن سيدي حمو بن الحاج في ولاتة، وأهل باتنة في تنبكتو وبعضهم انتقلوا إلى نيامي النيجرية
أولاد مولاي عبد القادر بن سيدي حمو بن الحاج	أولاد مولاي عبد القادر بن سيدي حمو بن الحاج في قصر أظوا القريب من زاوية كنتة	- أهل الخليفة بن مولاي الشريف بن مولاي عبد القادر بن سيدي حمو بن الحاج في ولاتة - أهل حمزة بن الوثيق بن سيدي محمد بن مولاي الشريف في ولاتة
أولاد مولاي محمد الحاج بن سيدي حمو بن الحاج	أهل مولاي الشريف بن سيدي محمد المهدي بن مولاي علي بن مولاي محمد الحاج بن سيدي محمد بن الحاج في زاوية كنتة	- أهل مولاي دريس بن مولاي علي بن مولاي محمد الحاج بن سيدي محمد بن الحاج في ولاتة - أهل بابا عينينا بن مولاي علي بن مولاي المامون بن سيدي محمد المهدي بن مولاي علي بن مولاي محمد بن سيدي محمد بن الحاج في النعمة
أولاد مولاي الشريف (الشيخ) بن سيدي حمو بن الحاج	- أهل مولاي علي بن مولاي الشريف بن سيدي حمو بن الحاج المتواجدون في حماد من قرى تسايت، وكذا في أولف بمنطقة تدكلت. - أولاد مولاي الشريف بن مولاي عبد المالك بن مولاي الشريف الصغير	- أهل سيدي محمد بن مولاي صالح بن مولاي الشريف بن سيدي حمو بن الحاج في النعمة - أهل جعفر بن المهدي بن مولاي عبد الله شيخ العافية انتقلوا من النعمة إلى مالي، وأهل مولاي سنبار بن مولاي المهدي بن مولاي عبد الله شيخ العافية في نيامي النيجرية.

<sup>1</sup>- Mahdi Ould Moulay El Hassan, Op. Cit, P 278-279.

الملحق رقم 04: الأمثال الشعبية التواتية والشنقيطية الأشباه والنظائر<sup>1</sup>

المثل الشعبي الشنقيطي	المثل الشعبي التواتي	المدلول اللغوي للمثل الشعبي
الدين ما يخلص الدين	نفس اللفظ	من كانت عليه ديوان للناس فإنه لا يفكر أن ديونه على الناس تنفعه فيها
اسمع إكلام أمبكينك لا تسمع كلام أمضحكينك	اسمع كلام من يبكيك ولا تسمع كلام من يضحكك	ضرورة الإستماع للنصائح مهما كانت قاسية.
الشوف ما يمل الجوف	الشوف ما يمل الجوف	نظر الإنسان إلى ما لا يقدر عليه من طعام وملذات لا فائدة فيه إذا لم يمل منه بطنه.
عيب الدار على من بقى بها	عار الدار على اللي بقي فيها	يتحمل مسؤولية التقصير والإساءة كل من ناب عن صاحب الدار في غيابه.
إل وصاك اعل أمك حرك	اللي وصاك على أمك حرك	يضره الشخص إذا وصاه شخص على الأعتناء بمن لا يسعه إهمال أمره مثل التشديد على طاعة الأم
إل عظك ما عظيت أكل أنك بلا سنين	اللي عضك وما عضيتوا يحسبك بلا سنين	ضرورة معاملة الناس بالمثل حتى لا يعتبر ذلك نقص منك أي عاجز عن الرد.
الثقل على الجماعة ريش	حمل الجماعة ريش	كل شيء يهون في تعاون الناس فيما بينهم.
الكرش (البطن) تلد الدباغ والصباغ	الكرش (البطن) تولد الصباغ والدباغ	ضرورة وجود الاختلاف بين الناس مثل الأشقاء قد لا يتشابهون في الطباع المهين.
درهم في الكف ولا مائة في السلف أو التلف	درهم فالكف ولا مية فالسلف	الحاضر القليل خير من الكثير الذي لا يوثق به أو مجهول التحصل عليه.
يد تسبح ويد تدبح	يد تسبح والثانية تدبح	فيمن سريرته عكس علانيته فيظهر النسك وأفعاله الباطنة خلاف ذلك

<sup>1</sup> - أحمد بن الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 543-575؛ المختار بن حامد، الموسوعة الثقافية، المرجع السابق، ص 148-168؛ أحمد أبا الصافي جعفري، اللهجة التواتية، المرجع السابق، ج2، ص 429-497.

## الملحق رقم 05: رسالة الفقيه محمد بن أحمد الأمين الحضري الولاقي للشيخ مولاي عبد المالك

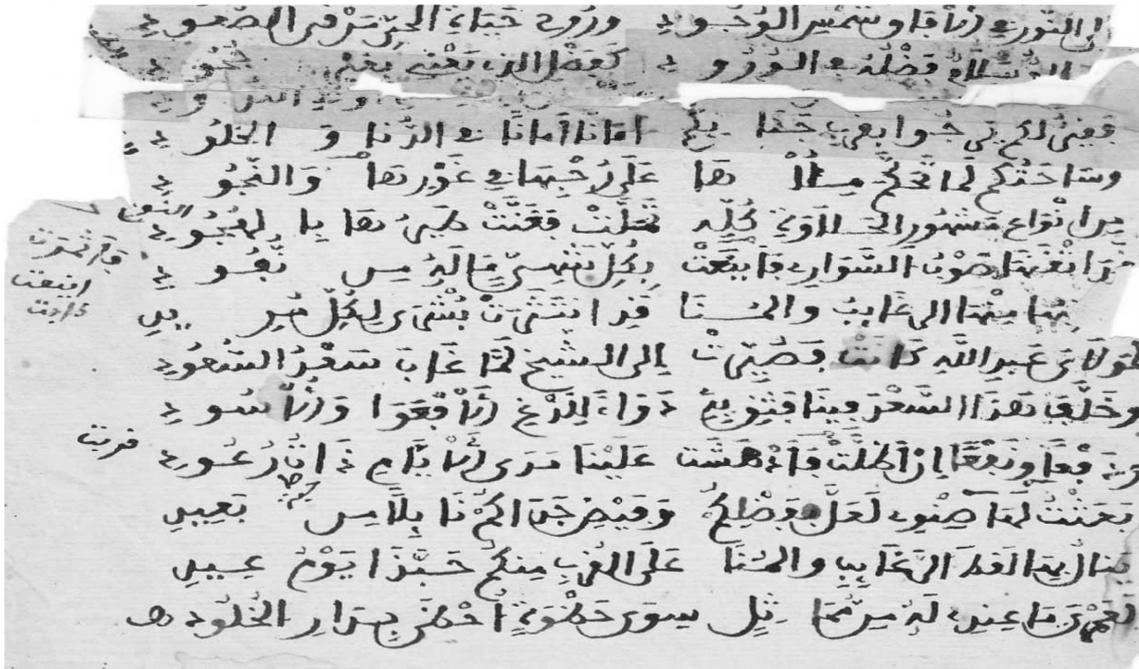
الرقاني<sup>1</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وواله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.  
 إنه إلى قطب المجد ومركزه، ومماط الفضل الشامخ ومجمعه، وأقياس ..... الباذخ ومنبعه، كاشف  
 الأغيار، ویتيمة عقد النجباء الأخيار، شيخنا ووسيلتنا القربى إلى الله تعالى مولانا عبد المالك بن  
 الشريف الحسيني الولي نفعنا الله به مولاي عبد الله الرقاني القطب الرباني، من خديمه وفقيره محمد  
 الأمين بن أحمد بن عمر الحضري متوسلا إلى الله تعالى ومتقربا إليه بالأخذ عنه وبمحبتته وتوقيره وإجلاله  
 على ما يجب أن يكون له عليه راجيا من الله العون على أداء ذلك ببركته وحرمة إلى الممات إن شاء  
 الله وراجيا منه بلوغ الأمل في حوائج أخراه ودنياه مع أخيه عليّ المتوجه إليكم بالكتاب ويقول في أقل  
 القليل مما هو عليه من أوصاف عليّة وشيم سنية هذه المقطوعة متيقنا أنه كما قال القائل:  
 ولو أن لي في كل منبت شعرة  
 لسانا لما استوفيت واجب حمده

<sup>1</sup> - محمد بن الأمين الحضري ومحمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، الوثيقة السابقة.

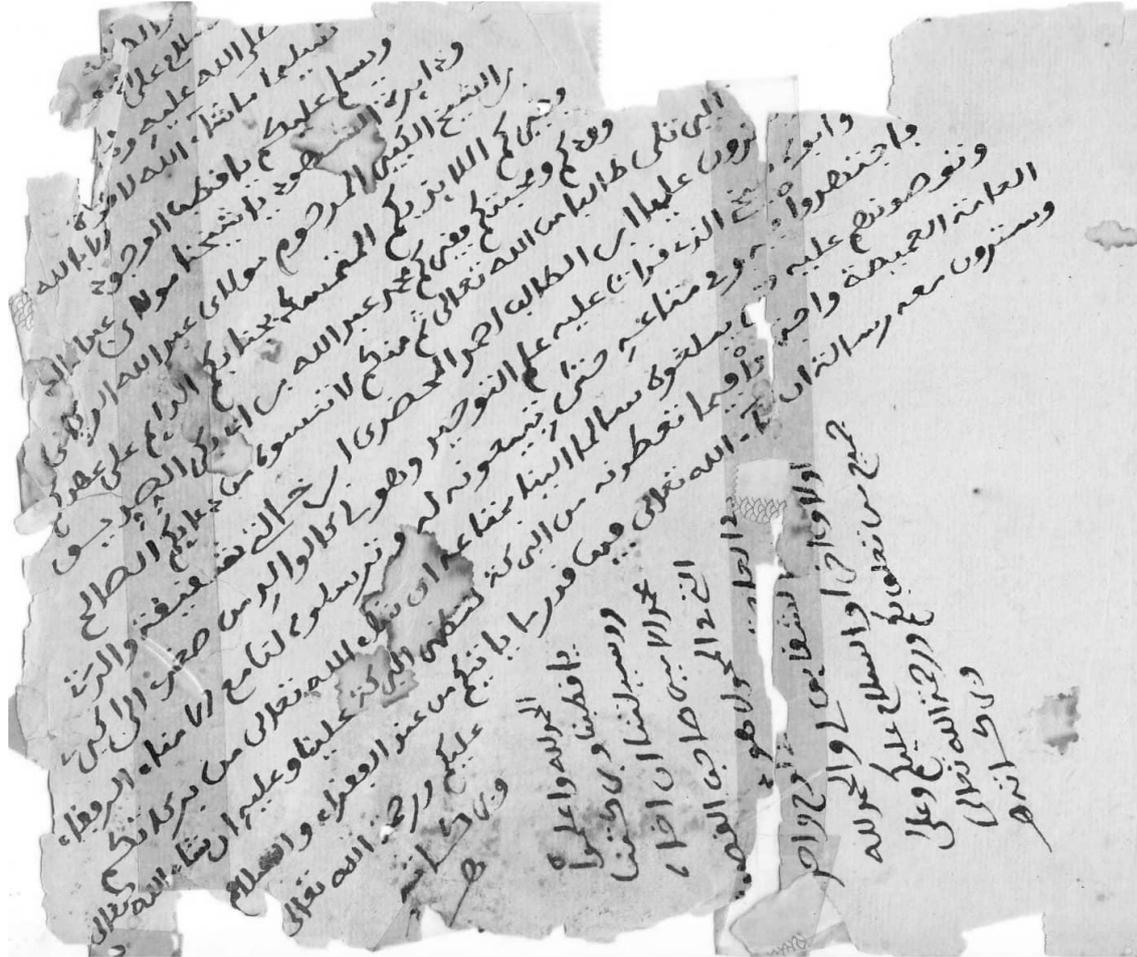
الملحق رقم 06: المقطوعة الشعرية للفقير محمد الأمين بن أحمد بن عمر الحضري الولاقي في مدح

الشيخ مولاي عبد الله وابنه الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني<sup>1</sup>



إلى النور في الأفاق شمس الوجود	وروح حياة الحي مرقى السعود
إليك سلام فضله في الورد	كفضل الذي يعني بغير .... جحود
فقير لكم يرجو بقرب جنابكم	أمانا أمانا في الدنيا والخلود
وساحتكم لما تحكم مألها	على رجبها في غورها والنجود
من أنواع مشهور الحلاوة كله	تملت فغنت طيرها بالهجود
.... تغنتها صوب السواري فايغت	بكل شهى ماله من نقود
..... منها الرغائب والمنا	قد انتشرت بشرى لكل مرید
لمولاي عبد الله كانت فصيرت	إلى الشيخ لما غاب سعد السعود
وخلف هذا السعد فينا فثق به	دواء للدغ الأفعوا والأسود
ودفعا ونفعا إن أظلت فأدهشت	علينا مدى الأيام ذات رعود
بعثت لها صنوي لعل بفضلكم	وفيض جداكم نائلا حبة بعيد
ينال بها لفظ الرغائب والمنا	على القرب منكم حبذا يوم عيد
لعمرى ما عندي له من مماثل	سوى حظوة أحظى بدار الخلود

<sup>1</sup> - تقع القصيدة في أربعة عشر بيتا ينقصها السطر الثالث تأكلت أحرفه؛ ينظر، الحضري والبرتلي، الوثيقة السابقة.

الملحق رقم 07: رسالة الفقيه المؤرخ محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي للشيخ مولاي عبد المالك<sup>1</sup>

"الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ماشاء الله ولا قوة إلا بالله  
 ..... ويسلم عليكم يا قطب الوجود ودائرة الشهود يا شيخنا مولاي عبد المالك بن الشيخ الكبير  
 المرحوم مولاي عبد الله الركاني فقيركم اللائذ بكم المتمسك بجنابكم الدائم على عهدكم وودكم ومحبتكم  
 فقيركم محمد عبد الله بن أبي بكر الصديق البرتلي طالبا من الله تعالى ثم منكم لا تنسوه من دعائكم  
 الصالح ..... علياً ابن الطالب أحمد الحضري ابن خالي شقيقة والدتي وأبوه شيخي الذي قرأت  
 عليه علم التوحيد وهو لي كالوالد من صغري إلى كبري فاجتهدوا فيه وفي متاعه حتى [تبيحونه] له  
 وترسلوه لنا مع الأمناء الرفقاء وتوصوهم عليه حتى يبلغوه سالما إلينا بمتاعه إن شاء الله تعالى من  
 بركاتكم العامة العميصة واجتهدوا فيما تعطونه من البركة لتظهر البركة علينا وعليه إن شاء الله تعالى  
 وسترون معه رسالة إن شاء الله تعالى فيها قدر ما يأتيكم من عند الفقراء والسلام عليكم ورحمة الله  
 تعالى وبركاته". "الحمد لله واعلموا يا قطبنا وبركتنا ووسيلتنا أن أخاه محمد الأمين صاحب القصيدة  
 التي في المحول هو ..... الشقائق لي والحمد لله أولا وآخر والسلام عليكم وعلى  
 جميع من تعلق بكم ورحمة الله تعالى وبركاته".

<sup>1</sup> - محمد بن الأمين الحضري ومحمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، الوثيقة السابقة، الوثيقة السابقة.

الملحق رقم 08: عشر أبيات الأولى من القصيدة الشعرية - اللغز - للعلامة محمد محمود بن التلاميذ

الشنقيطي للعلامة البكري بن عبد الرحمن التتلائي التواتي<sup>1</sup>

أسائلكم أهل المعارف من عل	إلى السفلى والنحرير ينسى ويذهل
فعم السؤال العرب والعجم كلهم	وخص النصارى ذا السؤال المفضل
عن اسمين مشهورين شرقاً ومغرباً	أتى بهما الخنديد الأخطل دومل
أبو مالك القس النزاري نسبة	ريبب النصارى الواهب المتبتل
أتى بهشام ثم بعد بنوفل	خلال مديح خالد ليس تجهل
مديح فتى الأعياص خالد مدحه	فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل
فأدرج ذين ضمن بيت مهذب	يقر له بالحسن من كان يعقل
أمية والعاصي إن يدع خالد	يجببه هشام للفعال نوفل
فمن نوفل ومن هشام وما هما	أشخصان أم جنسان عن ذاك أسأل
مجازهما أم في المديح حقيقة	ألا فليجب منكم عليم مبجل

العشر أبيات الأولى من جواب العلامة البكري بن عبد الرحمن التتلائي التواتي عن اللغز الذي حير الأعاجم

والعرب - حسب قول - محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي

أيا سيدا قد ساد من ساد إذ غدا	بإلقائه العويص للذهن يصقل
ويشحد غضب عزم الأعلام لفظه	كما كانت الأشياخ من قبل تفعل
فعم وخص بالسؤال طماطما	ذوي لكنة وهو بذلك أجهل
فإن رفعوا ديوان الأخطل سابقا	بطبع فما الإعجام بالعرب تعدل
ألا ليتكم قصرتم بسؤالكم	بالعرب إذ هم أجل وأعقل
وأبصر بالألغاز إن حم ليلها	فكم بعقول العرب انحل مشكل
فأما سؤال الشيخ إعلام وقته	على اسمين مشهورين أنشأ الأخطل
بمعرض مدح خالد وفعاله	فنعم الفتى قد كان للخير يفعل
فإنهما ليس بشخصين يا فتى	وليساهما جنسين والكل يهمل
ولا علمين في المديح ولا هما	مجازان نعم اللبيب المؤمل

<sup>1</sup> - محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج 1، 203.

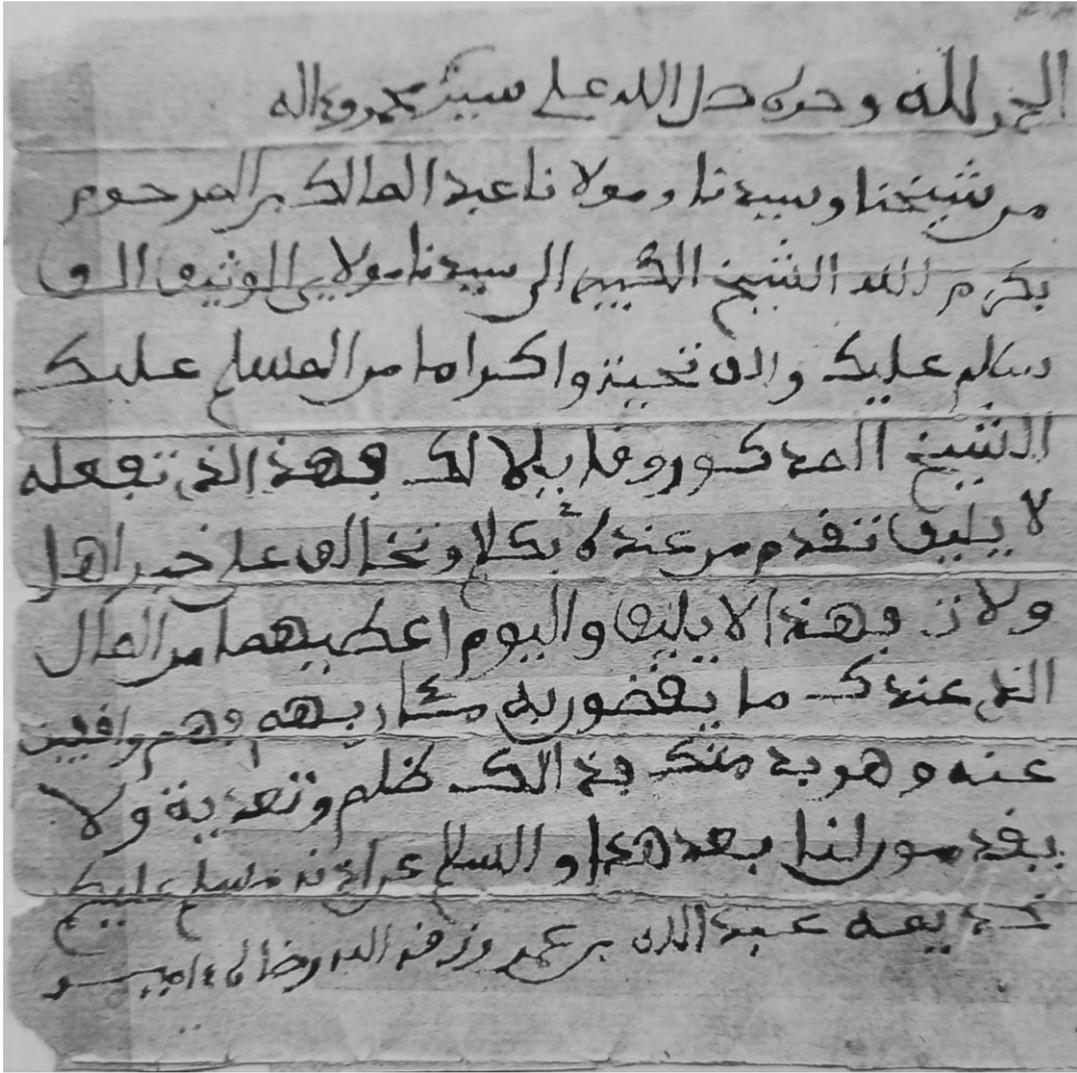


الملحق رقم 10: رسالة محمد المهدي بن مولاي عبد الله شيخ العافية في بوعلي التواتية لأخيه مولاي إسماعيل في النعمة الشنقيطية<sup>1</sup>.



<sup>1</sup> - محمد المهدي بن مولاي عبد الله، الوثيقة السابقة، د ت.

الملحق رقم 11: رسالة مولاي عبد المالك الرقاني لمولاي الوثيق بولانة بشأن الذي وقع بينه وجماعته<sup>1</sup>



الحمد لله وحده صل الله على سيدنا محمد وءاله:

من شيخنا وسيدنا ومولانا عبد المالك بن المرحوم بكرم الله الشيخ الكبير إلى سيدنا مولاي الوثيق ألف سالم عليك وألف تحية وإكراما من المسلم عليك الشيخ المذكور وقائلا لك فهذا الذي تفعله لا يليق ولا تقدم من عندك بكلام وتخالف على خير أهل ولات (ولانة) فهذا لا يليق واليوم أعطيهم من المال الذي عندك ما يقضون به ما ربحهم فهمواقفين عنه وهو بدمتك فذلك ظلم وتعديية ولا يقدمون لنا بعد هذا ووالسلام عن إذنه مسلم عليكم خديمه عبد الله بن عمر رزقه الله رضاه ءامين.

<sup>1</sup> - مولاي عبد المالك الرقاني: الوثيقة السابقة.

الملحق رقم 12: اللوحة الأخيرة من نسخة تيشيت من رحلة الحاج البشير البرتلي الولاقي ونزوله

بزاوية الشيخ أبي نعام الكنتي في أقبلي لمدة خمس ليال<sup>1</sup>

الثقل والعشرون وماية نزلنا غير صالح يوم الخميس جيتنا بيمه مسريان وخرجنا  
 منه يوم الثلاثاء رابعاً شوال جيتنا ليلتيه العشاء ثم نزلنا في يومه اقبله السادس  
 وشوال يوم الخميس جيتنا عندهم مسريان وارحلنا عنهم يوم الثلاثاء عشرين  
 حاداً عشر شوال والثالث وبنيم وسرنا متوجهين الى بلاد زوايد بلداً  
 الخامس والعشرون وذلك الفحوة والسادس عشر ويلي يوم اربعا رجا  
 عن وقت الظهر وصلنا في يومه اء جبيجة وارحلنا منه عشية رابعه الحجته اخر  
 العاء الخامس رجب ثلاثين والعا وسرنا متوجهين ان تنصحت جيتنا ثلاث ليلان  
 والعشاء ثم جيتنا خيم البرايشتر نزلنا علمي ويدي علم علي بن محمد بن رحمان  
 جيتنا عندهم مسريان وصلنا عندهم صلاة عيود النحر ثم انصرنا عنهم وبتنا  
 ليلة واحده بينهم وبم تنبكت ثم جيتنا تنبكت في الثلاثاء عشر وذا الحجته  
 وبتنا ويها رجة عشر وصر ليلة وخرجنا منها السابع والعشرون منه  
 ورجعنا الى خيم البرايشتر الذي كنا عندهم لاننا كنا متوجهين عندهم  
 جيتنا ونظم ليلة واحده ثم جيتنا هج وبتنا ليلتيه عندهم وارحلنا عنهم  
 يوم الخميس لور يسوع من الحجج متوجهين الى بلادنا ولاتة بجيتنا ونظام  
 ثلاثة عشر ليلة فوصلنا بها يوم اربعا رجا الرابع عشر منه والحجر لده  
 الذي كماله قصودنا والمطلوب بالوط لبلادنا واولادنا ووجيرنا  
 واوولانا سلامير وخين وعاجينه كما وصلنا قبل بالوصول الى الحرم  
 لما خرجنا وبلادنا ببلادنا الحمد والشكر اولادنا والاخص شاعلته  
 هو كما انني علمي نفسه والصلاة والسلام انا كملان علمي المبعوه والاعتزان  
 وكذا اله وخبته ورحم الله تعالى جميع امةنا وبهي كلمت الرحلة الى  
 مكة بحمد الله تعالى وحسن عونه والحمد لله الف المستر  
 لاختوانه واتفق الله العلي العليم

<sup>1</sup> - الحاج البشير البرتلي الولاقي، المصدر السابق، ص 72.

الملحق رقم 13: سقيفة بين طريقين تسمى الظليلة<sup>1</sup> (الصورة السفلية من إلتقاط الباحث)

<sup>1</sup> - أنبوي ولد الداه ولد أيد، المرجع السابق، ص 29؛ إبراهيم أحمد فال، المرجع السابق، ص 126.

الملحق رقم 14: ضريح الشيخ محمد أبي نعامة الهاملي الكنتي قائد الركب النبوي بأقبلي توات  
(صورة من التقاط الباحث).

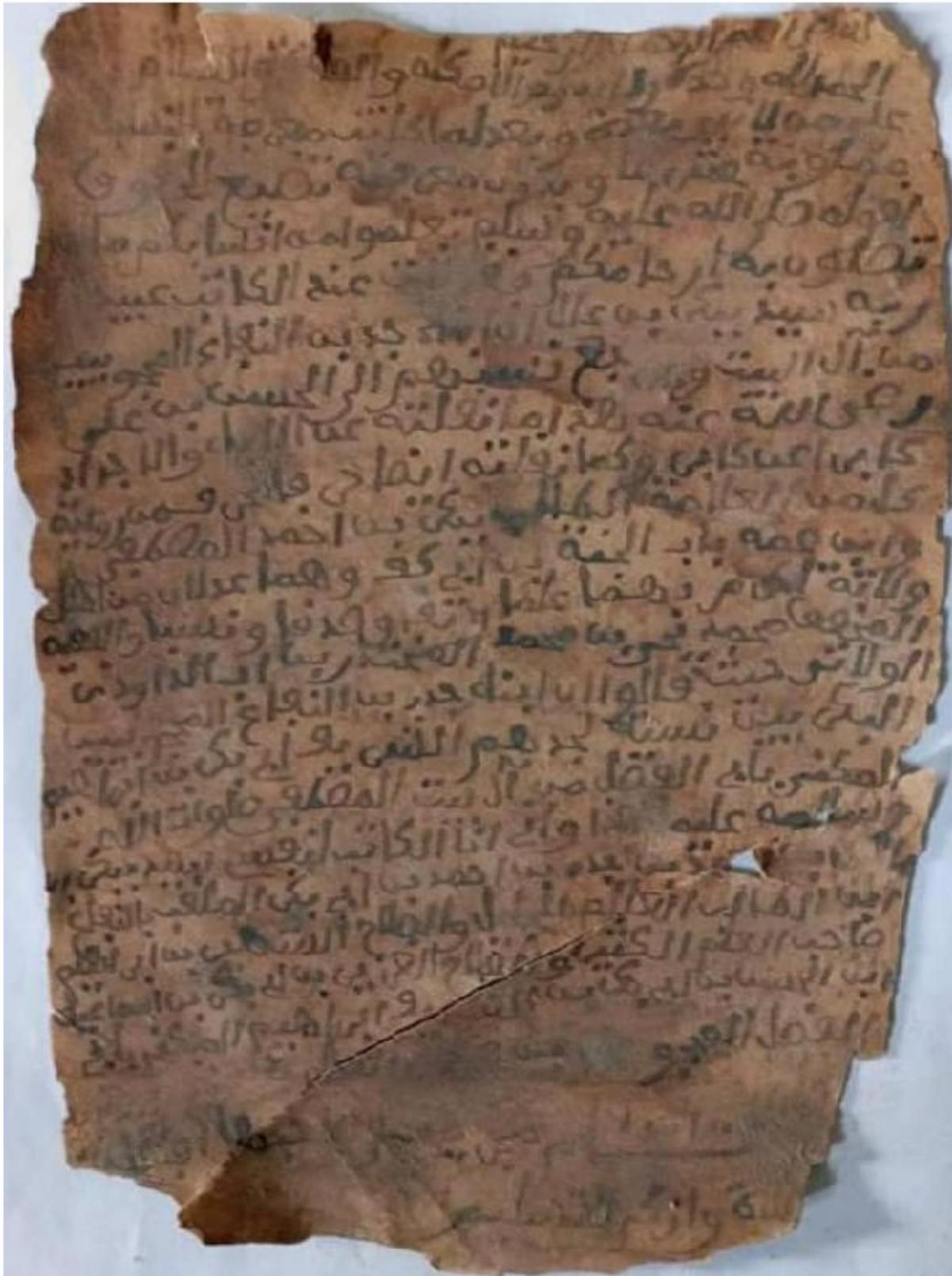


الملحق رقم 15: ضريح الجد الجامع لقبائل كنتة الشيخ أحمد البكاي بودمعة بولاية<sup>1</sup>.



<sup>1</sup> - إبراهيم أحمد فال، المرجع السابق، ص 174.

الملحق رقم 16: النسب البكري لقبيلة النفاع المحجوبية في ولاية حسب شهود علماء المدينة أواخر القرن التاسع عشر ميلادي



**الملحق رقم 17:** قصرية توزيع أنصبه الماء بين المساهمين أو المشاركين في مياه الفقارة<sup>1</sup>



**الملحق رقم 18:** صورة توضح وسيلة السقي بتقنية أشيلاي أو أسيلاي بمنطقة تدكلت التواتية<sup>2</sup>



<sup>1</sup>- Guillaume De Champeaux, Op, Cit, P 22; P. Devors, Op, Cit, P 229.

<sup>2</sup>- Guillaume De Champeaux, Op, Cit, P 18.

# المصادر والمراجع

## القرآن الكريم

- الآيات والسور القرآنية برواية ورش عن نافع.

## المصادر المخطوطة:

## أ- الوثائق الأرشيفية:

- 1- افضيل بن مولاي أحمد، إشهادة بتولي أبناء مولاي الحسن بن مولاي عبد الله عقار مولاي المامون في توات، وثيقة مخطوطة، الناسخ، عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن هبت، 1247هـ/1832م، بحوزة مولاي أحمد ماموني، أغرماملال، دائرة زاوية كنتة، ولاية أدرار، الجزائر.
- 2- بن أحمد الطيب عبد الرحمن، تحبببب أملاك مولاي صالح بن السي حمو بلحاج في توات، وثيقة مخطوطة، الناسخ، أحمد ولد القصري بن محمد بن المختار، 1254/1838، بحوزة سيدي محمد ولد جعفر، نواكشوط.
- 3- بن مولاي عبد الله المهدي النعموي، رسالة إلى مولاي إسماعيل في النعمة من أخيه محمد المهدي في بوعلي، وثيقة مخطوطة، بحوزة الباحث سيدي محمد ولد جعفر النعموي، نواكشوط، موريتانيا، د ت.
- 4- بن بايش عبد الله، رسالة إلى مولاي عبد الكريم بن مولاي عبد الرحمن الرقاني ومولاي أحمد حول سوق الملح في جني، وثيقة مخطوطة، جمعية مسجد ومدرسة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني، زاوية الرقاني، بلدية رقان، ولاية أدرار، الجزائر، د ت.
- 5- بن أبي بكر محمد البرتلي، نازلة بشأن وكالة فاطمة بنت الحاج محمد الشانغ لاسترجاع أموال في ذمة مولاي هبة الله الرقاني، وثيقة مخطوطة، جمعية مسجد ومدرسة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني، زاوية الرقاني، بلدية رقان، ولاية أدرار، الجزائر، د ت.
- 6- بن أبي بكر محمد المحجوبي، رسالة من محاجيب ولاتة لأحفاد عمر الباز في تمنطيط، وثيقة مخطوطة، خزانة الطالب بيبكر المحجوبي، ولاتة.
- 7- بن الحاج أعمار أحمد الولاتي، رسالة إلى أحفاد الشيخ مولاي عبد الرقاني في توات، وثيقة مخطوطة، خزانة مولاي عباس الرقاني، بني وازل، بودة، ولاية أدرار، الجزائر، د ت.
- 8- بن الحاج مسعود محمد سالم، رسالة جماعة ولاتة إلى سيدي بله ولد مولاي عبد الملك الرقاني، وثيقة مخطوطة، خزانة مولاي العباس الرقاني، بني وازل، بلدية بودة، ولاية أدرار، الجزائر.

- 9- بن حبيب محمد أحمد بن عبد الرحمن بن الفقيه محمد، محضر اجتماع قبيلة الأغلال من أبناء محمد قلبي، وثيقة مخطوطة، نسخة بحوزة الطالب المجتبي عنكر، موريتانيا، 1096هـ/1685م.
- 10- بن مولاي المامون محمد، رسالة إلى سيدي محمد بلعيمش في شأن بيع أحد بساتين توات، وثيقة مخطوطة، خزانة مولاي العباس الرقاني، بني وازل، بلدية بودة، ولاية أدرار، الجزائر.
- 11- المحضري محمد الأمين والبرتلي محمد بن أبي بكر الصديق، رسالة إلى الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني، وثيقة مخطوطة، مكتبة الطالب بيكر المحجوبي الولاتي، ولاتة، موريتانيا، د ت.
- 12- بن محمد البركة أعلي، رسالة إلى مولاي عبد الكريم بن محمد الرقاني، وثيقة مخطوطة، جمعية مسجد ومدرسة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني، زاوية الرقاني، بلدية، رقان، ولاية أدرار، الجزائر، د ت.
- 13- ولد مولاي العايش مولاي علي، رسالة إلى مولاي هيبه الله بن مولاي السعيد الرقاني، وثيقة مخطوطة، جمعية مسجد ومدرسة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني، زاوية الرقاني، بلدية، رقان، ولاية أدرار، الجزائر، د ت.
- 14- الرقاني هيبه الله، رسالة إلى محمد بن علي بن أحمد بشأن تمر دكلة مدقوق، وثيقة مخطوطة، جمعية مسجد ومدرسة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني، زاوية الرقاني، بلدية رقان، ولاية أدرار، الجزائر، د ت.
- 15- الرقاني مولاي عبد الكريم بن محمد، بحث في شأن أموال حمل وفردة الشمة المباعة في سنسند، وثيقة مخطوطة، الناسخ، أعلي بن محمد بن مولاي الشريف، جمعية مسجد ومدرسة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني، زاوية الرقاني، بلدية، رقان، الجزائر، 1275هـ/1859م.
- 16- الرقاني محمد بن مولاي الشريف، رسالة إلى مولاي هيبه الله بن مولاي السعيد الرقاني في سنسند، وثيقة مخطوطة، جمعية مسجد ومدرسة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني، زاوية الرقاني، بلدية، رقان، ولاية أدرار، الجزائر، د ت.
- 17- الرقاني مولاي عبد المالك، رسالة إلى مولاي الوثيق في قضية الأموال التي بدمته، الناسخ، عبد الله بن عمر، وثيقة مخطوطة، خزانة مولاي العباس، بودة، الجزائر، د ت.
- 18- الرقادي محمد بن عبد الله بن الحسن، رسالة إحتجاج إلى مولاي السعيد بن مولاي عبد الله الرقاني، وثيقة مخطوطة، الناسخ، أحمد بن عبد القادر البداوي، جمعية مسجد ومدرسة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني، زاوية الرقاني، بلدية، رقان، ولاية أدرار، الجزائر، د ت.
- 19- الرقادي عمر بن محمد المصطفى الكنتي، رسالة إلى أهالي تيشيت حول نسبة بعض القبائل للعاقب بن عقبة بن نافع الفهري، وثيقة مخطوطة، مكتبة أحمد بابا التنبكتي، تنبكتو، د ت.

20- بن عبد الرحمن محمد بن أحمد، جواب حول قضية الأموال التي أنفقها مولاي محمد بن مولاي العربي في الشمة وحوها إلى ولاتة، وثيقة مخطوطة، جمعية مسجد ومدرسة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني، زاوية الرقاني، بلدية، رقان، ولاية أدرار، الجزائر، د ت.

### ب- الكتب المخطوطة

- 1- البلبالي محمد بن عبد العزيز، غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل، مخطوط، مكتبة محمد العالم بن عبد الكبير، المطارفة، ولاية تيميمون، الجزائر.
- 2- البرتلي جدو بن الطالب الصغير، تاريخ جدو بن الطالب الصغير المسمى تاريخ بلاد التكرور، مخطوط، مكتبة مخطوطات جامعة فريبورغ، ألمانيا، 1236هـ/1820م.
- 3- الجنتوري أبي زيد عبد الرحمن، الفائح النسيم في فتاوي أبي زيد عبد الرحمن الجنتوري (نوازل الجنتوري)، مخطوط، جمعها، محمد بن أحمد المسعودي الجراري، خزانة بن عبد الكبير، المطارفة، ولاية تيميمون، الجزائر، د ت.
- 4- بن الحاج إبراهيم عبد الله، صحيحة النقل في علوية إداو علي وبكرية محمد قل، مخطوط، بريول، موريتانيا.
- 5- بن حمى الله أحمد الصغير التشيتي، منن العلي الكبير في الفقه، مخطوط، 01، ش، ب، الرقم 353، الملف 19، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة.
- 6- بن عبد الحق محمد بن عبد الكريم التمنطي، جوهرة المعاني في تعريف ما ثبت لدي من علماء الألف الثاني، مخطوط، الناسخ، الطيب بن عبد الله بن سالم البلبالي، خزانة سيدي عبد الله البلبالي، قصر كوسام، ولاية أدرار، الجزائر.
- 7- بن عبد الكريم محمد البكري التمنطي، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط، الناسخ، الطيب بن عبد الله بن سالم البلبالي، خزانة سيدي عبد الله البلبالي، قصر كوسام، ولاية أدرار، الجزائر.
- 8- بن محمد المهدي جعفر النعموي، الرد على فتوى بطلان الجمعة في قرية ولات، مخطوط، تقديم، سيدي محمد ولد جعفر، د د ن، د ت.
- 9- المزمري محمد بن أب، شرح قصيدة أصالة الرأي صانتني عن الخطل على لامية الطغرائي، مخطوطات جامعة فريبورغ (على الشبكة)، ألمانيا.

- 10- المزمري محمد بن أب، جواب نازلة تحلية القرطاس بالكلام عن مسألة تضمين الخماس، مخطوط، خزانة سيدي عبد الله البلبالي، قصر ملوكة، ولاية أدرار، الجزائر.
- 12- بن المختار يحيى محمد الولائي، شرح الولائي على نظم التوحيد في العقيدة، مخطوط، مكتبة بوبكر بن الطالب المحجوبي، ولاتة، موريتانيا، د.ت.
- 13- سيدي بابا بن الشيخ، تاريخ أنساب صنهاجة في موريتانيا، مخطوط، مخطوطات جامعة فريبورغ، ألمانيا، د.ت.
- 14- الفلاني أبي عبد الله القبلاوي، رحلة القبلاوي، مخطوط، خزانة مولاي على سليمان، أولاد وشن، ولاية أدرار، الجزائر.
- 15- الرقادي محمد بن المصطفى الكنتي، نبذة عن حياة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني، مخطوط، خزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار، الجزائر، 2002.
- 16- بن عبد الرحيم الطيب التمنطي، القول البسيط في إخبار تمنطيط، تحقيق، فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م.
- 17- التلاني محمد عبد القادر بن عمر، الدرّة الفاخرة في ذكر ما بتوات من العلماء والأشرف الإدريسيين والعلويين، مخطوط، خزانة سيدي عبد الله البلبالي بقصر كوسام، أدرار، الجزائر.
- 18- التلاني أبو زيد عبد الرحمن بن عمر، الرحلة الحجية ذهابا وأيابا، مخطوط، خزانة قصر باعبد الله بتوات، ولاية أدرار، الجزائر، (1188-1189هـ/1774-1775م).

#### المصادر المنشورة:

- 1- الأبييري هارون بن الشيخ سيدي باب، كتاب الأخبار "المدون" في أخبار الموريتانيين ومن جاورهم من النواحي المحيطة بهم، أعده وقدمه للطباعة والنشر، باب ولد هارون، د.ط، د.د.ن، د.س.ن.
- 2- الإدريسي أبو عبد الله بن محمد الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م.
- 3- بن عبد الله أبي الخير الأرواني، تاريخ أروان وتاودني، جمع وتعليق، أبناء الشيخ أبي الخير بن عبد الله، مؤسسة البناء المعرفي، الجزائر، 2020م.
- 4- بن سيد أحمد محمد المصطفى الغلاوي، العمل المشكور في جمع نوازل علماء التكرور، تحقيق ودراسة، حماد الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014م.

- 5- بن أحمد الشريف حمى الله التيشيتي، نوازل حمى الله التيشيتي، جمع وتحقيق وتقديم، محمد المختار ولد السعد، ط1، دار القلم للطباعة والنشر، دمشق، 1431هـ/2010م.
- 7- بن أحمد المصطفى الطالب بوبكر المحجوبي وآخرون، حوليات ولاتة، تحقيق، سيدي عبد الله بن البخاري، إشراف، ددو بن عبد الله، بحث لنيل شهادة الماتريز، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط، اسنة الجامعية: 1991-1992.
- 8- بن أحمد المصطفى أبو بكر المحجوبي، منح الرب الغفور فيما أهمله صاحب فتح الشكور، تحقيق، محمد الأمين بن حمادي، ENS EDISIONS، ليون، 2011.
- 9- بن الأعمش محمد بن المختار، نوازل بن الأعمش لأبي عبد الله محمد بن المختار الأعمش العلوي المالكي، دراسة وتحقيق، الطالب الهادي حواس، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية تخصص فقه وأصول، إشراف، د/ عبد الحفيظ هلال، قسم الشريعة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة 1، الجزائر، 2019/2020م.
- 10- بن أنبوجه عبد الله بن محمد الصغير العلوي التيشيتي، ضالة الأديب ترجمة وديوان سيدي محمد بن محمد الصغير بن انبوجه العلوي التيشيتي (ت 1275هـ/1858م)، تحقيق ودراسة، أحمد ولد الحسن، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، مطبعة ديدبكو، سلا، المملكة المغربية، 1414هـ/1996م.
- 11- الرائد أفير جان، قصص مغامرات وجولات وحروب في بلاد البيضان (موريتانيا) 1903-1911، تقديم وتعليق وترجمة، جنيف ديزيري فييمن، حقوق النشر والطباعة محفوظة للناشر، د د ن، د ت.
- 12- بن آبه التواتي محمد القلاوي، منظومة عبيد ربه على المقدمة، الأجرومية، ضبط وتحقيق، أبو عبد الرحمن بن عبد القادر صالح العوامي، ط1، دار الصفا والمروة للنشر والتوزيع، الأسكندرية، 2007م.
- 13- ابن البكري أبو عبيد الله، المسالك والممالك، تحقيق، جمال الطلبة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م.
- 14- بن أبي بكر الصديق محمد البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق، عبد الودود ولد عبد الله وأحمد جمال ولد الحسن، دار نجيبويه للبرجمة والدراسات والطباعة والنشر، القاهرة، لبنان، 2010م.

- 15- بلعالم محمد الزجلالوي، نوازل الزجلالوي، دراسة وتحقيق، محمد جرادي، إشراف، سعاد سطحي، شهادة دكتوراه في الفقه وأصوله، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسم الفقه وأصوله، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، (2010-2011م).
- 16- البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي، كتاب فتوح البلدان، شركة طبع الكتب العربية، القاهرة، 1317هـ/1900م.
- 17- بلعراف أحمد التكني، إزالة الشك والريب والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط، دراسة وتحقيق وتقديم، الهادي المبروك الدالي، د د ن، د س ن.
- 18- البرتلي الحاج البشير الولاقي، الرحلة المباركة للحاج محمد البشير بن أبي بكر الولاقي إلى الحرمين الشريفين، (1204-1206هـ/1789-1891م)، تحقيق ودراسة، عمرو عبد العزيز منير بمشاركة محمد بن أحمد سالم في التدقيق، وعبد الرحمن بن محمد بعثمان في مراجعة النسخة الأولية، دار بريل للنشر في ليدن المحروسة وبوسطن، 2021.
- 19- الجبرتي عبد الرحمن بن حسن، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق، عبد الرحيم عبد الرحمن، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1998م.
- 20- الدردير أبي البركات أحمد، الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أخرجه وضبط نصه، مصطفى كمال وصفي، دار المعارف، القاهرة، 1986م.
- 21- بن هطال أحمد التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم، محمد بن عبد الكريم، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1969.
- 22- الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحيى، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م.
- 23- الزبيدي الحافظ محمد مرتضى، المعجم المختصر، تحقيق، نظام محمد صالح يعقوبي ومحمد بن ناصر العجمي، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1427هـ/2006م.
- 24- بن أبي زرع علي الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.
- 6- بن الحاج إبراهيم عبد الله العلوي، فتاوى العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، جمع وتحقيق، محمد الأمين بن محمد ييب، ط1، د د ن، 1423هـ/2002م.

- 25- بن حجر أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الحديث، تحقيق وتعليق، عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض، 1422هـ/2001م.
- 26- بن حوقل النصيبي أبو القاسم، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م.
- 27- الطاهري مولاي أحمد الإدريسي الحسني، نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات، تحقيق وتعليق، مولاي عبد الله الطاهري، د د ن، 2010م.
- 28- ابن بطوطة محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط4، دار صادر، بيروت، 2011م.
- 29- اليدالي محمد، شيم الزوايا نصوص من التاريخ الموريتاني، تقديم وتحقيق، محمذن ولد باباه، مكتبة الذنبجة بن معاوية، موريتانيا، د س ن.
- 30- بن كثير عز الدين أبو الحسن، الكامل في التاريخ، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 2012م.
- 31- كمارا الشيخ موسى، تاريخ قبائل البيضان عرب الصحراء الكبرى، تحقيق، حماه الله ولد السالم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009.
- 32- الكنتي محمد بون السنغالي، كاشف الغم والغمامة عن حياة الشيخ أبي نعامة، تحقيق، مولاي عبد الله سماعيل، ط1، المكتبة الوطنية الجزائرية، 2017.
- 33- الكنتي سيدي محمد الخليفة، الرسالة الغلاوية المسماة مبردة الغليل وشفافية الغل من صدور جميع المؤمنين خصوصا بني محمد غل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1434هـ/2013م.
- 34- ابن ماجة الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، تحقيق ودراسة، محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار أحياء الكتب العربية، القاهرة.
- 35- مارتى بول، كنته الشريون، تعريب وتعليق، محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، سوريا، د س ن.
- 36- مارتى بول، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني وقصة الاحتلال الفرنس للمنطقة، تعريب، محمد محمود ودادي، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 1422هـ/2001م.
- 37- مارتى بول، دراسات حول الإسلام في موريتانيا الشيخ سيديا - الفاضلية - إدواعلي، ترجمة وتقديم، البكاي ولد عبد المالك، د د ن، د س ن.

- 38- بن موسى القاضي عياض السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1403هـ/1983م، المملكة المغربية.
- 39- محمود محمد الأرواني، تاريخ الصحراء والسودان وبلد تنبكت وشنقيط وأروان في جميع البلدان، دراسة وتحقيق وتقديم، الهادي المبروك الدالي، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2009.
- 40- الناصر أحمد بن خالد، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1418هـ/1997م.
- 41- الناصري محمد صالح بن عبد الوهاب الولاقي، الحسوة البيسانية في علم الأنساب الحسانية، تحقيق، حماد الله ولد السالم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2015م.
- 42- بن السائح محمد العربي، بغية المستفيد لشرح منية المرید، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة، د.ت.
- 43- بن سورة أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي وهو الجامع الكبير، تحقيق ودراسة، مركز البحوث وتقنية المعلومات، الحديث رقم، 1252 من باب البيوع عن رسول الله ﷺ، دار التأصيل، القاهرة، 1435هـ/2014م.
- 44- سكيرج أحمد بن العياشي، كشف الحجاب عن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، ط1، مطبوعات سالم الحبيب الجزائري، دار التجاني للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الوادي، الجزائر، 2009م.
- 45- السعدي عبد الرحمن، تاريخ السودان، طبعه هوداس، باريس، 1981م.
- 46- بن سعيد أبي الحسن علي بن موسى المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق، إسماعيل العربي، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970.
- 47- السخاوي شمس الدين أبي الخير الشافعي، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، دراسة وتحقيق، عبد الكريم الخضير ومحمد آل فهيد، ط1، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، 1426هـ/2005م.
- 48- ابن عذاري أبو العباس أحمد بن محمد، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق بشار عواد ومحمود بشار، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1434هـ/2013م.
- 49- العياشي عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية (1661-1663م)، تحقيق وتقديم، سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2006م.

50- بن فودي محمد بلو بن عثمان، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، د د ن، 1383هـ/1964م.

51- الفيروز آبادي مجد الدين بن محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تعليق، أبو الوفاء نصر الهوريني المصري الشافعي، مراجعة، أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، د ط، دار الحديث، القاهرة، 1429هـ/2008م.

52- الفشتالي أبو فارس عبد العزيز، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، المغرب، د ت.

53- القلقمي الشيخ ماء العينين ولد محمد فاضل، كتاب الأنساب في صالح الأنساب، د د ن، د ت.

54- التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم، عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، كلية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية الليبية، 1398هـ/1989م.

55- التلاني عبد الرحمن بن عمر التواتي، فهرسة الشيوخ، دراسة وتحقيق، عبد الرحمن بعثمان، رسالة ماجستير، إشراف، عبد المجيد بن نعيمة، كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، جامعة بشار، السنة الجامعية (2008/2009م).

56- التغلبي أبو محمد عبد الله بن علي بن نصر، التلقين في الفقه المالكي، اعتناء وتعليق، المركز العلمي بدار ابن الجوزي، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، 1437هـ/2016م.

57- ضيف الله بن محمد بن أب التواتي الجزائري، رحلتي لزيارة قبر الوالد، تحقيق، أحمد أبا الصافي جعفري، دار الكتاب العربي، خرايسية، الجزائر، 2015.

58- الغزالي أبي حامد، إحياء علوم الدين، ط8، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1438هـ/2017م.

### المراجع العربية:

1- أبونجا وآخرون، تاريخ إفريقيا العام المنهجية وعصر ما قبل التاريخ في إفريقيا، إشراف، ج. كي-زيربو، منظمة اليونيسكو، 1980.

2- بن الأمين أحمد الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط والكلام على تلك البلاد تحديداً وتخطيطاً وعاداتهم وأخلاقهم وما يتعلق بذلك، ط4، مطبعة المدني، القاهرة، 1409هـ/1989م.

- 3- أعفيف محمد، توات مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها، ط1، مطبعة أبي الرقراق للطباعة النشر، الرباط، المغرب، 2014م.
- 4- ولد ابّاه محمد المختار، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1429هـ/2008م.
- 5- ولد ايده أحمد مولود، الصحراء الكبرى مدن وقصور، طبع بدعم من وزارة الثقافة الجزائرية في إطار المهرجان الإفريقي الثاني، دار المعرفة، 2009.
- 6- ولد سيد أحمد يحيى، ديوان الصحراء الكبرى والسودان الغربي المدرسة الكنتية والقصائد النيرات (جمع وتحقيق وتقديم)، دار المعرفة، الجزائر، 2009.
- 7- ولد عبد الله (ددو) عبد الودود، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط حتى نهاية القرن (18م)، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2015م.
- 8- بن عبد الله نور الدين، العمارة التقليدية لمنطقتي توات الوسطة وقورارة بين ضوابط النص الديني وحدود الواقع، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2013.
- 9- ولد الأمير سيدي أحمد، المجال الموريتاني: مقالات في التاريخ والثقافة، ط1، مركز الدراسات الصحراوية، الرباط، 2014.
- 10- بجيدّ أبي علي الشنقيطي، أعلام الشناقطة في الحجاز والمشرق وجهودهم العلمية وقضاياهم العامة من القرن الخامس حتى القرن الخامس عشر الهجريين، د د ن، د ت.
- 11- بكري عبد الحميد، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى الرابع عشر، ط2، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت.
- 12- بوكراع محفوظ بن ساعد السطيفي، الفرقد النائر في تراجم علماء أدرار المالكية الأكاير، فهرسة وتقديم: أبو بكر بلقاسم ضيف البحابي الجلفاوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2016م.
- 13- بوعزيز يحيى، تاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، د ط، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- 14- بوبريك رحال، المدينة في مجتمع البداوة (التاريخ الاجتماعي لولاته خلال القرنين 18-19م)، ط1، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، المغرب، 2002م.
- 15- بلعالم محمد باي، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م.

- 16- جامعة الدول العربية، النباتات الطبية والعطرية والسامة في الوطن العربي، د ط، المنظمة العربية للتنمية الزراعية، الخرطوم، 1988م.
- 17- جعفري مبارك، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، ط1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 1430-2009م.
- 18- جعفري مبارك، الأزواد خلال القرن 13هـ/19م دراسة تاريخية اجتماعية واقتصادية، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2021.
- 19- جعفري أحمد أبا الصافي، سلسلة رجال في الذاكرة الشيخ سيدي محمد إدو علي (ق12هـ) حياته وأشعاره، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2009.
- 20- جعفري أحمد أبا الصافي، سلسلة رجال في الذاكرة الشيخ سيدي محمد بن المبروك البدوي الجعفري 1198هـ حياته وشعره، ط1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009.
- 21- جعفري أحمد أبا الصافي، من تاريخ توات أبحاث في التراث، ط1، منشورات الحضارة، بئر التوتة، الجزائر، 2011.
- 22- جعفري أحمد أبا الصافي، اللهجة التواتية الجزائرية معجمها بلاغتها أمثالها وحكمها عيون أشعارها، ط1، دار الكتاب العربي للطباعة النشر، التوزيع والترجمة، الجزائر، 2013.
- 23- جودت يوسف عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1992.
- 24- الدالي الهادي المبروك، التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، ط2، مطابع الوحدة العربية، الزاوية، ليبيا، 2001م.
- 25- الدالي الهادي المبروك، التاريخ السياسي والإقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن 15 إلى بداية القرن 18م، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1420هـ/1999م.
- 26- الدليشي عبد اللطيف الخالدي، من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة - الشيخ محمد أمين الشنقيطي (1293-1351هـ/1876-1932م)، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق، د س ن.
- 27- بن هاشم عبد الله الرقاني، النسمة الزكية في التعريف بشيوخ الطريقة الرقانية، ط2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2020م.

- 28- زبادية عبد القادر، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493-1591، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د س ن.
- 29- وزارة البيئة والتنمية المستدامة، الإبلاغ الوطني الثالث عن التغيير المناخي في موريتانيا، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، 2014م.
- 30- حاج أحمد الصديق المغيلي، التاريخ الثقافي لإقليم توات: ط2، منشورات الحبر، بني مسوس، الجزائر، 2011م.
- 31- بن حامد المختار، حياة موريتانيا (حوادث السنين أربعة قرون من تاريخ البيضان بموريتانيا وجوارها)، تقديم وتحقيق، سيدي أحمد بن أحمد سالم، دار الكتب للتراث، أبو ظبي، 2011.
- 32- ولد حامد المختار، موسوعة حياة موريتانيا الجغرافيا، تصدير، أحمد التوفيق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1414هـ/1994م.
- 33- ولد حامد المختار، موسوعة حياة موريتانيا (التاريخ السياسي)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م.
- 34- بن حامد المختار، موسوعة حياة موريتانيا الثقافية، د. ط، دار الكتاب العربي، بيروت، د س ن.
- 35- ولد الحسن حدو، شيخنا حماه الله حياته ومقاومته للفرنسيين، ط1، د د ن، 2009.
- 36- ولد الحسن أحمد، الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر مهامة في وصف الأساليب، ط1، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية الليبية العظمى، 1424هـ/1995م.
- 37- حمدان جمال، استراتيجية الإستعمار والتحرر، ط1، دار الشروق، بيروت، 1403هـ/1983م.
- 38- حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ (من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين)، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1420هـ/2000م.
- 39- الحمدي أحمد، المختار الكبير الكونتي التصوف والعلم بأزواد إفريقيا، منشورات جمعية البيت للثقافة والفنون، الجزائر، 2009.
- 40- الحمدي أحمد، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي الإطار المعرفي والتعامل مع المكانية، ط1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1433/2012.
- 41- حوتية محمد صالح، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (دراسة تاريخية من خلال الوثائق)، دار الكتاب للطباعة والنشر والترجمة، الجزائر، 2007م.

- 42- حوتية محمد الصالح، آل كنتة دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، ط1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
- 43- طرخان إبراهيم علي، إمبراطورية غانا الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970/1390.
- 44- طرخان إبراهيم علي، دولة مالي الإسلامية دراسة في التاريخ القومي الأفريقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973.
- 45- ولد الكتاب محمد الأمين، وادان إحدى أقدم حواضر بلاد شنقيط، تقديم، سيدي أحمد ولد الدي، ط1، وزارة الثقافة والصناعة التقليدية والعلاقات مع البرلمان، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، 1442هـ/2020م.
- 46- لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية (1518-1830م)، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، 2011.
- 47- محمدو أمين، مدخل إلى تاريخ البداوة (عناصر من الثقافة الحسانية)، تقديم، عبد الودود ولد الشيخ، ط1، وزارة الثقافة والصناعة التقليدية والعلاقات مع البرلمان، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، 1440هـ/2018م.
- 48- محمد صالح عمر، الثقافة العربية الإسلامية في الغرب الإفريقي، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1413هـ/1993م.
- 49- بن محمدن محمدن، المجتمع البيضاني في القرن التاسع عشر (قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية)، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2001م.
- 50- بن المحبوبي محمدن بن أحمد، أدب الرحلة في بلاد شنقيط خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجري (20/19م) - مقارنة وتنظير، د د ن، د س ن.
- 51- بن المحبوبي أحمد بن حبيب الله ومحمدن بن أحمد، الطريقة الشاذلية حضراتها ومحاضرها في موريتانيا، مطبعة المنار، نواكشوط، 2013.
- 52- مولاي محمد بن سيدي محمد، التفسير والمفسرون في بلاد شنقيط خلال ما يربو على أربعة قرون، ط1، دار يوسف بن تاشفين ومكتبة الإمام مالك، العين، الإمارات العربية المتحدة، 1429هـ/2008م.

- 53- مقلد محمد يوسف، موريتانيا الحديثة غابرها وحاضرها، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، د س ن.
- 54- مؤنس حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط5، دار رشاد للنشر، القاهرة، مصر، 1421هـ/200م.
- 55- بن محنض الحسين، تاريخ بلاد شنقيط من أقدم العصور إلى مقدم الاستعمار، د د ن، د س ن.
- 56- النحوي الخليل، بلاد شنقيط المنارة والرباط عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987.
- 57- نجاح يوسف، المتدارك من أعلام أولاد مبارك (1712-1877)، تقديم، الشيخ إبراهيم أكيه، ط1، د د ن، موريتانيا، 2020.
- 58- سماعيل مولاي عبد الله، الفقارة وآليات توزيع الماء بتوات النشأة والتطور، ط1، دار الكلمة، الجزائر، 2017.
- 59- سعد الله أبي القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954م)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.
- 60- ولد السالم حماه الله، بلاد شنقيط - موريتانيا - (من العصور القديمة إلى حرب شربه الكبرى بين أولاد الناصر ودولة إبدوكل اللمتونية)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.
- 61- ولد السالم حماه الله، حجاج ومهاجرون علماء بلاد شنقيط (موريتانيا) في البلاد العربية وتركيا من القرن التاسع إلى القرن 14هـ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012.
- 62- العربي إسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
- 63- عقباوي عزيزي بن بوبكر الهاملي الكنتي، النفحات البهية في أفنان الشجرة الكنتية، ط2، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2016.
- 64- فهمي سميرة علي عمر، إمارة الحج في مصر العثمانية (923-1213هـ/1517-1798م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001م.
- 65- فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، أطروحة دكتوراه، إشراف: أ.د أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م.
- 66- فال إبراهيم أحمد، التراث الثقافي والمعمار لمدينة ولاتة التاريخية، ط1، دار كنوز التراث للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2021/1442.

- 67- الصلابي علي محمد، صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، 1428هـ/2007م.
- 68- القلقمي أبو علي بحيداً الإدريسي، أعلام الشناقطة في الحجاز والمشرق وجهودهم العلمية وقضايهم من القرن الخامس حتى القرن الخامس عشر الهجريين، د د ن، د س ن.
- 69- رياض زاهر، الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، د ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968.
- 70- شاكر محمود، التاريخ الإسلامي المعاصر (بلاد المغرب)، ط2، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، 1417هـ/1996م.
- 71- شلبي أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي (الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء إفريقيا منذ دخلها الإسلام حتى الآن)، ط5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1990م.
- 72- شلبي أحمد، التربية الإسلامية نظامها - فلسفتها - تاريخها، ط6، جامعة القاهرة، مصر، 1978.
- 73- بن خطري مصطفى، الدور التربوي للطرق الصوفية بالبلاد السائبة، مجلة منارة الفتوى، مرجع سابق، العدد الثالث، رمضان 1436هـ/يوليو 2015.
- 74- غيث أحمد مطير سعد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي (دراسة في التواصل الحضاري العربي-الإفريقي)، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، د س ن.
- 75- الغيتاوي مولاي التهامي، سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحى إقليم توات، العالمية للطباعة والخدمات، الجزائر، 1434هـ/2013م.

#### المراجع الأجنبية:

- 1- Martin- AGP: quatre siècle d' histor marocain: au sahara de 1504 a' 1902, au maroc de 1894 a 1912, d'après archive et [...]
- 2- A-G-P.Martin, A La Frountière Du Maroc Les Oasis Sahariennes (Gourara-Touat-Tidikelt), édition De L'Imprimerie, Amgerienne, 1908.
- 3- Henri Schirmer, Le Touat de Géographie Physique et économique.
- 4- Louis Voinot, Le Tidikelt, étude sur la géographe, l'histoire, les mœurs du pays, edition jacques gandini, 1909.

- 5- Henri Charlese Lavauzelle, La Qustion Du Maroc: étude géographique, politique et militaire, PARIS, 1903.
- 6- Bernard Saffroy, Chronique du TOUAT, Des Reperes Pour Une Histoire, C.D.S, Ghardaia.
- 7- Jacob Oliel, Les Juifs au Sahara Le Touat au Moyen Age, Cnrs édition, pgris, 1994.
- 8- Georges Poulet, Les Maures de l'Afrique Occidentale française, Librages Maritime et Coloniale, Librairie Maritime et Coloniale, Paris, 1904.
- 9- Ould Zine Bah, Le Français En Mauritanie, Universités Francophones, AUPELF-UREF. 1997.
- 10- Hamet Ismail, Chroniques de La Mauritanie Sénégalise, Ernest Leroux, Editeur, Paris.
- 11- Hamet Ismael, Le Kounta, Revue Du Monde Musulman, Publiée par La MISSION socentifique Du Maroc, Numéros 6-7, Juillet - Aout 1911.
- 12- Hamet Ismael, Villes Sahariennes, Revue Du Mondes Musulman, Op. Cit, Voulum 19, Avril-Mai-Juin, 1912, Paris.
- 13- Cour Internationale de Justice, Sahara Occidental, Volume3, mémoires plaidoiries et documents, La Hague, Hollande.
- 14- Mahdi Ould Moulay El Hassane, Tafillat Au Hodh Chargui- La Saga Saharienne De Awlad Sidi Hamou Ben Elhaj, Institut des Etudes Africaines Etude Africaines Rabat, Université Mohamed V – Souissi, 2002.
- 15- Alioune Traoré, Islam Et Colonisation En Afrique, Cheikh Hamahoullah Homme De Foi Et Résistant, Editions Maisonneuve et Larose, 15 reu Victor-Cousin, 75005, Paris, 1983.
- 16- De Commandant Deporter, La Question Du Touat Sahara Algérien Gourara, Touat, Tidikelt, Libaririe algérienne et coloniale, 5, Rue Jacob, 1891.
- 17- Louis Rinn, Marabouts Et Khouan, Etude Sur L'Islam En Algérie, Adolphe Jourdan, Libraire-Ediiteur, Alger, 1884.

- 18- Batran Abdel-aziz abdallah, Sidi al-mukhtar al-kunti qnd the recrudescence of Islam in Westren Sahara and he Middle Niger c. 1750-1811, PH.D. thesis submitted, Centre of West African Studies, University of Birmingham, London, November, 1971.
- 19- Liste Du Patrimoine Mondial, Anciens Ksour de Ouadane, Chinguetti, Tichitt et Oualata, République islamique de Mauritanie, 25 septembre 1995.
- 20- Guillaume De Champeaux, A Travers Oasis Sahariennes: Les spahie sahariens, R. Chapelot et Cie, Editeurs, 1903.
- 21- Exposition Colonial Internationale, La Mauritanie, Société D'éditions Géographiques, Maritimes Et Coloniales, 184, Boulevard Saint-Germin, Paris, 1931.
- 22- Étienne Richet, La Mauritanie, Préface, De Paul Painlevé, Membre de l'Institut, Ancien présidentdu Conseil. Émile Larose, Libraire-Éditeur 11, Rue Victor-Cousin, 11, Paris, 1920
- .
- 23 -Gaston Donnet, En Sahara, A Travers Le Payes Des Maures Nomades, Socité Française D' éditions D'Art, L-Henry MAY, Paris.
- 24- M. Cortier Capitaine, Reconnaissance Ouallen-Achourât, rouat d'In-Salah à Tombouctou, par Ouallen et Achourât, Emile Larose, LIBRAIRE ÉDITEUR, PARIS, 1903.
- 25- Gaston Donn, En Sahara (Atraviers Le Pays Des Maures Nomades), Socité Française D'éditions D' Art, L. Henry May, Paris.
- 26- Selka Abderrahmane, Notic sur le Touat, Bulletin Société De Geographie D'Alger Et De L'Afrique Du Nord, Vingt-septième année, 3e trimestre 1922, n° 90.
- 27- Devors, Le Touat Etude Géographique Et Médicale, Archives De L'Institut Pasteur D'Algérie, Tome XXV, N. 3-4, sept – déc. 1947.
- 28- Gerhard Rohlf, Reise durch Marokko, Uebersteigung des grossen Atles, Exploration der Oasen von Tafilet, Tuat und

Tidikelt und Reise durch die groose Wust uber Rhadames nach Tripoli, Verlg von J. Kuhtmann's Buch handlung, U.L.Fr, Kirohhof Nr. 4, Bremen, 1868.

29- René Caillié, Journal d'un Voyage à Temboctou et à Jenné dans l'Afrique centrale, Tome 2, Imprimé Par Autorisation Du Roi A L'Imprimerie Royale, Paris, 1830.

30- Oskar Lenz, Timbouctou Voyage Au Maroc, Au Sahara et Au Soudan, Traduit de L'Allemand, Pierre Lehautcourt, Librairie, Boulevard Saint-Germain, 79, Paris, 1886.

31- Camille Sabatier, Touat, Sahara Et Soudan, Etude Géographique, Folitique, Economique Et Militaire, Bibliothèque Générale De Géographie, 4 rue Antoine Dubois, Paris, 1891.

32- J- BRENEZ, et Autres Enquete Démographique En Mauritanie )1964-1965(, Paris, Octobre 1966.

33- L'Officier-Interpréte, Origines des Pouplations du Touat, Bulletin De Société De Géographie D'Alger Et De L'Afrique Du Nord, Dixième Année , 2em, Trimestre, 1905

#### القواميس والمعاجم:

1- الزوكة محمد خميس، جغرافية العالم الإسلامي، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2000م.

2- الزوكة محمد خميس، جغرافية العالم العربي، ط2، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2000.

3- لعروق محمد الهادي، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، الجزائر، د س ن.

4- ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1997م.

5- نعمه أنطوان وآخرون (تحرير)، المنجد الوسيط في العربية المعاصرة، ط2، دار المشرق، بيروت، 2012.

6- الشاطري محمد بن أحمد بن عمر، المعجم اللطيف لأسباب الألقاب والكنى في النسب الشريف لقبائل وبطون السادة بني علوي أدام الله مجدهم، ط1، عالم المعرفة، جدة، المملكة العربية السعودية، 1406هـ/1986م.

## الرسائل الجامعية:

- 1- ولد أحمد محمد فاضل، المديح النبوي في الشعر الموريتاني الفصيح (النشأة ومراحل التطور)، رسالة ماجستير في الآداب، إشراف، أ. د محمد الحسن الأمين، قسم اللغة العربية، كلية الدراسات العليا، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، د.ت.
- 2- بابا عبد الله، الزاوية البكرية ودورها الثقافي والإجتماعي بإقليم توات من 1112-1421هـ/1700-2000م، إشراف، أ. د عبد الكريم بوصفصاف، رسالة ماجستير في التاريخ الاجتماعى والثقافى عبر العصور، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، جامعة أدرار، 1432/2011-2012م
- 3- بوسعيد أحمد، الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/18م، رسالة ماجستير، إشراف أ.د محمد حوتية، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أدرار، (1432-1433هـ/2011-2012م).
- 4- جعفري عز الدين، أطلس العادات والتقاليد بمنطقة توات، أطروحة دكتوراه تخصص تاريخ التراث اللأماذي الجزائري، إشراف، أ. د شعيب مقنونيف، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2018/2017م.
- 5- هرباش زاجية، الوضع الاقتصادي في إقليم توات من خلال مخطوط العنية في القرنين 12 و 13 الهجريين 18 و 19 الميلاديين، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف، أ. د. عبد المجيد بن نعيمة، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 1432-2001هـ/2012م.
- 6- حامد لامين إبراهيم، قبيلة تحكانت ودورها الحضاري بالصحراء الكبرى وغرب أفريقيا خلال القرنين 12-13هـ/18-19م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف، أ.د. محمد حوتية، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، جامعة غرداية، الجزائر، السنة الجامعية، 1442-1443هـ/2020-2021م.
- 7- يحفظ عمرو إنجيه محمد عبد الله، سيدي بوبكر النفاعي المحجوبي حياته وآثاره العلمية، بحث غير منشور، 2022.
- 8- مولاي محمد، القضاء والقضاة ببلاد السودان الغربي من أواخر القرن التاسع الهجري حتى الثاني عشر هجري (15م-18م)، إشراف، أ.د. أحمد الحمدي، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ والحضارة

- الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، السنة الجامعية 2018-2019.
- 9- بن محمد الأمين الحسن الشنقيطي، الجهود الدعوية في منطقة شنقيط وتأثيرها في غرب إفريقيا من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر، رسالة ماجستير، إشراف، محمود محمد الخنطور، قسم الدعوة والإحتساب، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة طيبة، المدينة المنورة، 1425هـ/2004م.
- 10- علي عامر جمال سليمان، الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في حضارات الشرق الأدنى القديم، إشراف، عبد المنعم عبد الحليم السيد ومحمد عادل محمد عبد المنعم، قسم شبه الجزيرة العربية، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم، جامعة الزقايق، مصر، 2005/2006.
- 11- بن عبد المؤمن بهية، الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين (18-19م)، إشراف: د محمد بن معمر، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران -الساينا، 1426-1427هـ/2005-2006م.
- 12- بن عثمان عبد الرحمن، القضاء في منطقة توات خلال القرنين 17/18م، أطروحة دكتوراه، إشراف، أ.د محمد بن معمر، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران -1- أحمد بن بلة، (2015-2016م).
- 13- عنكر الطالب المجتبي، الترجمان المواتي في سيرة الحاج أحمد بن الأمين الغلاوي التواتي، بحث غير منشور، د د ن، د س ن.
- 14- بن صدفن محمد الراضي، السياسة الإستعمارية الفرنسية في موريتانيا وأثرها على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بين 1900-1969، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف، د، خليفة شاطر، كلية تونس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، 1992-1993.
- 15- شيوخ أحمد، الطريقة القادرية الكنتية البكائية مصدر لانتاج الخطاب الصوفي في الصحراء، أطروحة لنيل الدكتوراه في الأدب، إشراف، د. محمد الظريف، شعبة الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادال، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، السنة الجامعية (2012-2013م).
- 16- شواط الحسين بن محمد، مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير، إشراف، أحمد معبد عبد الكريم، كلية أصول الدين، جامعة الرياض، السعودية، 1407-1408هـ.

17- الوثيق بن مولاي أحمد الوثيق العلوي، عين اليقين في نسب الشرفاء العلويين السجلماسيين منهم في بلاد شنقيط موريتانيا، بحث غير منشور، د د ن، د ت.

### المقالات المنشورة في الدوريات:

- 1- ولد أيد أنبوي ولد الداه، من المعالم الولائية، ولاتة بطاقة تعريفية نشر ضمن أعمال مهرجان المدن القديمة، النسخة الرابعة، ولاتة، 2014، منشورات مركز البحوث والدراسات الولائية، 2014.
- 2- ولد عبد الله (دو) عبد الودود، الفقيه والمجتمع في الحواضر الصحراوية محمد يحيى "الفقيه" ولاتة نموذجاً، مجلة رفوف\* مخبر المخطوطات الجزائرية في أفريقيا\* جامعة أدرار، الجزائر، ع 8، ديسمبر 2015م.
- 3- جعفري مبارك، الطريقة الرقانية التواتية وانتشارها في أفريقيا جنوب الصحراء خلال القرنين (12-13هـ/18-19م)، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة نواكشوط، موريتانيا، العدد 22، 2017م.
- 4- جعفري مبارك، العلاقة بين الطريقة الرقانية في توات وأتباعها في أفريقيا جنوب الصحراء من خلال وثائق خزانة مولاي العباس بن مولاي عبد الله الرقاني ببودة أدرار الجزائر، مجلة البحوث التاريخية، جامعة المسيلة، مج 6، ع 01، جوان 2022م.
- 5- جعفري أحمد، نظم "تسهيل منشور ابن آجروم" الشهير بين عبيد ربه الشنقيطي الموريتاني ومحمد بن أب التواتي الجزائري من الناظم؟ ولماذا وكيف، مجلة رفوف (محكمة)، جامعة أحمد دراية، ولاية أدرار، ع 1، مج 9، 2021.
- 6- زكي إيمان رجب تمام، أضواء على الأنشطة الاقتصادية في بلاد شنقيط (موريتانيا) من خلال النوازل الفقهية القرنين (12-13هـ/18-19م)، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، مجلة علمية نصف سنوية محكمة، جامعة الأزهر، المجلد 34، العدد 2، أبريل 2021.
- 7- ولد الحسن أحمد، مظاهر الوعي القومي عند مثقفي بلاد شنقيط في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة المستقبل العربي، مجلة شهرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ع 2، 1985م.
- 8- ولد الحسن أحمد جمال، حركة الإمام ناصر الدين ومنزلتها من تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا، حوليات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط، موريتانيا، ع 1، 1989م.

- 9- حوتية فاطمة الزهراء، الطرق الصوفية في الجنوب الغربي الجزائري، التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغرب (كتاب جماعي)، إشراف وتنسيق، عبد الباسط شرقي، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2019م.
- 10- ولد مايا با حماه الله، أرجوزة سيدي محمد بن أحمد بن سيدي أحمد البلاوي التيشيتي في أحوال الطرق إلى الحج، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة نواكشوط، موريتانيا، ع.
- 11- ولد مامينه الطال أخيار، المسجد وأثره في تربية الأمة الإسلامية، مجلة منارة الفتوى، مجلة علمية محكمة فصلية، المجلس الأعلى للفتوى والمظالم، العدد 03، رمضان 1436هـ/يوليو 2015م، نواكشوط، موريتانيا.
- 12- بن محمد المختار محمود الشنقيطي، لماذا الشناقطة يحفظون؟، مجلة البيان، مجلة دولية غير محكمة تصدر عن المنتدى الإسلامي بالشارقة، الإمارات العربية المتحدة، مج3، ع135، 1999م.
- 13- عماري عبد الله، واقع تعليم اللغة العربية في الزوايا القرآنية بمنطقة توات الجزائرية، مجلة آفاق علمية، العدد 3، 2019م.
- 14- بن عميرة محمد، معدن ملح أوليل واستغلاله في العصر الوسيط، مجلة الإتحاد العام للأثريين العرب، مجلة علمية سنوية محكمة تعني بنشر البحوث والدراسات المتخصصة في مجال آثار الوطن العربي وحضارته، إصدارات الإتحاد العام للأثريين العرب، العدد التاسع، القاهرة، 1429هـ/2008م.
- 15- العقروب نعيمة، مصنف "الأمثال الشعبية في الجزائر والمغرب" لمحمد بن شنب دراسة في منهج التوثيق والجماليات اللغوية، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، ع35، 31-03-2017، الجزائر.
- 16- ولد صدفن محمد الراضي، رحلات الحج وآثارها الثقافية في بلاد شنقيط خلال القرنين 12 و13هـ، (رحلة سيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم نموذجاً)، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، دورية علمية محكمة تعني بالقضايا التاريخية والاجتماعية، ع1، 2013م، جامعة نواكشوط، موريتانيا.
- 17- شعباني نور الدين وزينب جعني، الفن والعمارة في مملكة مالي الإسلامية، مجلة معارف للبحوث والدراسات التاريخية، مجلة دورية محكمة، جامعة الشيخ حمه لخضر، الوادي، الجزائر، ع1، مج2، 2016.

## الملتقيات الوطنية والدولية:

- 1- بلعالم الأسمر عبد السلام، أعلام فقه النوازل بمنطقة توات خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، الملتقى الوطني الرابع "إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية إبان العصر الحديث (1500م-200م)"، يومي: 19-20 أبريل 2010م، جامعة أحمد دراية، أدرار.
- 2- جعفري مبارك، علماء توات في حاضرة القرويين بفاس خلال القرن 12هـ/18م، الملتقى الوطني الأول المشترك العلاقات الحضارية بين توات وحواضر المغرب الإسلامي المنعقد بجامعة أدرار أيام 14.15.16 أبريل 2009م.
- 3- جعفري مبارك، الزوايا ودورها التربوي الإسلامي في منطقة توات، المؤتمر الدولي الثاني رؤى تربوية إسلامية معاصرة "واقع وطموح"، المعهد العالي للدراسات الإسلامية جامعة آل البيت المفرق، المملكة الأردنية الهاشمية، 11/10 إبريل 2012.
- 4- ولد جعفر سيدي محمد، تواريخ هجرات بعض أحفاد السي حمو بلحاج نحو الجنوب "موريتانيا"، كتاب الندوة الثانية أولاد السي حمو بلحاج أعلام وآثار 2016، ط1، جمعية الدراسات والأبحاث التاريخية والثقافية لأولاد السي حمو بلحاج، دار الكلمة، الجزائر، 2017.
- 5- ولد جعفر سيدي محمد، من أعلام أبناء سيدي حمو بلحاج في موريتانيا جعفر بن المهدي النعمي، كتاب الندوة الثالثة أولاد السي حمو بلحاج أعلام وآثار 2017، ط1، جمعية الدراسات والأبحاث التاريخية والثقافية لأولاد السي حمو بلحاج، دار الكلمة، الجزائر، 2017.
- 6- بن الحسين الناني، الخلفية التاريخية للتواصل الثقافي بين المشرق والمغرب العربيين، ندوة التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب العربيين ودور موريتانيا فيه، 29-30 جوان 1999م، جامعة نواكشوط، منشورات دائرة الثقافة والأعلام، الشارقة، 1999م.
- 7- طموح زهرة، تنظيم القافلة خلال القرن 19م، أعمال ندوة التجارة في علاقاتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب، 1409هـ/1989م.
- 8- ماموني علي، أبناء سيدي حمو بلحاج في الحركة التجارية والإقتصادية الداخلية والبيئية، كتاب الندوة الرابعة أولاد السي حمو بلحاج أعلام وآثار 2018، ط1، جمعية الدراسات والأبحاث التاريخية والثقافية لأولاد السي حمو بلحاج، دار الكلمة، الجزائر، 2019.

9- المودن عبد الرحمن، تساؤلات حول موقف العثمانيين من الغزو السعودي للسودان، ندوة دولية حول المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء في بدايات العصر الحديث، ط1، جامعة محمد الخامس السويسي، مراكش، 23-25 أكتوبر 1992م، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1995.

### الحوامل الإلكترونية:

1- ولد أسلم محمد أحمد، القطاع الزراعي في موريتانيا: الواقع والأفاق، منظمة المجتمع العلمي العربي، [متاح على الخط]، <https://arsco.org/article-detail-713-4-0>، تاريخ الإطلاع: 27-09-2022م، الساعة: 15:23.

2- مولود عبد الله، قصر البركة ملتقى قوافل العلماء والتجار عبر الصحراء، مجلة القدس العربي، عدد 26-11-2016، متاح [على الخط]، <https://www.alquds.co.uk>، تاريخ الإطلاع، 11-08-2022، الساعة، 13h00.

3- سيلفا غانم، زراعة التبغ: طريقة زراعته وتخزينه وأخطر 4 آفات تصيبه، منصة فهرس، متاح [على الخط]، <http://faharas.net/tobacco-cultivation>، تاريخ التحميل، 2 أكتوبر 2022م، الساعة، 23:00.

4- شنوف رضا، أدرار الجزائرية مدينة القصور والفقارة والسبوع وشهادة على تمازج الثقافات، مجلة القدس العربي، 4 ديسمبر 2021، [على الخط]، <http://www.alquds.co.uk/>، تاريخ الإطلاع: 25-07-2022، الساعة: 16h40.

### التسجيلات الصوتية:

1- ولد أحمد محمد الأمين، موظف لدى شركة مصرفية خاصة تتبع للبنك الشعبي الموريتاني BPM وباحث في تاريخ قبيلة أولاد دليم، تسجيل صوتي عبر وسيلة التواصل الاجتماعي واتساب، يوم: 11-11-2022، الساعة: 20:00، نواكشوط، موريتانيا.

2- ازدييه سيدي اجيد، تسجيل صوتي، مستشار قانوني لدى مدير المطبعة الوطنية بأنواكشوط، تم التسجيل عبر وسيلة التواصل الاجتماعي "واتساب"، يوم الثلاثاء 20 سبتمبر 2022م.

3- لامين حمه، مدير مجمع الشيخ المختار الكنتي الكبير، نواكشوط، موريتانيا، تسجيل صوتي عبر وسيلة التواصل الاجتماعي "الواتساب"، 7 جويلية 2022م، الساعة العاشرة والنصف مساء.

4- ولد عالي سيد أحمد ولد محمد الرقادي، صحفي بالإذاعة الموريتانية وباحث مهتم بتاريخ القبائل الكنتية، تسجيل صوتي عبر وسيلة التواصل الاجتماعي واتساب، يوم: 2022/11/9، الساعة: 10:00 صباحا من نواكشوط، موريتانيا.

### المقابلات الشفوية:

1- إدواعلي عبد الوهاب، مقابلة شفوية، مدير متوسطة من أحفاد سيدي محمد بكو الإدواعلي بتوات، يوم الإثنين 1 أوت 2022، الساعة الخامسة والنصف مساء، قصر أعباني، دائرة فونغيل، ولاية أدرار، الجزائر.

2- الشيخ كنتاوي الحاج أحمد، مقابلة شفوية، شيخ الزاوية الكنتية الرقادية بزواوية كنتة والخليفة العام للطريقة القادرية الكنتية بالجزائر وامتداداتها الجوارية، ولاية أدرار، الجزائر، تمت المقابلة بتاريخ 30 مارس 2022.

3- ماموني مولاي أحمد، مقابلة شفوية، صاحب خزانة محلية ومهتم بتاريخ بأولاد السي حمو بلحاج في قصور زاوية كنتة، تمت المقابلة بمنزله يوم: 2022/06/29م، الساعة السادسة والنصف مساء، قصر أغرماملال، زاوية كنتة، ولاية أدرار، الجزائر.

4- الرقاني محمد، مقابلة شفوية، مدير مدرسة ابتدائية متقاعد والقيم على شؤون خزانة مولاي العباس الرقاني، تمت المقابلة بمنزله، يوم 7 جويلية 2021، بني وازل، بلدية بودة، ولاية أدرار، الجزائر.

5- الرقاني مولاي الشريف، مقابلة شفوية، إطار بالخزينة البلدية للصحة العمومية والمؤسسات، بلدية رقان، تمت المقابلة بمنزله يوم الأحد 18 جوان 2022، الساعة الحادي عشر صباحا، زاوية الرقاني، ولاية أدرار، الجزائر.

الفهارس

## الآيات القرآنية

- 92 ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾
- 110 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾
- 163 ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ آخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ آخِيهِ﴾
- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمَثْعَا إِلَىٰ حِينٍ﴾
- 203

## الأحاديث النبوية

- 146 { مَا مِنْ حَارِجٍ حَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنَحَتَهَا، رِضًا بِمَا يَصْنَعُ }
- 160 { لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وُلْدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ }
- { نَحْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ الْوَرَقِ بِالْوَرَقِ، وَالذَّهَبِ بِالذَّهَبِ، وَالرُّبِّيَّ بِالرُّبِّيِّ، وَالشَّعِيرَ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرَ بِالتَّمْرِ - قَالَ أَحَدُهُمَا: وَالْمَلْحَ بِالْمَلْحِ، وَلَمْ يَقُلْهُ الْآخَرُ - وَأَمَرْنَا أَنْ نَبِيعَ الْبُرِّ بِالشَّعِيرِ، وَالشَّعِيرَ بِالرُّبِّيِّ يَدًا بِيَدٍ، كَيْفَ شِئْنَا }
- 225 { إِنْ التَّجَارَ بِيَعْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَجَارًا، إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَبَرَّ وَصَدَقَ }
- 227

## الأعلام والشخصيات التاريخية

أ

- 67 إبراهيم المكنى أبي الفضل
- 53 إبراهيم بن أحمد بن العروسي
- ابن بطوطة 28، 29، 51، 60، 196، 208، 216، 218، 222، 228، 260
- ابن خلدون 17، 20، 27، 34، 43، 69، 220، 221
- أبوبكر بن محمد أسره المحجوبي 163
- أبو الحسن علي 31، 193، 261
- أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي 60، 67، 72، 78، 86، 110، 112، 116، 162، 163، 258
- أحمد أفادة 118
- أحمد العياشي سكيرج 81، 82
- أحمد الفيرم 62
- أحمد المنصور السعدي 31
- أحمد الهبية بن الطالب عبد الله القلقمي 113
- أحمد بابا التنبكتي 79، 134، 159، 173، 255
- أحمد بن أحمد المعروف بأبي الكساء 97
- أحمد بن الأمين الشنقيطي 11، 36، 38، 39، 40، 44، 45، 46، 54، 55، 102، 116، 127، 136، 141، 158، 161، 164، 179، 180، 199، 222، 229، 240
- أحمد بن الحاج التيشيتي 87، 91، 211
- أحمد بن الحاج عمر سعيد تال الفوتي 135
- أحمد بن القصري 75، 96

- أحمد بن حمّاه الله التيشيتي 82، 84، 150  
 أحمد بن صالح الوافي الأرواني 148  
 أحمد بن عمر 76، 90، 99، 100، 134، 242، 271  
 أحمد بن محمد أبي نعامة 88، 144  
 أحمد بن محمد الحاجي 158  
 أحمد من دامان 55  
 أحمد ولد سعيد عيدة 210  
 إدريس بن عمر بن عبد القادر التتلاي 144  
 إسماعيل حامت 13، 42، 93  
 أعلي بن محمد البركة 229  
 الأمين بن أحمد بن تاشفين الواداني 172  
 الحاج أحمد بن الأمين الغلاوي التواتي 12، 68، 77، 95، 101، 118، 141، 142، 146، 147، 151، 152،  
 234، 273، 158  
 الحاج مولود بن الامين بكو العلوي 65، 96  
 الحبيب بن المختار العلوي الناصري الشنقيطي 145  
 الحسن الوزان 200، 217  
 الحبيب بن محمد بن أبي نعامة 72، 149  
 الخليفة الراشد عمر بن الخطاب 48  
 الخليفة بن مولاي الشريف 93، 239  
 الخليل النحوي 11، 34، 36، 37، 44، 45، 46، 51، 78، 85، 122، 123، 125، 129، 131، 132،  
 134، 135، 137، 190  
 الرائد أفير جان 190، 193، 200، 201، 216، 219، 258  
 أبو بكر بن الحاج عيسى الغلاوي 72  
 أبي بكر بن إبراهيم بن عمر الباز 67  
 أحمد الخليفة الكنتي 79  
 أحمد بن الوافي 54  
 أحمد البكاي 61، 78، 99، 106، 142، 250  
 أحمد بن محمد الرقاد 63  
 أعمر بن أحمد 63  
 الطالب الأمين بن الحبيب الحرشي 72  
 الطالب أحمد التواتي 71  
 القاضي بن ألفغا الإيدا جبل 79  
 أحمد بن عبد الله الونقالي 97  
 أنبويه بن باب أحمد المحجوبي 162

- 95 انبويه بن محمد بوية بن الطالب عبد الرحمن المحجوبي  
أنضوا جراً 135  
أوسكار لانز 223، 217  
أحمد التجاني 84، 81  
أحمد التواتي 85، 81، 71  
أحمد الخليفة 158، 90  
أحمد الصوفي 90، 89، 83  
أحمد الفقيه 62  
أحمد بن القاسم اليعقوبي الواداني 159، 136، 82  
أحمد بن الأمين الوايي 117  
أحمد بن محمد الرقاد 200، 129، 89، 63  
أحمد بن الحبيب اللمطي السجلماسي 174، 147، 80، 71  
أعمر الشيخ 78، 61  
الأمين بن الطالب الحبيب 85  
أحمد بن علي النحوي الوقروي 139
- ب
- باب الجنة بن أبي كف 67  
باب حسن بن مولاي عبد الله 169  
بابا بن البكاي 64  
بابا بن الشيخ سيديا 54، 35  
بابا بن محمد بن حمدي 85  
باعلي بن مولاي الطيب البريشي 213  
بابا أحمد بن الشيخ المختار الكبير الكنتي 88، 63  
برم فطوم 117  
بكار بن سويد أحمد 54  
بليدن 133  
بن بلعمش الجكني 141  
بنت يعقوب الجكني 61  
بوبكر بن علي الشيخ المحجوبي 160  
بول بلانشي 209  
البكري بن عبد الكريم 193، 163، 162، 161، 139  
بيرلابات 135  
الطالب أبوبكر الحاج 61  
الطالب أبوبكر بن أحمد المصطفى 258، 116، 112، 67، 60

الطالب أبو بكر بن محمد بن الحاج أحمد 91  
 الباي الحاج محمد الكبير 33  
 البشير بن محمد 109  
 الحاج البشير البرتلي 9، 70، 71، 72، 93، 100، 141، 143، 145، 160، 195، 217، 234، 237، 248

## ت

تشيدو 194  
 التغلي 94، 95، 262

## ج

جدو بن الطالب البرتلي 93  
 جعفر بن محمد المهدي النعموي 135، 137، 210  
 جون بابتيس ليونارد دوران 188  
 جيرهارد رولفس 208  
 الطالب جد الشنقيطي 82

## ح

حبيب بن أبي عبيده 49  
 حسان بن مختار بن محمد بن عاقل بن معقل 43  
 حمادي بن بابا أحمد 64  
 حيدة الهداجي 56  
 حمدي بن المختار بن الطالب أجود الحاجي 85  
 حمزة بن الحاج أحمد الفلاني 161  
 الحاج الحسن الشريف 123

## ط

الطاهر بن عبد القادر القندوسي 81  
 الطاهر بوطينة التلمساني 84

## د

ديورتو 19، 81

## ر

روني كاي 210  
 ريمون موني 104

## س

سعد بوه 78، 84  
 سلركة عبد الرحمان 191  
 سني علي 51

	سيديا الكبير	260، 99، 89، 79، 45
	سيدي الشيخ	98، 62
	حبيب الله الكنتي	116
	سليمان بن علي	26
	يدر التيطافي	193
ش	شامبونو	53
	شهاد الكنتي	79
	شيخنا محمد بن عثمان	125
ص	صالح بن محمد الغماري	147
	صالح بن مولاي الشيخ بن حمو بلحاج	60
	صلاح بن آبي الديماني	88، 74
ض	ضيف الله بن آب المزمرى	170، 158
ع	أبو العباس أحمد بن المختار	80
	عال بن مومن	117، 90، 74
	عبد الرحمن السعدي	133، 28، 17
	عبد الرحمن الغلاوي	155
	عبد الرحمن بن عمر التلاني	9، 68، 77، 97، 100، 130، 137، 138، 140، 142، 143، 144، 147، 148،
		149، 151، 152، 156، 173
	عبد الرحمن الجنتوري	137، 138، 139، 153، 154، 158
	علي صل	219
	عبد العزيز الفشتالي	19، 32، 179، 262
	عبد الرشيد الشنقيطي	96
	عبد العزيز البلبالي	97، 127، 129، 130، 155، 170، 172
	عبد القادر الجيلاني	77، 89
	الحاج عمر بن سعيد الفوتي	83
	عبد الله الفلاني	97، 127، 128، 129، 257
	عبد الله بن أبي بكر البرتلي	150
	عبد الله بن أبي بكر التنواجيوي	146
	عبد الله بن أحمد الولاتي المحجوبي	130

- عبد الله بن الحاج إبراهيم 54، 97، 142، 156، 210، 222، 228، 229، 259
- عبد الله بن بايش طلب 229
- عبد الله بن تيفاوت اللمتوني 34
- عبد الله بن حمى الله القلاوي 156
- عبد الله بن رازكه العلوي 161
- عبد الله بن ياسين الجزولي 49
- عبد المالك بن الطالب الصغير البرتلي 87
- عثمان بن الطالب عبد الرحمن النزاري 109
- عثمان بن مغفر 52، 55
- عقبة بن نافع الفهري 27، 48، 123، 159، 255
- علي بن أحمد الحضري 90
- علي بن شمس الدين بن يحيى القلزمي 113
- عمر بن المختار الشنقيطي 145
- عبد المومن 63
- عمر الشيخ 63، 158
- عمر الباز 66، 67
- عمر بن بابا بن عمر الولاتي 152
- عمر بن عبد القادر التنلاني 137، 138، 153، 173
- عمرو بن العاص 48
- عيسى بن أحمدادو الجعفري الولاتي 155
- عيش بنت الحاج الحسن 125
- عبد الحق بن البكري 138
- عبد الرحمن الشنقيطي 82
- عبد الرحمن الهامل 62
- عبد الكريم البكري 173
- علي بن حنيني 133
- علي بن أحمد الصوفي بن علي الرقاد 89
- علي وفا السكندري 145
- العاقب بن عقبة 48، 159
- العباس بن الخليفة 163
- العربي بن أحمد 226
- العربي بن إدريس التنلاني 81
- العباشي 19، 81، 143، 261
- الحاج العابد الولاتي 220

الأمير علي شندورة 54

القاضي عياض 173، 145، 129

## ف

فاربا حسين 51

فاطمة بنت الحاج محمد البارودي 95

فاطمة بنت ألفغ ايلب 62

فريد ديمون 71

فيدهرب 219

## ق

القصري بن محمد المختار الإيدلي 223، 220، 215، 209، 192، 187، 171، 114، 109، 72

## ك

كمال الدين بن المختار بن الهيبة 141

كنكن موسى 17

كروفيل 194

## ل

لاله بنت الأخضر 93

لويس فانون 106

## م

ماء العينين القلقمي 78

مارتان 224، 189، 30، 19، 18، 14

ماسيري كيتا 135

مالك بن أنس 266، 261، 259، 166، 161، 156، 155، 128، 95، 83، 76، 67

محمد أبي نعامه الصغير الكنتي التواتي 71

محمد بن أحمد التواتي 68

محمد الأغطف 78

محمد الأمين الجكني 154

مروشة بنت الأحمر الصنهاجي 52

محمد الأمين بن أحمد بن عمر الحضري 242، 91، 90، 76

محمد الأمين ذو النقاب 90

محمد البكري بن عبد الرحمن التلاني 140

محمد التواتي 109

محمد الجوزي 155

محمد الحافظ العلوي 100، 81

- محمد الطيب بن عبد الرحيم 200  
 محمد المختار بن الأعمش العلوي الشنقيطي 136  
 محمد المهدي 76، 114، 135، 207، 211، 213، 214، 215، 220، 221، 222، 226، 229، 239،  
 254  
 محمد اليدالي 44، 80، 155، 163  
 محمد باي بلعالم 31، 121، 123، 140، 148، 161، 163  
 محمد بن أب المزمرى 9، 77، 148، 149، 155، 156، 158، 161، 165، 171  
 محمد أبو نعامة بن السائح 62، 71، 74، 141، 142  
 محمد أبو نعامة بن محمد أبو نعامة 61، 62، 71، 78، 79، 88، 118  
 محمد الكنتي بن علي 61  
 محمد بلو 35  
 محمد بن أحمد العربي 70  
 محمود بن الحاج أحمد الفقير 71  
 مولاي الشريف الرقاني 73  
 مولاي زيدان 76، 86، 90، 100، 110، 150  
 مولاي عبد الله الرقاني 62، 76، 80، 82، 83، 90، 95، 98، 257  
 مولاي عبد الله الرقاني الحفيد (سيدي بله) 76، 98  
 محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي 34، 35، 70، 71، 72، 76، 83، 85، 86، 89، 90، 91، 100، 135،  
 137، 142، 146، 149، 150، 156، 159، 160، 165، 167، 174، 211، 225، 227، 243  
 محمد بن أبي زيان القندسي 80  
 محمد بن أحمد الديباني 157  
 محمد بن أحمد الفلاني 134  
 محمد بن الحاج الحسن الزيدي 172  
 محمد بن الحاج المسلمي التشيبي 160  
 محمد بن الحسين القبلاوي 152  
 محمد بن الصديق الرقادي 118  
 محمد بن المبروك البداوي الجعفري 138، 162  
 محمد بن عبد الكريم البكري 18، 20، 21، 23، 24، 29، 30، 31، 33، 79، 82، 109، 123، 133، 134،  
 139، 154، 156، 173، 259، 265  
 محمد بن عبد الكريم المغيلي 79، 82، 109، 123، 133، 265  
 محمد بن عبد الله بن الحسن الرقادي 94، 95، 192  
 محمد بن محمد التواتي 171  
 محمد بن موسى الخلاص 83  
 محمد حبيب الله بن ماياي الجكني 155

محمد صالح بن المقداد	138
محمد فاضل بن مامين	78
محمد قلي بن إبراهيم بن بك	67
محمد محمود بن التلاميذ التركي الشنقيطي	164, 163, 140
محمد مولود بن محمد فال اليعقوبي	158
محمد ولد المختار	188
محمد يحيى بن سليمة اليونسي	155
محمد يحيى بن محمد المختار الداودي	67
محمد بن حنبل	157
مدرك التلگاني	69
مسعود بن وانودين المغراوي	24
مغفر بن أودي بن حسان	55
مولاي أحمد الطاهري	173, 23, 19, 18
مولاي إسماعيل بن مولاي عبد الله	114
مولاي الحسن بن مولاي عبد الله	254, 225, 111, 110
مولاي السعيد الرقاني	255, 227, 209, 207, 206, 95, 77, 73
مولاي الشريف بن محمد	239, 99, 60
مولاي الشيخ	227, 192, 94, 61, 60, 59
محمد الأخضر	245, 93, 84
الأمين الكنتي	142
محمد العيمش	86, 76
محمد الكنتي الصغير	61
محمد المصطفى بن أحمد الرقاد	63
محمد بن الحاج	59
محمد بن الفضيل	81
محمد بن بكو الإداعلي الشنقيطي	96, 65
محمد بن عبد الرحمن	138
محمد بن علي بن مولاي الوثيق	226
محمد بن عمر الخطاط البرتلي	85
محمد بن مولاي الشريف	255, 239, 212, 211, 77
محمد بن مولاي العربي	256, 212, 209, 74
محمد بن مولاي عبد القادر	60
مولود فال اليعقوبي	82
المختار الكبير الكنتي	99, 78, 13

- المختار بن محمد بن عبد الرحمن الهامل 62  
المصطفى البيان الغلاوي 147  
مولاي العباس 74، 76، 85، 92، 98، 110، 209، 212، 220، 225، 254، 255، 274، 278  
مولاي المامون بن محمد المهدي 76، 110، 111، 225، 239، 254، 255  
محمد بن مولاي عبد الرحمن العلوي 32  
مولاي إسماعيل العلاوي 54  
مولاي الوثيق بن مولاي عبد القادر 110  
مولاي أمبارك بن مولاي المامون 27  
مولاي أمبارك بن مولاي هيبه الله 212  
مولاي أحمد 60، 73، 76، 245  
مولاي سنبار 99، 239  
مولاي صالح 60، 75، 93، 96، 112، 114، 228، 230، 239، 254  
مولاي عبد الرحمن الرقاني 95، 229، 254  
مولاي عبد القادر المعروف بعالة 99  
مولاي عبد القادر بن حمو بلحاج 60، 99  
مولاي عبد الكريم بن محمد 211، 212، 229، 255  
مولاي عبد الكريم بن مولاي عبد الله شيخ العافية 59، 75، 76، 114، 182، 211، 212، 229، 254، 255  
مولاي عبد الله شيخ العافية 75، 162، 207، 239  
مولاي عبد الله ولد محمد، 75  
مولاي عبد المالك الرقاني، 70، 76، 83، 90، 92، 110، 150، 220، 242، 247، 254، 255  
مولاي عبد الله الرقاني الحفيد (سيدي بله) 98، 99، 220، 254  
مولاي عبد المالك بن حمو بلحاج، 60، 74  
مولاي علي الشريف، 26، 59، 61  
مولاي علي بن مولاي العايش 73، 206  
مولاي عمار ولد مولاي فضيل 60، 75، 99، 216  
مولاي هيبه الله بن مولاي السعيد، 73، 77، 95، 206، 207، 209، 255  
محمد السالك الوداني، 82  
مولاي دريس، 226  
المجيدري بن حبيب الله البعقوي 174  
المختار الندا 70  
المختار بن بونة الجكني 156  
المصطفى بن الطالب عثمان الغلاوي 114  
المهدي 18

## ن

- نانة عيشة بنت محمد المهدي 75  
 نختارو بن المصطفى اليدالي الشمشوي 80  
 الإمام ناصر الدين 53  
 محمد أبو نعامة القبلاي الحفيد 79

## و

- وارجابي بن رايس 35  
 الحاج المبخوت الوغلاني 95

## ي

- يحيى بن إبراهيم الجدالي 49  
 يحيى بن عمر اللمتوني 24  
 يوسف بن تاشفين 24، 50، 69، 155، 266  
 يوسف بن رحال البرابيشي 220

## فهرس القبائل والشعوب

## أ

- ابدوكل، 53  
 أبكاك، 57  
 أبناء أعمر أكداش، 46  
 أدا بلحسن، 46  
 إداوعللي، 46، 64، 158، 122، 257  
 إدوعيش، 44، 45، 54، 114، 115  
 إدولحاج، 114  
 اديسات، 46  
 اديجيه، 57  
 اديشلي، 62  
 إديشلي، 53، 91  
 آل عثمان، 33  
 آل كنتة، 45  
 الأتواج، 99  
 الأدارسة، 25  
 الإغريق، 18  
 الأمازيغ، 67  
 الإمامات، 65

الأنباط، 53

الأنصار، 28، 68

إيدلبة، 10، 71

## ب

البرابيش، 43، 56، 64، 220

البراكنة، 42، 45، 55، 77، 113، 184، 206، 214

البرامكة، 27

البربر، 18، 19، 27، 38، 47، 52، 53، 57، 106، 164، 170، 191، 207، 211، 212، 214، 215،

221، 222، 228، 229، 236، 243، 244، 251، 254، 255

البارتيل، 9، 10، 35، 68، 69، 70، 71، 74، 81، 83، 84، 85، 87، 89، 92، 93، 98، 107، 113،

127، 128، 133، 135، 139، 140، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 152، 153، 154، 155،

156، 157، 159، 162

البيرون، 28، 34، 36، 66، 122، 136، 137، 139، 152، 153، 158، 159، 160، 170، 189، 190،

193، 248، 254

البلبالي، 17، 28، 26، 80، 95، 121، 125، 127، 128، 137، 152، 167، 168، 251، 252، 253،

255، 256

## ت

القبائل التارقية، 100

الترازة، 42، 44، 45، 53، 55، 56، 87، 188، 190، 191، 192

التكولور، 47

التنلاني، 9، 26، 28، 62، 67، 71، 75، 79، 95، 98، 128، 132، 135، 136، 137، 138، 139، 140،

141، 144، 145، 146، 147، 149، 150، 151، 153، 158، 164، 170، 229، 253، 258، 259

## ج

الجعفري (الجعافرة)، 136، 153، 157

الجماني، 112

الجبكي، 61، 74، 91، 128، 138، 150، 152، 153، 170

الجتوري، 9، 25، 135، 145، 146، 149، 150، 151، 155، 164، 167، 168، 169، 220، 221، 222،

255، 269

الجوزي، 51، 93، 152، 259، 264

## ح

الخراطين، 47

## س

السعديين، 32

## ر

الرقاقدة، 60، 62، 63، 67، 73، 80، 86، 87، 88، 93، 115، 116، 121، 127، 132، 136، 167، 188،  
196، 253، 256، 274، 275  
الرقاني، 4، 60، 62، 69، 71، 72، 73، 74، 75، 78، 80، 81، 84، 85، 88، 89، 91، 93، 96، 97،  
108، 128، 147، 154، 155، 159، 202، 203، 204، 206، 207، 208، 215، 217، 218، 219،  
221، 222، 224، 228، 229، 235، 238، 239، 251، 252، 253، 256، 261، 265، 271، 275  
الرماضين، 68

## ز

الزلامطة، 68، 159  
الزنج، 28، 35، 76، 131، 132، 191، 217  
الزوايا، 11، 45، 46، 53، 54، 66، 85، 87، 104، 122، 124، 126، 127، 128، 130، 156، 229،  
256، 272، 273  
السراحنة، 64  
السعديين، 32، 262  
السماسيد، 188  
السوننك، 52  
السوننكي، 47  
الشراتييت، 57  
الشفراء، 26  
العرب، 19، 20، 22، 25، 26، 28، 32، 36، 39، 46، 65، 67، 99، 153، 157، 160، 190، 191،  
203، 268، 272  
العلوية، 32، 190  
العلويون، 25، 32، 111، 271  
القللاوي أو الغلاوي، 12، 67، 71، 75، 94، 99، 113، 116، 127، 135، 138، 139، 140، 144، 145،  
146، 149، 150، 152، 153، 155، 162، 165، 229، 231، 247، 253، 270  
الفارسية، 100  
الفولان، 95، 125، 126، 127، 132، 158، 206، 208، 215، 253  
القلاقمة، 6، 38، 39، 66، 67، 77، 112، 113، 258، 264  
القبائل الكنتية، 12، 26، 60، 61، 62، 63، 70، 72، 73، 76، 77، 80، 86، 87، 88، 98، 114، 115،  
116، 138، 140، 155، 156، 167، 168، 170، 207، 212، 228، 229، 241، 243، 244، 253  
256، 259، 264، 274  
الكواليل، 68  
اللحمة، 46، 47، 48  
اللمتون، 26، 27، 35، 53، 54، 161، 162  
اللمطي، 70، 78، 144، 170

- المحجيب، 65، 66، 74، 103، 108، 109، 110  
المحجوي، 99  
المرابطين، 27، 28، 42، 45، 46، 49، 50، 51، 52، 53، 56، 68، 119، 122، 132، 186  
المرينيين، 32، 262  
المزمري (الزموري)، 10، 75، 95، 126، 136، 138، 145، 146، 147، 153، 154، 155، 158، 161، 162،  
167، 168، 179، 189، 229، 252  
المعقل، 26  
المغاربة، 18، 31، 121، 122، 169، 208، 210، 219  
المغافرة، 38، 43، 44، 54، 55، 56، 135  
المثمين، 34، 35، 49، 50، 51، 119  
الموحدين، 27، 51، 53  
النفاع، 66، 115، 248  
الهلاليين، 26  
الهمال، 61، 62، 115  
القبائل الوثنية، 35، 50، 52، 131، 133، 207، 208، 218، 222  
الولوف، 47  
اليونسي (أولاد يونس)، 153  
انيززيك، 53  
أهل الأزرق، 61  
أهل الخليفة، 92، 110، 233  
أهل الغزال، 197  
أهل سيدي عثمان، 123  
أهل مولاي صالح، 110، 111  
أولا يعيش، 99، 215  
أولاد أبي السباع، 99  
أولاد أحمد، 99، 197، 247  
أولاد أخي بن عثمان، 45  
أولاد اغرؤك، 56  
أولاد الحاج، 30  
أولاد زنان، 223  
أولاد السي حمو بلحاج، 6، 10، 14، 59، 60، 72، 73، 74، 107، 196، 202، 211، 230، 233، 273  
أولاد الفقيه عثمان، 65، 66  
أولاد اللب، 64  
أولاد المولاة، 56، 64

- أولاد الناصر، 44، 45، 54، 56، 114، 264  
 أولاد باعمر، 64  
 أولاد بييري، 46، 187  
 أولاد داود، 56  
 أولاد دليم، 43، 56، 64، 66، 99، 187، 188، 220، 222، 223، 274  
 أولاد دوود بن عمر، 195  
 أولاد رزق، 44، 53، 56  
 أولاد سالم، 64  
 أولاد سيد أحمد كنتة، 62  
 أولاد عبد الله، 45  
 أولاد لخليجة، 64  
 أولاد مالك، 66  
 أولاد مبارك، 56، 66، 73، 88، 109، 110، 264  
 أولاد موسى، 66، 67  
 أولاد نكدي، 64  
 أولاد يحيى بن عثمان، 56  
 ايدلبه، 68، 111  
 ايدوعيش، 56، 57  
 ايديقوب، 68  
 إيمراقن، 197
- ب
- بارتيل، 68، 109  
 باريك الله، 188  
 بانتوس، 47
- ت
- تاركا، 61  
 تجكانت، 46، 67، 68، 126، 156، 196، 222، 269  
 تركز، 138
- ج
- جكاني، 68، 99
- ح
- حسان، 26، 43، 44، 46، 47، 48، 53، 55، 56، 66، 212
- ر
- رمضاني، 99

## ز

زنانة، 17، 18، 19، 21، 25، 27، 34  
 زناكة، 188، 197

## ص

صنهاجة، 7، 34، 35، 42، 44، 50، 53، 56، 62، 68، 91، 252

## ط

طوارق الأزجر، 79

## ع

عرب المعقل، 21، 31، 44، 45

## ك

كدالة، 34

كتنة، 6، 12، 13، 26، 28، 59، 61، 62، 63، 67، 72، 73، 86، 87، 88، 99، 109، 113، 114، 115،  
 116، 121، 178، 183، 187، 188، 189، 190، 196، 197، 199، 202، 206، 208، 209، 212،  
 217، 219، 233، 241، 251، 262، 275

## ل

لكدرارة، 45

لمتونة، 27، 35، 53

لمطة، 34

لوديكات، 64

## م

مشظوف، 54، 57، 109

فهرس الأماكن والبلدان:

## أ

أتساوة، 141، 155

آدرار، 1، 17، 22، 25، 26، 35، 36، 43، 45، 53، 56، 65، 67، 70، 71، 74، 75، 77، 79، 80، 82،  
 84، 91، 93، 95، 106، 108، 109، 123، 126، 137، 140، 161، 166، 168، 171، 175، 176،  
 178، 180، 181، 185، 187، 189، 198، 202، 204، 205، 206، 208، 212، 213، 214، 215،  
 217، 221، 224، 238، 251، 252، 253، 255، 256، 258، 260، 269، 271، 273، 274، 275

آدورور، 106

أدغاغ، 35، 40، 106، 127

أروان، 10، 63، 88، 116، 145، 202، 209، 214، 219، 222، 230، 231، 245، 253

اسبع، 106

أسطنبول، 139

آطار، 19، 40، 41، 43، 71، 101، 102، 166، 260، 275  
أعباني، 65، 94، 137، 229، 275  
أغدامس، 21  
أفريقيا، 1، 2، 13، 19، 31، 36، 38، 39، 40، 43، 47، 49، 54، 68، 77، 78، 79، 81، 82، 84، 87،  
122، 126، 131، 139، 165، 166، 182، 188، 192، 205، 207، 208، 209، 213، 218، 259  
260، 265، 269، 270، 271، 272  
إفريقيا الغربية، 2، 21، 37، 38، 39، 40، 43، 57، 62، 63، 79، 86، 111، 180، 192، 213، 220، 260  
أفطوط، 42، 138، 184  
أقبلي، 22، 62، 70، 77، 86، 96، 127، 141، 146، 203، 211، 212، 214، 230، 243، 244  
أكجوجت، 43، 192  
إكيدي، 45، 53، 86، 213  
الأبيض سيد الشيخ، 21  
الإسبان، 39  
ألاك، 42، 206  
الأندلس، 25، 35، 51، 167، 258  
انزجوير، 22  
إنشيري، 43، 56، 68، 188  
انغر، 22  
انوامغار، 42  
آوكار، 51، 113، 187  
أوكروت، 19  
أولاد عيسى، 21  
أولاد وشن، 25، 95، 127، 196، 253  
أولاد ونقال، 127  
أولف، 22، 233  
إيكيدي، 42  
أينورو، 80، 91  
اندخ، 116

## ب

باركيول، 42  
بريش، 59  
باسكنو، 42، 214  
بانغو، 61  
بجاية، 51، 167

برنو، 98

بني مهلال، 102

بو سمغون، 79

بوتلميت، 68، 77، 87، 201

بوجبيهة، 116، 141، 214

بودة، 19، 22، 27، 64، 74، 108، 215، 221، 238، 251، 252، 253، 275

بوعللي، 27، 80، 203، 209، 211، 217، 221، 252

بوفادي، 30

بئر الحجاج، 213

البراكنة، 42، 45، 55، 77، 113، 184، 206، 214

البركة، 86، 112، 114، 175، 196، 224، 236، 252، 274، 145، 148، 165، 189، 214، 253، 254،

255، 258، 259

## ت

الترارزة، 42، 44، 45، 53، 55، 56، 87، 188، 190، 191، 192

التكرور، 2، 9، 10، 12، 35، 36، 59، 60، 67، 72، 75، 84، 87، 92، 131، 132، 133، 138، 144،

تاخيفت، 60، 72، 73، 211، 233

تادميت، 20، 21، 22، 24

تاركة، 192

تافلي، 192

تافيلايت، 6، 26، 31، 34، 59، 60، 61، 70، 181، 207، 217، 219

تامست، 22

تاودني، 203، 209، 213، 222

تاويرت، 185

تايلوت، 27، 104

تجججة، 42، 114، 122، 205

تدكلت، 2، 13، 19، 20، 22، 23، 30، 132، 146، 159، 176، 179، 185، 187، 191، 194، 199،

203، 233، 249

تسابيت، 19، 20، 21، 70، 233، 242

تسفاوت، 19، 23، 28

تغانت، 14، 37، 41، 42، 43، 45، 53، 54، 56، 57، 61، 63، 64، 77، 86، 114، 138، 175،

179، 180، 181، 184، 188، 189، 191، 198، 205، 206، 212، 213، 214، 228

تلمسان، 46، 78، 82، 96، 269، 272

تليلان، 19

تماسخت، 106

تمالت، 19

تنطيط، 20، 22، 27، 30، 66، 68، 94، 137، 189، 195، 196، 203، 219، 252، 253  
 تنبكتو، 30، 52، 80، 111، 116، 132، 137، 145، 156، 158، 196، 205، 206، 207، 208، 209،

213، 214، 218، 230، 233، 253، 256

تندوف، 39، 213

تنزروفت، 10، 20، 21، 22، 23، 24، 98، 141، 211

تونس، 22، 25، 34، 49، 184، 258، 264، 270

تويدرمي، 190، 191

تيرس زمور، 43، 56، 77، 115، 185

تيشيت، 31، 37، 41، 42، 70، 83، 85، 141، 156، 204، 244، 253، 256

تيط، 19، 22، 214

تيگوارين، 20، 21، 32، 79

تيلولين، 19، 28

تيمادين، 62، 203، 214

تيمي، 22، 24، 127، 204

تيميمون، 19، 21، 28، 32، 95، 102، 135، 137، 175، 189، 191، 200، 202، 203، 251، 255

تينركوك، 21، 200

تينيكبي، 43، 68

## ج

الجديد، 7، 59، 78، 86، 134، 272

الجزائر، 1، 6، 14، 17، 20، 23، 24، 26، 27، 28، 32، 33، 37، 38، 43، 46، 62، 65، 67، 68، 71،

72، 73، 74، 75، 78، 79، 80، 84، 93، 95، 96، 100، 107، 108، 109، 116، 129، 134، 135،

136، 137، 140، 145، 147، 151، 159، 166، 168، 177، 178، 187، 195، 202، 203، 204،

208، 213، 214، 215، 217، 221، 224، 234، 238، 251، 252، 253، 254، 255، 256، 257،

258، 259، 260، 261، 262، 263، 264، 265، 268، 269، 271، 272، 273، 275

الجنوب المغربي، 34، 183

الجنوب الوهراني، 22، 181

جنتور، 26، 121

## ح

حاسي الحجار، 22

الحجاز، 6، 25، 38، 67، 77، 78، 125، 137، 138، 139، 140، 141، 160، 260، 264

الحوض الشرقي، 6، 9، 10، 13، 14، 38، 42، 47، 54، 56، 57، 61، 63، 66، 68، 71، 72، 73، 77،  
84، 87، 88، 107، 109، 111، 114، 115، 133، 166، 173، 176، 177، 178، 184، 187، 189،  
204، 205، 213، 217، 220، 228، 257

## د

داخلة نواذيبو، 41، 42

دارفور، 36

درعة، 64

## ر

رقان، 19، 22، 23، 24، 62، 75، 81، 88، 93، 185، 202، 203، 208، 217، 224، 251، 252، 253  
ريو دي أورو، 187  
الرشيد، 86، 94، 114، 115، 175  
الركيبة، 53، 57، 184، 187

## ز

الزويرات، 43

زاقلوا المرابطين، 28، 127

زاوية حينون، 214

زاوية كنتنة، 22، 26، 63، 67، 72، 73، 77، 86، 87، 109، 114، 121، 178، 183، 189، 196، 202،  
209، 219، 233، 251، 275

زاوية لحشف، 65

الأزهر، 186، 271

الأزواد، 2، 7، 11، 35، 39، 40، 56، 62، 63، 64، 86، 116، 141، 145، 170

## س

سالي، 22

سان لويس، 54، 213، 214

سانساندنغ، 206

سبخة تغبارة، 24

سبخة قورارة، 23

سجلماسة، 10، 21، 27، 29، 32، 70، 144، 170، 204، 213، 230

سنسند، 75، 85، 206، 207، 208، 230، 251، 252

سكومات، 191

الساقية الحمراء، 40، 56، 62، 76، 139، 196

الساهلة، 22

السنغال، 35، 37، 39، 40، 42، 53، 55، 57، 61، 62، 77، 80، 83، 115، 174، 181، 197، 206،

214

السودان، 2، 6، 8، 17، 18، 21، 24، 32، 35، 36، 37، 49، 50، 51، 52، 53، 60، 63، 72، 76، 77،  
 84، 86، 88، 98، 121، 131، 132، 135، 139، 155، 158، 181، 191، 196، 198، 203، 205،  
 206، 208، 209، 210، 211، 212، 214، 215، 216، 217، 219، 224، 257، 265، 268  
 السوس، 27، 43، 53

## ش

شروين، 21، 28، 176  
 شمامة، 42، 180

## ص

الصوصو، 52

## ط

طرابلس، 33، 34  
 طلمين، 28، 173  
 طنجة، 38

## ع

عدل بكرو، 115  
 عين صالح، 22، 24، 28، 140، 141، 149، 203، 214  
 العصابة، 42  
 العيون، 42، 115

## غ

غانا، 2، 50، 51، 52، 262  
 غاو، 208  
 غدامس، 34، 96، 139، 208، 210، 219

## ف

فاس، 25، 32، 50، 78، 79، 80، 127، 135، 144، 146، 160، 170، 213، 217، 258  
 فزان، 135، 140، 141، 155، 210  
 فقارة الزوى، 22  
 فقارة العرب، 22  
 فوتا تورو، 61، 80  
 فونغيل، 22، 64، 65، 197، 275  
 فيتيق، 23

## ق

قصر قدور، 106

القاهرة، 33، 35، 36، 49، 51، 52، 65، 67، 76، 78، 79، 90، 93، 94، 105، 122، 126، 139، 141،  
147، 151، 191، 216، 223، 254، 255، 256، 257، 258، 259، 260، 261، 263، 264، 265،  
272

القيروان، 49، 163، 270

## ك

كاشنا، 98

كالا، 133، 166

كالي، 26، 137

كرزاز، 23

كركول، 42، 47

كنديگة، 42، 113

كورارة، 19، 21

كيري، 133

## ل

لحمر، 106

## م

مالي، 18، 23، 26، 37، 39، 40، 52، 56، 115، 131، 204، 206، 222، 233، 262

مرزوق، 79، 140

مصر، 35، 37، 46، 48، 77، 126، 137، 141، 143، 197، 263، 264، 265، 270

مكة المكرمة، 138، 141، 142

ملاحة إيجيل، 210، 217190،

ملوكة، 102، 104، 168، 252

سنغاي، 52

موريتانيا، 6، 7، 12، 13، 35، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 44، 45، 46، 47، 53، 54، 63، 64، 68، 69،

73، 74، 75، 77، 78، 80، 111، 115، 124، 138، 139، 141، 154، 169، 174، 184، 186، 209،

251، 252، 256، 257، 258، 261، 262، 263، 264، 270، 271، 272، 273، 274

المامون، 26، 74، 109، 116، 141، 214، 220، 221، 233، 251، 252

المبروك، 86، 110، 116، 133، 136، 137، 141، 148، 157، 158، 214، 216، 217، 253، 259، 261

المحيط الأطلسي، 36، 39، 40، 42، 49، 57، 174

المغرب، 3، 17، 19، 21، 22، 25، 26، 27، 29، 32، 33، 35، 37، 38، 44، 48، 49، 50، 51، 52،

53، 65، 68، 70، 76، 83، 89، 120، 121، 126، 127، 128، 130، 163، 171، 202، 205، 208،

252، 255، 257، 258، 259، 260، 261، 262، 263، 264، 265، 270، 273

المغرب الأقصى، 27، 35، 49، 51، 53، 70، 83، 171، 257

المنيعة، 23، 203

## ن

نتيرت، 190  
نواكشوط، 42، 54، 60، 63، 64، 74، 77، 78، 124، 139، 141، 162، 169، 197، 209، 212، 215،  
251، 252، 256، 263، 271، 272، 273، 274  
النعمة، 42، 63، 82، 88، 91، 107، 111، 112، 113، 115، 166، 183، 206، 209، 211، 214،  
219، 221، 225، 233، 252  
النيجر، 37، 173، 208، 213، 217  
نومناس، 31  
نيامينا، 207

## و

وادان، 2، 37، 41، 43، 77، 103، 122، 132، 156، 174، 176، 204، 205، 263  
والن، 70، 98، 212، 214  
واوجفت، 43  
وجلة، 141  
ولانة، 2، 10، 11، 13، 14، 37، 49، 52، 53، 60، 61، 65، 66، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 76،  
82، 84، 88، 89، 91، 92، 93، 94، 97، 98، 103، 104، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113،  
115، 123، 127، 132، 133، 140، 156، 157، 159، 166، 177، 178، 192، 196، 197، 202،  
204، 205، 206، 208، 209، 211، 213، 214، 215، 216، 218، 219، 220، 221، 230، 233،  
238، 239، 242، 243، 245، 248، 252، 253، 256، 264، 271

## هـ

الهاوسا، 111، 209

## ي

يغزر، 106

فهرس الموضوعات	
رقم الصفحة	الموضوع
بسم الله الرحمن الرحيم	
أ	الإهداء
ب	التشكرات
15-01	مقدمة
مدخل تمهيدي: الدراسة الجغرافية والتاريخية لتوات وشنقيط	
33-16	المبحث الأول: التعريف بتوات
20-17	1- التسمية والامتداد الجغرافي
22-20	2- الموقع والحدود الجغرافية
24-22	3- الخصائص الطبيعية (التضاريس)
29-24	4- التركيبة السكانية للمجتمع التواتي
33-29	5- الخلفية التاريخية للإقليم
56-33	المبحث الثاني: التعريف بشنقيط
37-33	1- شنقيط والأسماء المتصلة بها
39-38	2- الموقع والحدود الجغرافية
42-39	3- التقسيم الطبيعي والإداري
47-42	4- الطبقات الاجتماعية
56-47	5- الخلفية التاريخية
الفصل الأول: العلاقات الاجتماعية والروحية بين المجتمع التواتي والشنقيطي	
77-59	المبحث الأول: القبائل المشكلة لنمط التواصل الاجتماعي
66-59	1- القبائل المتنقلة (المهاجرة)
70-66	2. القبائل المقيمة (المستقرة)
77-70	3- أبرز شخصيات التواصل الاجتماعي
92-77	المبحث الثاني: دور الطرق الصوفية في التواصل الروحي
83-77	1- الطرق الصوفية المتشاركة
87-83	2- نماذج من الوصل النقابي الصوفي

92-87	3- الإمتداد الروحي لزاويا التصوف
102-92	المبحث الثالث: العوامل المؤثرة في التواصل الاجتماعي
96-92	1- الصلات والروابط الأسرية
102-96	2- العادات والتقاليد المتوارثة
108-102	3- التراث المعماري الصحراوي
116-108	المبحث الرابع: الأثر الناتج عن التواصل الروحي والاجتماعي
111-108	1- التدخل لفض النزاعات القبلية
113-111	2- التوازنات القبلية بتشكيل الأحلاف
118-113	3- تأسيس الحواضر وتعميرها
118-117	4- مشاريع تنمية خارج البلاد
الفصل الثاني: الروابط العلمية والدينية بين الأعلام التواتيين والشناقطة	
135-121	المبحث الأول: الإشعاع الحضاري للمراكز الثقافية
126-121	1- المراكز الثقافية في توات وشنقيط
133-126	2- ظروف الدراسة ووسائلها التعليمية
135-133	3- البعثات العلمية جنوب الصحراء
153-136	المبحث الثاني: الرحلة مؤثر حضاري للتواصل العلمي
141-136	1- تراجم أبرز أعلام التواصل المعرفي
149-141	2- اللقاءات العلمية عن طريق الرحلات
153-149	3- الإجازات والأسانيد العلمية
166-153	المبحث الثالث: حركة التأليف وآثارها في تبادل الأفكار والمعارف
160-153	1- المؤلفات التواتية والشنقيطية
164-160	2- تنوع الأغراض الدلالية للشعر
166-164	3- مكانة تسهيل ابن آجروم عند الشناقطة
175-166	المبحث الرابع: جهود العلماء في خدمة المذهب المالكي
167-166	1- العمل بالمذهب المالكي واختصاراته
170-167	2- قضايا الخلاف الفقهي عند العلماء
173-170	3- تخريج الفتاوى على المسائل الفقهية
175-173	4- النزعة الصوفية عند الفقهاء
الفصل الثالث: الوضع الاقتصادي في توات وشنقيط وانعكاساته على التبادل التجاري	
194-177	المبحث الأول: النشاط الفلاحي في توات وشنقيط

182-177	1- وسائل السقي الفلاحي
189-182	2- المحاصيل الزراعية
194-189	3- الرعي وتربية المواشي
205-194	المبحث الثاني: الحرف والصناعات التقليدية
199-194	1- المواد الأولية للصناعات والحرف
202-199	2- المهن والحرف اليدوية
205-203	3- الصناعات التقليدية
230-205	المبحث الثالث: المبادلات التجارية بين توات وشنقيط
214-206	1- الأسواق ومناطق التبادل الجهوي
220-214	2- نظام تسيير القوافل التجارية
230-220	3- البضائع والسلع وطرق التعامل التجاري
235-232	خاتمة
252-236	الملاحق
278-253	قائمة المصادر والمراجع
305-279	الفهارس

## الملخص:

تعالج هذه الأطروحة موضوع التواصل الحضاري بين توات وشنقيط من زوايا متفرقة، وقد جاءت لتكشف اللثام عن المجالات والميادين التي شملها التعارف بين حواضر المنطقتين خلال القرنين (12-13هـ/18-19م)، فكانت لنا وقفات مع بعض التعاريف والمصطلحات التي تخدم مواطن الثقافة والتواصل، لاسيما وأن الحواضر التواتية والشنقيطية تقلدت وسام السبق لتوطيد علاقات مناطق الجوار، من خلال موقعها البيئي على ضفتي الصحراء الإفريقية الكبرى، وزاد من تلك الروابط عمقا قيام رحلات - عكسية - متبادلة من وإلى حواضر المنطقتين، حملت في طياتها الكثير من التوافق المعرفي والتجانس البشري، وهو ما أفرزته الهجرات الفردية والجماعية، التي ساهمت في قيام نخضة شعبية ذات أبعاد حضارية وفق أطر إسلامية، لخلق فضاء تعاوني في مجالات إنسانية عدة، سمته التآزر والتآخي القبلي، وواقعه الطابع العمراني المتشابه الخصوصيات والمكونات، وخلالها لعبت شخصيات مؤثرة، دورا رياديا فصح مجالات تقارب ثنائي، انعكست بعض صورته على سياقات التبادل التجاري، حسب ما نقلته الكتابات التاريخية سواء العربية أو الأجنبية، مخطوطة كانت أم مكتوبة.

**الكلمات المفتاحية:** توات؛ شنقيط؛ الحواضر؛ المحاضر؛ الصحراء؛ الأعلام؛ الطرق الصوفية؛ الزوايا،

الرحلات؛ القبائل.

**Abstract:** This thesis deals with the issue of cultural communication between Tawat and Chinguetti from separate angles. Acculturation and intellectual cross-fertilization, especially since the Tawat and Chinguetti cities took the lead in consolidating the relations of the neighboring regions, through their location on the two shores of the Great African Sahara, and those ties were deepened by reciprocal trips to and from the regions of the two countries, which carried with them a lot of cognitive compatibility and mental homogeneity, which is What was produced by individual and collective migrations, which contributed to the emergence of a popular renaissance with civilized dimensions, to create an atmosphere of population harmony, characterized by synergy and tribal brotherhood, and its reality is the urban character with similar characteristics and components, during which influential personalities issue a leading role to open the fields of bilateral rapprochement, some of its images were reflected in The contexts of commercial exchange according to what was reported in the historical writings - Arabic and foreign - manuscript and written .

**Keywords:** Tawat; baguette; urban; angles; the records; the Sahara desert; jurists; Sufi orders; Trips ; tribes